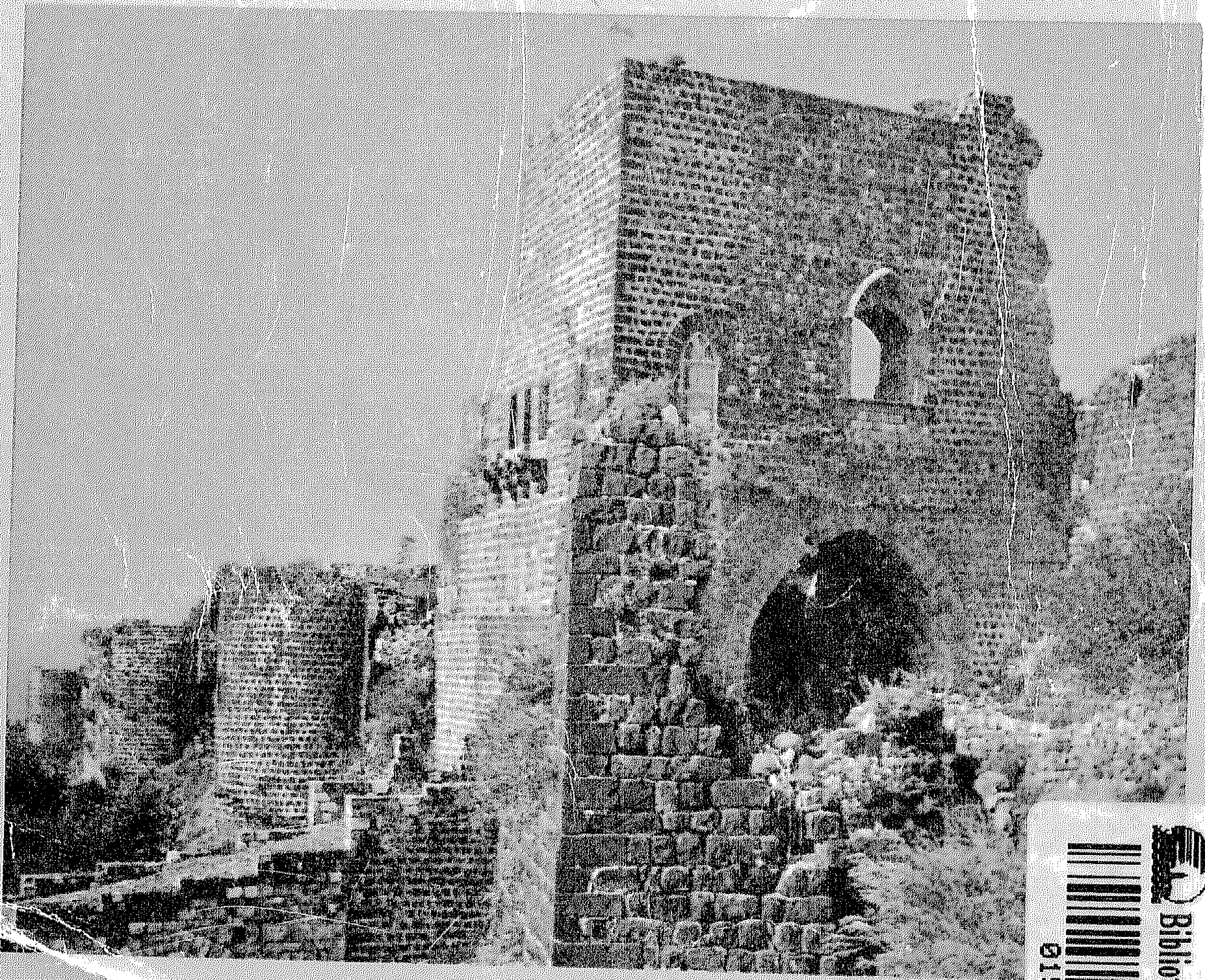
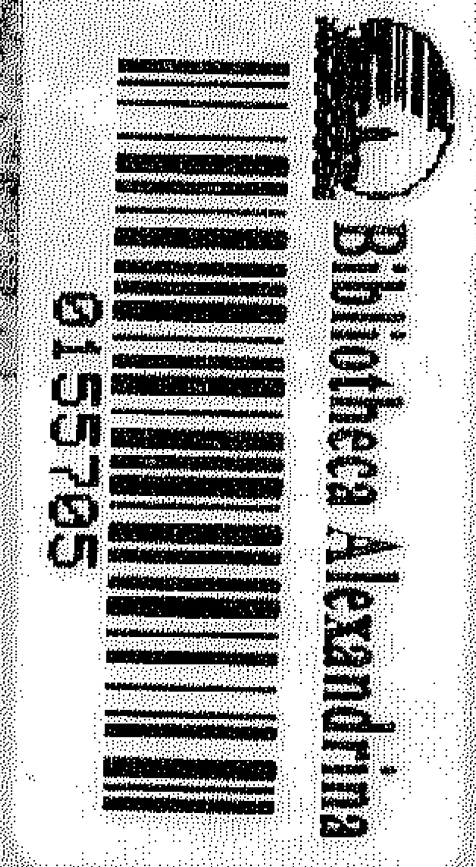
فولفغانغ مولّر - ڤينر

القلاع أيّام الحروب الصّليبيّة





ترجمة

العميد الرّكن محمّد وليد الجلاد

مراجعة

اللّواء الرّكن سعيد طيّان

مركز الدّراسات العسكريّة

١٩٨٢

القلاع أيام الحروب الصليبية



المرقب

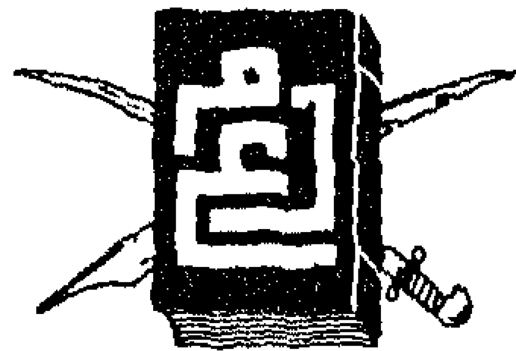
ڤولفغانغ مولّر - ڤينر

القلاع

أيّام الحروب الصّليبيّة

ترجمة
العميد الرّكن محمّد وليد الجلّاد

مراجعة
اللّواء الرّكن سعيد طيّان



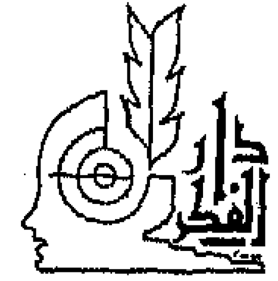
مركز الدّراسات العسكريّة
دمشق - ١٩٨٢

CASTLES OF THE CRUSADERS

WOLFGANG MULLER-WIENER

PHOTOGRAPHS BY A. F. KERSTING

الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م



طبع بأجهزة (C. T. T. السويسرية) للصف التصويري ،
وبالأوفست في دار الفكر هاتف (١١١١٦٦/١١١٠٤١) ، برقياً (فكر)
ص.ب (٩٦٢) دمشق-سورية Tx FKRMGS 411745 Sy

تقـديم

شهدت البلاد العربية والإسلامية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر أحداثاً دامية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً جمعت بين الحروب الصليبية والغزو التتري المغولي . ولم تنته تلك الحروب بخروج الصليبيين من بلاد الشام أو انحسار المد المغولي عنها ، وإنما استمرت على نحو متقطع طيلة قرنين آخرين من الزمان ، حتى توقفت تماماً بسقوط القسطنطينية عاصمة بيزنطة على يد السلطان محمد الفاتح ؛ وبوفاة البابا بيوس الثاني آخر المتحمسين للحروب الصليبية في الغرب في العام ١٤٦٤ . وها قد مضت تسعة قرون على بداية تلك الحروب ، وما تزال البلاد التي كانت مسرحاً لها تعاني من نتائجها وآثارها .. حيث تركت تلك الحروب بصماتها العميقة على جميع أوجه الحياة في الشرق والغرب وعلى العلاقات التي تربطهما بعضهما ببعض . ولقد كان لتلك الحروب فضل كبير على الغرب بشكل خاص ، فكانت بداية الطريق الذي أوصله إلى حضارته المعاصرة ، بأن نقل عن المشرق العربي آخر إبداعاته في العلوم والفنون بما فيها فن الحرب والتحصين .

إن القلاع التي خلفتها تلك الحروب لخير دليل على ضراوتها وعنفها من جهة ، وعلى التطور الكبير الذي بلغته القوات المتحاربة في فن التحصين والبناء خاصة وفن الحرب عامة . ولا بد لكل من يتأمل موقع تلك القلاع ، وبنيانها الشامخ ، وأسوارها الحصينة ، من أن يرسم في ذهنه صورة للوقائع الحربية الضارية التي دارت حولها ، وهو مدرك على هذا النحو مدى الأهمية العسكرية التي كان يعولها عليها شاغلوها .. ولم تكن تلك القلاع منشآت مفردة قائمة وحدها مطلقاً ، وإنما كانت تشكل سلسلة من الحصون والتحصينات العسكرية المتكاملة المترابطة فيا بينها . ومنها ما كان قائماً من عهد سابق لتلك الحروب ومنها ما شيد إبانها .. ولقد استغلها الفرنجة استغلالاً كاملاً محافظة منهم على وجودهم في هذه البلاد إلا أن فن الحرب المتطور الذي مارسته القوات العربية الإسلامية ، والقيادة الحكيمة التي تحلى بها قادتها إلى جانب الظروف التي هيأتها الحتمية التاريخية لإنهاء الوجود الأجنبي في هذه البلاد ، أدى إلى إفشال مخططات الفرنجة في إقامة دولهم اللاتينية في بلاد الشام وإلى طردهم منها نهائياً ، لتبقى القلاع التي خلفوها وراءهم شاهداً أبدياً على ذلك .

يحاول مؤلف هذا الكتاب ، وهو ألماني الجنسية ، إعطاء فكرة عامة عن القلاع التي وقع اختياره عليها من مصادر عديدة ورد ذكرها في نهاية الكتاب . وجعل من كتابه أقساماً ثلاثة :

تضمن أولها : المدخل ، ويتناول فيه المؤلف تاريخ الحروب الصليبية بإيجاز شديد ، مع إبراز أهم وقائعه ، والدول الصليبية التي تأسست في بلاد الشام وآسيا الصغرى واليونان .

وتضمن القسم الثاني : (القلاع) ، وصف أهم القلاع التي ما تزال موجودة آثارها حتى يومنا هذا ، من

حيث موقعها وتخطيطها وأهميتها وتاريخها اعتباراً من بداية الحروب الصليبية ، (وهو لا يحاول هنا الرجوع إلى تاريخ بناء القلعة الأول منذ أن شيدت) .

أما القسم الثالث : فيتضمن مجموعة من اللوحات المصورة لأهم المدن المحصنة والقلاع (١٦٠ لوحة) ، مع شرح لمحتويات اللوحة .

كما تضمّن الكتاب أيضاً لائحة بأسماء القلاع الرئيسية ، والمكان الذي ورد اسمها فيه ، وخريطة عامة تبين مواقع المدن والقلاع المختلفة إبان الحروب الصليبية ، وثبتاً بالمراجع التي استند إليها في وصف كل قلعة ، والمراجع العامة .

ولما كانت المكتبة العربية تفتقر إلى هذا النوع من الدراسات ، فقد وقع خيارنا على هذا الكتاب ، لأسلوبه العلمي في الدراسة ، وشموله عدداً لا بأس به من القلاع التي كانت أيام الحروب الصليبية .. وهو بطبيعة الحال لا يشمل جميع القلاع التي كانت قائمة - أو لا تزال قائمة - في بلاد الشام عامة وسورية خاصة ، ولكنه يتناول القلاع الرئيسية التي استخدمت في الحروب الصليبية من قبل الطرفين ، وربما استخدم نواة لوضع كتاب شامل عن القلاع في بلاد الشام .

ولقد راعينا الموضوعية التامة والأمانة المطلقة في الترجمة ، ونقل النص إلى اللغة العربية ، وتمت الاستعانة خلال ذلك بالعديد من المصادر العربية أو المنقولة إلى اللغة العربية لمعرفة التسميات الصحيحة للقلاع ، ومواقعها ، وأسماء من كانت لهم بها علاقة ... ووجدنا في كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء خير منهل لذلك ، نظراً لأن صاحبه عايش المرحلة الأخيرة من الحروب الصليبية وشهد بعض وقائعها .. ووجدنا من المفيد كذلك أن ننوه إلى بعض النواحي التي تضمنها النص الأصلي ، أو نفيض في شرحها ، وأن ننقل وصفاً لبعض القلاع والمدن التي تناولها الكتاب من مصادر أخرى ، حيث تطلبت الضرورة ذلك ، وأشرنا إلى ذلك في حواشي الكتاب .

وأخيراً يرجو مركز الدراسات العسكرية أن يكون بهذا العمل قد قدّم للرفاق الضباط في القوات المسلحة كتاباً تاريخياً عسكرياً يمسنا في الصميم ، ويكشف عن مرحلة هامة من مراحل تطور فن الحرب عند العرب .

آذار ١٩٨٢

مركز الدراسات العسكرية

المحتوى

المدخل

مع أفول القرن الحادي عشر ، ابتدأت حقبة من أكثر حقب التاريخ سحراً وغموضاً ، بالنسبة لأوربا القرون الوسطى ، حين وجد آلاف الناس أنفسهم ، من قرويين وأمراء وعامة ونبلاء ، مدفوعين إلى مغادرة أوطانهم بمزيج غريب من التقوى الساذجة والطمع وحب المغامرة ، من أجل المشاركة في الحروب الصليبية طيلة أربعة قرون أو ما يقاربها . وراح الفرسان من ذوي البأس يحملون علامة الصليب فوق دروعهم الزردية . وراح القساوسة يشهرون سيوفهم في وجه مقاتلي المسلمين ، ومضت أوربا الناهضة تتلمس طريقها نحو مناطق أخرى تقع خارج حدودها ، وتتطلع ، لأول مرة ، إلى اغتصاب تربة غريبة عنها .

لقد أقامت الحملة الصليبية الأولى إلى القدس الدليل على أن من سار نحو الشرق تحت راية الصليب لم يكن يقصر تفكيره على ذلك الهدف الذي رسمه له الوعّاظ ورجال الإكليروس ، لأن الأمراء وأصحاب الإقطاعات من النبلاء كانوا مهيئين ، رغم تقواهم الدينية وعزمهم على التضحية بالنفس ، لإشباع نهمهم وتحقيق أطماعهم الأنانية والحصول على مكاسب مادية بعيداً عن ذلك الهدف . وكان حب العظمة والظهور والرغبة في الإثراء من أقوى الحوافز التي دفعتهم إلى ذلك منذ البداية . وراحت هذه الأمور تبرز باضطراد وتزداد قوةً وحدةً كلما ازدادت رقعة الأرض المشاع التي يستولون عليها ، وهي أراض يملك فيها كل امرئٍ منهم حرية تجربة حظه فيها ، ويزداد استقلاله بها عن السلطات الغربية الأوربية .

وكان هذا التهافت الأعمى والمشبع بالأنانية لطلب السلطة ، وحيازة الممتلكات والأراضي ، عاملاً هاماً ـ في خاتمة المطاف ـ في تدمير كل ما بنته الشجاعة والجرأة المشوبتان بالإيمان الديني والحنكة الحربية وروح المغامرة ، وكل ما بنته التضحيات والجهود الشاقة طوال قرون من الزمن .

وقد اضطر الغزاة تحت ضغط الحاجة ، بوجودهم في أراض غريبة بعيدة عن بلادهم ، ورغبة منهم في المحافظة على ما امتلكوه ، خشية أن يسترده أصحابه الأصليون المخرجون من ديارهم ، إلى شغل القلاع والمدن المسورة القائمة وإشادة الجديد منها . ولم يكن من شأن مثل هذه القلاع والمدن أن تحميهم ومواشيهم فحسب ، وإنما كانت تمكنهم من وضع أخصامهم تحت رقابتهم المستمرة . ولم يكن ذلك يتم عشوائياً ، وإنما كانت هنالك سلسلة من الحصون والقلاع ، تحرس بعضها بعضاً على طول الشريط الضيق الذي كان يسيطر عليه الفرنجة ، والذي كان يمتد على مسافة خمسمائة ميل ، اعتباراً من سواحل البحر الأحمر وحتى ضفاف نهر الفرات ، ولا يزيد عرضه في أقصى اتساع له عن ستين ميلاً . وانتشرت قلاع الفرسان الذين قاتلوا تحت شارة الصليب ، في شتى الأرجاء على امتداد السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط ، وفي الأراضي الداخلية المتاخمة لحوضه الشرقي ، وفوق ذرا

مرتفعات قبرص الصخرية ، وعند الأكروبول الأثيني ، وفي أعالي جبال اليونان . وظل الفرسان بدروعهم الثقيلة يتناوبون الحراسة في بحر إيجة ، وعلى سواحل آسية الصغرى ، ضد السلاجقة والأتراك العثمانيين بضعة عقود من الزمان ، بعد أن تلاشت آخر اندفاعة واهنة قام بها الغرب باتجاه المشرق . ويمثل الكثير من معاقل الرهبانيات الفرسانية هناك معلماً هاماً من معالم تطور فن التحصينات في الغرب . ويعد من أجمل ما أنتجه فن العمارة الأوربية في العصور الوسطى .

وإذا ما توخينا الوصول إلى معرفة دقيقة لأصل المنشآت المنتشرة على نطاق واسع ـ من حيث الزمان والمكان ـ وأسباب ضعفها وانحطاطها فلا يجوز لنا أن نكتفي بدراسة واحدة منها دون غيرها وخارج بيئتها ، ودون تحليل التأثيرات الخفية المختلفة عليها . لأن تلك القلاع لم تشد لوجهها الخالص ، بل لغرض معين محدد . ويدل تاريخ العديد منها على أنها كانت تهجر أو تترك عندما يستنفد الغرض المقصود منها ، لتؤول إلى السقوط والتداعي بالبلى . ولا يمكن فهم القلعة ـ كبناء ـ إلا من حيث ارتباطها السياسي ، ووضعها الاستراتيجي ، والظروف التاريخية التي أحاطت ببنائها . ولا يمكن التعرف على المقومات المختلفة الكثيرة التي تحدد شكلها الإجمالي ، والتمييز بين بعضها بعضاً إلا بمعرفة تلك الظروف . لأن العلاقات التاريخية ـ والخصائص والتقاليد المحلية بالتالي ـ كان لها تأثير بارز جداً ـ إن لم يكن حاسماً ـ في تقرير مصير الأراضي التي استولى عليها الصليبيون أكثر مما كان لها في أوربا الغربية (والتي هي بالأساس منطقة متجانسة رغم الفروق القومية المتشعبة فيها) . ذلك لأن تلك الأراضي كانت تشكل موطناً لحضارات عظيمة حفظ شعبها آخر آثارها .

كانت متطلبات الموقف السياسي الراهن الجغرافية والاستراتيجية ، على وجه العموم ، والمستوطنات والتحصينات السابقة ، والطرق والمخاضات والمضائق الجبلية والأماكن الصالحة لرسو السفن على وجه الخصوص ، هي التي تفرض موقع كل قلعة من تلك القلاع ، إلاّ أن أسلوب البناء ، والهيكل العام للأبنية المشادة ، ومخططها الأرضي في تلك المواقع لم يكن مقيداً ـ على أية حال ـ بالشروط الجغرافية والاستراتيجية وحدها ، وإنما كان يتأثر ـ بالدرجة نفسها ـ بالتقاليد المعمارية المحلية الراسخة على مر العصور ، في ظل تيار التأثيرات الرومانية أو البيزنطية أو العربية أو الأرمنية ، وما زلنا غير قادرين ـ بسبب معرفتنا المحدودة بفن التحصين عموماً ، وفن التحصين في القرون الوسطى خصوصاً ـ على التثبت من درجة تأثر فن البناء المولد هذا بالتقاليد والخبرات التي جاء بها الغزاة الجدد من مواطنهم ، ومما لا ريب فيه أن للتقاليد المستوردة دوراً بارزاً في هذا المجال ، رغم أنها تأتي في المرتبة الثانية ـ مبدئياً على الأقل ـ بعد التقاليد المحلية ، التي كان لها دورها الكبير والهام جداً ، ذلك أن عدداً كبيراً من القلاع التي كانت قائمة قبل ذلك ، ظل يستخدم على حاله الأصلي ، وأن معظم القلاع التي شيدت حديثاً شيدها بناؤون وحجّارة وفَعَلَة محليون ، استخدموا فيها موادّ تتوفر في تلك البقاع .

وبمرور الزمن تضاءلت هيمنة التأثير المحلي على تطور العمارة وتصميم القلاع وأسلوب التحصين وصنعة البناء ، نظراً للخبرة الواسعة التي اكتسبها فرسان الفرنجة طوال سنوات عديدة من الحملات العسكرية ، وحرب الحصار في المناطق المجاورة للممالك والإمارات التي أقاموها هنا ، ويظهر ذلك بوضوح ـ في الواقع ـ في المباني الكثيرة التي

يعود تاريخها إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، والتي يبدو فيها طغيان تطورات مولدة مفردة ، مثيرة للاهتمام على التقليد المحلي ، استوردت عناصرها وصفاتها من أوربا الغربية .

بناء على ما سبق فإن المباني التي ستكون محور حديثنا التالي هي مبان مؤلفة من مقومات كثيرة ومتنوعة ، تشكل خليطاً بنسب مختلفة ، ولا بد من أجل التوصل إلى أية استنتاجات محددة هنا ، من إجراء مسح شامل لمختلف المناطق الحضارية المعنية ، وتاريخها ، ومعرفة البلدان العديدة فيها ، ومواصفاتها الخاصة عن قرب ، والتجول في موقع كل أثر معماري قائم فيها - وهذا هو الأهم . وكل ما يستطيع المرء - وحده - التوصل إليه في أيامنا هذه ، بمصادره المحدودة ، لا يزيد عن لمحة عامة مبسطة في حدود المعرفة المتوفرة حالياً عن هذا المجال الاختصاصي .

ولقد وقع الاختيار على القلاع التي تتناولها الدراسة التالية بتفصيل أكبر بالاستناد إلى الحالة التي آلت إليها في الوقت الحاضر بالدرجة الأولى ، وإلى الظروف الراهنة أحياناً ، مع التأكيد على أنه لا يمكن دراسة القلاع التي كان لها شأنها في الحروب الصليبية منفردة ومعزولة ، وإنما بالارتباط فيما بينها ، ومع التحصينات المعاصرة لها في البلدان المجاورة ، وأخص بالذكر المعاقل العربية والقلاع الأرمنية .

ولا يتناول مجال الدراسة الحالية أية مراجع معمارية بيزنطية سابقة ، وهي متوفرة بكثرة ، كما أنه لا يقدم سوى إلماعات سريعة عن تأثير فن التحصين في الحروب الصليبية على التحصين في أوربا ، رغم أن ذلك من النتائج الإيجابية التي جاءت بها تلك الحروب .

الحملة الصليبية إلى الأراضي المقدسة ١٠٩٦ - ١٠٩٩ :

دعا البابا أوربان الثاني مسيحيي العالم الغربي في مجمع كليرمون الكنسي عام ١٠٩٥ إلى تحرير إخوانهم المسيحيين في الشرق . ولقد حدث ذلك قبل زمن من خضوع الآلاف منهم لهذه الدعوة ، وإذعانهم لنزعة الحماس الديني المتعصب التي سادت عقب ذلك ، وبعد تجييش حملتين صغيرتين في أول دفق حماسي صليبي انتهتا إلى إخفاق ذريع دامٍ ؛ حيث التقت عناصر من الجيش الصليبي الأول بقيادة الدوق غودفري (غودفروا دو بويون Duke Godfrey de Bouillon ، والكونت هوغ دو فيرماندوا Count Hugh of Vermandois والكونت ريمون دو تولوز Count Raymond of Toulouse ، والكونت بوهموند ترانتوم Count Bohemond of Tarantum تحت أسوار القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في شتاء العام ١٠٩٦ - ١٠٩٧ . وبحلول ربيع ذلك العام عبرت قوات الفرنجة الدردنيل the Hellespont ترافقها وحدات من الجيش البيزنطي ، ثم انطلقت في مسيرتها قاصدة نيقية Nicaea ، التي كان يحتلها التركمان منذ سنوات مضت ، واستولت عليها بعد حصار قصير . وهنا اصطدم الفرنجة - كما كان شأنهم أثناء اجتيازهم البلقان وتعسكرهم عند أسوار القسطنطينية - بالتحصينات البيزنطية الضخمة ، التي لم يكن يوجد ما يماثلها في أوربا آنئذ ، وتكرر ذلك مرة بعد أخرى أثناء تقدمهم المتواصل التالي على طول الطريق الحربي البيزنطي القديم ، حتى بلغ جيش الفرنجة بوابات قليقية Cilicia بعد أن اجتاز

دوريليوم Dorylaeum وبوليبُتوس Polybotos وفيلوميلوم Philomelium[١] وقونية[٢] Iconium .

عند هذه النقطـة هجر بلـدوين كونت بولونيـا Baldwin of Boulogne وتـانكرد النورمنـدي Tancred the Norman جيش الصليبيين ، وسلـك كل منهما طريقـاً مستقـلاً ، فعبرا ممرات طـوروس ، ووصـلا سهـل قليقيـة (كيليكية) الفسيح ، وشرعا في إخضاع المدن التي تعترض طريقهما ، والتي كانت تدافع عنها حـاميـات تركمانيـة وسلجوقية ضعيفة يساندها الأرمن في ذلك . وسرعان مـا دب الخلاف بين القـائـدين الفرنجيين عنـدمـا تنـازعـا ملكية المدن التي استوليـا عليهـا ، وكان أن دُفع بلـدوين بعيـداً واضطر إلى التحرك على جنـاح السرعـة بـاتجـاه الشرق . وساعده الأرمن الذين كانوا يقيمون في أرجاء متفرقة من المنطقـة المحصورة مـا بين جبـال طـوروس ونهر الفرات لبضعة عقود مضت ، فأقام معهم علاقات حميمة في الرها وسرعان ما أقام لنفسـه دولـة إقطـاعيـة في تلـك المدينة والأراضي المتاخمة لها ، والتي كانت تسيطر على المنافذ العليا المؤديـة إلى نهر الفرات ، أصبحت تعرف بـاسم كونتية الرها[٣] (أديسة) County of Edessa .

في هذه الأثناء كان الجيش الرئيسي يتقدم في حركة التفاف واسعة مجـانبـاً قيصريـة (تركيـا) Caesarea[٤] ومرعش Germanicea[٥] ، باتجاه مدينة أنطاكية الكبيرة والمحصنة جيداً . وقد وقفت هذه المـدينـة الحصينـة حجر عثرة دون متابعة الجيش تقدمه . ولم يكن بالإمكان المرور بمحاذاتها أو تركها في المؤخرة ، بالنسبة لجيش يتقدم ، دون أن يعرض مسيرته اللاحقة للخطر ، خاصة وأن بوهمنـد كان مصمماً منـذ البـدايـة وبكل جلاء على تـأسيس

---

(١) أقشهير أو آق شهر حالياً وكانت تسمى أقشار سابقاً وذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٣٨٢ فقال :

قال ابن سعيد : وأقشار أطول من قونية بدرجة ونصف وقونية أعرض منها بربع درجة قـال : وهي من أنزه المـدن وبهـا بساتين كثيرة وفواكه مفضلة ولم أجد لها ذكراً في غير كتاب ابن سعيد إلاّ ما نقلناه عن كتاب الأطوال ، وأخبر من رآها قـال : هي عن قونية مسيرة ثلاثة أيام شمالاً بغرب .

(٢) ذكرها أبو الفداء كذلك في تقويم البلدان ص ٣٨٢ فقال :

قال ابن سعيد : وهي مدينة مشهورة ، ولها جبل في جنوبيها ، ينزل منه نهر ويدخل إلى قونية من غربيهـا ، ولهـا بسـاتين من جهة الجبل بقرب من ثلاثة فراسخ ، وبقلعتها تربـة أفلاطون الحكيم ، وبهـا دار السلطنـة . وقـال ابن سعيـد أيضـاً : إن نهرهـا يسقي بساتينها ثم تصير عنه بحيرة ومروج والجبال دائرة بها من كل جـانب ، وتبّعـد عنهـا من جهـة الشمال ، والفواكـه بهـا كثيرة ، وهناك المشمش المعروف بقمر الدين .

(٣) ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٢٧٧ :

وكانت الرهـا مـدينـة كبيرة ، وبهـا كنيسـة عظيمـة ، وفيهـا أكثر من ثلاثمئـة دير للنصـارى ، وهي اليوم خراب . قـال في العزيزي : والرها مدينة رومية عظيمة ، فيها آثار عجيبة ، وهي بالقرب من قلعة الروم من الجانب الشرقي الشمالي من الفرات .

(٤) قيسارية وقيصارية وقيصرية وهي بلدة كبيرة ذات أشجار وبساتين وفواكه وعيون تدخل إليها ، وداخلها قلعـة حصينـة ، وبهـا دار للسلطنة . قال ابن سعيد : وهي منسوبة إلى قيصر وهي مدينة جميلة يحلّها سلطـان البلاد ، ويتنقل منهـا إلى قونيـة ، وفي شرقيهـا مدينة سيواس ، وبين قيسارية وأقصرا أربعة مراحل (انظر : أبو الفداء ـ تقويم البلدان ص ٣٨٢) .

(٥) قال في اللباب : ومرعش بلدة من الشام . قال ابن حوقل : والحدث ومرعش هما مدينتان صغيرتـان عـامرتـان ، فيهما ميـاه وزروع وأشجار كثيرة ، وهما ثغران . قال أبو الريحان : وبينها وبين أنطاكية ثمانية وسبعون ميلاً ، وبينهـا أيضـاً وبين مخـاضـة العلوي على نهر جيحان اثنا عشر ميلاً (المصدر السابق) .

إمارة شخصية له ، رغم يمين الولاء الذي اضطر لقسمه أمام الإمبراطور البيزنطي . وهكذا تطلب الأمر حشد قوة الجيش كله لمحاصرة أنطاكية .

وفي ربيع العام ١٠٩٨ ، وبعد أشهر سبعة من الحصار ، وبعد إقامة ثلاثة حصون حصار صغيرة سقطت المدينة في يد الصليبيين ، وذلك نتيجة خيانة ، باستثناء القلعة التي لم يستطع الجيش الاستيلاء عليها حتى ألحق هزيمة حاسمة بالقوى التركية التي هرعت لنجدتها .

في الطريق إلى أنطاكية جابه فرسان الفرنجة ، كما كان شأنهم خلال مسيرتهم عبر قيليقية وتحركاتهم التالية في سورية وفلسطين ، العديد من القلاع والمدن الحصينة التي كانت تابعة لبيزنطة في وقت من الأوقات والتي كان يحتلها المسلمون آنئذ . ولقد أدى تبدل العلاقات السياسية والظروف الاقتصادية التي سادت منذ الفتوحات العربية ، في أواسط القرن السابع ، إلى حدوث تبدلات جذرية في الكثافة السكانية لهذه المناطق التي كانت خاضعة لبيزنطة من قبل . وتحول الكثير من المستوطنات التي كانت مزدهرة في يوم من الأيام إلى مناطق مهجورة ، بينما تقلصت مدن كثيرة إلى حجم قرية رغم محافظتها على تحصيناتها مثل البارة al-Bara ، وأفامية (أبامية سابقاً) . إلا أن المدن الكبرى التي ظلت معمورة وحافظت على دفاعاتها الأصلية كانت تعود في معظمها إلى عهد السيطرة البيزنطية على وجه العموم . وكانت تلك الدفاعات تتألف غالباً من أسوار ساترة ، تزينها أبراج عديدة ، وتعززها خنادق أو تحصينات خارجية خفيفة . وثمة مدينة واحدة ، أو مدينتان ، كانتا تملكان قلعة محصنة من العهود القديمة (مثل حلب) ، أو شيدت فيها أثناء الحروب العربية البيزنطية (مثل أنطاكية في عام ٩٧٥) .

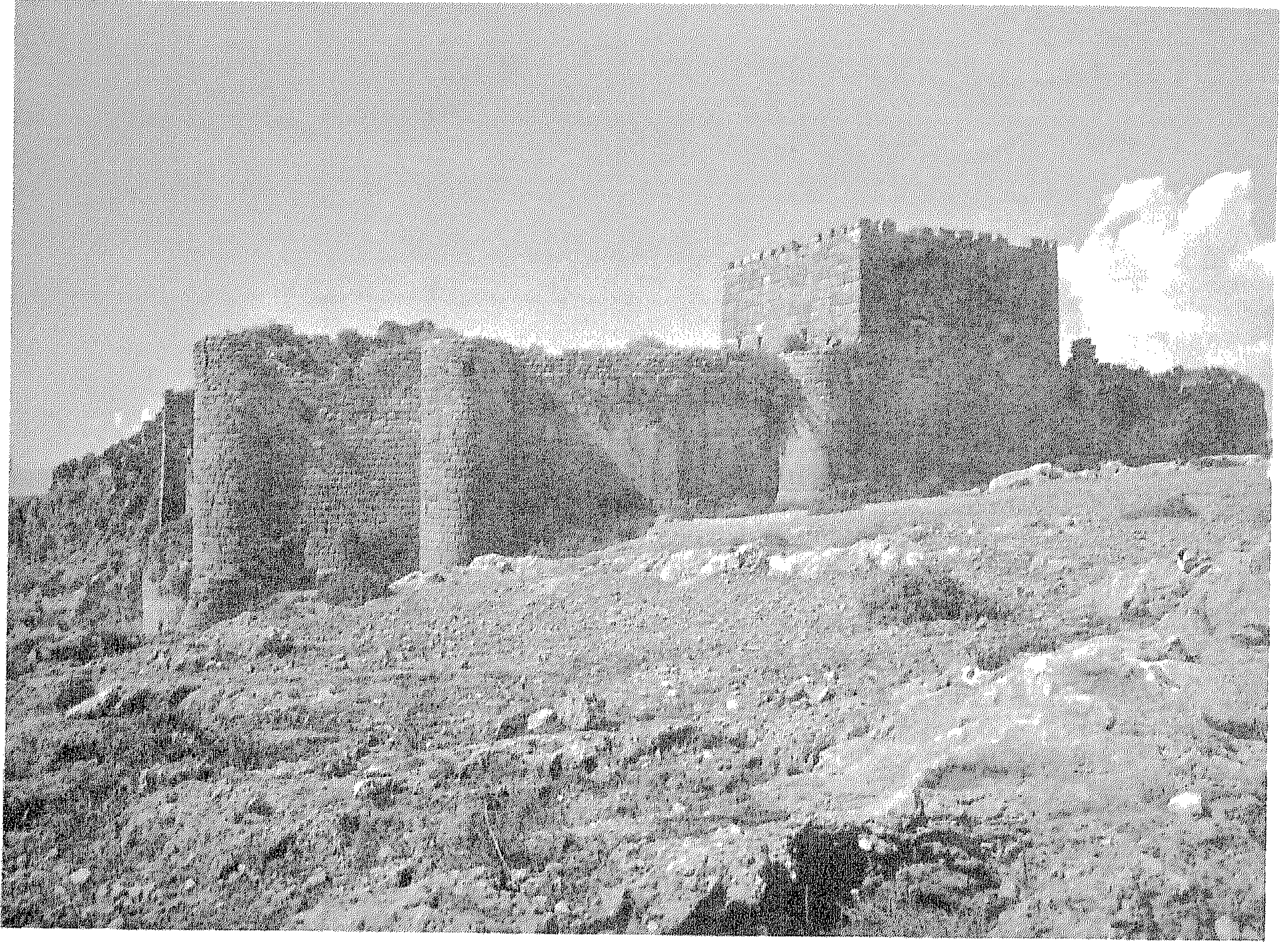
لم تكن التحصينات الأصلية في معظم المدن ـ باستثناء حالات قليلة ـ تحظى برعاية أصحابها العرب بعد الفتوحات الإسلامية ، ولم تنشأ دفاعات جديدة إلا في عدد محدود من المدن الساحلية في سورية وفلسطين (مثل عكا وعسقلان وقيسارية) ، أو في مناطق الثغور المتاخمة للحدود البيزنطية العربية ، حيث كان خطر الهجوم جاثماً باستمرار . واعتباراً من بداية القرن العاشر ، بدأ البيزنطيون والحكام المحليون من المسلمين وغيرهم تشييد عدد من القلاع الجديدة في جوار المستوطنات القديمة ، بعد أن أصبح الدفاع عن أسوارها الكثيرة صعباً . وتتميز تلك المعاقل الحصينة عن القلاع البيزنطية السابقة بموقعها المنعزل ، فوق مرتفعات وعرة صعبة التسلق ، وبمخطط أسوارها التي تحيط بها بلا تناظر لتتماشى مع تضاريس الأرض . وكانت هذه المعاقل تجمع بين مقر السيد الإقطاعي والمستوطنة المحصنة بشكل يؤهلها تماماً لحمل اسم « قلعة » ، بمفهومها في القرون الوسطى ، (مثل قلعتي صهيون وأرجيروكاسترون[1] Sahyûn, Argyrokastron) . وبعد ذلك بقليل ، أي في القرن الحادي عشر ، أحدثت منشآت مماثلة كُيِّف طرازها بصورة أفضل ، مع دواعي الأمن في تلك الفترة ، لتكون معاقل محصنة لصغار أمراء الأرمن الذين فرضوا سيطرتهم على مساحات شاسعة من المرتفعات الممتدة فيما بين جبال طوروس ونهر الفرات ، وجاورتهم فيها كونتية الرها التي أسسها الفرنجة .

---

(١) أو دجيروكاسترو وهي عاصمة مقاطعة في ألبانية .



القدس منظر عام



قلعة صهيون (صلاح الدين)

وما إن استقر بلدوين في الرها ، وتخلف بوهمند مع النورمنديين في أنطاكيـة ، حتى شرع الجيش الصليبي ، بعد فاصل طويل نسبياً ، مسيرته التالية قاصداً القدس في ربيع العام ١٠٩٩ . وبلغ الفرسان المدينـة المقـدسـة في السـابع من حزيران من العـام ١٠٩٩ دون توقف ، بـاستثنـاء مرة أو مرتين اضطروا فيهما إلى التعـامل مـع مـدن حصينة . وبعد محاولتي هجوم مخفقتين شرعوا ببناء آلات الحصار الضرورية لهم . وفي الخامس عشر من تموز وبعد مناورة ناجحة تمكن أحد أبراج الحصار الكبيرة من ملاصقة السور بحيث تمكن فرسان الدوق غودفري من اقتحـام شرفاته في قتال ضار ، وانطلقوا منها لاحتلال المدينة بأسرها . وسقطت القدس ، وتحقق بسقوطها هدف حملات استمرت ثلاث سنوات .

غزو الأراضي المقدسة ١١٠٠ ـ ١١٤٣

لم تمض أسابيع قليلة على الاستيلاء على المـدينـة المقـدسـة ، وتـأسيس مملكـة القـدس ، حتى حـدث حـادث عرضت على إثره مشكلة المحافظة على مكاسب الفرنجة وتمسكهم بها . إذ بعث الخليفة الفـاطمي بجيش مصري قوي يقوده الوزير الأفضل ، انطلق من مصر بهدف استعادة المدينة بعد سقوطها . وفي شهر آب من العـام ١٠٩٩ قطع الفرنج الطريق عليه قرب عسقلان ، وألحقوا به هزيمة كان لها أثرها في ترسيخ أقدام الفرنجة في القـدس ، وضمنت لهم توسيع نطاق سيطرتهم . فشرع تنكريد ، ابن أخ بوهمند ـ وكان غودفري بويون[1] قد منحه لقب أمير الجليل Prince oh Galiler ـ بغزو المنطقـة الـواقعـة إلى الشمال من القـدس ، والتي كانت مثـار نـزاع طـويـل الأمـد بين الفـاطميين في مصر وأمراء السلاجقـة في دمشق . كانت أهـداف غودفري (تـوفي عـام ١١٠٠ م وخلفـه من بعـده بلـدوين[2] الأول Baldwin) الأوليـة هي الاستيـلاء على المـدن السـاحليـة في فلسطين ، وكانت تحت حكم الفاطميين . وسرعان ماسقطت يافا وأرسوف وقيسارية وعكا (القـديس جـان داكر ST Jean d'acre) وبيروت وصيدا بيد الفرنجة على التوالي خلال العقد الأول من القرن الثاني عشر ١١٠٠ ـ ١١١٠ ، بينما سـدت المنـافـذ على مدينتي صور وعسقلان البحريتين الحصينتين بإشادة حصون حصار صغيرة بقربهـا ، وكان من المستحيل أخـذهمـا بدون دعم بحري . وبعد أن أخضع الشريط الساحلي الخصب لسيطرة الفرنجة خلال سنوات قليلة ، حوّل بلدوين اهتمامه نحو الشرق . فغزا في العام ١١١٥ شرقي الأردن ، ثم اتخذ في السنة التي تلت من قلعة الشوبك[3] (مونتريـال Mon treal) الحديثة البناء ، منطلقاً له للاندفاع نحو البحر الأحمر حيث قام بتحصين مرفأ العقبة (أيلة Ailat) وشيد قلعة صغيرة على مشارف جزيرة فرعون Ile de Graye .

في الوقت الـذي كان فيـه الحـاكان الفرنجيـان السـابقـان يركزان اهتمامها الأسـاسي على توسيـع ممتلكاتها في

---

(١) يسمى أيضاً بالعربية كندفري (م . م) .

(٢) يسمى أيضاً بردويل بالعربية (م . م) .

(٣) والشوبك : بلد صغير كثير البساتين ، وغالب ساكنيه النصارى ، وهو شرقي الغور وهو على طرف الشام من جهـة الحجـاز ، وينبع من ذيل قلعتها عينان إحداها عن يمين القلعة ، والأخرى عن يسارها ، كالعينين للوجه وتخترقان بلدتهـا ، ومنهـا تشرب بسـاتينهـا . وهي في وادٍ من غربي البلد ، وفواكهها من المشمش وغيره مفضّلـة وتنقل إلى ديـار مصر وقلعتهـا مبنيـة بـالحجر الأبيض ، وهي على تلّ مرتفع أبيض مطلّ على الغور من شرقيه (انظر تقويم البلدان لأبي الفداء ص ٢٢٥) .

فلسطين ، نقل بلدوين الثاني الذي أضحى ملك القدس في العام ١١١٨ ، وحاكم أنطاكية في العام ١١١٩ ، وحاكم الرها في العام ١١٢٢ ، بؤرة الصراع الصليبي - الإسلامي إلى المناطق الشمالية الشرقية من البلاد لتتركز هناك لبضعة عقود من الزمن . كذلك حقق الفرنجة نجاحاً آخر في الجنوب أيضاً ، ففي العام ١١٢٤ نجح بلدوين في الاستيلاء على صور Tyre بمساعدة الأسطول البندقي بعد حصار دام سنوات طويلة . ولم يمض وقت طويل حتى استولى على قلعة بانياس الحصينة (قلعة نمرود « صبيبة قرب بانياس » Paneas Qal'at Subeibe) من جماعة الإسماعيلية . واستغلت قلعة نمرود هذه بعد تحسينات كثيرة أدخلت عليها ، مع قلعتين أخريين شيدهما بلدوين الأول - هما : قلعة صفد (١١٠٢) وقلعة تبنين Le Toron - لحماية الحدود الشمالية للمملكة من جانب دمشق .

تطورت مملكة القدس في فلسطين خلال ثلاثين عاماً ، لتصبح صقعاً أساسياً في المنطقة . وفي هذه الأثناء راح أمراء الفرنجة الذين أقاموا في لبنان وسورية يتوسعون في ممتلكاتهم على حساب الإمارات العديدة والمجزأة على الدوام في المناطق المجاورة لهم .

ففي العام ١١٠٢ شرع الكونت ريموند دي تولوز Count Raymond يغزو المنطقة الساحلية الخصيبة منطلقاً من مرفأ طرطوس Tortosa المحصن فضم ميناء جبلة واحتل أجزاء من المرتفعات المتاخمة له في الشرق .

وفي العام ١١٠٣ شرع في حصار طرابلس بأن أقام حصن حصار صغير هو حصن طرابلس (تلة الحجاج أو حالياً تلة أبي سمرة) Mons Peregrinus . وبعد وفاته في العام ١١٠٥ ظل خلفاؤه يقيمون الحصار حتى سقطت المدينة في العام ١١٠٩ . وتلا ذلك أن جعل الفرنج من قلعة بعرين الصغيرة[١] Mont Ferrand التي شيدت في العام ١١١٥ ، ومن قلعة رفنيه Rafaniya التي أخذوها من العرب في الوقت نفسه تقريباً ، قاعدتين لعملياتهم لشن هجمات شديدة ضد ممتلكات الأتابكة السلجوقيين في دمشق وأمراء حمص وحماة .

كان تطور الدولتين الفرنجيتين في أقصى الشمال أقل ثباتاً . فبعد أن هزم بوهمند هزيمة نكراء في حران[٢] Harran ، تولى ابن أخيه تنكريد الإمارة من العام ١١٠٠ وحتى العام ١١١٢ . فانتزع ميناء اللاذقية (La liche) الهام من أيدي البيزنطيين في العام ١١٠٢ ، ثم استولى على مناطق جديدة في الشمال خلال حملة شنها ضد الأتراك الدنشمندية Danishmend Turks . وبعد سلسلة من المعارك السجال مع الحكام السلاجقة في حلب ، تمكن

---

(١) سماها أبو الفداء في تقويم البلدان « بارين » .
وهي بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ، ولها أعين وبساتين وهي على مرحلة من حماة وهي غربي حماة بميلة يسيرة إلى الجنوب ، وبها آثار عمارة قديمة تسمّى الرفنيّة ، لها ذكر شهير في كتب التاريخ ، وهي بفتح الرآء المهملة والفآء ثم نون مكسورة وياء مثناة تحتية مشددة ثم هاء في الآخر . وذكر في كتاب الأطوال : أن طول الرفنية سٓ نٓ والعرض لد كٓ وحصن بارين هو حصن أحدثه الفرنج في سنة بضع وثمانين وأربع مائة ثم ملكه المسلمون وبقي مدة ثم أخربوه (انظر تقويم البلدان ص ٢٥٨) .

(٢) حرّان : مدينة عظيمة وأما اليوم فخراب ، قال في المشترك : وحرّان مدينة مشهورة تعدّ من ديار مضر بالضاد المعجمة . قال ابن حوقل : وهي مدينة الصابئين ، وبها سدنتهم السبعة عشر ، وبها تلّ عليه مصلّى للصابئين يعظّمونه وينسب إلى إبراهيم ، وهي قليلة الماء والشجر . قال في العزيزي : والجبل منها في سمت الجنوب والشرق على فرسخين ، وتربتها حمراء وشرب أهلها من قناة تجري من عيون خارج المدينة ومن الآبار . وهي والرقّة من ديار مضر (المصدر السابق) .

تنكريد من مد سلطانه نحو الشرق متجاوزاً نهر العاصي Orontes . وتبع هذا النجاح المبدئي ضد الأمراء الأتراك المحليين المتنازعين أبداً ظهور خصم قوي ومتميز في شخص أمير الأراتقة Ortokid إيلغازي ILGhazi ، الذي تمكن في خاتمة المطاف من إبادة الجيش النورمندي في معركة دامية هي معركة ساحة الدم Ager Sanguinis في العام ١١١٩ ، ودفع الفرنجة بذلك ثمن طمعهم وتوسعهم السريع آنئذ . وهكذا أصبح وضع الدولتين الفرنجيتين يائساً ومحفوفاً بالمخاطر ، وذلك عندما تولى أتابك الموصل القدير عماد الدين زنكي زمام السلطة في العام ١١٢٨ في مدينة حلب الهامة ، وسيطر بعد ذلك على إمارتي حمص وحماة . وقد ركز زنكي اهتمامه بادئ ذي بدء على ترسيخ سلطته في الجزيرة ، ثم التفت اعتباراً من العام ١١٣٥ ومابعده إلى أعدائه الصليبيين في الغرب . وبعد أن تعرض لاختبار قاس فترة قصيرة من الزمن في العامين ١١٣٧ ـ ١١٣٨ بتدخل الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثاني كومنين John II Comnenus تابع حملاته العسكرية بحيوية لاتعرف الكلل . ولم تكن تلك الهجات موجهة ضد الفرنجة فحسب وإنما ضد الحكام السلاجقة في دمشق أيضاً حتى أذعنوا له وانضوا بقواهم إليه على مضض .

اضطر الأتابك زنكي بسبب المنازعات التافهة التي نشبت بين الأمراء السلاجقة إلى تحويل اهتمامه مؤقتاً نحو ممتلكاته الشرقية ، تاركاً بذلك الفرصة للفرنجة لالتقاط أنفاسهم . واستغل الملك فولك King Fulk ملك القدس ـ وكان يعرف سابقاً باسم كونت أنجو Count of Anjou ـ هذه السانحة (الفرصة) ليعزز حدود مملكته . فأعادت إليه معاهدة عقدها مع دمشق قلعة بانياس التي كان قد فقدها من قبل ، وشرع في تقوية قلعة مَرين المتاخمة لصفد (مونتفورت)[1] بعد مضي وقت قصير . كما أعيد في الوقت نفسه بناء قلعة أخرى هي قلعة كوكب (بلفوار Belvoir) الواقعة إلى الجنوب منها . كذلك ابتنى الملك فولك قلعة صغيرة في بيت جبرين Bethegibelin (١١٣٧) ، ثم أقام بالقرب منها قلعة تل الصافية Blanchegarde وقلعة يبنة Ibelin (١١٤١ ـ ١١٤٢) من أجل حماية حدوده الجنوبية ضد الغارات المستمرة التي كانت تشنها الحاميات المصرية في عسقلان . وكلف أحد إقطاعييه پايان لوبوتييه Payen le Bouteiller ببناء قلعة الكرك القوية (١١٤٢) في شرقي الأردن التي كان قد استولى عليها أسلافه .

كانت القلاع الجديدة التي شيدها الصليبيون منذ أيامهم الأولى ، وعلى الدوام ، قواعد هجومية مصممة لتكون مرتكزاً للقوات الفرنجية التي تحاصر المدن الساحلية الحصينة الضخمة ، أو خطوط انطلاق للحملات الجديدة والغارات السريعة داخل الأراضي العربية ، وذلك على النقيض من التحصينات القديمة التي استولى عليها الفرنجة وأعادوا بناء أقسام منها . وبالتالي فقد كانت معظم القلاع الجديدة ترتكز إلى مواضع جيدة الحماية ذات أهمية استراتيجية بالقرب من طرق القوافل الرئيسية أو بجوار المنافذ المؤدية إلى المدن الكبرى ، وتؤمن أفضل الشروط الممكنة لمراقبة الأرض المحيطة .

---

(١) ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٢٤٢ :

وهي بلدة متوسّطة بين الكبر والصغر ، ولها قلعة ذات بناء جيّد متين ، وهي مشرفة على بحيرة طبرية ، ولها قناة برسم الشرب تصل إلى باب قلعتها ، وبساتينها أسفل في الوادي تحتها إلى جهة بحيرة طبرية ، وربضها ينتشر عمارته على ثلاثة أجبل ، ولها عمل متّسع ، ومن حين استنقذها الملك الظاهر من أيدي الفرنج جعلها مركز الجيش الذي يحفظ البلاد الساحلية التي في جهتها .

كذلك كان الارتباط بالنظر بين القلاع المتجاورة هاماً جداً (والمثال على ذلك صافيتا وعُريمة Arima) ، إلا أن المبدأ الرئيسي في تلك القلاع الجديدة ، كما كان شأن القلاع التي أشادها البيزنطيون والأمراء العرب في القرنين العاشر والحادي عشر ، هو أنها يجب أن تنسجم مع السمات السطحية (الطبوغرافية) المحلية ، وأن تستغل الميزات الطبيعية للوسط الجبلي المحيط بها أكبر قدر ممكن . وكان يشاد معقل أو برج محصن قوي بشكل خاص فوق الرقعة التي تؤمن أفضل حماية طبيعية ، بينما كانت تحاط أقسام القلعة الأكثر انخفاضاً واتساعاً على وجه العموم بدفاعات أقل مناعة .

وكانت أسوار القلاع الفرنجية وأبراجها ، ومعظمها مبني من الحجارة المتينة ، أقوى وأمنع من تلك التي تحيط بالقلاع البيزنطية والعربية السابقة على الدوام . ولا يلاحظ وجود طراز قياسي موحد واضح الملامح بين هذه القلاع في المرتفعات الفلسطينية ، بينما تطابق القلاع المعاصرة في المناطق الساحلية المستوية طرازاً ثابتاً يستند بوضوح إلى التقاليد النورمندية ، ومن المرجح أنها تمثل مساهمة الصليبيين الرئيسية في تطوير العمارة العسكرية في المشرق العربي . وكانت هذه القلاع تتألف ـ كما هو حالها في شمال فرنسا وجنوبي إنكلترا ـ من برج متعدد الطبقات منيع للغاية (هو البرج المحصن donjon) يحيط به سور ساتر وحيد متطاول ، ويعزز في أكثر الأحيان بأبراج زاوية مع خندق عريض ditch أو قناة مائية عريضة fosse (ومن بينها مثلاً تل الصافية وصافيتا وقلعة يحمور Qal'at Yahmûr) . كما كانت تشاد أبراج محصنة من هذا الطراز في القلاع الأكبر (مثل قلعة صهيون) لتعزيز النقاط الضعيفة فيها بشكل خاص ، ولم تكن هذه الأبراج المحصنة موجودة في القلاع البيزنطية ، وهي نادرة في التحصينات الأرمنية التي جاءت بعدها .

أما في العهود الرومانية فكانت الأبراج الدفاعية القوية تبنى لفترة قصيرة فقط ، وضمن منطقة محدودة من شمالي سورية ، حيث كانت تشكل نقاط استناد في منظومة الشراك Lime المحلية .

كذلك يشاهد وجود نماذج أولية أصيلة للشرفة الخارجية المكوّاة (المجهزة بكوى للرمي machicolated gallery) منذ القرن الخامس الميلادي وكانت منتشرة على نطاق واسع في العصور الوسطى .

بالإضافة إلى هذه القواعد الهجومية التي كان معظمها يحتل مواضع على الخطوط الخارجية ، أقيمت قلاع فرنجية عديدة على الشريط الساحلي ، وعلى المنحدرات الغربية للجبال المتاخمة له . وفي المناطق الداخلية شرع عدد كبير من الإقطاعيين ـ كبيرهم وصغيرهم ـ يبتنون مقرات ثابتة لأنفسهم في مواقع كانت محصنة في الغالب ، استولوا عليها من الأمراء العرب بقوة السلاح أو بالمكيدة (مثل قلعة الحصن وقلعة صهيون وقلعة المرقب Margat) ، ولا يعرف إلا القليل عن المخطط الأصلي لهذه المعاقل ومظهرها ، لأن معظم القلاع التي ابتناها الإقطاعيون قبل نهاية القرن الثاني عشر أو في القرن الثالث عشر على أبعد تقدير ، انتقلت فيا بعد إلى حوزة طوائف الرهبانيات الفرسانية Knightly Orders القوية ، وخضعت لإعادة بناء وتعديل جذريين نتيجة لذلك .

كانت أخوية فرسان القديس يوحنا (المعروفة بالأسبتارية م . م)[1] The Order of St John موجودة قبل أن يستولي الفرنجة على القدس ، وكانت تتألف من طائفة من الرهبان المقاتلين منذ أوائل القرن الثاني عشر . أما أخوية فرسان الهيكل (المعروفة باسم الداوية م . م)[2] فأسسها هوغ دوبايان Hugues de Payen عام ١١٢٠ . وكانت مهمتها حماية الحجاج المسافرين ورعايتهم إذا ما وقعوا فريسة المرض ، ولكن سرعان ما طغت على هذه الوظيفة التزامات الفروسية بمحاربة المسلمين العرب . وفي أوائل العام ١١٣٧ منح الملك فولك فرسان القديس يوحنا (أو الأسبتارية) قلعة بيت جبرين - التي شيدت مجدداً فوق أراضيهم - كقاعدة يحرسون الحدود منها ويدافعون عنها .

توازن القوى ١١٤٣ - ١١٨٧

عندما مات الملك فولك في العام ١١٤٣ كانت الدول الصليبية الأربع قد بلغت حدود توسعها ، وفي السنوات التي تلت أنهار حجر الزاوية الشمالية منها تحت وطء هجمات الأتابك زنكي المباغتة ، حين اغتنم حالة الضعف التي بلغتها مملكة القدس ، وقد أصبحت تحت حكم الملكة مليسند Melisande ، وشن غزوة مفاجئة ضد كونتية الرها (أديسة) وانتزاع عاصمتها بعد حصار قصير الأمد ، ثم تحرير نصف الأراضي التي تسيطر عليها الكونتية . ولم يمنعه من استثمار نجاحه هذا حتى النهاية سوى قلاقل حدثت في موطنه الأصلي بالموصل . ورغم روح التفاؤل التي سادت الصليبيين بعد اغتيال زنكي ، وإعادة احتلال الرها على يد القوات الفرنجية الأرمنية لفترة قصيرة ، فقد غدا من الواضح أن الدول الفرنجية سوف تجابه خصماً أشد خطراً من الأتابك الراحل في شخص ابنه نور الدين .

كانت كارثة إخفاق الحملة الصليبية التالية ، التي انطلقت من أوربا ، بعد أن تواترت الأنباء عن سقوط الرها ، أشد وطئاً على الفرنجة من خسارة الأراضي الشمالية كلها . إذ أبيدت قوتا الجيش الألماني الذي قدم بقيادة الإمبراطور كونراد الثالث ، والقس أوتو فرايزينغ Bishop Otto of Freising على يد السلاجقة عند دوراليوم Dorylaeum واللاذقية Laodicca . بينما تكبد الجيش الفرنسي بقيادة الملك لويس السابع خسائر فادحة في ممرات جبال طوروس خارج أنطالية Antalya ، ولم تستطع سوى فلول ضئيلة من قوات الحملة بلوغ الأراضي المقدسة عام ١١٤٨ . وبدلاً من أن يعمد الصليبيون إلى مهاجمة عدوهم الأعظم خطراً ، نور الدين في حلب ، شنوا هجوماً مخفقاً على دمشق لأسباب مختلفة . وعلى كل حال فقد كان الإخفاق الحقيقي لهذه الحملة الصليبية يكمن في الخلاف الذي نشب مع البيزنطيين ، وفي التنافر الصريح بين الصليبيين القادمين مجدداً والفرنجة الذين كان قد استقر بهم المقام في البلاد لجيل مضى ، وفي الضربة القاصمة التي لحقت بالهيبة العسكرية الفرنجية في نظر خصومهم المسلمين أكثر منه نتيجة للتخبط السياسي والهزيمة الحربية .

وبعيد رحيل الصليبيين بوقت قصير ، هاجم نور الدين إمارة أنطاكية وألحق هزائم دامية بالفرنجة ،

(١) أسس الأمالغيون الإيطاليون في القرن العاشر في القدس مشفى [تكية - رباط] لمساعدة الحجاج القادمين من أوربة ، وكرسوها على اسم القديس يوحنا ، وفي فترة الحروب الصليبية تحول هذا المشفى إلى مؤسسة فرسان عسكرية (م . م) .

(٢) تأسس هذا التنظيم بعد سقوط القدس للصليبيين ونسب نفسه إلى هيكلها الوارد ذكره في الكتاب المقدس (م . م) .

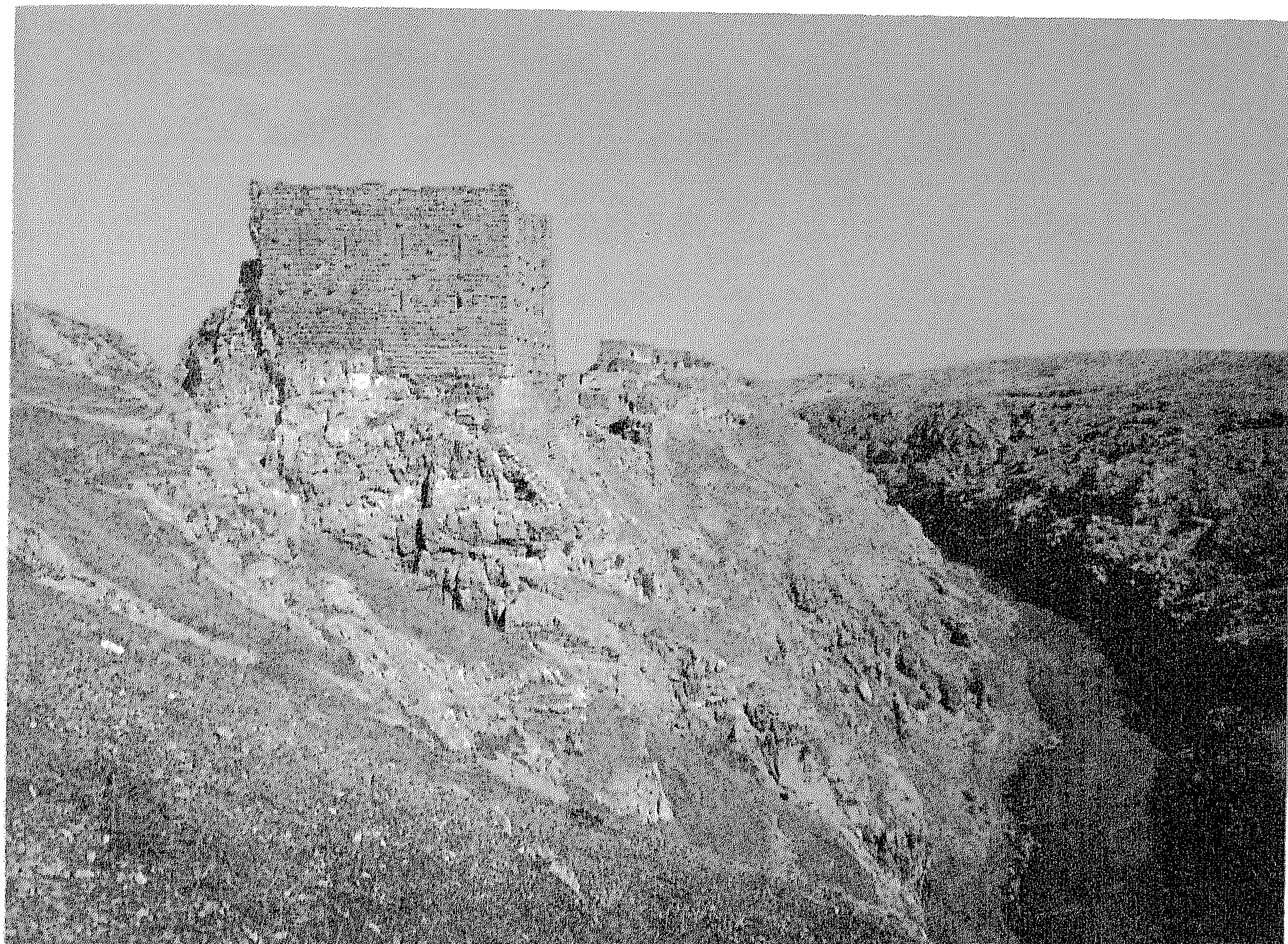
وجردهم - مع انتهاء العـام ١١٤٩ - من جميع ممتلكاتهم الواقعـة إلى الشرق من نهر العـاصي . وقـد استغل السلطـان مسعود في قونية الحالة المترديـة التي آلت إليهـا صفوف الفرنجـة . فـانتزع منهم - في الوقت نفسـه - منـاطق كانت ما تزال في أيديهم من إمارة الرها . أما إمارة أنطاكية نفسها فظلت قائمة بفضل تدخل الملك بلدوين الثالث على جناح السرعة ، ولكن الأراضي الشرقية الفسيحة وكونتية الرها انتهت ، وإلى الأبد .

رغم أن بلـدوين عقـد معـاهـدة جـديـدة في العـام ١١٥٤ مع حكام دمشق ، وانتهج سيـاسـة تهـدف إلى منع الزنكيين من تهديد المدينة ، فقد وطـد نور الـدين العزم ، بعـد بضع محـاولات غير نـاجحـة ، على السيطرة على العاصمة السورية محققاً بذلك ترجيح كفة القوى لصالحه بصورة حـاسمـة . وخلال ذلـك أحرز بلـدوين انتصـاراً رئيسياً أيضاً ، عندما استولى الفرنجة أخيراً على عسقلان في عـام ١١٥٣ بعـد حصـار دام سنوات . وكانت عسقلان مرفأ كبيراً ، وتشكل نقطـة الاستنـاد المصريـة الأكثر أهميـة في فلسطين . إلا أن الأضرار الكبيرة التي تكبـدهـا الجانبان في الزلازل الشديدة التي حدثت عام ١١٥٧ اضطرتها إلى القيام بأعمـال ترميم واسعـة ، الأمر الـذي دفعها إلى المهـادنـة مؤقتـاً . وفي الوقت نفسـه ثبطت عـزيمـة نـور الـدين على المغـامرة بتـولي زمـام الأمـور في بيزنطـة الإمبراطور عمانويل كومنين Manuel Comnenus الذي ألحق هزيمة بسلطان قونية وبالأرمن في قليقيـة ، ودخل أنطـاكيـة منتصراً في العـام ١١٥٨ . والواقـع أن الإمبراطـور لم يقم بـأي عمـل من شـأنـه أن يقلص من قـوة عـدو الصليبيين اللدود إلى درجة كبيرة باستثناء غزوة قصيرة شنها ضد حلب .

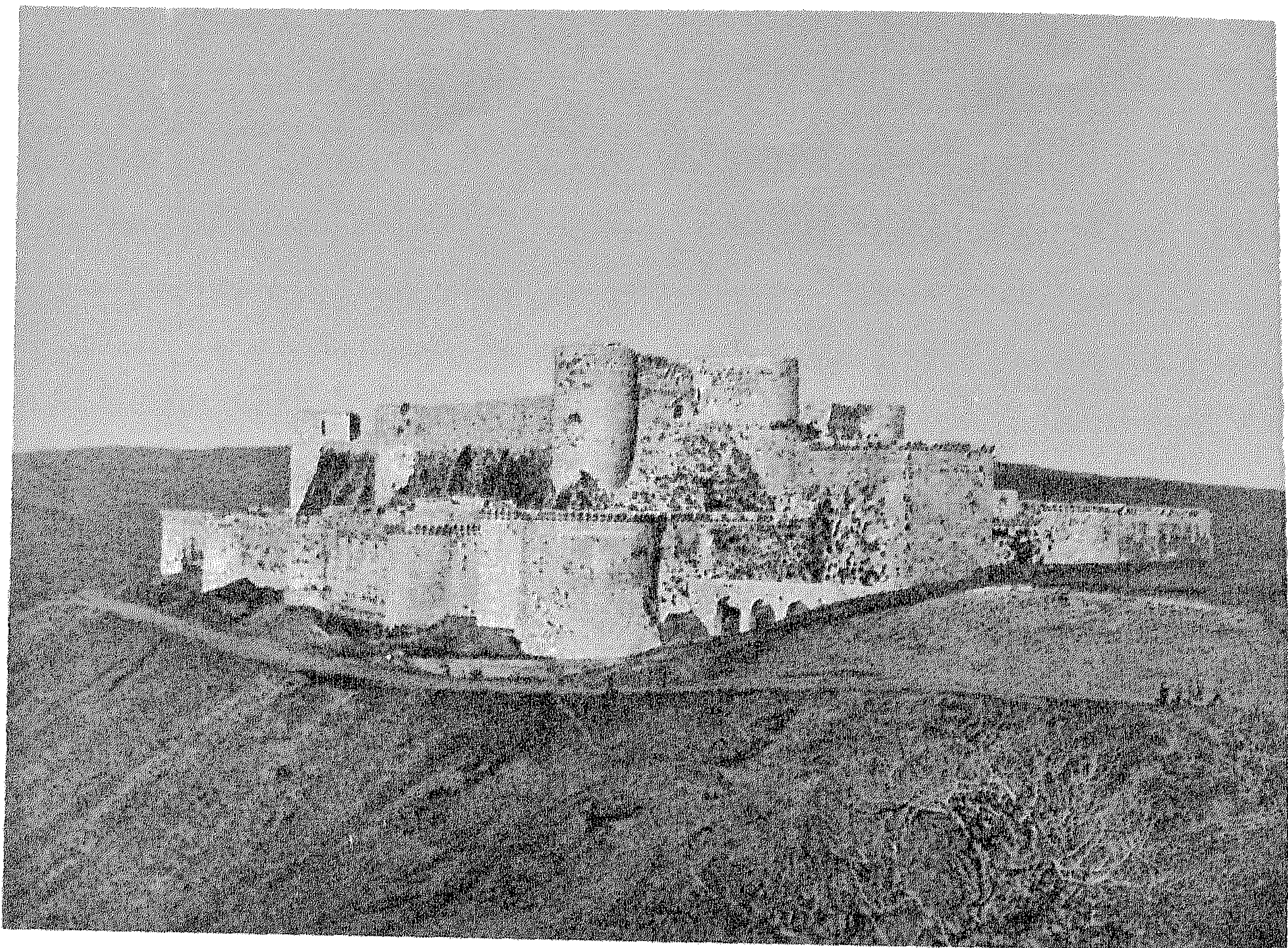
بينما كانت قوة نور الدين في سورية تزداد عاماً بعد عام ، كانت قوة الفـاطميين في مصر تنهـار تـدريجيـاً ، وبعد أن توفي بلـدوين الثـالث في العـام ١١٦٢ ، قـدر خليفتـه أملريـك الأول الموقف تقـديراً صحيحـاً ، وحول اهتمامه إلى مصر . وكان قصده من ذلك عزلها عن النفوذ الزنكي المروع بفرض نوع من الوصايـة الفرنجيـة عليهـا ، ماضياً في تغذية بذور الشقاق بين جيران الفرنجة من المسلمين باعتبارها الضمانة الوحيدة طويلة الأمد لبقاء مملكـة الفرنجة على قيد الحياة . وقد انتهت أول حملة صليبية ضد مصر إلى الإخفاق ، بينمـا أودت بهم حملتهم الثـانيـة إلى مجابهـة وجهـاً لوجـه مع جيش سوري بقيـادة القـائـد القـدير شيركوه . وفي الوقت نفسـه كان نور الـدين يتحين الفرص للهجوم في سورية ، بعد أن استرجع قلعتي بانياس وحارم الهـامتين من أيـدي الصليبيين الـذين كانوا قـد احتلوهما مجدداً .

وفي العـــام ١١٦٧ دارت رحى الحرب في مصر مرة أخرى والتمس المصريـون المعـونـة مرة أخرى من الملـك أملريك لمواجهة الجيش السوري بقيادة شيركوه الذي جدد هجماته ضـدهم . وكان أن نشبت معـاركُ بين الطرفين في المنطقة الواقعة بين الإسكندرية ومصر الوسطى كان النصر فيها سجالاً . ورغم أن النتيجة العامة لم تكن حاسمة فقد نجح المصريون مرة أخرى في الاحتفاظ باستقلالهم مؤقتاً ، ولكن تحت الحماية الفرنجية .

وفي العام ١١٦٨ انتهك الملك أملريك المعاهدات المعقودة بينه وبين المصريين ، وخرج عن الخطط النهـائيـة المتفق عليها مع الإمبراطور عمانويل البيزنطي حول القيام بحملة مشتركة في العـام الـذي يلي ، وانطلق في مسيرة ضد مصر مرة أخرى تحت ضغط بارونـاتـه . ولم يخفق في تحقيق أي مكسب خلال تقـدمـه نحو القـاهرة فحسب ،



قلعة شيزر



قلعة الحصن

وإنما دفع بالمصريين المروّعين إلى الانحياز إلى معسكر عدوه الرئيسي ، ورغم الشقاق الذي كان ناشباً بين القوتين الإسلاميتين القائمتين ، فقد تسلم شيركوه زمام الأمور في القاهرة ، وعندما توفي بعد أشهر قليلة حل محله ابن أخيه صلاح الدين ، الذي سرعان ما وطد العزم على السيطرة على البلاد .

وجد الفرنجة أنفسهم مهددين بخطر الحرب على جبهتين ضد جارتيهم المسلمتين الموحدتين تحت سلطة حاكم قوي واحد ، ولحسن حظهم أن تدهورت العلاقات سريعاً بين صلاح الدين وولي أمره السابق نور الدين . وإلى جانب ذلك تعرضت سورية لهزة أرضية أخرى في عام ١١٧٠ وانشغل المعسكران مجدداً بأعمال التجديد والترميم على نطاق واسع . وقد أدى اختلال توازن القوى وتبدل الموقف الاستراتيجي الإجمالي إلى حدوث تغيير واضح ومميز في تخطيط التحصينات ومظهرها .

ففي أوائل القرن الثاني عشر وقف الأمراء المتنازعون السوريون عاجزين عن جمع المخصصات الكافية لتحسين دفاعاتهم . فاضطروا جميعهم تقريباً إلى إصلاح المعاقل القديمة التي أصبحت بالية أو تعديل المباني المناسبة من الأيام الغابرة لأغراض الدفاع (كتحويل المسرح الروماني في بصرى إلى قلعة ، وتحويل أرباض الهيكل في بعلبك إلى قرية محصنة) . واعتباراً من أواسط القرن الثاني عشر فما بعد أصبح في مقدور المسلمين البدء في بناء قلاع أكثر مناعة (مثل قلعة شيزر) بل وإقامة قواعد هجومية أيضاً مثل قلعة عجلون التي شيدت قبالة قلعة كوكب Belvoir في العام ١١٨٤ ، وذلك عندما أخذت قوائم المشتتة والمجزأة تنصب في قناة واحدة على يد سلسلة من الحكام الأقوياء .

وبالمقابل ، ما إن توقف مد التوسع الفرنجي الذي جوبه بمجابهة حاسمة اعتباراً من منتصف القرن الثاني عشر بتنامي قوة المسلمين ، حتى أخذت التحصينات الصليبية تفقد دورها الهجومي الذي كان سائداً ، وتكتسب طابعاً دفاعياً بصورة مضطردة ، دون أن تخضع لتبدلات أساسية في تصميها على كل حال . وكان لا بد من تقوية القلاع والمدن المسورة الفرنجية سواء كانت في المناطق الحدودية أو في المناطق الداخلية على وجه الخصوص . وتعتبر قلعة صهيون المثال المميز لهذه الناحية والتي أعيد بناؤها في وقت ما في الثلث الثاني من القرن الثاني عشر . كذلك تمت تقوية الأجنحة المعرضة منها بجدران متينة وأبراج حصينة بحيث تصبح منيعة على أدوات الحصار المحسنة التي أخذ المسلمون يستخدمونها .

واعتباراً من منتصف القرن فما بعد أخذت القلاع تنتقل الواحدة بعد الأخرى إلى ملكية الرهبانيات الفرسانية نظراً لأن القليل من أصحاب القلاع أو السادة الإقطاعيين ، الذين يملكونها أو يشغلونها ، هم الذين كانوا فقط في وضع يمكنهم من تسديد فواتير التحسينات أو الإصلاحات العاجلة الضرورية التي نجمت عن الزلازل . بينما حاز الفرسان على ثروات طائلة وقوة سياسية معتبرة على مر السنين .

وبعد أن أقام فرسان الهيكل (الداوية) مقر قيادتهم في طرطوس (Tortosa) فيما بين العامين ١١٦٠ و ١١٧٠ ، ربطوا ممتلكاتهم في الريف المحيط بالمدينة بإشادة سلسلة من المعاقل الصغيرة جيدة التحصين ، ومن بينها عريمة Arima والقصر الأبيض / صافيتا (برج صافيتا) Chastel Blanc/ safita .

كذلك كان على الأسبتارية البدء في إعادة بناء عدد من القلاع الحصينة وبخاصة قلعة الحصن Krak de Chevaliers (التي امتلكوها منذ العام ١١٤٢) والمرقب Margat التي حاز عليها الفرسان في العام ١١٨٦ .

وعندما توفي نور الدين في العام ١١٧٤ نشب صراع عنيف في معسكر المسلمين حول من يخلفه . وكان حرياً بالفرنجة أن يستغلوا ذلك لمصلحتهم لولا وفاة الملك أملريك بغتة بعد أشهر قليلة أيضاً . عندئذ وقع الفرنجة أنفسهم في نزاع شديد حول الوصاية على الملك الصغير بلدوين الرابع البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة . وكان الوحيد المستفيد من هذا الموقف هو صلاح الدين الذي تسنم زمام السلطة في دمشق وهو في القاهرة دون تدخل من الفرنجة . وأخفقت محاولته لضم سورية الشمالية في الوقت نفسه بسبب تدخل الكونت ريموند الثالث صاحب طرابلس لصالح الزنكيين في حلب . كما وقفت طائفة الإسماعيلية ضده أيضاً ، ولم يكن لهذه الطائفة أية قوة عسكرية كبيرة ، ولكن تركيبها الديني ـ السياسي المتماسك جعل منها عاملاً لا بد من اعتباره في ذلك النزاع المعاصر . وبعد أن حورب أتباعها في دمشق في العام ١١٢٩ استوطنوا الوديان الوعرة في جبال بهراء ، وكانت أراض غير مأهولة بكثافة ، تقع ما بين الفرنجة والمسلمين في جنوبي غرب سورية . وامتلكوا فيها عدداً من القلاع الصغيرة في حجمها إلا أنها قوية جيدة الحماية (مثل مصياف والقدموس وأبو قبيس والكهف El-Kahf والعليقة) وظلوا فيها حتى نهاية القرن الثالث عشر .

تابع صلاح الدين محاولاته لتوحيد ممتلكات نور الدين تحت زعامته في السنوات التي تلت ، دون أن يترك فرصة تفوته لغزو أراضي الفرنجة في خضم ذلك ، وفي تلك الأثناء شهد معسكر الفرنجة انهياراً سريعاً للسلطة الملكية في عهد بلدوين الرابع ، رغم أن الملك الشاب المجذوم حقق في بادئ الأمر بعض النجاحات الصغيرة . فبعد أن هزم صلاح الدين في تل الجزر Montgisart في العام ١١٧٧ اغتنم الفرصة لتعزيز حدوده الشمالية ، التي كانت قد أضعفت بسقوط بانياس ، فشيد قلعتين جديدتين هما هونين Hunin (القصر الجديد Chateau-Neuf) والقصر الصغير Le Chastellet . ولكن القصر الصغير سقط بيد صلاح الدين وخرب في السنوات التي تلت رغم المقاومة العنيدة التي أبدتها حاميته من فرسان الهيكل (الداوية) .

كانت أيام بلدوين الشاب معدودة بكل وضوح . وبدا واضحاً للجميع مع مرور الزمن بأنه لم يعد يملك القدرة على إخضاع المصالح المتضاربة ـ غالباً ـ لزعماء الإقطاع ، والأخويات الفرسانية ، ورجال الكنيسة ، لهدف مشترك واحد . وفي العام ١١٧٧ قام بوهمند الثالث صاحب أنطاكية بغزو الزنكيين في حلب ، الذين ظلوا أصحاب السلطة فيها بدعم الفرنجة ، فهاجم قلعة حارم بمساعدة الصليبيين الفلمنكيين ، ثم دخل بعدئذ في نزاع مع أحد أتباعه الإقطاعيين وجيرانه الأرمن بسبب تورط صريح بقضية نسائية . وقام رونالد دوشاتيون[(١)] الذي حصل على إمارة شرقي الأردن الفرنجية عن طريق المصاهرة ، وبعد أن أطلق العرب سراحه بسبب خرق معاهدة سلام كان قد عقدها بلدوين مع صلاح الدين ، بأن نصب الكمائن لقوافل المسلمين ، ومارس حرب القرصنة في البحر الأحمر بمبادرة منه . ولكن الأنكى من عدم انصياع أمراء منفردين لسلطة الملك في هاتين القضيتين ،

(١) المعروف عند العرب باسم (أرناط) وبالفرنسية Renault de Chatillon .

والأشد تهلكة ، هو تلك المحاباة الشديدة لأفراد الحاشية وبطانة الملك في القدس ، بزعامة الملكة الوالدة الطموح ، التي تجاهلت الموقف الحرج للغاية ، وتبنت غي دو لوزينيان Guy de lusignan - غير الكفء - ليكون وريثاً لعرش بلدوين ، متحدية بذلك بارونات الفرنجة والملك نفسه . وبموت الإمبراطور عمانويل كومنين في العام ١١٨٠ ، زالت دعامة أساسية من دعامات الفرنجة ، لأن خليفة عمانويل لم ينتهج سياسته نفسها في مصادقتهم . بينما نجح صلاح الدين من جانب المسلمين في العامين ١١٨٢ - ١١٨٣ في دمج أصقاع ضخمة من سورية الشمالية تحت سلطته ، إلى جانب حلب التي كانت بؤرة صراع شديد ، وأصبحت مملكته تمتد الآن من برقة إلى دجلة ، ولم يسبق للفرنجة من قبل أن جابهوا حاكماً يملك مثل هذه القوة والمقدرة .

حطين ١١٨٧

في نهاية العام ١١٨٦ ، ورغم طبيعة الموقف المتقلقل والتخوف الذي ما يزال مسيطراً على الجانبين ، شن أرناط (رينالد دوشاتيون) هجوماً على قافلة مسلمة كبيرة ، ورفض أن يدفع أية تعويضات عنها ، وكان أن أعطى هذا التحدي الجديد صلاح الدين المسوغ لاعتبار الحرب أمراً واقعاً . فحشد السلطان جيشاً ضخماً في حوران ، وعبر نهر الأردن وحطم الجيش الفرنجي في حطين - بعد نجاح أولي حققه الخيالة - في الرابع من تموز عام ١١٨٧ .

قتل في المعركة تقريباً كل أفراد الأسر النبيلة أو وقعوا في الأسر ، واستغل السلطان صلاح الدين هذا النصر دونما إبطاء ، فوزع قواته وانطلق في مسيرة لتحرير الموانئ البحرية التي أصبحت بدون دفاع تقريباً ، فاحتل عكا ويافا وبيروت في بضعة أيام . وفي شهر أيلول أخذ يتقدم نحو القدس ، بعد أن حرر مناطق شاسعة من الأراضي الداخلية التي كانت في يد الفرنجة ، واضطر المدافعون عنها (القدس) إلى الاستسلام بعد مقاومة ضارية منهكة استمرت أسبوعين . ثم تابع تقدمه المظفر خلال الشهرين التاليين موجهاً عملياته جزئياً ضد المعاقل التي ما تزال في أيدي الفرنجة ، وضد المرافئ البحرية في لبنان وسورية بصورة رئيسية . وقاومته طرابلس وطرطوس ، إلا أن صيدا وجبيل وجبلة واللاذقية سقطت جميعها في يد صلاح الدين إلى جانب القلاع الداخلية مثل صهيون وبلاطنس Balatunus وبرزية Burzey[1] . ثم تابع نحو الشمال فاحتل بغراس Bağras ودربساك Trapesac[2] . وبسبب استبسال بعض الحاميات تمكنت بعض القلاع في الجنوب مثل قلعة كوكب Beafort

(١) حصن هام ذكره أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٢٦١ :

وحصن برزية : قلعة صغيرة مستطيلة ، لها منعة في ذيل الجبل المعروف بالخيط من شرقيه ، مطلّة على بحيرات فامية ، ويتّصل مياه البحيرات والأقصاب إلى تحت برزية ، وليس بها ساكن إلا المرتّبون لحفظ القلعة ، ويعتصم بها أهل البلاد في أيام الجفل ، وهي عن فامية في جهة الشمال والغرب على نحو مرحلة في الماء ، فإن بحيرات فامية واقعة بينهما ، وبرزية في جهة الجنوب عن الشغر وبكاس على مرحلة قوية ، وبرزية في جهة الشرق عن صهيون وبينهما أيضاً نحو مرحلة .

(٢) دربساك :

وهي ذات قلعة مرتفعة ، ولها أعين وبساتين ، وهي خصبة ، ولها مسجد جامع ومنبر ، ولها من شرقيها مروج متّسعة حسنة كثيرة العشب ، يمرّ فيها النهر الأسود ، وهي عن بغراس في الشمال بميلة إلى الشرق وبينهما نحو عشرة أميال ، وفي شرقي دربساك يغرا بفتح المثناة التحتية وسكون الغين المعجمة وراء مهملة وألف ، وهي قرية أهلها نصارى صيّادون يصيدون السمك ، وهي على بعض مرحلة من دربساك والطريق من الشام إلى دربساك وبغراس على يغرا المذكورة (المصدر السابق) .

Belvior وقلعة صفد وقلعة الشوبك من الصمود فترة من الزمن ولكنها اضطرت إلى تقديم فروض الطاعة بعد أن ذاقت الحرمان في شتاء العام ١١٨٨ ـ ١١٨٩ .

وإذا ما استثنينا هذه الحالات القليلة ، لم يكن الجوع هو السبب الرئيسي في سقوط ذلك العدد الكبير من القلاع الحصينة على هذا النحو السريع ، وإنما هو النقص في عدد الرجال القادرين جسدياً ، وعدم توفر النجدات الحربية ، ناهيك عن الهلع الشامل الذي تولد نتيجة الكارثة التي حلت بهم في حطين . وهذا ما سهل مهمة السلطان إزاء العديد من المعاقل الفرنجية . وكان قد وطد العزم على اقتحام الأسوار الضعيفة من أول هجوم إذا لم تفتح البوابات في وجهه طوعاً ، ورغم ذلك لم تسقط قلاع كثيرة قبل أن يستكمل حصارها شكلاً . وكان لا بد من نقب أسوارها أو فتح ثغرة فيها بقصفها بالمجانيق الثقيلة بحيث يستطيع المحاصرون النفوذ منها إلى الداخل ، وذلك بحسب الظروف والموقف . وكان العرب يفضلون الطريقة الأولى التي تستلزم حفر أنفاق تحت مقاطع مناسبة من جدار أو نقاط مكشوفة من دفاعات العدو . وكانت الأنفاق تحت الأرض تدعم آنئذ بروافد (عضادات) متينة أو جذوع أشجار جافة وتغلف بمواد قابلة للاشتعال بحيث تنهار عندما تضرم فيها النار وينهار معها جزء كبير من السور .

واستطاع صلاح الدين بهذا الأسلوب الاستيلاء على قلعة الداوية الجديدة القصر الصغير Le Chastellet في العام ١١٧٩ ، وهو الأسلوب نفسه الذي اتبعه في تحرير مرفأ اللاذقية المحصن . فإذا كان حفر النفق غير عملي لكون المياه الجوفية قريبة من السطح ، أو بسبب كون التربة صخرية تحته ، أو بسبب الشروط الطبوغرافية يسعى المحاصِرون إلى هدم الأسوار بقصفها بالحجارة الثقيلة . وكانت الفرص متاحة أكثر للمدافعين في هذه الحالة من أجل اتخاذ إجراءات مضادة ، حيث بإمكانهم منع العدو من تنفيذ ما يريد عن طريق شن الغارات المفاجئة السريعة أو تدمير آلات حصار العدو بالمجانيق أو قوس الزيار (منجنيق السهام)[1] ballistae .

ورغم أن الداوية نجحوا في المحافظة على طرطوس إلا أن صلاح الدين رتب أموره لأخذ معاقلهم الرئيسية بهذا الأسلوب مثل قلعة دربساك والشُغر وبكاس[2] Šugr-Bakas ، وكانت تعتبر حتى تلك اللحظة منيعة حتى لو استخدمت المجانيق الثقيلة ضدها .

كانت آلات الحصار القديمة أقل صلاحية في هذه الفترة ، وهي من الطراز الذي استخدمه الصليبيون في حصار القدس عام ١٠٩٩ . ومن ذلك الكبش ram والنقّاب (الحفار) bore وبرج الحصار Siege Tower والتي كان يتطلب استخدامها وقتاً طويلاً ، وأرضاً مستوية تقريباً ، كما هو الحال بالنسبة للدبابة holepole وبرج الحصار المتحرك mobile siege Tower .

(١) انظر الجيش العربي في عصر الفتوحات ، الدكتور إحسان الهندي ـ ١٩٧٣ ص ١١١ -١١٢ م . م .

(٢) والشغر وبكاس : قلعتان حصينتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل ، وتحتها نهر يجري ، ولهما بساتين وفواكه كثيرة ، ولهما مسجد جامع ومنبر ورستاق ، وهما بين أنطاكية وفامية على قريب منتصف الطريق بينهما ، وفي شرقيها على شوط فرس جسر كشفهان ، وهو جسر على النهر وهو مشهور ، وله سوق يجتمع الناس فيه في كل أسبوع ، والشغر وبكاس في جهة الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن أنطاكية وبينها الجبال (انظر تقويم البلدان لأبي الفداء ص ٢٦١) م . م .

ولا بد من التنويه هنا إلى أن شراء العملاء والمصانعة ساهم أيضاً في نجاحات صلاح الدين المظفرة والسريعة (كما هو الحال بالنسبة لبرزية مثلاً) ، وإلى أن أفضل القلاع المشادة مهما كان شأنها ، لا بد وأن تصاب بتشققات أو صدوع غير محمية أو محروسة ، يمكن للمحاصرين المهرة أن يستغلوها كثغرة للدخول إليها بدون صعوبات تذكر . ولقد حدث فعلاً أن تسلل المهاجمون من بقعة غير محروسة من هذا القبيل إلى قلعة صهيون ، التي كانت منيعة للغاية ، وذلك بعد حصار قصير قصفوها خلاله بالمجانيق واستولوا عليها في اشتباك لا يكاد يذكر .

مملكة عكا ١١٩١ - ١٢٩١

قضى صلاح الدين خلال حملته على أراضي الفرنج ، في عام من الزمن ، على مملكة القدس كلها عملياً . إلا أن الفرنجة ظلوا يحتلون أنطاكية وطرابلس في الشمال ، إلى جانب عدد من الموانئ البحرية الهامة مثل صور ، والقلاع الرئيسية مثل قلعة الحصن ، والمرقب ، وصافيتا . ولم يكن بإمكان الصليبيين استعادة الأراضي التي خسروها إلا من قواعد نظيرة هذه ، وبخاصة صور التي تميز دفاعها بقيادة كونراد مونتفرات Conrad Montferrat بالحيوية والتصميم ، وكان قد وصل إليها في آخر لحظة وتمكن من المحافظة عليها . بينما شرعت بقايا الجيش الفرنجي بقيادة الملك غي لوزينيان Guy Lusignan ، الذي أطلق سراحه من الأسر ، بإلقاء الحصار حول عكا .

وتحت وطء كارثة حطين أعلن البابا في الغرب تشجيعه لحملة صليبية جديدة . فظهر الأسطول النورمندي عند طرابلس في أوائل العام ١١٨٧ ، وانطلق الإمبراطور فريدريك الأول (بربروسا) على رأس جيش ضخم باتجاه الشرق متبعاً الطريق البرية . وشق الألمان طريقهم حرباً ، في صيف العام ١١٩٠ ، عبر آسيا الصغرى التي كانت تحت سيطرة السلاجقة ، وتكبدوا خسائر فادحة ، إلا أن وفاة الإمبراطور المأساوية في نهر كاليكادنوس Calycadnus أدت إلى تشتت الجيش في خاتمة المطاف وقبل أن يصل إلى مقصده . كذلك انطلق الملك فيليب ملك فرنسة ، وريتشارد قلب الأسد ملك إنكلترة بجيشيهما بحراً بعد فترة قصيرة من ذلك . وغزا ريتشارد خلال رحلته جزيرة قبرص الغنية واحتلها في غضون أسابيع قليلة . وفي العام ١١٩١ ، وبعد وصول هذين الجيشين القويين ، سقطت مدينة عكا بعد حصار طويل ، وأضحت عاصمة الممتلكات الفرنجية لمدة قرن كامل .

انطلق ريتشارد لتوه متقدماً نحو الجنوب على طول الساحل وكبد صلاح الدين هزيمة قاسية عند أرسوف . وفي تلك الأثناء ، وفي عكا بالذات ، نشب نزاع عنيف من أجل المملكة . واختار البارونات كونراد مونتفرات بديلاً عن غي لوزينيان الذي فقد شعبيته ، وكان كونراد هذا رجلاً قديراً وقوياً . وبعد اغتياله على نحو غامض خلفه الكونت (هنري دو شامبان Henry de Champagne) ، وعوض على غي بمنحه مملكة قبرص . ولم يستطع ريتشارد قلب الأسد تنظيم هجوم حاسم ضد القدس رغم نجاحاته العسكرية المتعددة ضد صلاح الدين . واضطرته الأنباء القادمة من بلاده في خاتمة المطاف إلى عقد صلح مع صلاح الدين ، ومن ثم عاد إلى أوروبا في خريف العام ١١٩٢ مع قسم لابأس به من جيشه الصليبي .

أبرزت معاهدة السلام هذه آفاق توازن جديد في القوى بين الخصمين غير المتكافئين . وعندما توفي صلاح الدين في العام الذي تلا ، أي في العام ١١٩٣ ، نشب نزاع حول من يخلفه بين أبنائه وأخيه ، رغم بعد نظر

السلطان وحكمته اللتين أبداهما في وصيته السياسية . ولقد أتاح هذا النزاع الفرصة للملك هنري لكي يعزز موقف الفرنجة ، واستغله بمهارة وحسن تدبير استغلالاً كاملاً . فرتب أموره لإعادة جبيل إلى مالكها السابق ، دون اللجوء إلى السلاح . وأقام علاقات جيدة مع « شيخ الجبل » ، كما كان يدعى زعيم الإسماعيلية في سورية آنذاك . وتوسط في النزاع الذي طال أمده بين الملك ليو الثاني (Leo II) ملك أرمينية وبوهمند الثالث كونت أنطاكية . وأظهر من الحنكة مايكفي لتسوية خلافاته مع مملكة قبرص الجديدة ، وكان من نتائجها أيضاً أن أدمج أملريك لوزينيان ـ الذي اختير ملكاً بعد وفاة الملك هنري في العام ١١٩٧ ـ عرشي القدس وقبرص في شخصه . وكان أملريك الثاني هذا حسن التدبير وداهية في السياسة كسلفه . ومع الاستيلاء مجدداً على بيروت بمساعدة الفرسان الجرمان والبرابانت Brabantine[1] نجح أملريك في فتح طريق المواصلات البرية بين طرابلس وعكا العاصمة الفعلية لمملكة القدس التي تم إحياؤها مجدداً .

وكانت تتجمع في الغرب حملة صليبية رابعة بإلحاح شديد من البابا إنوسنت الثالث (Innocent III) ولكنها توجهت بتأثير من البندقية ضد الإمبراطورية البيزنطية بأن استولت على العاصمة القسطنطينية في العام ١٢٠٤ ، وأرست دعائم امبراطورية لاتينية جديدة في الشرق . وكانت هذه الحملة تهدف في الأصل إلى دعم موقف الفرنجة المحفوف بالخطر في الأراضي المقدسة ، ولكن تأثير هذه الحملة الصليبية النهائي كان على العكس تماماً ، ولم يكن ذلك بسبب إخفاقها في إيصال النجدات الجديدة إلى فلسطين ، التي كانت في أشد الحاجة إليها فحسب ، وإنما بسبب تحجيمها النهائي للقوة البشرية في المنطقة المهددة كذلك . إلا أنه ، بفضل السياسة الحكيمة التي انتهجها ملوك المنطقة ، وغياب القائد المسيطر من جانب العرب ، استطاعت الدويلة الفرنجية الصغيرة إحراز تقدم لاحق . فعقد أملريك الثاني في عام ١٢٠٤ معاهدة سلام جديدة مع الملك العادل ، شقيق صلاح الدين وخليفته ، تضمنت شروطاً تنص على استعادة الأملاك الصليبية السابقة بما فيها صيدا ويافا . وظلت هذه المعاهدة سارية المفعول في عهد وصاية جون إيبلين (John of Ibelin) (١٢٠٥ ـ ١٢١٠) . وفي أوائل حكم الملك جون بريين[2] John of Brienne كذلك ، ولم يُعكر صفوها سوى غارات مفردة داخل أراضي الأيوبيين كان يشنها فرسان مستاؤون . ومن جهة أخرى أصبحت العلاقات بين إمارة أنطاكية الصغيرة ومملكة أرمينية متوترة للغاية بسبب النزاع حول من يخلف بوهمند الثالث ، ولم تخف حدة التوتر حتى تسنم بوهمند الرابع السلطة في العام ١٢١٩ .

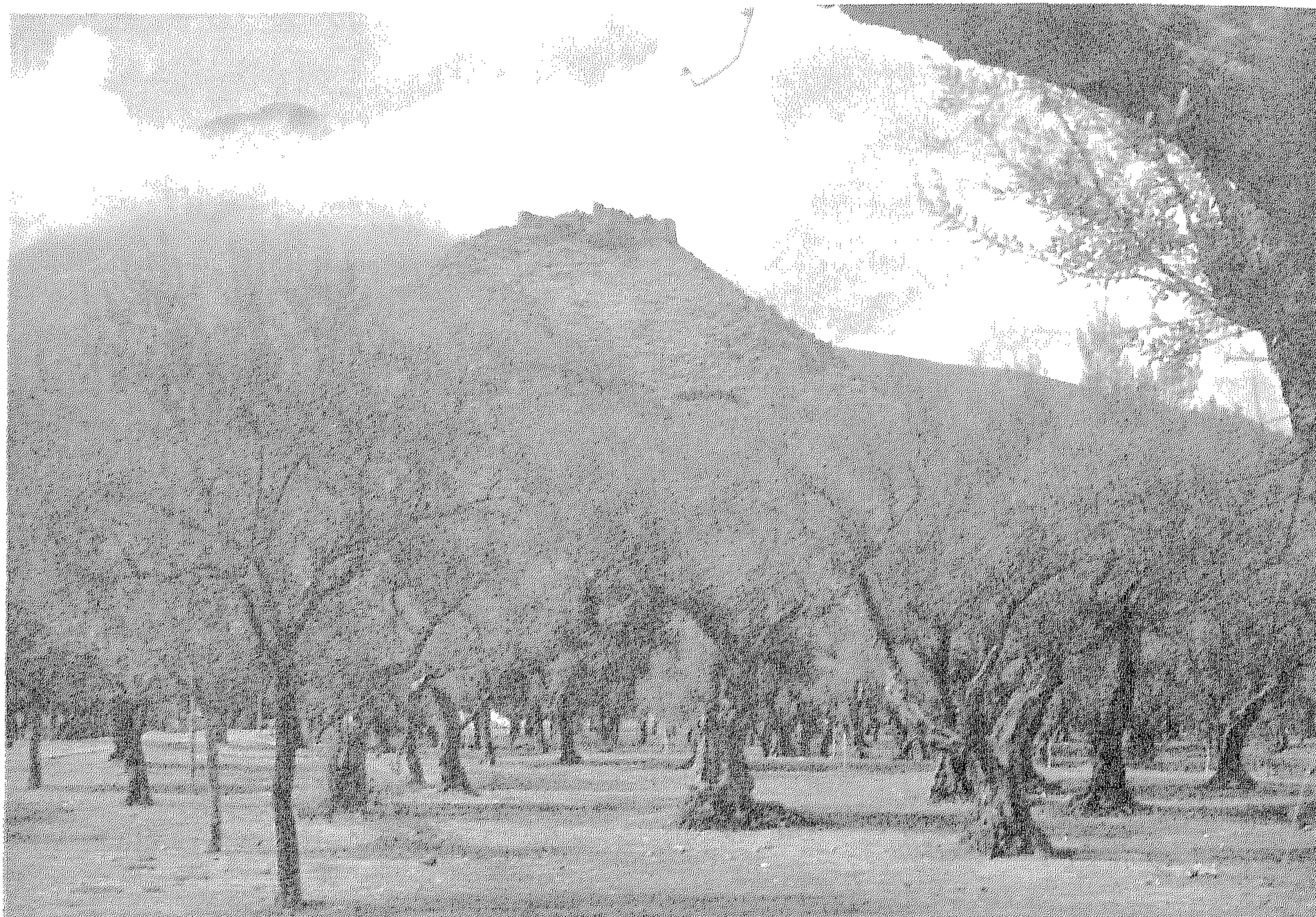
في تلك الأثناء ـ وفي العام ١٢١٧ على وجه التحديد ـ نزلت أولى وحدات الحملة الصليبية الخامسة في

(١) نسبة إلى برابانت Brabant المقاطعة الرئيسية في الأراضي المنخفضة في العصور الوسطى ، وهي موزعة الآن بين هولندة وبلجيكا ، وكان سكانها مزيجاً من الجرمان والكلت .

(٢) جان دوبريين (بريبه ن) Jean de Brienne
(١١٤٨ ـ ١٢٣٧) ملك القدس (١٢١٠ ـ ١٢٢٥) إمبراطور لاتيني في المشرق (١٢٣١ ـ ١٢٣٧) ابن إيرارد الثالث Erard III ، كونت بريبه ن ، وزوج ماري دي مونتفيرّا Marie de Montferrat ملكة القدس . صهره فريدريك الثاني أخذ منه مملكة القدس . وبوت روبير الأول تُوّج إمبراطوراً في الشرق في القسطنطينية . (م . م) .



قيسارية



ميسترا

فلسطين . وشنت إحدى مفارزها بقيادة الملك أندرو الثاني Andrew II ملك هنغاريا غارات ضعيفة وغير ناجحة ضد بانياس (قلعة نمرود) وقلعة أخرى كان قد أشادها العرب مؤخراً فوق جبل طابور Mount Tabor . أما باقي الجيش فشغل في تقوية الدفاع عن قيسارية وإقامة قلعة الداوية الحصينة في عتليت (قصر الحجيج) Chastel Pélerin . ولم يحدث مايستحق الاهتمام حتى العام ١٢١٨ ، عندما قام الجيش الرئيسي بالتعاون مع قوات المملكة بغزوة على مستوى كبير توجهت ضد مصر - المعقل الرئيسي للسلطة الأيوبية - فسقطت قلعة دمياط بيد الفرنجة في العام ١٢١٩ بعد حصار طويل . وهنا رفض الكاردينال بيلاغيوس (Pelagius) ممثل البابا وقائد الحملة الذي وصل إلى المسرح متأخراً مقترحات السلطان الملك الكامل لمقايضة القدس ومناطق شاسعة من فلسطين بدمياط تحت دهشة الجميع . وفي عام ١٢٢١ شن هجوماً سريعاً باتجاه القاهرة غير مبال بنصائح بارونات الفرنجة ، ولكنه سرعان ماجمد في مكانه خارج أسوار قلعة المنصورة المتينة البنيان . وكان الجيش الفرنجي (جيش المملكة) هو الوحيد الذي نجا بعد أن استرجعت جميع الأراضي التي استولى عليها ، ووقعت هدنة مع السلطان مدتها ثمانية أعوام .

في عام ١٢٢٥ زوج الملك جون بريين - مدفوعاً من البابا هونوريوس الثالث (Honorius III) - ابنته إيزابيل الشابة من الإمبراطور فريدريك الثاني ، على أمل أن يكسب إلى جانبه منافحاً أشد بأساً عن الأراضي المقدسة . وكان الإمبراطور حاكماً طموحاً أحدث تورطه عوامل لم يكن قد صادفها البولان Poulains[1] من قبل ، كما كان يدعى مستوطنو سواحل بلاد الشام من الفرنجة . ورغم أن البابا حث فريدريك على شن حملته التي كان قد أقسم اليمين عليها منذ أمد طويل دون إبطاء ، فقد ظل الإمبراطور يماطل في التنفيذ ودخل في مفاوضات طويلة الأمد مع أحزاب المسلمين المتصارعة ، واقتصر على إرسال مفرزة صغيرة متقدمة قضت الفترة الفاصلة - مدة عام كامل تقريباً - في تحسين دفاعات قيسارية وصيدا ، وإعادة بناء قلعة مونتفورت المتداعية لصالح الأخوية التوتونية (أخوية فرسان التوتون) المشكلة حديثاً (١١٩٨) .

وفي النهاية انطلق فريدريك في حملته اعتباراً من العام ١٢٢٨ ، ولكنه لم يلبث - بعد أن نزل في قبرص - أن تورط في النزاعات الداخلية القائمة بين النبلاء الفرنجة في الجزيرة وناصب حزب إبلين العداء . وكان من البديهي بعد سنوات كثيرة من الاستقلال أن ترفض هذه المجموعة الكبيرة والقوية من النبلاء الفرنسيين الخضوع لقيود السلطة الإمبراطورية المشكوك بأمرها ، طبقاً للمقاييس المعاصرة آنذاك .

بعد أن وصل فريدريك إلى فلسطين بوقت قصير أصبح قادراً على احتلال الأماكن المقدسة وفق شروط المعاهدة التي عقدها مع سلطان الأيوبيين ، الملك الكامل .

وهكذا عادت القدس وبيت لحم والناصرة إلى حوزة الفرنجة في العام ١٢٢٩ ، وهو إنجاز هام وملموس من جانب الإمبراطور ، رغم أنه لم يكن مرتكزاً إلى عمل بطولي بقوة السلاح ، وإنما إلى حنكة الإمبراطور السياسية ،

---

(١) البولان : تسمية فرنسية لسكان الدويلات اللاتينية المنشأة في القرون الوسطى في المشرق العربي والمنحدرين من تزاوج الصليبيين الأوروبيين مع نساء مسيحيات من أهل البلاد (لاروس ٣ أجزاء) .

وإلى مساعي الطرفين المشتركة من أجل إحلال التسامح الديني محل التعصب في الأيام الخوالي . ورغم أن الإمبراطور نصب من نفسه ملكاً على القدس في كنيسة القيامة (Holy Seputcher) ، فقد ظلت غالبية النبلاء الفرنجة معارضة له . وكان أن تعرض حزبه للتحدي بمجرد رحيله ، وطردت القوات التي أرسلها من قبرص وفلسطين نهائياً بعد سنوات من الحرب الأهلية ، وانهارت إثر ذلك المملكة التي كانت تشكل قوة روحية للفرنجة قادرة على توحيد الاتجاهات المتصارعة في المشرق الفرنجي والسيطرة عليها .

أما حقيقة النجاحات الفرنجية التي تلت ذلك والصغيرة بطبيعتها (مثل إعادة احتلال صفد وشقيف أرنون وطبرية) فكان مردها فقط النزاع الناشب بين الحزبين الإسلاميين المتنافسين على قدم المساواة بعد وفاة الملك الكامل . وما إن تمكنت إحدى هاتين المجموعتين المتخاصمتين من تحقيق السيطرة على الفئة الأخرى حتى أصبح من المحتم على الفرنجة دفع خسائر باهظة الثمن . وهذا ماحدث بعد غزوة شنها حلفاء الحزب المصري من الخوارزميين ، انتقلت على إثرها المدينة المقدسة والمنطقة المحيطة بها إلى الأيدي العربية مرة أخرى وإلى الأبد هذه المرة .

تحفز الغرب مجدداً نتيجة الأخبار التي تواترت عن فقدان القدس مرة أخرى ، وراح يستعد لحملة صليبية جديدة ـ هي السادسة ـ ولكن قائد الحملة ، الملك لويس التاسع (القديس لويس) ملك فرنسا لم يستطع الانطلاق بجيشه نحو غايته قبل العام ١٢٤٨ . وخلال ذلك كان الفرنجة قد فقدوا طبرية ، ومعقل عسقلان المنيع . فقدر لويس ـ بشكل صحيح ـ أنه من الأسهل له هزيمة العدو في عقر داره ، مستنداً في ذلك إلى الوهن الذي أصاب السلطنة الأيوبية ، فوجّه هجومه ضد مصر . وقد نزل الملك الفرنسي في دمياط في العام ١٢٤٩ واحتل المنطقة بهجوم صاعق ومن المحاولة الأولى . وفي فورة الحماس نتيجة النجاح الكاسح والاعتقاد الراسخ بخطل التكتيك الدبلوماسي الذي اتبعه فريدريك الثاني ، اقترف الصليبيون الخطأ الفاحش نفسه الذي وقع فيه الملك أملريك الأول والكاردينال بيلاغيوس . وبدلاً من أن يقبلوا عرض السلطان الأيوبي لمبادلة دمياط بالقدس والجليل باشر الملك لويس تقدمه نحو القاهرة . وفي الطريق أخذ الجيش يتخبط على غير هدى عند المنصورة بفضل حنكة المماليك ومهارتهم . واضطر جيش الصليبيين في شهر نيسان من العام ١٢٥٠ إلى الاستسلام مع قائده الملك لويس التاسع بعد أن أوهنته الهزيمة وأنهكه وباء التيفوس الشديد . ولم يمكن المحافظة على حياة الملك الفرنسي وقواته المستنزفة إلى درجة يُؤسى لها ، إلا بعد دفع ضمانة فورية ، والتعهد بالرجوع عن دمياط ، فغادرت الحملة المدينة ونزلت في عكا حيث ظل لويس مدة أربع سنوات أخرى فيها . ورغم أن الإمبراطور كونراد الرابع كان حامل لقب ملك القدس ، فقد تولى لويس الوصاية على العرش أثناء مقامه في فلسطين دون أية معارضة ، فقام بتحسين دفاعات عكا وصيدا وقيسارية ويافا وأعاد تنظيم البلاد ونشط التجارة من جديد ، وحاول عبثاً أن يبث الشقاق بين المعسكرين المعاديين ـ المماليك المصريين والحكام الأيوبيين في دمشق ـ ولم يفلح في تحريضها ضد بعضها بعضاً لمصلحة الدول الفرنجية .

وقد شهدت هذه الفترة ، بسبب الضعف السياسي والعسكري الفرنجي ، ذروة التحصينات الفرنجية في المشرق ونهايتها معاً برغم هذا الضعف بالذات فأنتجت نماذج رئيسية من القلاع ماتزال قائمة حتى الآن . وأخص

بذلك مجموعة التحصينات الرئيسية للمدن التي خضعت لتحسينات مستمرة اعتباراً من منتصف القرن الثالث عشر فما بعد . وتكشف هذه الأخيرة التبدل الواضح في التركيب الاجتماعي للدولة الفرنجية . فقد كانت المدن تحصن في البداية بأسوار بسيطة تحيط بها إلى درجة تجعلها آمنة ضد أي هجوم مباغت . ويدل الدفاع عن طرطوس وجبيل ، على سبيل المثال ، على أن القلعة وحدها هي القوية إلى درجة تكفي لمقاومة حصار فعلي . وبسبب ازدياد كثافة السكان في المدن الساحلية الفرنجية التي كانت تشكل المقرات الرئيسية للسلطة الروحية والمدنية ، ناهيك عن تعاظم أهميتها كمراكز للحياة الاقتصادية وطرق المواصلات التجارية ، كان لابد من الاعتناء ببنائها بشكل أفضل والاستزادة في تحصينها أكثر مما كان متبعاً حتى ذلك الحين ، مادام الخطر مايزال محدقاً بالساحل والأرض الداخلية . ومما يؤسف له أنه لم يبق سوى القليل من هذه التحصينات ، وليس من مصدر آخر لزيادة معرفتنا عنها سوى الحفريات في المدن التي خربت وهجرت ، بعد أن طرد الفرنجة منها (عسقلان وأرسوف وقيسارية وطرابلس) ، بينما لم يبق في تلك المدن التي ظلت قائمة بعد العام ١٢٩١ (عكا وصور وصيدا وبيروت) كلها سوى آثار هزيلة لأسوار متداعية لاقيمة لها ، ولافائدة ، أزيلت في الأزمنة التي تلت .

وعلى كل حال فإن مجموعة البقايا المتناثرة من الأوصاف المعاصرة تمكننا من الاستدلال بأن بعضاً من هذه التحصينات كان قوياً للغاية ، فالأسوار الثلاثية التي شيدت على الجانب البري من صور تتمتع بشهرة خاصة ، ومثلها تحصينات مدينة عكا التي كانت تتألف من سور مضاعف تخفره أبراج على امتداده ، وكانت الأسوار التي تحيط بهذه المدن تعزز بحصون بارزة bastion منخفضة أو أبراج (مستطيلة الشكل عادة) مقامة بفواصل منتظمة إلى حد ما (٢٥ ـ ٤٠ متراً) ، وتتحدد هذه الفواصل بمدى رمي السهام أو القذائف . وتحف بالأسوار من جهة الخارج خنادق أو أقنية عريضة تملأ بالماء غالباً مع بعض التحصينات الخارجية البسيطة في بعض الأحيان . وكانت بوابات المدن بصورة عامة جيدة التحصين ، رغم أنها نادراً ماكانت تحظى بمظهر التعقيد المعماري الذي للقلعة أو معاقل الحراسة فيها . وغالباً ماكانت تحرسها أبراج ملاصقة لها ، أما الوصول إلى الداخل فكان محمياً بمنعطف أو منعطفات بزوايا قائمة غالباً بالإضافة إلى سلسلة من غرف البوابات التي يمكن إحكام إغلاقها وترمى بالنار من الأعلى أو من الجوانب .

وقد جهزت جميع المرافئ بمنشآت دفاعية خاصة ، ونظراً للحجم المتواضع للسفن التي كانت تمخر البحر في تلك الأيام ، فقد كانت معظم المرافئ مجرد خلجان صغيرة محمية غالباً بجرف صخري عريض مع مكاسر صنعية تؤمن لها عادة حماية إضافية . وعند أطراف الجروف أو المكاسر التي تتحكم بمدخل المرفأ كانت تقام حصون أو أبراج قوية ومنيعة تمد بينها ـ طبقاً للتقليد القديم ـ سلاسل حديدية تشكل بوابة الميناء ، وكانت تنصب عندها مجانيق أو عرادات[١] لقصف السفن المعادية (حصون المرافئ في صور[٢] وصيدا وجبيل ، وأبراج الحصار في عكا

(١) العرادة : هي أصغر من المنجنيق ، وكان الناس يسمونها منجنيقاً شيطانياً . وهي عبارة عن عصا فيها حبل يرمي بعد الرفل (التحريك) بالحجارة بيده كالمقلاع .

(٢) وصف ابن جبير مدينة صور التي زارها في هذه الفترة فقال : « مدينة يضرب بها المثل في الحصانة ، ولا تلقي لطالبها بيد طاعة ولا استكانة ، قد أعدها الإفرنج مفزعاً لحادثة زمانهم ، وجعلوها مثابة لأمانيهم . أما حصانتها ومنعتها فأعجب ما يحدث به ، وذلك =

وبيروت واللاذقية وغيرها) . وكان المرفأ ينفصل غالباً عن المدينة بأسوار مانعة . أما الأرصفة فكانت نادرة جداً وكانت السفن ترسو طبيعياً على الساحل الرملي المنبسط ، أو تلقي مراسيها ضمن المرفأ (الجون) .

وتبنى الفرنجة في إقامة تحصينات المدن القوية هذه شكلاً من أشكال العمارة المشرقية كان قد تأسس منذ زمن طويل ، ولم يمكنهم تركيبهم الاجتماعي المتفاوت في بلادهم من تجاهله أو الاستخفاف به . بينما استمر تطوير بناء القلاع في الاتجاه الذي تمَّ تبنيه منذ منتصف القرن الثاني عشر ، عندما حدث تحول عن القواعد المجومية خفيفة التحصين إلى المعاقل الدفاعية الأمنع تحصيناً ، أو بكلمة أخرى ، كان هنالك ميل دائم إلى تعزيز القدرات الدفاعية للقلاع المنفردة . كما أن فن تحصينات القرون الوسطى لم يعد ينتج في حينه أية ابتكارات هامة يمكن تمييزها في الواقع عن تلك التي أقيمت في العالم القديم . إذ اكتفى الفرنجة أيضاً بتكرار العناصر التي كانت تستخدم فعلاً ، أو بالأحرى ، راحوا يزيدون في عدد العناصر الصنعية للمعالم المعمارية التقليدية ، أو يضخمون أبعادها ، فاتجهوا إلى تقوية الجدران الساترة التي تعتبر العمود الفقري لأية منظومة دفاعية بحيث تقاوم القصف أو اللغم (حفر الأنفاق تحتها) أو الهزات الأرضية عن طريق زيادة سماكات البناء وإقامة الأسوار التي تستدق تدريجياً بالارتفاع (جدران الحصون المنحدرة Talus) على الطريقة العربية ، واستخدام الأعمدة القديمة مداميك داخل الجدران .

وفي الوقت نفسه كانوا يزيدون في مناعة تلك الأبنية بزيادة عدد كوات الرمي فيها ، وإقامة طبقات من الشرفات الدفاعية متراكبة فوق بعضها بعضاً تخترقها فتحات للرمي loophole ، وببناء شرفات بارزة ذات كوى . وكانت الأبراج عادة مستطيلة الشكل إلا أنها أخذت تتحول أحياناً إلى أشكال نصف دائرية اعتباراً من أوائل القرن الثالث عشر فما بعد ، تحت التأثير الأرمني - على الأرجح - مع تقويتها بما يتناسب مع الإجراءات السابقة وتعديلها ، بحيث يمكن الرمي منها على طول الجدران المجاورة لها ، وبحيث يمكنها المساهمة على هذا النحو في تعزيز الدفاع عنها .

وقد ركز المعماريون العسكريون اهتمامهم بشكل خاص على بناء البوابات ، رغم أن السجلات المعاصرة تحدثنا بأنها نادراً ما كانت تتعرض لهجوم مباشر من جانب المحاصِرين ، الذين كانوا لا يبرحون يتحشدون على طول الأسوار الساترة . ولم تكن التقوية المطلوبة لبوابات الدخول تؤمن بتقوية الجدران والحواجز المختلفة (الشعريات الحديدية ، والجسر المتحرك والأبواب وغيرها) وزيادة عدد نقاط الرمي الجانبي في الداخل فحسب ، بل وبمضاعفة العناصر الصنعية بطريقة يمكن تكييفها فيها بمهارة مع الأرض ، وبحيث يمكن رميها جانبياً وبرمايات مؤثرة من الشرفات المحمية جيداً . وانطلاقاً من مبدأ ضرورة مضاعفة المعالم المفردة في القلعة

= أنها راجعة إلى بابين أحدهما في البر والآخر في البحر الذي يحيط بها إلا من جهة واحدة ، فالذي في البر يفضي إليه بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة كلها في ستائر مشيدة محيطة بالباب . وأما الذي في البحر فهو مدخل بين برجين مشيدين إلى ميناء ليس في البلاد البحرية أعجب وضعاً منها ، يحيط بها سور المدينة من ثلاث جوانب ويحدها من الجانب الآخر جدار معقود بالجص ، فالسفن تدخل تحت السور وترسي فيها ، وتعترض بين البرجين المذكورين سلسلة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ، فلا مجال للمراكب إلا عند إزالتها ... » .

أخذ بناؤو القلاع الجديدة يتجنبون إقامة الأسوار المفردة ويبنون عوضاً عنها أسواراً مزدوجة ، بينها فسحات مكشوفة (مثل قلعة الحصن والمرقب) مع زيادة عدد الأبراج والخنادق ، أو يشيدون تحصينات خارجية بسيطة ، يمكن منها إبقاء المجانيق ذات المدى المحدود على مسافة آمنة من التحصينات الرئيسية . وبالاختصار يستطيع المرء أن يصور الاتجاه السائد هنا بأنه محاولة من جانب المدافعين للاقتصاد بالطاقة البشرية عن طريق مضاعفة الموانع الدفاعية وتقويتها ، أو بكلمة أخرى الاستعاضة عن الإنسان بالمادة بحيث يجبرون المحاصرين على استهلاك كميات أكبر من معدات الحصار والطاقة البشرية التي تتناسب معها . ولا يمكن حتى الآن تقدير الامتداد الكامل لتأثير هذه المرحلة المتطورة الأخيرة من فن التحصين في المشرق على التطورات التالية للعمارة العسكرية في جميع أنحاء أوربا . إلا أنه من المؤكد أن العمارة العسكرية في القرون الوسطى سواء في فرنسا أو في إيطاليا ـ وبخاصة جنوب إيطاليا في عهد أسرة هوهنشتاوفن[1] ـ اقتبست من الأرض المقدسة الكثير من ملامحها الهامة .

كان رحيل الملك لويس التاسع عن فلسطين في العام ١٢٥٤ بعد سنوات أربع من الإقامة في البلاد إيذاناً بنهاية آخر محاولات أوربا الغربية للمحافظة على ممتلكاتها في الشرق . فتجدد العداء القديم على الفور وأدت النزاعات التقليدية بين البندقية وجنوه وبيزا إلى حرب أهلية دامية عرفت باسم حرب القديس سابا St Saba (١٢٥٦ ـ ١٢٥٨) ، كان الصليبيون في سورية خلالها ينحازون نهائياً إلى أحد الأطراف المتحاربة . وأصبحت المجموعات الفرنجية القوية ـ التي لم يعد بالإمكان تسميتها مملكة ـ عاجزة عن الاتفاق على سياسة واحدة مشتركة . وبينما كان بوهمند السادس ، أمير أنطاكية وطرابلس ، يتعاون مع الملك هيثوم الأول ملك أرمينية Hethum I في مساندة القائد المغولي المسيحي كتبغا Kitbuga أثناء الغزو المغولي الكبير في العام ١٢٦٠ ، راح بارونات فلسطين يدعمون الملك الظاهر بيبرس سلطان المماليك الذي منحه انتصاره على المغول في (عين جالوت) قسماً من سورية بعد أن كانت حتى ذلك الحين في أيدي الأيوبيين .

واجهت الدويلات الفرنجية البائسة تحالفاً إسلامياً موحداً للمرة الثانية . ولكنها في هذه المرة كانت منقسمة على نفسها بسبب المنازعات الداخلية وتقف وجهاً لوجه أمام عدو متشدد إلى درجة الصلابة ومصمم تصميماً تاماً على سحق أعدائه من الصليبيين مرة واحدة وإلى الأبد . وهكذا شرع السلطان الملك الظاهر بيبرس يعمل وفق خطة منهجية تهدف إلى تجريد الفرنجة من معاقلهم معقلاً معقلاً في الفترة بين العام **١٢٦١** والعام **١٢٧٢** ، ولم ينجدهم خلالها سوى الأنباء التي تواترت عن حملة صليبية جديدة في العام **١١٧٠** (هي السابعة) أعطتهم فرصة ضئيلة لالتقاط أنفاسهم . فسقطت قيسارية وأرسوف في العام **١٢٦٥** وسقطت قلعة الداوية في صفد التي جرى ترميمها مجدداً في العام ١٢٦٦ ، ثم تلتها يافا وشقيف أرنون وأنطاكية وما جاورها من قلاع في العام ١٢٦٨ ، وسقطت بعدها صافيتا وعكار وقلعة الحصن الجبارة في العام ١٢٧١ وتبعتها **قلعة قرين Montfort** بعد ذلك بقليل . أما ما بقي من البلاد فاحتفظ به الفرنجة بموجب معاهدة سلم مهينة تم التوقيع عليها في العام **١٢٧٢** .

(١) سلالة ألمانية حكمت الإمبراطورية الرومانية المقدسة من ١١٣٨ إلى ١٢٥٤ من أشهر أفرادها فريدريك الأول (بربروسا) ١١٥٥ ـ ١١٩٠ .

ورغم نشوب نزاع بين المطالبين بعرش بيبرس عقب اغتياله في العام ١٢٧٧ ، الذي أتاح الفرصة للفرنجة لالتقاط أنفاسهم مرة أخرى ، فإن السلطان قلاوون الذي تولى زمام الأمور يتأييد من الجيش السوري شرع بتوطيد سلطته بهمّة وحيوية بحيث أصبح قادراً مع حلول العام ١٢٨٠ على معاودة عملياته ضد الفرنجة المفككة أواصرهم وأن ينازلهم بمهارة واحداً بعد الآخر ، فاستولى في العام ١٢٨٥ على قلعة المرقب الحصينة ، واستولى في العام ١٢٨٩ على طرابلس وعلى آخر ما بقي من ممتلكات أنطاكية . وفي العام ١٢٩١ وبعد صراع مرير سقطت عكا في يد ابنه الملك الأشرف خليل ، وغادر الفرنجة المدن الساحلية القليلة التي بقيت في حوزتهم دون قتال تقريباً ، وارتحل الفرسان والتجار إلى قبرص . وسقطت برحيلهم في خاتمة المطاف السلطة الفرنجية التي استمرت زهاء مائة وإحدى وتسعين سنة .

لاقت مدن الفرنجة وقلاعهم مصيراً مختلفاً . فخربت بعض المدن والقلاع التي هجرها سكانها ، ولم يكن لها قيمة استراتيجية بالنسبة لأصحابها الحقيقيين ، وذلك لحرمان الفرنجة من قواعد احتياطية يمكن أن يستخدموها خلال غاراتهم المتكررة التي كانوا يشنونها من قبرص . وهجر الكثير من المعاقل الداخلية ، وتداعى تدريجياً بسبب الإهمال ، إلا أن معظم المعاقل الكبيرة شغلها المماليك قبل سقوط عكا وأعادوا بناءها ووسعوا فيها (المرقب وقلعة الحصن مثلاً) . وظلت جميعها تقريباً مقرات للحكومات المحلية ، أو قواعد عسكرية متقدمة حتى نهاية سلطة المماليك في سورية وفلسطين . ولم يغادر قاطنو هذه القلاع البعيدة غالباً ، والمتداعية إلى درجة كبيرة ، مساكنهم فيها إلى مناطق أكثر أمناً ومورداً إلا بعد الفتح العثماني ، وبعد أن زال خطر الهجمات الخارجية تماماً ، وهذا الواقع تفسره حالة القلاع المتهدمة التي حفظت جيداً نسبياً ، والتي ربما استخدمت كمصدر تقليدي لمواد البناء من أجل إقامة الأبنية الجديدة .

مملكة أرمينية الصغرى ١١٩٨ - ١٣٧٥

رغم أن سيادة الفرنجة في المشرق انتهت بسقوط عكا ، فقد بقي لهم رأس جسر مسيحي صغير على البر الرئيسي شمالي أراضي الفرنجة السابقة . إذ تأسست مملكة أرمينية الصغرى في الوقت نفسه تقريباً الذي تأسست فيه دويلات الفرنجة ، وقدر لها أن تعيش بضعة عقود أخرى من الزمن بعدها . وقد حدث ذلك في الزاوية الجنوبية الشرقية من آسية الصغرى . ولم تكن هذه المملكة عاملاً رئيسياً في تاريخ الشرق الأدنى في العصور الوسطى فحسب ، وإنما شغلت دوراً هاماً في رفد التقاليد الثقافية والفنيّة البيزنطية والكلاسيكية المتأخرة ، لا يقل عنه دورها في مجال العمارة العسكرية .

كان الأرمن الذين يقيمون في الأصل في الزاوية الشمالية الشرقية الجبلية من آسية الصغرى ، يتمتعون باستقلال كامل لقرون عديدة تحت حكم الأمراء البغراط (أو البقراط) BagraTid المتحدرين من سلالة محلية حتى فرض البيزنطيون سيطرتهم عليهم في بداية القرن الحادي عشر . وفي العام ١٠٧١ ، وبعد هزيمة الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينس الساحقة في منازكرد (ملازجرد Mantzikert) خضعوا لسلطة السلاجقة الذين كانوا يجوسون آسية الصغرى آنذاك . ونتيجة لذلك هرب عدد من أمراء الأرمن باتجاه الجنوب وأقاموا في قليقية ، التي

كانت ما تزال خاضعة للإمبراطورية البيزنطية . وهناك وفي وسط شعاب جبال طوروس بدأت تظهر إلى الوجود دولة تتمتع باستقلال ذاتي تضم عدداً من البارونيات المستقلة سابقاً . وراحت تمتد فيا بعد إلى السهل الخصيب ما بين طرسوس وأناوارزة[1] Anavarza والمنطقة الساحلية بالقرب من سلوقية خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر . وقد نمت هذه الدولة ، التي تحدها من الشمال جبال طوروس الموحشة غير المطروقة وتحدها من الشرق جبال الأمانوس ، وترعرعت بفضل خصوماتها تارة مع بيزنطة وتارة مع إمارة أنطاكية ، وصراعها ضد السلاجقة الذين استوطنوا إلى الشمال منها . ورغم تدميرها بالكامل تقريباً على يد الإمبراطور يوحنا كومنين إمبراطور بيزنطة في العام ١١٣٧ لم تلبث أن استردت هذه الدولة الصغيرة عافيتها بزعامة أميرها طوروس الثاني[2] المفعم بالحيوية والنشاط . فازدهرت البلاد بفضل الدبلوماسية الذكية التي مارسها حكامها رغم الخطر الماحق الذي كان يحيط بها من كل جانب . وقد بلغ ازدهارها شأواً بعيداً إلى درجة أن التمس أميرها الأرمني ليو الثاني لقباً ملكياً ، ومنحه إياه الإمبراطور هنري السادس . ورغم النزاعات المتواصلة ما بين الأسر الأرمنية المتمردة - وهي نزاعات تورطت فيها الفئات الفرنجية في غالب الأحيان ، بسبب روابط المصاهرة الوثيقة التي كانت تقوم بين النبلاء الأرمن والنبلاء الفرنجة في شمالي سورية - تمكنت المملكة الصغيرة من المحافظة على ذاتها ضد جميع الأعداء الخارجيين طوال الحملات المتعاقبة التي لم يكن لها نهاية . صحيح أن سلاطين قونية السلاجقة الأقوياء ظلوا يهددونها باستمرار حتى منتصف القرن الثالث عشر تقريباً ، إلا أنهم غالباً ما كانوا يحجمون عن غزو الأراضي الأرمنية لسببين رئيسيين أولها أن اهتمامهم الرئيسي كان منصباً على بيزنطة ، وثانيهما أن مرتفعات طوروس كانت صعبة الاجتياز وتحرسها تحصينات قوية .

ظلت بقايا هزيلة من إمارة أنطاكية قائمة كدويلة حاجزة بين الأرمن وجيرانهم العرب السوريين الأقوياء في الشرق حتى العام ١٢٦٨ ، ولم يعرف هؤلاء شدة بأس جيوش المماليك المصرية لأول مرة إلا في معركة دربساك (Darbsac, Trapesac) في العام ١٢٦٦ ، وقبل سقوط أنطاكية ذاتها بوقت قليل . ومنذ ذلك الحين أخذ المماليك يغيرون على بلاد الأرمن الصغيرة ، ويقضون مضاجعها طيلة قرن كامل تقريباً . وبغض النظر عن ذلك تمكنت السياسة بعيدة النظر التي انتهجها ملوك الأرمن ، بالإضافة إلى مساعدة المغول والقوى الغربية ، من تأجيل فقدانها المحتوم لسيادتها حتى نهاية القرن الرابع عشر ، إلا أن سقوط الدويلات الصليبية ترك أرمينية الدولة المسيحية الوحيدة في أرض المشرق . ولما كانت ترتبط برباط المصاهرة الوثيق مع الأسرة المالكة الحاكمة في قبرص ، وحكمتها سلالة لوزينيان اعتباراً من العام ١٣٤٢ فما بعد ، فقد حظيت أرمينية بمساعدة البابا وجميع

(١) هي ناورزة أو عين زربة كما ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٢٥٠ إذ قال :
وعين زربة بلد في جبل ، ذات قلعة مستعلية عنها ، وهي عامرة آهلة ، ولها نهر ، وهي بين سيس وتل حمدون في شمالي جيحان ، وجيحان بينها وبين تل حمدون وعين زربة في الجنوب بميلة إلى الغرب عن سيس على مرحلة خفيفة . وقد غيّر الناس اسمها وسمّوها ناورزا كما فعلوا في تبريز وتستر وغيرهما . قال في العزيزي : إن بين سيس وعين زربة أربعة وعشرين ميلاً وذلك هو المسافة التي بين سيس وناورزا فينبغي أن يتحقّق أن ناورزا هي عين زربة بلا شكّ .

(٢) طوروس الثاني [١١٤٥ - ١١٦٨] صفحات من تاريخ الأرمن تأليف عثمان ن الترك ط حلب ١٩٦٠ ص ١٣٧ - ١٤٠ .

البلاد الأوربية التي ظلت تهتم بمتابعة الحملات الصليبية . وكان أبرز هذه الدويلات الأوربية جنوة والبندقية الدولتين الإيطاليتين البحريتين القويتين . وكان لهاتين الدولتين علاقات تجارية طيبة مع أرمينية كما كانتا متعطشتين جداً للمضي في تجارتها مع الشرق الأدنى والتوسع بها ، مع العلم بأن بعض هذه التجارة كان يمر عبر الموانئ الأرمنية .

وعلى النقيض من الدويلات الفرنجية التي كانت تقوم على نظام التبعية الإقطاعية المتكاملة ، والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع الخارج ، فإن مملكة أرمينية الصغرى تطورت من مجموعة بارونيات صغيرة ، كانت مستقلة ذاتياً في الأساس ، وكانت في يوم من الأيام بقعاً صغيرة تنتشر في البيادي الممتدة ما بين طوروس ونهر الفرات ، وتملك كل منها بلدة مسورة أو قلعة محصنة تشكل نواة لممتلكاتها من الأراضي . ورغم أن الكتلة الرئيسية من تلك البلدان ما برحت تملك تحصينات يعود تاريخها إلى العهد البيزنطي ، وأن بعض القلاع كان مجرد ثغور بيزنطية محدثة ، فقد بنى الأرمن عدداً كثيراً منها مجدداً . واعتمدت هذه الأخيرة على التقاليد المعمارية القديمة التي كانت محط الإعجاب على مر القرون ، وأنتجت نماذج رائعة من العمارة الإكليريكية (الدينية) والمدنية ، لا في موطن الأرمن الأصلي ما بين بحيرة وان والقوقاز فحسب ، بل وفي أوربا الغربية ومصر أيضاً . ولقد اكتسب بناؤو الأرمن والمهنيون منهم شهرة واسعة في الإمبراطورية البيزنطية ، وكانوا هم الذين ساعدوا جيرانهم الفرنجة ، قليلي الخبرة في سورية ، في تحسين الدفاعات عن المدن القائمة وفي إشادة القلاع الجديدة . وإنه لمن المستحيل تقريباً إقامة الدليل الملموس على أن العمارة الحربية الفرنجية كانت ما تزال خاضعة للتأثير الأرمني في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، إلا أن ذلك ليس ببعيد الاحتمال ، لأن السجلات المعاصرة في ذلك الوقت تذكر كيف كان يوظف الأرمن مهندسين حربيين لدى الأمراء الفرنجة حتى منتصف القرن الثالث عشر .

وتشير السجلات التاريخية الأرمنية التي تلت ذلك إلى وجود عدد كبير من القلاع آنذاك . ففي الاحتفالات التي جرت لتتويج الملك ليو الثاني ـ مثلاً ـ ضمت لائحة الحضور أسماء ما لا يقل عن مئتي نبيل يملكون قلاعاً خاصة بهم ، وذلك في وقت كانت فيه الأراضي الواقعة إلى الشرق من جبال الأمانوس كلها قد انتقلت إلى أيدي المسلمين منذ أن سقطت إمارة الرها ، وكانت الأرض من قبل في حوزة الإقطاعيين . ولم يدرس أو يحدد من هذه المواقع سوى القليل بسبب بعدها النائي أساساً . وكانت القلاع ـ ومعظمها صغير جداً ـ تقام فوق ممرات ووديان وعرة غير صالحة للمرور ، في سلاسل جبال طوروس الغربية والشرقية والأمانوس . وغالباً ما كان النبلاء الأرمن المنفيون عن بلادهم يختارون هذه المواقع البعيدة لكونها تذكرهم بموطنهم القديم في الشمال ، ولكن حافزهم الرئيسي لذلك كان رغبتهم في المحافظة على أمنهم .

وهكذا كان تاريخ هذه البلاد القديم هو الذي أملى على تلك القلاع عزلتها ، وأوجد مرحلة من التطور المعماري مستقلة استقلالاً كلياً عن فن التحصين الفرنجي ومتميزة عنه بوضوح تام . لقد كانت الهضاب الصخرية المستديرة ، والجروف المتطاولة غير القابلة للتسلق والتي تؤمن حماية طبيعية ممتازة باستثناء رقعة صغيرة من الأرض المنبسطة هي المواقع المفضلة لتلك القلاع . وبالتالي فقد كانت هيئة القلاع الأرمنية غير منتظمة بما

ينسجم مع طبوغرافية الأرض التي تقام عليها . وكانت الأرض الصخرية والشديدة الانحدار التي أقيم معظمها عليها لا تترك سوى فسحة ضئيلة من الأرض الصالحة للاستخدام في داخل القلعة ، حتى أن المخازن والمكاتب اللازمة كانت تشاد في صفوف على طبقات متراكبة فوق المنحدرات الشديدة . وإذا ما قورنت مع مثيلاتها الفرنجية التي كانت تميل نحو الاتساع نسبياً ، نجد أن القلاع الأرمنية كانت ذات مظهر متضام شاقولي يبدو أشد تأثيراً على عين الناظر إليها حديثاً (بيلان كاليسي وسيسية وبغراس وغيرها) .

كذلك تختلف قلاع أرمينية الصغرى عن التركيبات الدفاعية الفرنجية والعربية بالعديد من تفاصيل تحصيناتها . وإذ نجد تركيب الأسوار الساترة متماثلاً ، بغض النظر عن التنوعات الكثيرة في أسلوب البناء الحجري ، وجمال الكسوة الذي تفرضه المواد المحلية ، فإننا نلمس اختلافاً متميزاً في شكل الأبراج وأماكنها . وعلى النقيض من الأبراج والمعاقل المستطيلة عموماً التي تسود القلاع الفرنجية والعربية ، كان بناؤو الأرمن يفضلون الأبراج نصف الدائرية ـ ربما بتأثير التقاليد البيزنطية ـ وكان معظمها يقام على مسافات كافية بحيث ترمي جانبياً على طول الأسوار الساترة وتحمي النقاط المعرضة منها . وإذ كان البرج المحصن donjon أو الحرز Keep معلماً أساسياً واسع الانتشار في التحصينات الفرنجية ، فهو في القلاع الأرمنية نادر الوجود . وعلى وجه العموم لم يمارس الفرنجة أي تأثير محسوس على العمارة العسكرية الأرمنية رغم ولع الملك ليو بنظام الفروسية لدى الفرنجة وطريقتهم في الحياة . وحتى السنوات الأخيرة للمملكة عندما حكمها ملوك لوزينيان لم تحمل القلاع الأرمنية أية تفاصيل عن تطور العمارة تثبت اقتباسها عن التأثيرات الأجنبية ، ونقصد بها التأثيرات الفرنجية والإيطالية .

إمبراطورية القسطنطينية اللاتينية والممتلكات الفرنجية في المورة ١٢٠٤ ـ ١٤٦٠ Morea

لم يكد ينصرم عام واحد على موافقة البابا سيلستين الثالث Celestine III على رفع أرمينية إلى مرتبة مملكة مستقلة ، حتى وجه خليفته البابا إينّوسنت الثالث الدعوة إلى أوربا الغربية لتجهيز حملة صليبية جديدة . وفي العام ١٢٠٢ نزل جيش يتألف من طليان وفرنسيين وقليل من الألمان في البندقية تحت قيادة بونيفاس Boniface مركيز مونتفيرّات . وبعد مناوشات أولية مختلفة هاجم القسطنطينية متحدياً رغبة البابا . وهكذا أدى العداء المتنامي بين أوربا الغربية وبيزنطة منذ الحملة الصليبية الثانية ، والذي زاد في إضرامه طموحات البنادقة السياسية والتجارية وإدانة الفرنجة بالتدخل في النزاع الدائر حول العرش البيزنطي ، أدى ذلك كله إلى استيلاء جيش الفرنجة على العاصمة الإمبراطورية . وفي شهر أيار من العام المذكور وبعد عمليات سلب ونهب همجية أُعلن الكونت بلدوين فلاندر Baldwin of Flanders إمبراطوراً فيها . واكتسحت فصائل مختلفة من الجيش على جناح السرعة كلاً من تراقيا ومقدونيا وسالونيك ومناطق واسعة من اليونان والأجزاء الغربية من آسية الصغرى وأقامت فيها إمارات وإقطاعات فرنجية . أما مايتعلق بالبيزنطيين فقد حاول ثيودور لاسكاريس Lascaris حاكم نيقية توحيد أملاك الإمبراطورية الممزقة في آسية الصغرى ، بينما جند الأمير ميخائيل Michael قوات يونانية لشن هجوم معاكس من إيبروس Eperus . وبعد أن دحر أخوه غير الشقيق وخليفته تيودور أنجيلوس

Angelus المملكة الفرنجية في سالونيك بهجوم مباغت على عاصمتها ، وانتزع تيساليا Thessaly ومقدونيا من اللاتينيين توجه نحو القسطنطينية . ولكنه تورط خارج أسوار أدرنة Adrianople في نزاع طويل مع إمبراطور نيقية حنا الثالث « دوكاس » فاتاتزيس Vatatzes .

وبفضل الشقاق الداخلي بين اليونان ومساعدات البندقية التي لم تتوقف ، تمكنت الإمبراطورية اللاتينية من البقاء والمحافظة على وجودها القصير بضع سنوات أخرى ، بعد أن تضاءلت رقعتها واقتصرت على منطقة تراقيا الصغيرة فقط . وفي العام ١٢٦١ استولى الإمبراطور ميخائيل الثامن بالايولوغوس Palaeologus مجدداً على عاصمة الإمبراطورية القديمة بدعم من جنوة .

كانت الممتلكات الفرنجية التي تأسست في أواسط اليونان وجنوبيها بعد الفتح العظيم عام ١٢٠٥ أكثر ديومة . ولم يؤثر انهيار مملكة سالونيكا المبكر على كونتية بودونيتسا Bodonitsa في أواسط اليونان ، ولاعلى دوقية أثينا ، ولاعلى أمارة بيلوبونيزيا في المورة ، والتي كانت مؤلفة من اثنتي عشرة بارونية منفصلة . وأثناء القرن الثالث عشر حظيت هذه المناطق بفترة سلام وازدهار تحت حكم عائلات فرنسية بصورة رئيسية . فأعيد بناء معظم القلاع البيزنطية القديمة على يد سادتها الجدد (أكروكورينثوس Acro corinthus ، أرغوس Argos ، كلاماتا Calamata ، ناوبليا Nauplia ، أركاديا Arcadia ، باتراس Patras) ، كما شيدت بعض القلاع الجديدة كلية (قلعة تورنز / شليموتزي Tornese/ Chlemutzi ، وميسترا Mistra ، ومراينا Maina ، وكاريتاينا Karitaina ، وناڤارينو Navarino ، وباسّاڤا Passava) ، ولكن أهم تلك القلاع سلم إلى بيزنطة في العام ١٢٦٢ كفدية لأمير مورة غليوم ڤيلهاردوان Guillaume de Ville hardouin .

وفي العام ١٢٦٨ وبعد سنوات من القتال وتسلل البيزنطيين إلى منطقة كانت تخص الفرنجة كلها منذ العام ١٢٠٥ ، اضطر غليوم إلى وضع المورة تحت حماية أسرة (أنجو) القوية التي كانت تحكم صقلية وجنوبي إيطاليا . وحافظت كل من أثينا وبودونيتسا Bodonitsa وأوبويا Euboea على استقلالها . إلا أن أثينا سقطت في يد عصابة من المغامرين القشتاليين Catalan ، عندما دُحر فرسان الفرنجة في معركة دامية على نهر كوبيس Kopais في العام ١٣١١ . ولم يكد ينصرم قرن واحد حتى كان قد حل محل النبلاء الفرنسيين في كل مكان سادة جدد من أصول مختلفة جداً . كذلك حافظت البندقية على مواطئ قدم هامة عديدة في تلك البلاد بالإضافة إلى سلسلة من المرافئ جيدة الموقع (أوبويا ، وآرغوس ، وناوبليا ، ونافارينو ، وكورون Korone ، وميثون Methone) ومناطق واسعة في أرخبيل بحر إيجة . ورغم العداء المتبادل فقد طُرد النبلاء الطليان والإسبان في مورة من البلاد تدريجياً ، اعتباراً من العام ١٣٢٠ ومابعده ، على يد أمراء ميسترا اليونان ، وانتقلت أثينا القشتالية في العام ١٣٨٧ إلى عائلة أكيايولي Aeeiaiuoli ، وهي عائلة فلورنسية . ومن ثم زالت السيادة اليونانية والإيطالية نهائياً على يد الفاتحين العثمانيين ، الذين احتلوا في العام ١٤٦٠ بلاد اليونان كلها باستثناء بعض القواعد البندقية المتناثرة على البر الرئيسي وفي بحر إيجة .

وبقدر ماتختلف تركيبات أشجار العائلات الفرنجية التي كانت تحكم مورة تختلف التقاليد المعمارية في تلك

المناطق المضطربة . إذ تشكل القلاع الأكثر قدماً ، ومعظمها الآن خرائب ، مزيجاً من الأساسات البيزنطية والإضافات الفرنجية . أما القلاع الجديدة التي شيدها الغزاة الفرنجة فأعيد بناؤها على يد أمراء ميسترا البيزنطيين . ولم تحصل أكثر القلاع الساحلية الأكثر ضخامة على مظهرها الحالي حتى جددها المهندسون الحربيون البنادقة في القرن السابع عشر . وأخيراً جدد الكثير من تلك المباني وأعيد بناؤه إبان الحكم التركي أيضاً . وبالاختصار لا يوجد في اليونان مايعادل التطور الذي حققه طراز العمارة الحربية المتقنة المتمثلة في الأبنية الصليبية في كل من سورية وفلسطين .

لقد كانت قلاع الفترة الفرنجية ذات صفة خاصة ، ونقصد بذلك ما يعود بتاريخه منها إلى الفترة بين ١٢٠٥ ونهاية القرن الثالث عشر ، فقد كانت مقرات صرف للسلطات الحاكمة . وكانت وظيفتها الرئيسية تأمين النقاط الهامة استراتيجياً ، والتي يسيطر منها على البلاد الخاضعة لها وعلى سكانها الغرباء . وبغض النظر عن الفروق المحلية في التفاصيل وأساليب البناء فقد كانت هذه القلاع ، على وجه العموم ، مكيفة مع الأرض الجبلية ، ومقسمة إلى قلعة علوية وقلعة أخفض منها . وكان القلب المحمي جيداً في منظومة الدفاع يسيطر عليه برج محصن قوي جداً كما هو الحال في ميسترا ، بينما صممت قلعة تورنز Tornese (شليموتزي Chlemutzi) على شكل برج محصن ضخم متعدد الأغراض مع فناء مكشوف صغير في الداخل مثل الكثير من القلاع الأوربية الغربية القديمة . ونادراً ما يعثر على البرج المحصن البسيط (كما هو الحال في بندسكوفي Pendeskuphi بقرب كورنثة) . وكان القائمون بالحصار في اليونان ، على خلاف بلدان الشرق الأدنى ، يفتقرون دائماً إلى أعداد كبيرة من الطاقة البشرية والمواد ، وكانت الجيوش ضعيفة ومجهزة بشكل غير كاف لحرب الحصار منذ البداية . وبالتالي لم تكن ثمة حاجة لتحسين الدفاع أو البذخ في البناء . وتبدو قلاع مورة ـ عموماً ـ غير متأثرة كلية بالعمارة الحربية في فلسطين ، وهو أمر غير مثير للعجب ما دام المشرفون الرئيسيون على تطويرها هناك في أواخر عهد السلطة الفرنجية فيها كانوا طوائف الفرسان الكبرى ، التي نادراً ما كانت تسعى إلى الظهور في البر اليوناني أو قبرص ، مفضلة المضي على تقاليدها في رودس وفي ممتلكاتها الأخرى في شرقي بحر إيجة .

مملكة قبرص ١١٩٢ ـ ١٤٧٣

عندما أرغم الفرنجة على مغادرة المعاقل القليلة التي ظلت في أيديهم بعد سقوط عكا في العام ١٢٩١ والفرار إلى قبرص على متن السفن ، كانت تلك الجزيرة المزدهرة آنئذ في يد الفرنجة منذ قرن كامل . ففي العام ١١٩١ وبعد أشهر قليلة من اضطرار الملك ريتشارد قلب الأسد للالتجاء إلى هذه الجزيرة ، بسبب عاصفة هوجاء ، اغتصبها من حاكمها البيزنطي وباعها إلى الداوية (فرسان الهيكل) مقابل ١٠٠ , ٠٠٠ دقية ، ولكنهم أعادوها إليه بعد ثورة قام بها السكان اليونان المحليون . وفي العام ١١٩٢ منح ريتشارد قبرص إلى غي لوزينيان كتعويض له عن فقده عرش القدس . وفي العام ١١٩٥ أهدى الإمبراطور هنري السادس إرث المملكة إلى شقيقه وخليفته أملريك لوزينيان . وهكذا أضحت قبرص ـ مثلها مثل فلسطين ـ متورطة في حرب أهلية مدمرة بين

الغـولفيين[١] Guelphs والغيبليين[٢] Ghibellines بعـد حملـة الإمبراطـور فريـدريـك الثـاني الصليبيـة في العـام ١٢٢٩ . وظلت لسنوات طويلة بعد سقوط عكا ، القاعـدة المسيحيـة الرئيسيـة في شرقي البحر الأبيض المتوسـط . وكانت تستخدم كقاعدة وثوب للحملات الشبيهة بـالصليبيـة والهجمات التي كانت توجـه ضـد سواحل الأنـاضول وسورية ومصر (الاستيلاء على الإسكندرية عام ١٣٦٥) . ولقد بلغت الجزيرة سن النضج بزعامة الملـك بطرس الأول النشيط (١٣٥٩ ـ ١٣٦٩) ، ولكن أيامها الزاهية انتهت على نحو مفاجئ عندما اغتيل هـذا الملـك على يـد النبلاء القبارصة المتذمرين .

وفي العـام ١٣٧٣ اغتنم الجنويون الفرصـة لاحتلال فـاغوستـا ، مرفـأ الجـزيرة الرئيسي ، متـذرعين بـأقـذر الحجج ، ولم يطردوا منه حتى العام ١٤٦٤ بعد سنوات طويلة من القتال . وكانت سلطة الملوك في قبرص ضعيفـة لا تكاد تلمس ـ فقد قام المماليك المصريون بغزو المناطق الداخليـة من الجزيرة في العـامين ١٤٢٥ و ١٤٢٦ دون أن يلقوا مقاومـة بطبيعـة الحـال ـ حتى انهـارت في خـاتمـة المطـاف في العـام ١٤٧٣ بوفـاة آخر ملوك الجزيرة جيمس الثاني . وفي العام ١٤٨٨ وبعد وصـايـة قصيرة الأمـد تولتهـا كاترينـا كورنـارو (Cornaro) ، الملكـة الأرملـة ، انتقلت السيادة على الجزيرة إلى البنادقة الذين حولوا الجزيرة إلى مخفر متقدم قوي لإمبراطوريتهم الاستعمارية .

صُدَّ أول غزو تركي لجـزيرة قبرص في العـام ١٥٢٧ ، ولكن الجـزيرة مـا لبثت أن خضعت سريعـاً للهجـوم الثاني الذي قامت به قوة أكبر في العام ١٥٧٠ . أما قلعة نيقوسيـا ، التي كانت تجري فيهـا أعمـال الترميم منـذ عـدة سنوات ، فسقطت بعد سبعة أسابيع من الحصار . بينمـا قـاوم مرفـأ فـاغوستـا الأتراك لمـدة عـام تقريبـاً ، وكان المهندسون البنادقة قد زادوا في تقويته وعززوه بأبراج وحصون قوية منذ العام ١٤٩٢ .

لم يكن للتحصينـات الأخرى في الجـزيرة ، التي أدخلت عليهـا تحسينـات تحت حكم البنـادقـة مثـل حصن كيرينيا (Kyrenia) وحصن بافوس (Paphos) ، أي دور في هذه المعارك . أما بالنسبة لقلاع الجزيرة القليلة العـائـدة للقرون الوسطى فكانت معراة سلفـاً من أسبـاب الـدفـاع منـذ العـام ١٥٢٥ ، لكونها لم تعـد تتفق مـع متطلبات الحرب المعاصرة آنذاك . وبدلاً من إضاعة الجهد والمال على تلك المنشآت الدفاعية العتيقة قرر البنادقـة تحديث المرافئ الرئيسية المحصنة وإعادة تصميم الدفاعات ذات الحصون في العاصمة وفي نيقوسيا على نطاق واسع .

كانت قبرص نادراً ما تعتبر نفسها مهددة من أعداء خارجيين ، على العكس من الأراضي المقـدسـة التي بـات بناء التحصينات فيها أمراً لازباً لا بد منه بسبب أخطار الهجوم الدائمـة ، ولم يكن مبعثهـا الفخـامـة المعماريـة أو حب المباهاة بكل تأكيد . لذلك كان بناء التحصينات في قبرص امتيازاً ملكياً ، كانت نتيجته أن المبـاني المحصنـة

(١) الغولفيين Guelfs نسبة إلى أسرة ڤيلف Welf الألمانية التي كانت تطمح إلى العرش الإمبراطوري في الإمبراطورية الجرمانية المقدسة في القرن الثاني عشر والثالث عشر وهو حزب من الأحزاب السياسية المناصرة للبابا في إيطالية وقبرص .

(٢) الغيبليين Ghibellines نسبـة إلى ڤـايبلنجن Waiblingen وهو اسم قلعـة يملكهـا خصوم الڤيلف من أسرة هوهنشتـاوفن ، وهو حـزب سياسي يناصر الإمبراطور فريدريك الثاني في إيطالية وقبرص .

الوحيدة التي أقيمت هناك هي مباني الطوائف الفرسانية ، إذا ما استثنينا بطبيعة الحال القلاع الضخمة القليلة التي أقامها التاج . إن الأوكار الصخرية في ذرا المرتفعات مثل القنطرة Kantara وبوفّاڤنتو Buffavento والقديس هيلاريون (ديودامور Dieudamour) الجاثمة فوق الجروف الشاهقة ، أو الرابضة في أعالي السفوح شديدة الانحدار من سلسلة الجبال الساحلية الشمالية ، تذكرنا بالقلاع الأرمنية لا بسبب مواقعها الفريدة هذه فحسب ، بل ولأنها تمتلك الكثير من معالمها (أبراج جانبية نصف دائرية ، ساحات داخلية وغير ذلك) . وإلى جانب هذه القلاع كانت توجد معاقل أخرى معزولة من نمط الأبراج المحصنة في السهل (مثل كولوسّي Kolossi ، وربما لياسول) إلى جانب حصون صغيرة ذات أبراج زاوية (سيغوري Siguri ، وربما غاستريا Gastria) . إن هذه القلاع التي ما تزال تبدو رومانسية حتى اليوم ، لم يكن لها أي دور في تطور العمارة الحربية اللاحق نتيجة التقدم الذي أحرزه فن التحصين في فلسطين خلال القرن الثالث عشر . ولم تبدأ قبرص بالمشاركة في توجيه تطوير منظومات التحصين الحديثة مع رودس حتى نهاية القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، عندما هدد الغزو التركي الجزيرة . حيث راح المهندسون الحربيون البنادقة يصممون القلاع ويشيدونها في قبرص بأسلوب جديد ، معتمدين على خبرتهم ، نظراً لأنهم كانوا في موقف يساعدهم على ملاحظة التحولات السريعة والمدهشة في فن التحصين التي بلغتها المدن المجاورة على البر التابع لأملاك البندقية ، خلال الحروب التي دارت بين الإمبراطور تشارلز الخامس والملك فرنسيس الأول ملك فرنسة (مثل فيرارا Ferrara ، وبادو Padua ، وكريما Crema ، وفيرونا Verona ، وميلانو وغيرها) . والأكثر من ذلك أن قوة هؤلاء البنادقة وثراءهم مكناهم من وضع تصاميم على مستوى كبير ، منها مخطط تجديد الدفاعات عن نيقوسيا . وربما أخذت منظومة الدفاع ذات الحصون المتناسبة هذه عن أحد الكتب المعاصرة التي تبحث في نظريات التحصين رغم أنها لم تستكمل قط .

الأسبتارية (Hospitallers) في بحر إيجة ١٣٠٦ ـ ١٥٢٢ :

أصبحت قبرص بالنسبة لكثير من الفرنجة الذين فروا إليها من فلسطين وطناً جديداً لهم ، يستطيعون أن ينعموا فيه بحياة أكثر حرية واطمئناناً ، لا يقض مضاجعهم الخوف الدائم من هجوم المسلمين . وارتضى كل منهم بهذه المعيشة السلمية الجديدة فيما عدا الفرسان العسكريين ، الذين التجؤوا كذلك إلى قبرص ، ولكن الجزيرة الغنية لم تقدم لهم سوى فرص ضئيلة للتوظف . وفي الوقت الذي عاد فيه الداوية ليتقاعدوا في فرنسا ، وليُقمعوا بقسوة في العام ١٣١٢ ، اختار الأسبتارية تأسيس ممتلكات مستقلة ذاتياً لهم في شرقي بحر إيجة ، بعد مكوث قصير في قبرص في الفترة ما بين العامين ١٢٩١ ـ ١٣١٠ . ففي الفترة ما بين العام ١٣٠٦ والعام ١٣٠٩ استولى الأسبتارية على جزيرة رودس منطلقين في عملياتهم من بر آسيا الصغرى ، التي كانت آنئذ في طريقها للاحتلال السلجوقي . وكانت رودس من أملاك الإمبراطور البيزنطي اسماً ، ولكنها كانت تتمتع بموقع مناسب تماماً ، ما بين بحر إيجة وبين شرقي البحر الأبيض المتوسط ، جعل منها قاعدة مثالية لعمليات الأسبتارية في المستقبل . ومن رودس راح هؤلاء يوسعون مجال سلطانهم إلى سبورادس Sporades الجنوبية وينضمون إلى الأسطول القبرصي في إغاراتهم الواسعة النطاق على السواحل السورية والمصرية خلال القرن الرابع عشر . وفي العام ١٣٧٤ احتل

الأسبتارية إزمير (Smyrna)[1] على الساحل الغربي لآسيا الصغرى ، التي كان قد استولى عليها تحالف بعض القوى المسيحية ، إلا أن محاولاتهم للحصول على موطئ قدم في البر اليوناني في العام ١٤٠٠ باءت بالفشل نتيجة مقاومة السكان المحليين لهم .

كانت خسارة الأسبتارية لإزمير في العام ١٤١٥ فاتحة صراع مستجد امتد قرناً كاملاً مع الأتراك العثمانيين . ولقد نجح الأسبتارية في تحويل مرفأ هاليكارناسوس Halicarnassus الصغير ، والواقع قبالة معقلهم على جزيرة كوس Cos ، إلى قاعدة لهم على البر الرئيسي يمكن استخدامها كبديل عن مرفأ إزمير الهام ، ولكن قيوداً مشددةً فرضت على توسعهم اللاحق نتيجة الموقف المتوعد الذي وقفه الأتراك منهم حين هاجموا رودس وكوس بقوة في أوائل العام ١٤٥٥ . وفي نهاية العام ١٤٧٠ أُجبر الأسبتارية ـ كالبنادقة في قبرص قبل سنوات قليلة مضت ـ إلى الامتناع عن تحسين جميع قلاعهم العديدة وتركيز اهتمامهم على تعديل قواعدهم الرئيسية (رودس ذاتها ، وكوس ، وقلعة القديس بطرس الجديدة في هاليكارناسوس) وفقاً للمتطلبات الحديثة .

تمكن الأسبتارية بفضل مناعة أسوارهم وتصميمهم على الدفاع من رد العثمانيين في هجومهم الثاني الكبير فرفعوا الحصار عن رودس في العام ١٤٨٠ . إلا أن هذا النجاح شجع الأسبتارية على متابعة تحسين تحصيناتهم الرئيسية بحماس أكبر . وحتى العام ١٥٢٠ كانوا قد تمكنوا ، بفضل حنكة ونشاط زعيمهم ومقدمهم بيير دوبوسّون Pierre d'aubusson (١٤٧٦ ـ ١٥٠٣) من تحويل رودس إلى أقوى قلعة وربما أحدثها في العالم الغربي . وفي شهر كانون الأول من العام ١٥٢٢ أكرهت المدينة على الاستسلام إلى الأتراك العثمانيين حين نفدت ذخائرها وتلاشى أملها في الخلاص ، بعد أن قاومت طوال عام تقريباً ، وأجلي الأسبتارية من جميع ممتلكاتهم في بحر إيجة فانسحبوا إلى إيطاليا ومنها منحوا قاعدة جديدة في جزيرة مالطة بأمر من الإمبراطور تشارلز الخامس .

تمثل تحصينات رودس ومعاقل كوس والقديس بطرس أثناء القرنين الخامس عشر والسادس عشر عصر النهضة في الأرخبيل الإيجي في التقليد المعماري القديم العظيم الذي أسسه الأسبيتارية في الأراضي المقدسة ، عندما حصنوا قلعة الحصن والمرقب في سورية . والواقع أن بدايات هذه الأعمال كانت متواضعة ، وأن نماذج العمارة العسكرية الكبيرة الحجم كانت قليلة في بادئ الأمر . فقد شهد القرن الرابع عشر بناء الدفاعات البسيطة نسبياً لمأوى الأسبيتارية ولمدينة رودس بالذات ، بينما أخذت القلاع الصغيرة التي كانت موجودة على الجزر التي استولوا عليها تتجدد تدريجياً بمستوى متواضع . ومع غياب الخطر الفعلي أصبح في مقدور الأسبيتارية مجاراة سادة الإقطاع الفرنجة في اليونان وقبرص حتى منتصف القرن الخامس عشر بتقييد أنفسهم إلى تحصينات ذات طبيعة متواضعة . تمثل معظم هذه التحصينات ، مثل قلب قلعة القديس بطرس ، مظهر العصور الوسطى برمته ، رغم الابتكارات المنفردة التي ظهرت فعلاً ، كما في رودس مثلاً ، حيث درجت العادة على استخدام الأبراج المنتصبة وحدها وبشكل معزول ، ونادراً ما كانت ترتبط بخط الدفاع الرئيسي .

---

(١) سميرنا Smyrna : اسم للمدينة التركية إزمير ، التي كانت في بدايتها مستعمرة يونانية قديمة جداً دمرت في القرن الرابع قبل الميلاد من قبل الملك آليات Allyate وأعيد بناؤها في العصر الهيلنستي . سقطت في أيدي الأتراك حوالي سنة ١٣٣٠ .

إنه لمن الصعب بطبيعة الحال المقارنة بين التحصينات التي شيدت في النصف الأول من القرن الخامس عشر مع القلاع التي شيدت في سورية منذ قرنين قبلها . ففي أوربا كان المدفع أول ماستخدم ضد قلاع القرون الوسطى كحل وسط خلال القرن الرابع عشر . وبعد قرن من الزمن تطور هذا السلاح الجديد إلى درجة أنه لم يعد مجرد وسيلة عرضية لنجاح محلي ، وإنما اعتبره الجميع أداة حرب أساسية . لقد كان التأثير الذي مارسه المدفع الثقيل على الأسوار السميكة لمدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية القديمة في العام ١٤٥٣ الدليل المقنع للأتراك على الطاقات الكامنة لهذا السلاح الجديد ، وحفزهم لاستبدال آلات حصار القرون الوسطى وتقنياتها بالأسلحة المدفعية الحديثة . وما أن أضحى هذا السلاح الهجومي الجديد بين يدي العدو الرئيسي حتى اضطر فرسان رودس إلى ابتكار منشآت دفاعية جديدة . ولكنهم لم يتشددوا على كل حال ، في تحسين دفاعات رودس المتداعية بشكل دوري ، بمساعدة المهندسين الإيطاليين ، حتى أكرهوا على القيام بذلك ، نتيجة الخبرة المريرة التي حصلوا عليها في حصار العام ١٤٨٠ ، في نفس الوقت الذي شرع فيه البنادقة في تجديد تحصينات مدينة فماغوستا .

ولما كانت هجمات العدو ماتزال موجهة مبدئياً ضد الأسوار الواقية حتى في عصر المدافع ، فقد كانت الخطوة الأولى تقوية الأسوار القديمة الداخلية بحواف ترابية عميقة (مساتر) مقاومة للقصف وتؤمن مجالاً ليستخدم المدافعون مدافعهم . وقد زيدت سماكة الجدران في رودس من سبعة أقدام تقريباً إلى سبعة عشر قدماً في العام ١٤٨١ ، ثم زيدت مرّة أخرى في العام ١٥٢١ حتى أضحت سماكتها الإجمالية سبعة وثلاثين قدماً . كذلك وسّعت الخنادق في الوقت نفسه حتى تضاعف عرضها في بعض الأماكن . وأنشئت متاريس عريضة عند واجهة الحصون الأمامية الجديدة (Barbican) التي كان معظمها متعدد الأضلاع . وحظيت الأبراج باهتمام خاص ، إذ كانت عناصر تحصينات العصور الوسطى في القرن الثالث عشر مازالت ترتكز على الدفاع عن الأسوار الحامية الضعيفة . ولم يعرفوا أهمية الرمي الجناحي من الأبراج على الأسوار الحامية إلاّ خلال ذلك القرن ، وفي التحصينات الجديدة التي استثمروها ، كما هو الحال في الحلقة الخارجية للدفاع عن قلعة الحصن في سورية أو القلاع الأرمنية . وطبقاً لمنطق الأمور فقد أصبحت أداة الدفاع الأساسية ، التي هي المدفع حالياً ، تنصب حيث تستطيع تحقيق أكبر فاعلية بالرمي الجناحي على المهاجمين ، ويقصد بذلك هنا الأبراج المقواة لهذه الغاية . ففي رودس أحيطت الأسوار المستطيلة الصغيرة القديمة بتحصينات خارجية ضخمة الكتلة ذات تصميم متعدد الأضلاع أو نصف دائري ، نصبت فيها المدافع فوق سطيحة مكشوفة أو منعة مقنطرة (مقببة) .

ولقد ملكت رودس أول الحصون المضلعة المعروفة التي ارتجلت ارتجالاً في العام ١٥٢١ . ورغم أن الحصون نصف الدائرية (المدورة) أو الشبيهة بالمدورة كانت ماتزال تشكل الغالبية هناك ، وفي قلعة القديس بطرس وفي كوس أيضاً ، فقد توصلت الخبرة العملية والمعرفة النظرية المبنية على الأسس الرياضية لعلم القذافة مجتمعين إلى تطوير مثل هذه الأبراج إلى حصن مضلع (Polygonal bastion) ونحن نعلم ذلك لأن ميشيل سان ميشيلي San micheli شيد في العام ١٥٢٧ ، بعد ست سنوات من ذلك التاريخ ، حصناً مضلعاً (حصن مادلين The Bastion delle Maddalene) في فيرونا بدلاً من البرج المدور السابق . ولأن هذه الحصون سرعان ماأضحت المعلم

الرئيسي لمنظومة دفاعية متكاملة عرفت باسم المنظومة الإيطالية القديمة «Old Italian» انتشرت من منطقة البحر الأبيض المتوسط إلى أوربا كلها خلال القرن السادس عشر ، وأصبحت أساس التحصينات الحديثة .

شنت عدة حملات صغيرة ضد ممتلكات الأتراك على الساحل الغربي من آسية الصغرى ، واعترفت بها الكنيسة كحملات صليبية حتى أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر . وفي منتصف ذلك القرن ظل الملك بطرس الأول ملك قبرص يبذل محاولات جادة لتجييش حملة صليبية عامة تهدف إلى إعادة احتلال القدس . وقبل مضي سنوات عدة على ذلك ، ظل الغرب مدفوعاً إلى الإعلان عن حملات تالية باتجاه المشرق لأن حدوده ذاتها كانت في خطر . فقد دمر الأتراك العثمانيون مملكة صربية بانتصارهم الساحق في كوسوفو Kosovo (ميدان الشحارير The field of Blach birds) في العام ١٣٨٩ ، وراحوا يهددون باكتساح هنغاريا . وفي العام ١٣٩٥ - ١٣٩٦ لبت جميع القوى الأوربية الكبرى تقريباً نداء الملك سيغموند ملك المجر ، وساهمت في تجييش جيش صليبي ضخم كانت مهمته رد الأتراك إلى الخلف ، وطردهم نهائياً إن أمكن . وكاد هذا الجيش أن يطأ بأقدامه الأراضي التركية نفسها قبل أن يبيده السلطان بيازيد إبادة تامة في معركة ضارية عند نيكوبوليس ، إلا أن الصليبيين أكرهوا السلطان على الأقل على رفع الحصار عن القسطنطينية ولم يحاول ذلك مجدداً قط . وفي العام ١٤٠٢ وقع بيازيد أسيراً في يد تيمور زعيم المغول بعد أن أصيب جيشه بهزيمة قاسية عند أنغورا Angora (أنقرة - Ankara) .

وقد سقطت عاصمة الإمبراطورية نهائياً على يد حفيد السلطان بيازيد ، محمد الثاني الفاتح . وبعد سنوات قليلة ، في العام ١٤٦٤ ، توفي البابا بيوس الثاني وهو في طريقه - وحده ودون دعم من أية مملكة غربية - لحملة صليبية جديدة بشّر بها دون كلل . وهكذا انتهى عهد الحروب الصليبية إلى نهايته « المحتومة » بعد قرون أربعة من الزمن .

القِلاع

تمهيد

إن الغرض من تصنيف هذا المصور عن القلاع الصليبية هو تقديم فكرة مختصرة ـ بعيدة عن أي دراسة تاريخية موسعة ـ للعناصر التركيبية في كل قلعة منها وتاريخها بالإضافة إلى جميع العوامل الرئيسية التي أثرت في بنائها . ولقد توخينا أن تُمكن مخططات وتفاصيل القلاع ، الذي سيلي سردها ، كل قارئ من تحري العلاقات البنيوية والتواريخ التي توحي بها من تلقاء نفسه ، مُشَكِّلاً على هذا النحو صورة مستقلة من قبله . ونظراً لكثرة عدد المباني التي لها علاقة بالموضوع وشدة التنوع في الأبحاث التي تمت حتى الآن فقد اعترضتنا ، بسبب ضيق المجال ، مشاكل لا حصر لها وتستعصي على أي ملخص .

تجنب هذا الكتاب تقديم أوصاف مطولة للمواقع المختارة وطرائق البناء فيها نظراً لإمكانية استخلاص الكثير من التفاصيل من المخططات ذاتها ، واستخلاص التفاصيل الأخرى من الملاحظات المسجلة عن اللوحات . ولقد أعيد رسم المخططات خصيصاً لهذا المؤلَّف ، وبُذلت محاولة للالتزام بقياس موحد حيث أمكن ذلك ، رغم أن الحجوم المختلفة اختلافاً كبيراً بين قلعة وأخرى ، وعدم الدقة النسبية في الكثير من المخططات الموجودة ، اضطرتنا إلى استخدام مقاييس متباينة (معظمها ١٠٠٠ / ١ و ٢٠٠٠ / ١) . وقد ضُمِّن الكتاب كذلك مخططات المدن والمواقع حيث كان ذلك ضرورياً . وقُيِّدت المعلومات المقدمة عن كل قلعة بالخصائص التي تحملها في تاريخها المعماري ، كما أهملت المعطيات الصرف التي تخص علم معرفة الأصول (genealogy)[1] أو الشؤون العسكرية . ولم نكن مضطرين إلى الاعتماد اعتماداً كبيراً على المراجع المتوفرة فحسب ، بل وإلى تقبل وجهات نظر كانت وما تزال موضع خلاف ، ولم نناقش أية وجهة نظر ما دام ضيق المجال قد جعل من المستحيل التعرف على المصادر ، أو تحري المشاكل كل على حدة . فلم يدرج هنا أي مصدر ـ مرجع من تلك الموجودة في ثبت المراجع في متن الملاحظات المدونة عن كل قلعة ـ باستثناء عناوين الكتب الرئيسية ، ومعظمها يحوي تفاصيل كافية عن مصادره . وفيما عدا الأبحاث الدراسية الخاصة المقتبسة (أهملت عناوينها غالباً) ، فإن معظم التفاصيل مأخوذ عن المؤلفات التاريخية الرئيسية لكل من : كلود كاهن Cl. Cahen ، ور . غروسّيه R. Grousset ، وسير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman ، والتي كان علي أن أشير إليها في ثبت المراجع في كل حالة .

---

(١) الكلمة الإنكليزية Genealogy أو الفرنسية Genealogie تعني علم الأصول : أو علم البحث عن الأصول أو علم البحث عن النسب العائلي . ويقصد الكاتب هنا أنه أهمل الدراسة المتعلقة بمعرفة أصول هذه القلاع ، بانيها وساكنها ومتوارثها ، بقصد عدم الإطالة .

وقد حدثت تناقضات محددة في نقل بعض الأسماء الخاصة والأسماء الحالية التي تحملها قلاع كثيرة ، وقد استخدمت من أجلها رموز التهجئة المحلية المعاصرة قدر الإمكان . كما تم التقيد بالقواعد التي وضعها هـ . ڤيهر H. Wehr عن نقل الأسماء العربية في كتابه Arabisches Wörter buch für die Sehriftsprache der Gegenwart (ويعني المعجم العربي للغة المكتوبة في العصر الحاضر) ، وذلك مع بعض التبسيطات التي أضيفت من أجل تسهيل قراءة النص . والجدول التالي يدلنا على لفظ بعض الأحرف كما هي موجودة في الأسماء التركية والعربية :

المكافىء الانكليزي	العربية	التركية
J as in jam	ǧ	c
ch as in champion	-	ç
تهمل عادة		ğ
strongly aspirated **h**	ḥ	h
short **i** as in pencil		i
s as in pleasure		j
k	q	k
strongly sibilated **s**	ṣ	s
sh as in sham	š	ş

هنا ، كما كان عليه الحال في المدخل تمت المحافظة على التهجئة الفرنسية للأسماء القديمة حيثما وردت في الاستخدام الأدبي الدارج غالباً .

طرابلس(☆) TRIPOLI

اللوحات ٩ ـ ١١

بالعربية طرابلس Trablûs وأطرابلس ، والقلعة نفسها : قلعة صنجيل .

باليونانية Tripolis ، الفرنجية Triple إلخ ..

مستوطنة القلعة : مونت بيليرين Mont Pelerin ، أو مون بيليرينوس Mons Pelerinus ، مون بيرغرينوس Mons Peregrinus وكلها تعني مرتفع الحجيج .

الوصف :

مدينة ومرفأ على القسم الشمالي من الساحل اللبناني ، تشغل موقعاً لمستوطنة قديمة ، ظلت مرفأ هاماً لدمشق لعدة قرون .

تتألف المدينة الآن من قسمين :

١ ـ الميناء ويدعى « المينة » الذي يوجد الآن في موقع المستوطنة القديمة ومستوطنة العصور الوسطى . وهو عبارة عن شبه جزيرة صغيرة (رأس) مع جون محمي جيداً بريفٍ صخري .

٢ ـ الحي السكني الحديث الواقع على السفوح الجبلية أعلى من الميناء وهو يتجمع حول القلعة العائدة للعصور الوسطى ويخترقه نهر قاديشا (أو نهر أبي علي كما يسمى أيضاً) . تأسس هذا الحي بعد أن استعاد العرب المدينة في العام ١٢٨٩ ، ولم تكن المدينة قوية التحصين ولكنها كانت تعتمد على حماية القلعة لها ، وهي تنتصب فوق جرف صخري قائم فوقها . لم يبق من القلعة سوى القليل من الآثار العائدة للعهد الفرنجي ، والقسم الأكبر منها جدد بناؤه في عهد الحكم العربي والحكم التركي العثماني .

كانت مستوطنة المرفأ حياً سكنياً خاصاً حتى العام ١٢٨٩ ، محروسة من جهة البحر بستة أبراج قوية يعود تاريخها إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر . ولم يبق من دفاعات المدينة الأصلية أية آثار ، ولكن سجلات الرحالة الأوائل تشير إلى أن شبه الجزيرة (الرأس) بكاملها كانت محمية بسور متصالب تكمله أبراج وخنادق .

التاريخ :

١٠٩٩ م . كانت طرابلس تحت الحكم الفاطمي حتى امتلكها (بنو عمار) في العام ١٠٧٠ . وقد هاجم الفرنجة الصليبيون المدينة في طريقهم إلى القدس ولكنها افتدتْ حريتها بالبذل .

١١٠٢ ـ ١١٠٣ م . بعد أن استولى الكونت ريمون دوسان جيل (صنجيل) Raymond de St. Gilles على طرطوس ، ألقى الحصار على طرابلس ، التي شكلت تحالفاً على جناح السرعة مع أتابك دمشق

(☆) وصفها أبو الفداء في كتابه تقويم البلدان فقال :

قال في المشترك : وتثبت فيها الألف بعكس اللباب قال : وقد خالف المتنبّي هذه القاعدة في قوله :

وقصرت كلّ مصر عن طرابلس

أقول : وقول المتنبّي يقوّي ما قاله في اللباب . وطرابلس مدينة رومية على طرف داخل في البحر فتحها المسلمون في سنة ثمان وثمانين وستماية وخربوها ، وعمروا على نحو ميل منها مدينة سمّوها باسمها ، ولها بساتين وأشجار كثيرة ، ويزرع بها قصب السكّر ، ولها نهر . قال في العزيزي : وبين طرابلس وبعلبك أربعة وخمسون ميلاً ، وبين طرابلس ودمشق تسعون ميلاً قال : ومنها إلى أنطرطوس ثلاثون ميلاً (م . م) .

وظلت تتلقى التعزيزات من البحر رغم تدخل أسطول جنوة الصغير باستمرار ضدها . ولتأمين الحماية الإضافية لأنفسهم أقام المحاصِرون (بكسر الصاد) حصناً على جبل بيليرينوس (تلة الحجاج المعروفة باسم تلة أبي سمرة) قرب مدينة طرابلس عرف باسم قلعة صنجيل .

١١٠٥ - ١١٠٩ م . استمر الحصار بعد وفاة ريموند (صنجيل) ولكن المدينة لم تستسلم حتى هاجمتها قوة أكبر بقيادة ابنه برتراند . عندئذ أصبحت طرابلس مقر كونتات طرابلس (إمارة) وظلت كذلك حتى انقرضت سلالتهم .

١١٥٧ - ١١٧٠ . تسببت الهزات الأرضية بأضرار بالغة في المدينة وجوارها المباشر .

١١٨٧ . بوفاة آخر كونت ، ريموند الثالث ، انقرضت سلالة آل تولوز Toulouse وانتقلت طرابلس إلى تبعية إمارة أنطاكية .

١٢٤٤ . أغار المرتزقة الخوارزمية على المدينة ونهبوها وتعرضت لأضرار بالغة .

١٢٦٦ . غزا المنطقة جيش عربي بقيادة السلطان بيبرس[1] واستولى على العديد من حصون الحصار في طريقه إلى طرابلس . وفي السنوات التي تلت أضحت طرابلس بؤرة النزاعات الداخلية الفرنجية بين بوهمند السابع أمير أنطاكية وغي الثاني أمير جبيل Giblet . كذلك تورط الفرسان العسكريون والمواطنون في هذه المنازعة التي تسببت في إحداث البلبلة في المدينة .

١٢٨٩ . استولى جيش السلطان قلاوون[2] على المدينة بعد حصار شديد لمدة شهرين . وفر المستوطنون الجنويون والبنادقة منها قبل وقت قصير على متن السفن .

خربت المدينة (المرفأ) الفرنجية كلية لمنع أي إنزال فرنجي محتملٍ قادمٍ من قبرص . وأقيم حي سكني جديد على السفح أسفل القلعة .

١٣٠٧ - ١٣٠٩ . جرت تحسينات كبيرة على القلعة على يد الحاكم العربي سيف الدين أسندمركوجي[3] . كما شيدت أبنية جديدة في المدينة أيضاً .

ظلت طرابلس مقر حاكم المقاطعة وواحدة من أهم المدن في سورية حتى اقتطعتها بيروت في القرن التاسع عشر .

---

(١) هو الملك الظاهر ركن الدين (١٢٢٣ - ١٢٧٧) . من أقدر سلاطين المماليك البحرية في مصر . خدم في جيش الملك الصالح نجم الدين الأيوبي ، وتوران شاه . برز في معركة المنصورة (١٢٥٨) حيث هزم الصليبيين هزيمة منكرة ، وكذلك برز في معركة عين جالوت (١٢٦٠) ضد المغول . قضى عدة سنوات يحارب الصليبيين في فلسطين وسورية (١٢٦٥ - ١٢٧٢) فحطم قواهم . مات ودفن بالظاهرية في دمشق .

(٢) هو السلطان قلاوون الملك المنصور (١٢٢٣ - ١٢٩٠) مؤسس أسرة قلاوون في مصر . أخلص الخدمة للظاهر بيبرس ، وخلع ابنه العادل وتولى الحكم منفرداً (١٢٧٩) . تغلب على المغول ، وهزم ملك النوبة . (م . م)

(٣) انظر كتاب طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي تأليف د . السيد عبد العزيز سالم ، ط . الإسكندرية ١٩٦٧ - ص ٤٤٤ . حيث نقل عن النويري قوله : « فوضت نيابة السلطنة إلى الأمير سيف الدين أسندمركوجي المنصوري فاستمر بها إلى سنة تسع وسبعمئة ، أجمع التجار ممن يجوب البلاد أنه ما عمر مثله في بلد من البلدان ، وعمر قيسارية وطاحوناً ... وعمر أيضاً بعض القلعة ، وأقام أبراجاً » .

Bibliography:
Enc. Isl. IV, 714–5 (Fr. Buhl 1934);
v. Berchem-Fatio, *Voyage I*, 116–122;
v.Berchem – M. Sobernheim, *Matériaux pour un Corpus Inscr. Arabicarum*, Vol. II, 1 *(Syrie du Nord)*, Cairo 1909, 37–139 (MIFAO 25);
J. Richard, *Le Comté de Tripoli sous la Dynastie Toulousaine (1102–1187)*, Paris 1945, pass.

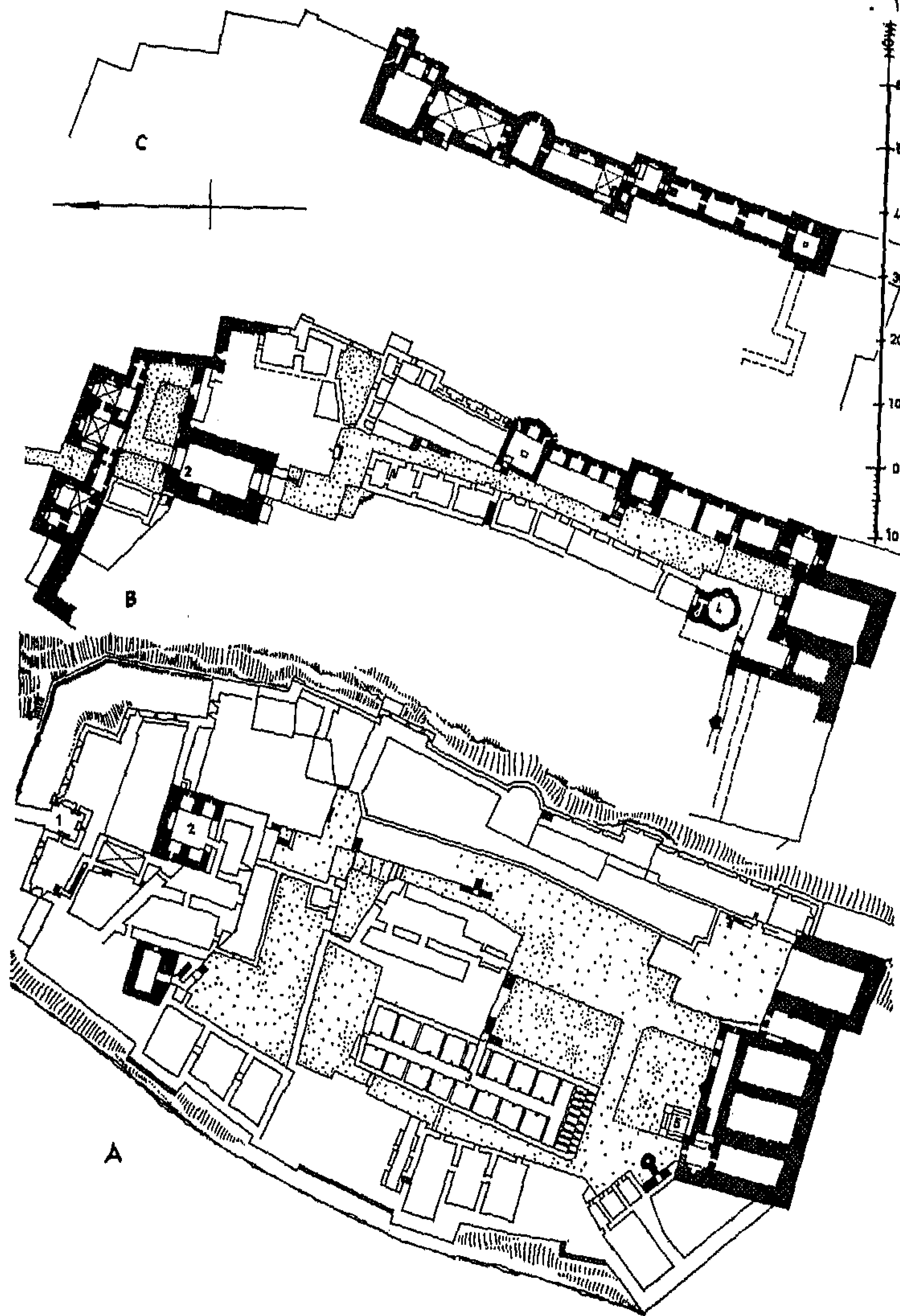
المراجع :

الموسوعة الإسلامية : م ٤ ص ٧١٤ ـ ٧١٥ (ف ر . بوهل ١٩٣٤) .

ف . بيرشيم ـ فاتيو ، الرحلة I ، ١١٦ ـ ١٢٢ .

ف . بيرشيم ـ م . سوبرنهايم : مواد الوثائق المدونة بالعربية ، مجلد ٢ ، ١ (سورية الشمالية) القاهرة ١٩٠٩ ، ص ٣٧ ـ ١٣٩ (ميفاو ـ ٢٥) .

ج . ريتشارد : كونتية طرابلس في عهد آل طولوز (١١٠٢ ـ ١١٨٧) باريز ١٩٤٥ .



المخطط ١ :

١ ـ طرابلس ـ قلعة صنجيل Tripoli-Mons Peregrinus . المخطط الأرضي للقلعة ، المقياس ١ / ١٠٠٠ ، أ ـ مخطط المستوى الأرضي الحالي ، ب ـ مخطط المستوى تحت الأرضي . جـ ـ مخطط المستوى تحت الأرضي الثاني . رسم ما أنشأه الفرنجة باللون الأسود ، ورسمت الإضافات العربية الأولى والتعديلات بالتهشير المتقاطع ، والإضافات العربية المتأخرة بالتهشير العادي ، والإضافات التركية غير مهشرة . ١ ـ حصن البوابة . ٢ ـ برج محصن . ٣ ـ كتلة الإسطبلات . ٤ ـ كنيسة فرنجية (كشفت مجدداً) . ٥ ـ مدافن إسلامية (أقيمت فوق أخرى مسحت) .

قلعة صلاح الدين (صهيون)[*] SAHYUN

اللوحات ١٢ ـ ٢١

بالعربية : قلعة صلاح الدين (سابقاً صهيون) .

باليونانية : سيغون Sigon ، بالفرنجية : ساوون وساهون Saone, Sahaune إلخ .

الوصف :

قلعة متهدمة تقع فوق جرف صخري متطاول مابين خانقين عميقين في جبال النصيرية ، على مسافة خمسة عشر ميلاً تقريباً شمال شرق مرفأ اللاذقية البحري ، على استقامة واحدة . تغطي التحصينات مساحة $\frac{1}{2}$ ١٢ فدان تقريباً ، ويفصلها عن باقي الهضبة من الشمال قناة منحوتة في الصخر طولها حوالي ١٦٠ ياردة وعرضها حوالي ٦٠ قدماً وعمقها حوالي ٩٠ قدماً . والقلعة التي تمتد على طول الجرف في سلسلة مصاطب منفصلة ، تتتابع من الشمال الشرقي وحتى الجنوب الغربي بطول يزيد عن ٧٦٠ ياردة وعرض يتراوح بين ٥٥ و ١٦٠ ياردة . وتحف بها السفوح الصخرية شديدة الانحدار حتى واديي النهرين الواقعين تحتها .

تداعت النواة البيزنطية التي تتوسط القلعة والتي شيد قسم منها على يد الفرنجة أيضاً وانهارت ، ولم يرفع الردم سوى عن جزء ضئيل منها . وتتألف هذه النواة من سور مضاعف مقام على مسافة جانبية قصيرة ، مع بعض الأبراج نصف الدائرية ، وقلعة صغيرة في الداخل .

ركز البناؤون الفرنجة في القرن الثاني عشر اهتمامهم على تقوية الواجهة الشمالية الشرقية المرتكزة على الهضبة . وإلى جانب القناة التي يستحيل تخطيها تقريباً ، أقام هؤلاء برجاً محصناً ضخماً وأسواراً ملاصقة له وعززت بحصون بارزة نصف دائرية . وفي الوقت الذي تتمتع الواجهة الشمالية الطويلة بالحماية الطبيعية التي تؤمنها الجروف الصخرية ، كان لابد من تأمين الواجهة الجنوبية الأسهل منالاً بسور متين مع أبراج مستطيلة سميكة الجدران . وقُطِع الفناء العلوي للسور الشديد التحصين عُن الفناء الأدنى فيه الأكثر تعرجاً بجدار عرضي يستغل وهدة طبيعية عميقة استغلالاً ماهراً . وأمنت المواصلات بين الفناءين العلوي والسفلي عن طريق ممرين جانبيين ، أحدهما كبير والآخر صغير . وللقلعة السفلية بوابتان خاصتان بها واحدة على كل جانب . أما الأسوار المحيطية للفناء السفلي التي تمتد بعيداً بالاتجاه الجنوبي الغربي وترتبط بشدة بالأرض الصخرية فقد قويت بحصون بارزة صغيرة في عدة نقاط منها فقط .

تعود الآثار المعمارية الموجودة داخل القلعة العلوية في تاريخها إلى العهد البيزنطي جزئياً (ماتزال الجدران العرضية القديمة قائمة في معظمها) ، وجزئياً إلى العهد الفرنجي ، ولكن معظمها يعود إلى العهد العربي الطويل الأمد (المسجد والحمامات) . كما يمكن تلمس بقايا القرية الصغيرة خارج القلعة مباشرة فوق الجرف الطويل القائم على أرض عالية تقع إلى الشمال الشرقي .

(*) وصفها أبو الفداء في كتاب تقويم البلدان فقال :

ومدينة صهيون : بلدة ذات قلعة حصينة لاترام ، من مشاهير معاقل الشام ، وبقلعتها المياه كثيرة متيسرة من الأمطار ، وهي على صخر أصمّ ، وبالقرب منها وادٍ ، وبه من المحمضات ما لايوجد مثله في تلك البلاد ، وهي في ذيل الجبل من غربيه ، وتظهر من عند اللاذقية ، وبينها نحو مرحلة ، وهي في الشرق بميلة إلى الجنوب عن اللاذقية (م . م) .

إن قلعة صهيون التي هجرت في أواخر العصور الوسطى ، تمثل أشكال التحصين التي كانت شائعة في أوائل القرن الثاني عشر ومنتصفه بوضوح أكثر من معظم القلاع السورية الأخرى .

التاريخ :

حتى العام ٩٧٥ م : استولى الإمبراطور البيزنطي جون الأول تزيميسكيس (ابن الشمقميق)[١] John I Tzimisces (٩٦٩ - ٩٧٦) على هذا الموقع من الحمدانيين في حلب ، خلال حملة قام بها في شمال سورية . ويمكن الافتراض أن التحصينات والقُليعة وربما السورين الخارجيين أقيمت جميعاً منذ ذلك الحين فما بعد .

أوائل القرن الثاني عشر . استولى الفرنجة على القلعة في وقت غير محدد تماماً ، وربما بعد أن استولوا على اللاذقية في العام ١١٠٨ . ويأتي ذكر أحد الأمراء الفرنجة ويدعى الكونت روبر دو صهيون المجذوم (Count Robert de Sahyoun le Lépeux) في العام ١١١٩ .

١١٨٨ . حاصر صلاح الدين القلعة خلال حملته المظفرة واستخلصها بعد قصفها قصفاً شديداً ومركزاً بالمجانيق لأن محيطها كان كبيراً جداً على حاميتها الصغيرة فلم تكن قادرة على الدفاع عنها .

١١٨٨ - ١٢٧٢ . انتقلت القلعة إلى ملكية الأمير ناصر الدين منكورس وظلت من إقطاعات العائلة حتى العام ١٢٧٢ عندما اضطر ورثته لتسليم القلعة إلى السلطان بيبرس (الملك الظاهر)[٢] .

شيد مسجد داخل القلعة في عهد السلطان قلاوون . كان للقلعة بعض الدور في فترات متتالية من تاريخ سورية الشمالية ولكنها هجرت في العصور الوسطى وتداعت إلى السقوط .

١٨٤٠ . قصف جيش إبراهيم باشا القلعة التي كانت في يد الأتراك العثمانيين وأصيبت بأضرار بالغة .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية : م ٤ ص ٤٤٧ (ب شوارتز ١٩٣٤)

ڤ . بيرشيم - فاتيو : الرحلة I ٢٦٧ - ٢٨٣ والرحلة II ٥٩ - ٦٢ .

ب . ديشامب : قصر صهيون في إمارة أنطاكية مقال في مجلة الفنون الجميلة كانون الأول ٣٢٩ - ٣٦٤ .

ب . ديشامب : قصر صهيون وأصحابه الأوائل في : سورية ١٦ ، ١٩٣٥ ، ص ٧٣ - ٨٨ .

ر . فيدن : قلاع الصليبيين ، لندن ١٩٥٠ ، ٤٦ - ٥٠ .

فيدن - تومسون : ٧٢ - ٧٦ .

Bibliography:
Enc. Isl. IV, 447 (P. Schwarz 1934);
v. Berchem – Fatio, *Voyage I*, 267–283, and *II*, Pl. 59–62; P. Deschamps, 'Le château de Saône dans la Principauté d'Antioche', in: *Gazette des Beaux-Arts*, Dec. 1930, 329–364;
P. Deschamps, 'Le château de Saône et ses premiers seigneurs', in: *Syria 16*, 1935, 73–88;
R. Fedden, *Crusader Castles*, London 1950, 46–50;
Fedden – Thomson, 72–76.

(١) جان الأول تزيميسكيس Tzimiske's (هيرابوليس Hie'rapolis ، أرمينيا ٩٢٥ - القسطنطينية ٩٧٦) . إمبراطور المشرق (٩٦٩ - ٩٧٦) . وقد قتل نيقفور الثاني وتزوج الإمبراطورة تيوفانو . (م . م) .

(٢) أتى ابن كثير في حوادث سنة ٦٧١ هـ على ذكر ذلك فقال : « وفي ربيع الأول توفي الأمير سيف الدين محمد ابن مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس صاحب صهيون ، ودفن في تربة والده في عشر السبعين ، وكان له في ملك صهيون وبرزية إحدى عشرة سنة ، وتسلمها بعده ولده سابق الدين ، وأرسل إلى الملك الظاهر يستأذنه في الحضور فأذن له ، فلما حضر أقطعه خبزاً ، وبعث إلى البلدين نواباً من جهته » . ١٣ / ٢٦٣ . (م . م) .

قلعة نمرود (الصبيبة - بانياس)(☆)

QAL'AT SUBEIBE اللوحة ٢٢

بالعربية قلعة النمرود بقرب بلدة بانياس الجولان .

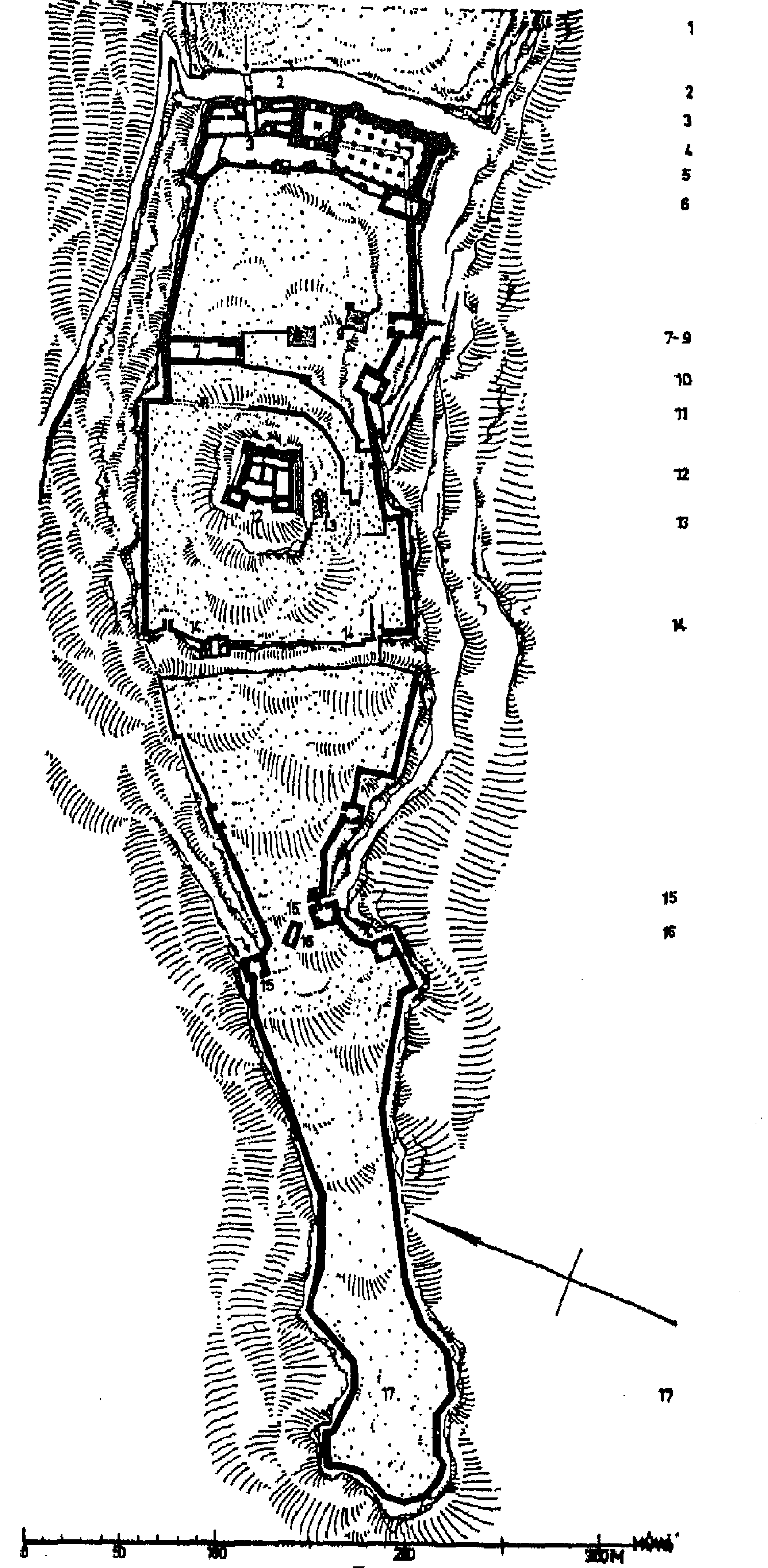
بالفرنجية بليناس أو بانياس Belinas, Paneas إلخ .. (باسم مدينة بانياس الجولان القريبة منها) .

الوصف :

قلعة في الشعاب الجنوبية لجبال لبنان الشرقية (تسمى قديماً جبل حرمون وحالياً جبل الشيخ) ، تقع إلى الشمال مباشرة من مدينة بانياس الصغيرة على الحدود بين سورية وفلسطين المحتلة قرب منابع الأردن . وهي تحتل جرفاً صخرياً متطاولاً يطل على هضبة عالية ترتفع تدريجياً نحو الشمال وتواجه دفاعاتها الرئيسية الجبال في الشمال .

إن درجة الميل المتواضعة على السفوح الجنوبية تطلبت إقامة تحصينات أقوى على هذا الجناح الذي كانت تحميه ثمانية أبراج وحصون بارزة من أحجام مختلفة وتصميم مختلف . أما الجناح الشمالي فيتمتع بحماية طبيعية على سفح صخري شديد الانحدار ولم يكن يحميه سوى سور بسيط مضلع السطوح . بينما كُيّف الجناح الغربي مع الظروف الطبوغرافية وهو محمي بعدة أبراج قوية مثل الجناح الجنوبي .

(☆) وصفها أبو الفداء في كتاب تقويم البلدان باسم « الصبيبة » فقال :
بانياس : اسم لبلدة صغيرة ذات أشجار محمضات وغيرها وأنهار ، وهي على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة إلى الجنوب ، والصبيبة اسم لقلعتها وهي من الحصون المنيعة . قال العزيزي : ومدينة بانياس في لحف جبل الثلج وهو مطلّ عليها ، والثلج على رأسه كالغمامة لا يعدم منه صيفاً ولا شتاءً (م ٠ م) .



المخطط ٢ : قلعة صلاح الدين (صهيون)
Sahyun - الموقع والمخطط العام ، المقياس ١ / ٥٠٠٠ .

١ - بقايا قرية العصور الوسطى ، ٢ - قناة الماء ، ٣ - البوابة الرئيسية وأول سور عرضي بيزنطي ، ٤ - مستودع ضخم شيد فوقها فيما بعد ، ٥ و ٦ - بقايا السور العرضي البيزنطي الثاني ، ٧ - خزان ماء ، ٨ و ٩ - حمامات ومسجد ، يعود تاريخ الحمام إلى العهد العربي ، ١٠ و ١١ - السوران العرضيان البيزنطيان الثاني والثالث ، ١٢ - القليعة البيزنطية الداخلية ، ١٣ - كنيسة فرنجية صغيرة ، ١٤ - السور العرضي الجنوبي الغربي والقناة ، ١٥ - بوابات القلعة السفلية ، ١٦ - كنيسة ، ١٧ - الفناء السفلي فوق السور (بالاستناد إلى ماكتبه دوشامب ، المقال الأول ص ٨٠ وملاحظات المؤلف) .

ونظراً لوجود هذه القلعة على الحدود السورية الفلسطينية فقد كان هذا الموقع من ضمن المنطقة المحرمة منذ سنوات .

التاريخ :

١١٢٦ . أول معقل يحوزه الإسماعيلية وقد أخليت قلعة النمرود (صبيبة) من هذه الطائفة بعد أن اضطهدها ولاحقها أتابك دمشق فسلمت إلى الفرنجة .

١١٢٩ . احتل الملك بلدوين قلعة نمرود ومنحها اقطاعة لـ : رونييه بروس Renier Brus وورثته من بعده .

١١٣٢ . احتل القلعة تاج الملوك بوري حاكم دمشق[1] .

١١٣٩ . نتيجة نشوب صراع عربي داخلي بين حكام حلب ودمشق حوصرت قلعة النمرود وأخذت بقوات مشتركة فرنجية ودمشقية . وسلمت إلى الفرنجة .

١١٥٧ . نجح السلطان نور الدين أمير حلب بعد عدة محاولات في استعادة مدينة بانياس (بليناس) ولكن القلعة قاومت بشدة تحت قيادة أنفروي الثاني دو تورون Onfroy II of Toron نائب ملك القدس . وتم إصلاح التحصينات بعد أن رفع الحصار .

١١٦٤ . كرر نور الدين هجومه على القلعة في غياب أنفروي في حملة على مصر مع الملك أملريك ، وأجبرها على الاستسلام بعد حصار طويل لتصبح بيد العرب .

١١٧٤ . طوق جيش الفرنجة قلعة نمرود في عهد الملك أملريك الذي توفي أثناء الحصار . وظلت القلعة ضمن الأملاك العربية .

١٢١٩ . نظراً لنجاح الفرنجة في الحملة الصليبية الخامسة جردت القلعة من وسائل دفاعها على يد المعظم أمير دمشق لمنع الفرنجة من استخدامها كقاعدة لهجماتهم الخطيرة ضد دمشق .

١٢٢٦ - ١٢٣٠ . أعيد ترميم القلعة على يد عثمان . وتبع إعادة البناء المبدئية أعمال أخرى في العام ١٢٣٩ و ١٢٦٠ ثم أخيراً في عهد السلطان الملك الظاهر بيبرس .

فقدت القلعة أهميتها بعد العصور الوسطى وآلت تدريجياً إلى السقوط .

المراجع :

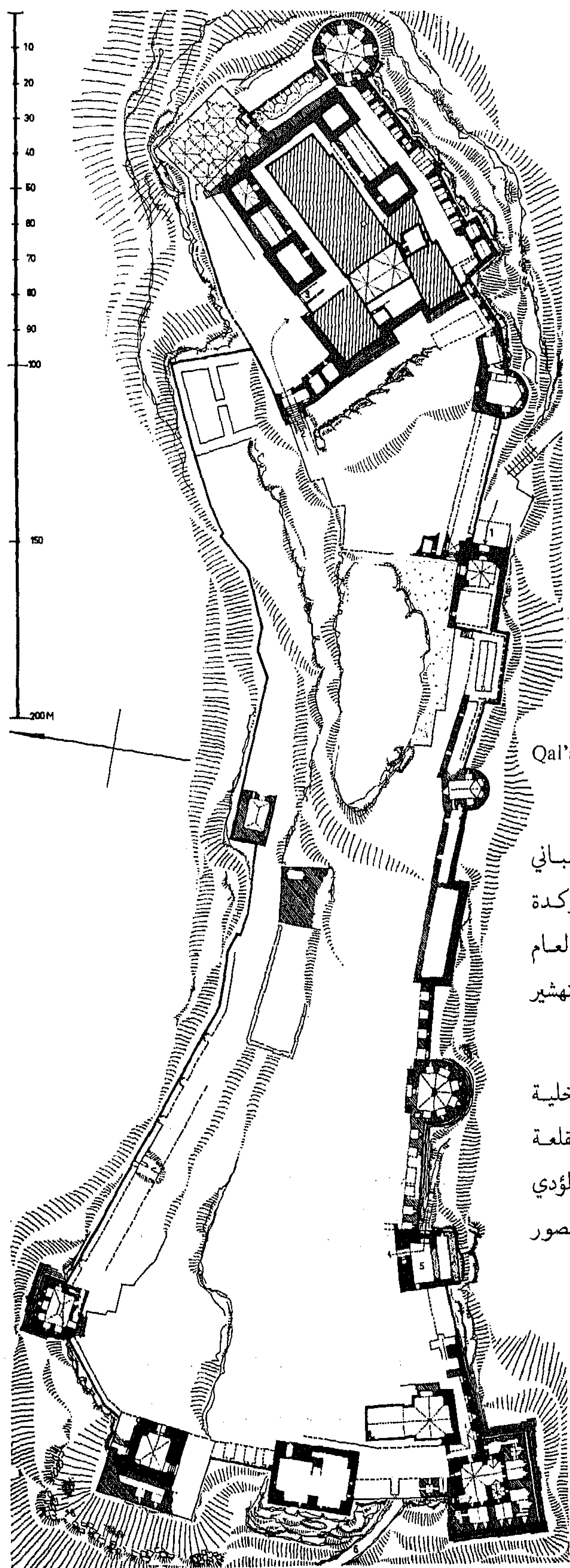
الموسوعة الإسلامية ، م ١ ، ص ٦٦٤ (بوهل) ، الموسوعة الإسلامية (٢) ١ ، ١٠٤٨ بانياس .

دوشامب ، القصور II ، ١٤٥ - ١٧٤ ، ويحتوي معطيات مرجعية كاملة .

م . فان . برشيم ، قلعة بانياس ووصفها في المجلة الآسيوية السنة الثامنة مجلد ١٢ ، ١٨٨٨ ، ٤٦٦ وما بعد .

Bibliography:
Enc. Isl. I, 664 (Buhl); *Enc. Isl. (2)I*, 1048, s. v. Bâniyâs; Deschamps, *Châteaux II*, 145–174, containing full bibliographical data;
M. van Berchem, *Le Château de Baniâs et ses inscriptions*', in: *Journ. Asiatique*, 8th Series, Vol. 12, 1888, 466 et seq.

(١) هو تاج الملوك بوري بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي ، كان أصغر أولاد أبيه (٥٥٦ - ٥٧٩ هـ) حاكم دمشق ، مات متأثراً بجراحه أثناء حصار صلاح الدين لمدينة حلب . (م . م) .



المخطط ٣ : قلعة نمرود (صبيبة ـ بانياس) Qal'at Subeibe-Paneas

المخطط العام للقلعة ، المقياس ٢٠٠٠ / ١ ، رسمت مباني الفترة الفرنجية (١١٢٩ ـ ١١٣٢) باللون الأسود ، وغير المؤكدة منها بالتهشير المتصالب ، بينما رسمت المنشآت العربية بعد العام ١١٦٤ بالتهشير الكثيف ، والمقطع الأفقي للتربة والصخر بالتهشير العريض .

١ ـ البوابة الخارجية الرئيسية ، ٢ ـ البوابة الداخلية المؤدية إلى القليعة ، ٣ ـ بوابة خاصة للقليعة ، ٤ ـ القلعة السفلية ، ٥ ـ بوابة جانبية للقلعة السفلية ، ٦ ـ الطريق المؤدي إلى القلعة حالياً (بالاستناد إلى معطيات دوشامب ، القصور II) .

قلعة الكرك(☆) AL - KERAK

اللوحات ٢٣ ـ ٢٧

بالعربية ـ الكرك

باليونانية : كراكموبا charachmoba ، بالفرنجية ـ اللاتينية : كراك دومونتريال Le Crac de Montréal أو بيترا ديزرتي Petra deserti ، سيڤيتاس بيتراسِنْسيس Civitas Petracensis .

الوصف :

مدينة وقلعة في جنوبي الأردن على بعد عشرة أميال تقريباً إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت ، تقع فوق رعن[1] صخري تنحدر سفوحه من الجانبين بشدة حتى وادي الكرك الذي ينشعب إلى وادي الست ووادي الفرنجة أسفل المدينة الحصينة تماماً ، وإلى الجنوب من المدينة مباشرة تنتصب القلعة ذاتها وتحميها من الهجوم من الاتجاه الوحيد الصالح من جهة الأرض المرتفعة المجاورة . ولقد شيدت القلعة فوق مصطبتين تفصلها عن المدينة قناة عميقة . كذلك كانت المدينة محاطة بسور يحف بها ويتماشى مع حواف الصخور ، ولكنها عريت منه في معظم الأماكن في الأزمنة المتأخرة .

تعود الدفاعات الموجودة بنسبة متساوية تقريباً إلى العهدين العربي والفرنجي . وتتميز المرحلتان عن بعضها بعضاً بنوع الحجارة المستخدمة والتي جيء بها من مقالع مختلفة .

التاريخ :

أوائل القرن الثاني عشر : كانت الكرك تحتل مكانة هامة لفترة طويلة من الزمن . استولى الفرنجة عليها أثناء حملاتهم الأولى في عهد الملك بلدوين الأول على الأرجح . وربما كانت تحصينات المدينة قد خضعت لتحسين في ذلك الحين .

١١٤٢ أمر الحاكم الإقطاعي بايان لوبوتييّه (Payen le Bouteiller Paganus Pincerna) بإدخال تحسينات إلى المدينة ودفاعاتها ، وبناء القلعة كجزء من خطة لتعزيز مواقع الفرنجة في شرقي الأردن ، وزيد في تقويتها في عهد خلفائه .

١١٧٠ حوصرت القلعة فترة قصيرة من قبل نور الدين صاحب دمشق لتأمين مرور قافلة منطلقة إلى مصر بالقرب منها . وكانت الكرك تحظى بأهمية استراتيجية معتبرة كمخفر متقدم على طريق المواصلات الرئيسي من الشمال إلى الجنوب . حاصرها صلاح الدين مرة أخرى لفترة قصيرة في العام ١١٧٣ .

١١٧٧ انتقلت القلعة والإقطاعية إلى رينو دي شاتيون (أرناط) Renault de Chatillon ، وكان رجلاً باسلاً ولكنه متهورٌ أحمق ، دفعت غاراته المتواصلة صلاح الدين إلى شن هجومه الشامل على مناطق الفرنجة .

(☆) جاء وصفها في كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء على النحو التالي :

وهو بلد مشهور وله حصن عالي المكان ، وهو أحد المعاقل بالشام التي لا ترام وعلى بعض مرحلة منه مؤتة ، وبها قبر جعفر الطيّار وأصحابه رضي الله عنهم ، وتحت الكرك وادٍ فيه حمام وبساتين كثيرة ، وفواكهها مفضّلة من المشمش والرمّان والكمثرى وغير ذلك ، وهو على أطراف الشام من جهة الحجاز ، وبين الكرك والشوبك نحو ثلاث مراحل (م . م)

(١) الرعن : أنف الجبل Spur

١١٨٣ - ١١٨٤ أول حصـار للكرك قطعـه وصول الملـك بلـدوين الرابع . انتهى الحصـار الثـاني بقيادة صلاح الدين إلى نتيجة مشابهـة في العـام ١١٨٤ بعد سبعة أسابيع .

١١٨٧ - ١١٨٨ لم تتخذ أية خطوات فورية ضد الكرك بعد هزيمة الفرنجة في حطين في العـام ١١٨٧ ، ولكن القلعة طوقت في السنـة التي تلت وأجبرت على الاستسلام في تشرين الثـاني ١١٨٨ بعـد حصـار استمر ثمانية أشهر . ومنح صلاح الدين هـذا المعقل الهـام إلى أخيه الملك العادل الذي قام بترميمه وتقوية دفاعاته ، ونظراً للشهرة التي حازتها القلعة بسبب مناعتهـا فقـد استخدمها صلاح الدين مقراً لحفظ خزائنه وأموالـه . وبعد وفاة الملك العادل ورث عنـه ابنـه الملـك المعظم محتويات خزينته هذه .

أوائـل القرن الثـالث عشر : لعبت الكرك دوراً هامـاً في المفـاوضـات التي دارت من أجل إعـادة القـدس ، لأن الفرنجـة كانـوا يعتقـدون أنهم لن يستطيعوا المحافظة على المدينة المقدسة بدونهـا . ورغم ذلـك فقـد ثُبتت الكرك ضمن الممتلكات العربيـة واعتُرف بها على هذا النحو عندما أعيـدت القـدس إلى الإمبراطور فريد ريك الثاني في العام ١٢١٩ .

١٢٦٤ قـام السلطـان بيبرس بتقـويـة القلعـة والدفاعات عن المدينة بعد أن استولى على الكرك من آخر الأمراء الأيوبيين . شيـد الحصن الشمالي من سور المدينة وحسنت قناة القلعة .

١٢٩٣ تسببت هـزة أرضيـة في أضرار فـادحـة تطلب إصـلاحهـا فترة استمرت حتى العـام ١٣٠٩ . وخلال هذه الفترة ظلت الكرك تحتفظ بأهمية خاصـة كمنفى وكقاعدة للانسحـاب كان يستخـدمهـا أعضـاء الأسر الحاكمة الخارجين عن الطاعة .

ورغم بقـائهـا كمركـز إداري حتى نهـايـة العهـد المملوكي فقد فقـدت الكرك أهميتهـا كليـة بعـد الفتح العثماني لسورية . ولم تتعر من دفـاعـاتهـا ، التي كانت في حالة سلمية حوالي العام ١٨٧٠ ، حتى نهـايـة القرن التاسع عشر .

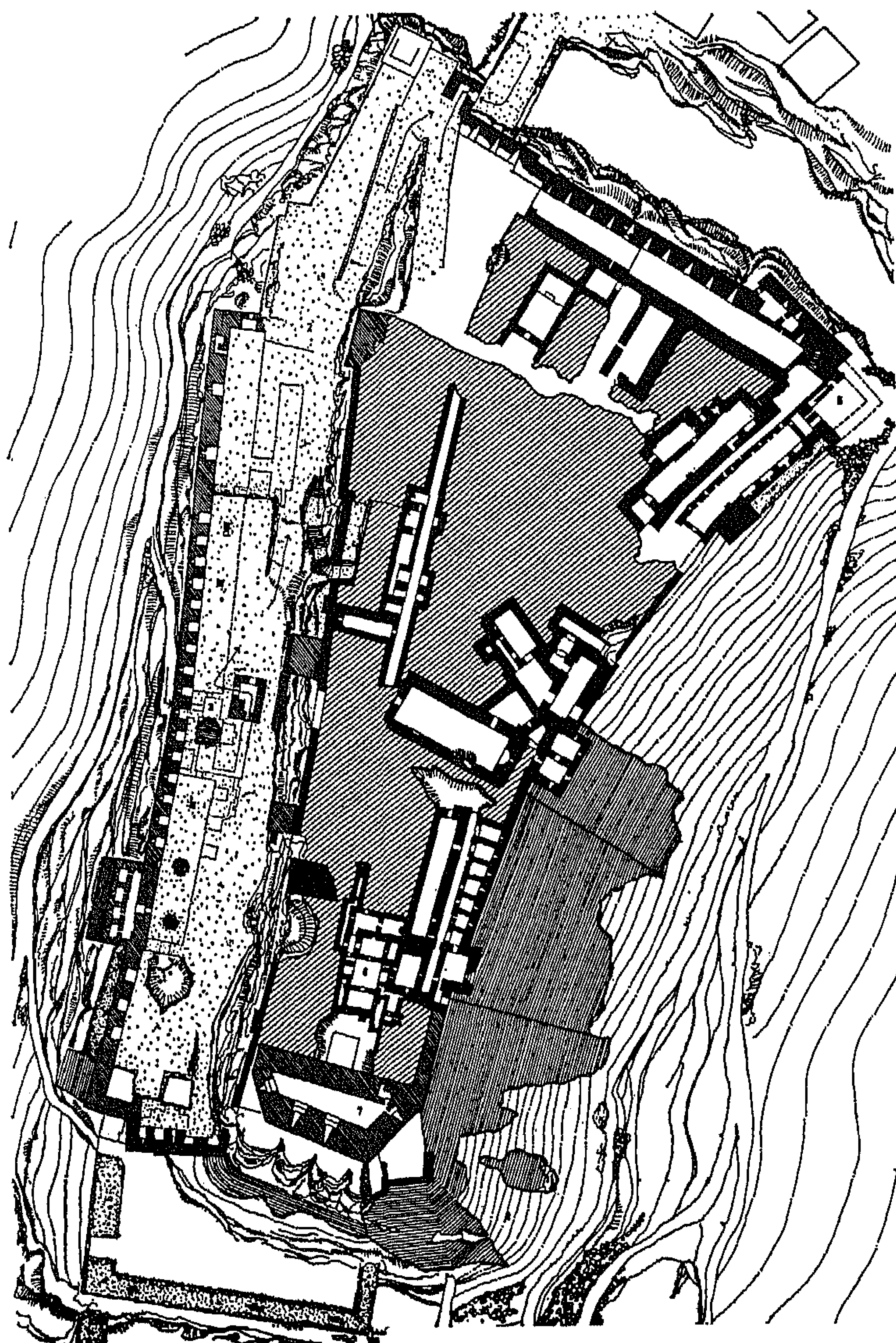
المراجع :

الموسوعة الإسلاميـة ، ١١ ، ٩٠٥ - ٩٠٦ (ف ر . بوهـل ١٩٢٧) .

ب . ديشـامب ، القصـور II ، ٥٣ - ٩٨ مـع معطيـات مرجعية كثيرة .

آ . موسيـل ، أرابيـا بيترايـا (البتراء العربيـة) (فيينـا ١٩٠٧) مجلد ١ : موآب ، ٤٥ - ٦٢ مع مخطط .

Bibliography:
Enc. Isl. II, 905–6 (Fr. Buhl 1927);
P. Deschamps, *Châteaux II*, 35–98, with extensive bibliographical data;
A. Musil, *Arabia Petraea* (Vienna 1907) Vol. I: Moab, 45–62, with plan.



المخطط ٤ : الكرك AL KARAK

مخطـط أرضي للقلعـة العلـويـة والسفليـة مقيـاس ١ / ٢٠٠٠ .

يبين المخطـط المبنى والأراضي التـابعـة لـه التي تقـع تحت مستوى الأرض من القلعة العلوية ، كذلك نفـذت القلعـة السفلى على مستوى الأرض لكشف الغرف تحت الأرضية التي أشير إليهـا بـالرسم المنقـط . وأشير إلى طوري البنـاء الفرنجي الأول والثـاني (١١٤٢ ـ ١١٨٨) باللون الأسود والتهشير المتقـاطع ، كما أشير إلى الفترة العربية (بعـد العـام ١١٨٨) بـالتهشير المكثف بينمـا رسمت الأبنيـة التحتيـة المطمـورة تحت التراب والصخر بـالتهشير العريض .

١ ـ البوابة الرئيسية الحديثة ، ٢ ـ القلعـة السفليـة ، ٣ ـ البوابة السفلية ، ٤ ـ السور الخارجي للقلعة السفليـة ، ٥ ـ البرج الزاوي الشمالي الشرقي (خرب) ، ٦ ـ المباني التابعـة للقصر ، ٧ ـ برج محصن ، ٨ ـ جدار حاجز (ساتر) .

بغراس(☆) BAĞRAS (بايراس)

اللوحات ٢٨ ـ ٣١

باليونانية باغراي ، بالفرنجية باغاراس أو (وهو الأغلب) غاستون Gastun وغاستين Gastin وغواستون Guaston وغير ذلك ، بالتركية بايراس Bağras .

الوصف :

قلعة وقرية صغيرة في لواء الإسكندرون تقع بين الشعاب الشرقية للسلسلة الجبلية التي تكون قيزيل ضاي والأمانوس . وهي مثل حصن الحصار الذي يسيطر على شعب بيلان نفسه ، كانت تشكل مفتاح الطريق الواصل بين أنطاكية ـ الإسكندرون ـ قليقية . والقلعة التي ماتزال محفوظة في حالة جيدة إلى حد ما ، تطل على واد جبلي فوق مخروط صخري ينحدر بشدة من جميع الجهات . ولقد شيدت القلعة على عدة مستويات بسبب شدة انحدار السفوح الصخرية ، وترتبط بعضها ببعض بممرات وسلالم . وهي على هذا النحو تتماشى مع الأرض المحيطة بها ، ويذكرنا تصميمها المتضام بالقلاع الأرمنية في قليقية . وبغض النظر عن الغرف العديدة ذات العقود وممراتها الكثيرة المبنية داخل المنحدرات فإن ماحفظ من القلعة العلوية لا يزيد عن بقايا قاعتين ضخمتين . وعند أقدام القلعة توجد قناة جر مائية ضخمة كانت تستخدم أيضاً لإغلاق القسم العلوي من الوادي .

التاريخ :

١٠٩٧ . من المرجح أن البيزنطيين هم من شيدوا القلعة في القرن العاشر ، واحتلها الصليبيون على الأغلب أثناء حصار أنطاكية .

١١٠٨ . اعتبرت بغراس من ممتلكات أنطاكية بموجب معاهدة دورازو Durazzo .

١١٥٣ . انتقلت القلعة إلى حوزة الفرسان الداوية ، ومن المعتقد أنهم أجروا تحسينات على دفاعاتها في هذه الفترة . وكانت تلعب دوراً هاماً في النزاعات بين الفرنجة والأرمن وبين الإمارات العربية المحلية كذلك .

١١٨٨ . حاصر صلاح الدين القلعة في هذا العام واستولى عليها ، ثم هجرها وخربها عندما سمع بأخبار قدوم الإمبراطور فريدريك الأول (بربروسا) .

١١٩١ . سبق الأرمن الأنطاكيين في احتلال القلعة وأعدوها للدفاع زارعين بذلك بذور نزاعات طويلة نشبت مابين الطرفين .

١٢٦٨ . من المرجح أن القلعة هجرت بعد سقوط أنطاكية وشغلها السلطان بيبرس . واستعادت أهميتها حتى الاحتلال العثماني لسورية .

(☆) جاء وصفها في كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء على النحو التالي :

وهي ذات قلعة مرتفعة ، ولها أعين ووادٍ وبساتين . قال ابن حوقل : وبغراس على طريق الثغور ، وكان بها دار ضيافة لزبيدة . قال في العزيزي : وبغراس بينها وبين أنطاكية اثنا عشر ميلاً ، وبينها وبين إسكندرونة أيضاً اثنا عشر ميلاً ، وهي في الجبل المطلّ على عمق حارم ، وحارم في جهة الشرق عنها ، وبينهما نحو مرحلتين ، وبغراس في جهة الجنوب عن دربساك ، وبينهما بعض مرحلة .

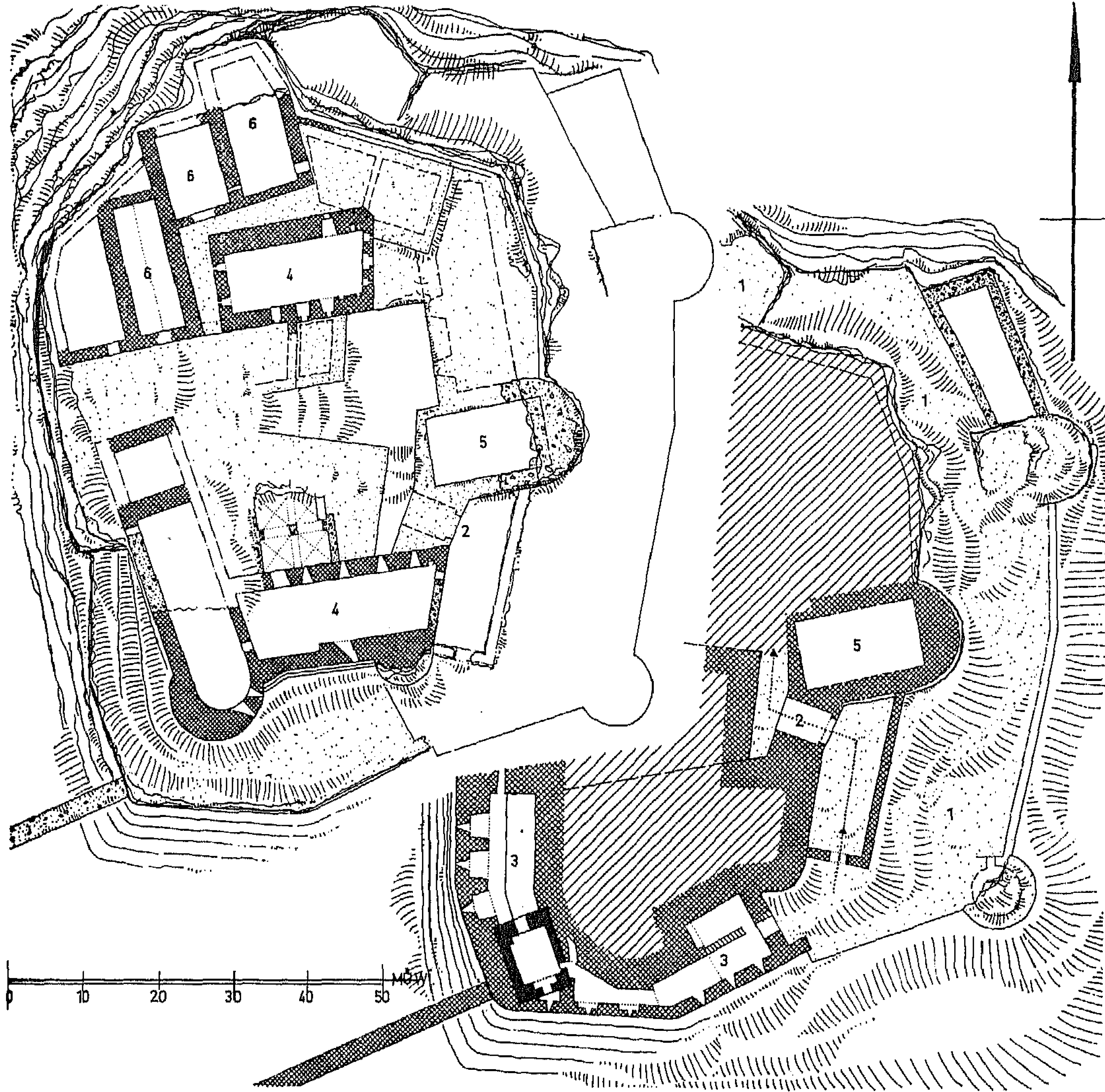
المراجع :

الموسوعة الإسلامية ، ١ ، ٥٩٣ (ر . هارتمان ١٩١٣) ،
الموسوعة الإسلامية (٢) ١ ص ٩٣٧ (سي ل . كاهن ١٩٦٠) .

سي ل . كاهن ـ سورية الشمالية في عصر الصليبيين ، باريز ، ١٩٤٠ .

الدليل الأزرق ـ تركية ، باريز ١٩٥٨ ، ٤٦٥ .

Bibliography:
Enc. Isl. I, 593 (R. Hartmann 1913); *Enc. Isl.* (2)I, 937 (Cl. Cahen 1960);
Cl. Cahen, *La Syrie du Nord à l'époque des Croisades,* Paris 1940, pass.;
Guide Bleu: Turquie, Paris 1958, 465.



المخطط ٥ :

بغراس Bagras مخطط أرضي للقلعة ، مقياس ١٠٠٠ / ١ .

آ ـ القلعة السفلية والأرضية السفلية للقلعة العليا .

ب ـ الأرضية العلوية للقلعة العلوية (مباني الأرضية السفلية مبنية بالرسم المنقط) مع مباني الطور الأول (البيزنطي) وهي مرسومة بالخط الأسود ، بينما رسم القسم الذي يعود تاريخه إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر بالتهشير الكثيف .

١ ـ القلعة السفلى ، ٢ ـ ساحة أمامية وحصن الحرس (حصن البوابة) ، ٣ ـ الشرفة السفلى ، ٤ ـ مباني القصر ، ٥ ـ البرج الكبير ، ٦ ـ غرف المستودعات .

(بالاستناد إلى استطلاع المؤلف) .

AKKAR عكار

اللوحة ٣٢

بالعربية حصن عكار العتيقة ، بالفرنجية أكّار Akkar .

الوصف :

قلعة صغيرة مخربة في شمالي لبنان (٢٥ ميلاً تقريباً إلى الشمال الشرقي من طرابلس) تربض فوق جرف جبلي على السفوح الشمالية لجبل عكار . وهي جزء من دفاعات الحدود الشمالية لأمارة طرابلس وكانت على اتصال بالنظر مع القصر الأبيض (صافيتا) Chastel Blanc وقلعة الحصن Krak de Chevaliers . كان موقعها اللامتناظر محمياً من الجهة التي تواجه الجبال ببرج محصن قوي مع قناة ماء عميقة . لم تبق من السور الخارجي سوى بقايا متناثرة من بينها برجان .

التاريخ :

١٠٩٤ . كانت في الأصل مقراً لعائلة ما ثم تملكها الفاطميون ، وبعد ذلك أصبحت القلعة مقراً للقضاء السلجوقي . في العام ١١٠٩ وبعد الاستيلاء على طرابلس استولى الفرنجة كذلك على عكار وكانت تتبع أتابكة دمشق السلجوقيين .

١١٦٠ - ١١٧٠ . حرر نور الدين أتابك حلب عكار لفترة قصيرة ولكنها عادت في العام ١١٧٠ إلى يد الفرنجة ، ومنحها الملك أملريك إلى الأسبتارية بوصية أكدها ريموند الثالث أمير طرابلس بعد أن تحرر من الأسر . بعد ذلك انتقلت القلعة إلى حكام (نيفين Nephin) (أنفة حالياً Enfé)[1] .

١٢٧١ . في ٢٩ أيار استسلمت عكار بعد حصار أقامه جيش الملك الظاهر بيبرس لمدة شهر تقريباً لأن السلطان نجح في جلب مجانيق يرمي[2] بها القلعة ، وسمح للحامية بالانسحاب إلى طرابلس .

أواخر القرن الثالث عشر : رممت القلعة تحت حكم العرب وظلت تستخدم حتى دمرها أمير الدروز فخر الدين « المعني » (١٥٩٥ - ١٦٣٤) .

المراجع :

داسود - دوشامب - سيريغ ، سورية في القديم وأثناء العصور الوسطى ... باريز ١٩٣١ ، ١٤٦ - ١٤٧ .

م . فان برشيم - م . سوبرنهايم ، مواد الوثائق المكتوبة بالعربية مجلد ٢ . (سورية الشمالية) القاهرة ١٩٠٩ ، ٢ - ١٤ (ميغاو ٢٥) .

الدليل الأزرق - الشرق الأوسط ، باريز ١٩٥٦ ، ١١٠ ومابعد .

Bibliography:

Dussaud-Deschamps-Seyrig, *La Syrie antique et médiévale...* Paris 1931, 146–7;

M. van Berchem – M. Sobernheim, *Matériaux pour un Corpus Inscr. Arabicarum*, Vol. II, 1 *(Syrie du Nord)*, Cairo 1909, 2–14 (MIFAO 25);

Guide Bleu: Moyen Orient, Paris 1956, 110 et seq.

(١) تقع أنفة جنوبي طرابلس في وسط الطريق بينها وبين البترون .

(٢) قال ابن عبد الظاهر في كتابه الروض العاطر في سيرة الملك الظاهر : ٣٧٩ - ٣٨٠ : « ولما سهل الله فتح حصن الأكراد نازله السلطان في يوم الأربعاء سابع عشر رمضان ، ورتب طلوع المنجنيقات ، وركب بنفسه على الأخشاب فوق العجل في تلك الجبال إلى أن وصلها إلى مكان نصبت به ، وطلب الحجارين وعمل بيده ، ومهد الطرقات وحضرها ، وشرع في نصب المجانيق الكبار في العشرين منه » .

طرطوس(☆) TARTUS

اللوحات ٣٢ ـ ٣٥

بالعربية طرطوس (وقديماً أنطرطوس) .

بالفرنجية تورتوزا Tortosa ، تورتوس Tortouse إلخ .. نسبة إلى اسمها القديم أنطرسوس Antarsus وأنتاردوس Antardus .

الوصف :

ميناء بحري من العصور الوسطى ، ومحطة للحجيج يشغل موقع المستوطنة الكبيرة القديمة على الساحل السوري . كان للمدينة الصغيرة سور يحيط بها تحرسه أسوار مع قليعة قوية في الزاوية الشمالية الغربية . وثمة خنادق وأسوار خارجية تحيط بالسور الداخلي مقواة بأبراج مستطيلة . تتاخم « القاعة الكبيرة » Great Hall القسم الداخلي من جهة الشمال ، وتنتشر حول الجوانب الأخرى أحياء سكنية بسيطة مع حوانيت على شكل ممرات متطاولة ذات عقود . وإلى جوار البحر مباشرة ينتصب برج محصن قوي ماتزال بعض الآثار من أساساته موجودة .

توجد في الحي السكني كنيسة القديسة ماريا Church of ST Mary التي رممت حديثاً ، وكانت قد شيدت في الأصل مابين العام ١١٢٣ وبداية القرن الثالث عشر ، وكانت كاتدرائية وكنيسة حجيج هامة خلال العهد الفرنجي .

التاريخ :

١٠٩٩ . شغلها البيزنطيون مؤقتاً خلال القرن العاشر ، ثم استولى عليها الصليبيون في طريقهم إلى القدس ، ولكنها استردت غب انسحابهم على يد أمير طرابلس العربي .

١١٠٢ . حاصر طرطوس ريموند صنجيل واستولى عليها بمساعدة الأسطول الجنوي . اتخذها ريموند مقراً له حتى استولى على طرابلس .

١١٥٢ . استعاد نور الدين أتابك حلب المدينة لمدة قصيرة ، واستولى عليها بعد ذلك الملك بلدوين الثالث ، ومنحها إلى الداوية (١١٥٢ ـ ١١٥٨) الذين أسسوا فيها مقر قيادتهم الرئيسي وأعادوا بناء المرفأ والتحصينات بالكامل .

١١٨٨ . احتل صلاح الدين المدينة وأجزاء من قلعة الداوية أثناء حملته في شمال سورية ، رغم أن فرسان الداوية رتبوا أمورهم على مقاومة الهجوم العربي في برج واحد قوي . خرب صلاح الدين المدينة تخريباً شديداً ومعها كنيسة القديسة ماريا التي كانت قيد الإنشاء منذ ١١٢٣ والتحصينات . بوشر في تحسين المنشآت الدفاعية على الفور وتوبع العمل في الكاتدرائية .

١٢٧٦ . حررت طرطوس بعد حصار قصير ، وفر الفرسان الداوية إلى قبرص عن طريق البحر واصطحبوا معهم صورة العذراء مريم من الكاتدرائية .

(☆) وصفها أبو الفداء في كتابه تقويم البلدان فقال :

أنطرطوس : وهو حصن على بحر الروم ، وهو ثغر لأهل حمص ، وكان به مصحف عثمان رضي الله عنه ، قال في اللباب : هي بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء وسكون الراء المهملتين وضمّ الطاء الثانية ثم واو وفي آخرها سين مهملة . وفتحها المسلمون وخربوا أسوارها وهي آهلة (م . م) .

١٣٠٠ ـ ١٣٠٢ . ظل فرسان الداوية يحتلون جزيرة أرواد القريبة على الساحل ولكنهم طردوا منها عام ١٣٠٢ على يد السلطان الناصر محمد .

١٣٦٧ ـ ١٣٦٩ . بقيادة الملك بطرس الأول شنت وحدات من الأسطول القبرصي هجمات فاشلة على المدينة وعلى جزيرة أرواد .

١٥١٨ . مجموعة أخرى من فرسان الفرنجة نزلت في أرواد ، ولكنها سرعان ماطردت منها . لم يكن للمدينة أي دور رئيسي في أواخر العصور الوسطى أو العصر الحديث ، وفي الوقت الحاضر أخذت دور السكن تنتشر بين مباني القلعة التي مازالت أجزاء منها باقية حتى الآن .

المراجع :

راي ، العمارة العسكرية ، ص ٦٩ ومايليها ، ٢١١ ومايليها و ص ٨ .

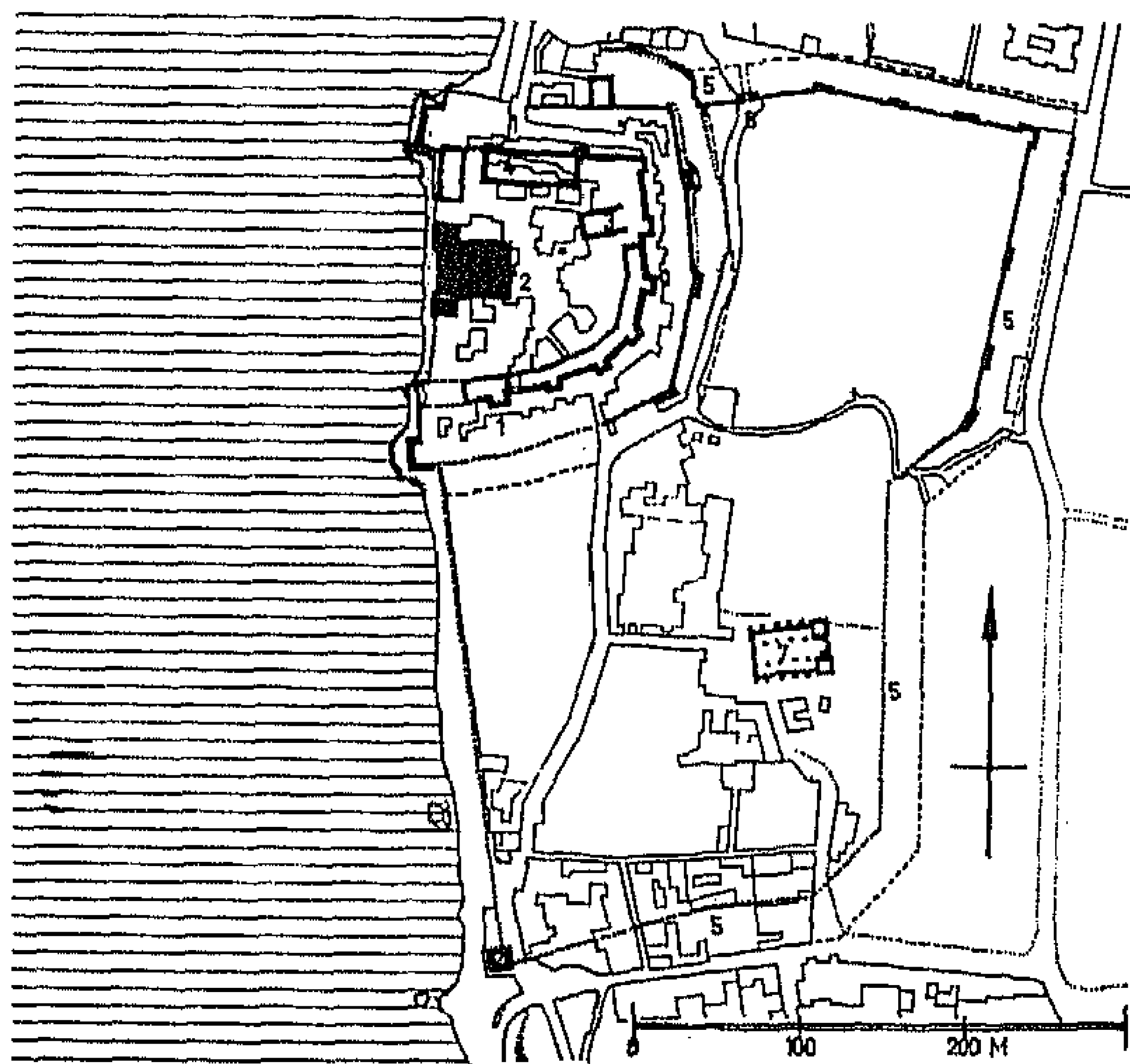
ف . بيرشيم ـ فاتيو ـ الرحلة I ، ٣٢٠ ـ ٣٣٤ .

انلارت ـ الصروح التذكارية ١١ ، ٣٩٥ ـ ٤٣٠ .

الموسوعة الإسلامية م ٤ ، ٧٣٦ ـ ٧٣٧ (ي . هونيغمان ١٩٣٤) .

جان ريتشارد ، كونتية طرابلس في عهد السلالة الطولوزية (١١٠٢ ـ ١١٨٧) باريز ١٩٤٥ .

Bibliography:
Rey, *Arch. Militaire,* 69 et seq., 211 et seq., and Pl. 8;
v. Berchem – Fatio, *Voyage I,* 320–334;
Enlart, *Monuments II,* 395–430;
Enc. Isl. IV, 736–7 (E. Honigmann 1934);
Jean Richard, *Le Comté de Tripoli sous la dynastie Toulousaine (1102–1187),* Paris 1945, pass.



مخطط ٦ ـ طرطوس Tartus

مخطط المدينة ، المقياس ١ / ١٠٠٠٠ (الخطوط المنقطة تمثل مقاطع السور التي لم تعد موجودة) .

١ ـ فناء أمامي لقلعة الداوية ، ٢ ـ برج محصن ، ٣ ـ كنيسة متصدعة ، ٤ ـ القاعة الكبرى Chapter house ، ٥ ـ سور المدينة (مخرب جزئياً) ، ٦ ـ بوابة المدينة ، ٧ ـ كاتدرائية القديسة ماريا (بالاستناد إلى دوشامب ، القصور ١ ، ٦٠) .

صافيتا SAFITA (القصر الأبيض)

اللوحات ٣٦ ـ ٣٩

بالعربية صافيتا Safita وصافيثا Safitha وبرج صافيتا Burǧ as-Safîtâ إلخ ...
بالفرنجية القصر الأبيض chastel Blanc .

الوصف :

بلدة صغيرة وقلعة في عمق المنطقة الساحلية من سورية ، تقع على ارتفاع ١٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وتربض فوق هضبة مستديرة صخرية في الشعاب الجنوبية لجبال النصيرية ، وهو موقع جيد يضمن الاتصال بالنظر مع جميع القلاع المجاورة تقريباً .

تقع الدفاعات الخارجية ذات الشكل شبه البيضوي والتي بنيت بكاملها في الأزمنة الحديثة ، تحت برج محصن ضخم يسيطر عليها أبعاده ١٠٠ × ٦٠ قدماً . وتوجد في طابقه الأرضي كنيسة ، يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر ، تعلوها قاعة من جناحين .

التاريخ :

١١٦٦ ـ ١١٦٧ . إن التاريخ القديم للموقع غامض . وورد ذكر القلعة لأول مرة عندما احتلها أتابك حلب نور الدين ، ولكن لابد وأن يكون الفرنجة قد قاموا بعمل ما فيها في تاريخ سابق ، سرعان مااسترد الفرنجة صافيتا ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى عهدة فرسان الداوية الذين جددوا القلعة بعد الهزة الأرضية التي حدثت عام ١١٧٠ .

١١٧١ . تسبب هجوم آخر شنه نور الدين في تخريبها مجددا .

١١٨٨ . قاومت القلعة ـ التي خضعت لإعادة بناء مكثفة بلا شك ـ حصار السلطان صلاح الدين بنجاح خلال اكتساحه المظفر لشمالي سورية .

١٢٠٢ . تجديد القلعة بعد هزة أرضية أخرى . ويرجح أن يكون البرج المحصن في هيئته الحالية عائداً إلى تلك الحقبة .

١٢١٨ . شن الملك الأشرف سلطان حلب هجوماً مضللاً على القلعة لإرهاق مؤخرات الجيش الصليبي الخامس الذي كان في تلك اللحظة يحاصر دمياط .

١٢٧١ . سقطت القلعة في يد العرب بعد أن حاصرها السلطان بيبرس بجيشه فترة قصيرة وانطلق منها لمحاصرة قلعة الحصن .

كانت القلعة ماتزال في حالة جيدة في نهاية القرن التاسع عشر ، ولكنها درست في معظمها وشيدت فوقها أبنية أخرى في مجرى توسع المدينة الصغيرة .

المراجع :

راي ، العمارة العسكرية ، ٨٥ ـ ٩٢ ، ومخطط ٩ .
أنلارت ، الصروح التذكارية II ٨٩ ـ ٩٣ .
دوشامب ، القصور I ، ٣١ ، ٨٥ ، ٩٤ ومايليها ، ١٠٦ ومايليها ، ١٢٠ ومايليها .

Bibliography:
Rey, Arch. Militaire, 85-92 and Pl. 9;
Enlart, *Monuments II*, 89–93;
Deschamps, *Châteaux I*, 31, 85, 94 et seq., 106 et seq., 120 et seq.

قلعة يحمور QAL'AT YAHMOR

اللوحات ٤٠ ـ ٤١

بالعربية قلعة يحمور .

بالفرنجية القصر الأحمر Chastel Rouge

الوصف :

القلعة والقرية في المنطقة الساحلية من سورية ، تقع في أقصى الرعن الجنوبي لجبال النصيرية . كانت في الأصل جزءاً من خط دفاعي متناسق ، وهي على اتصال بالنظر مع طرطوس في الشمال وعُريْمة في الجنوب . وهي تتألف من برج محصن قوي يحيط به سور مستطيل واحد .

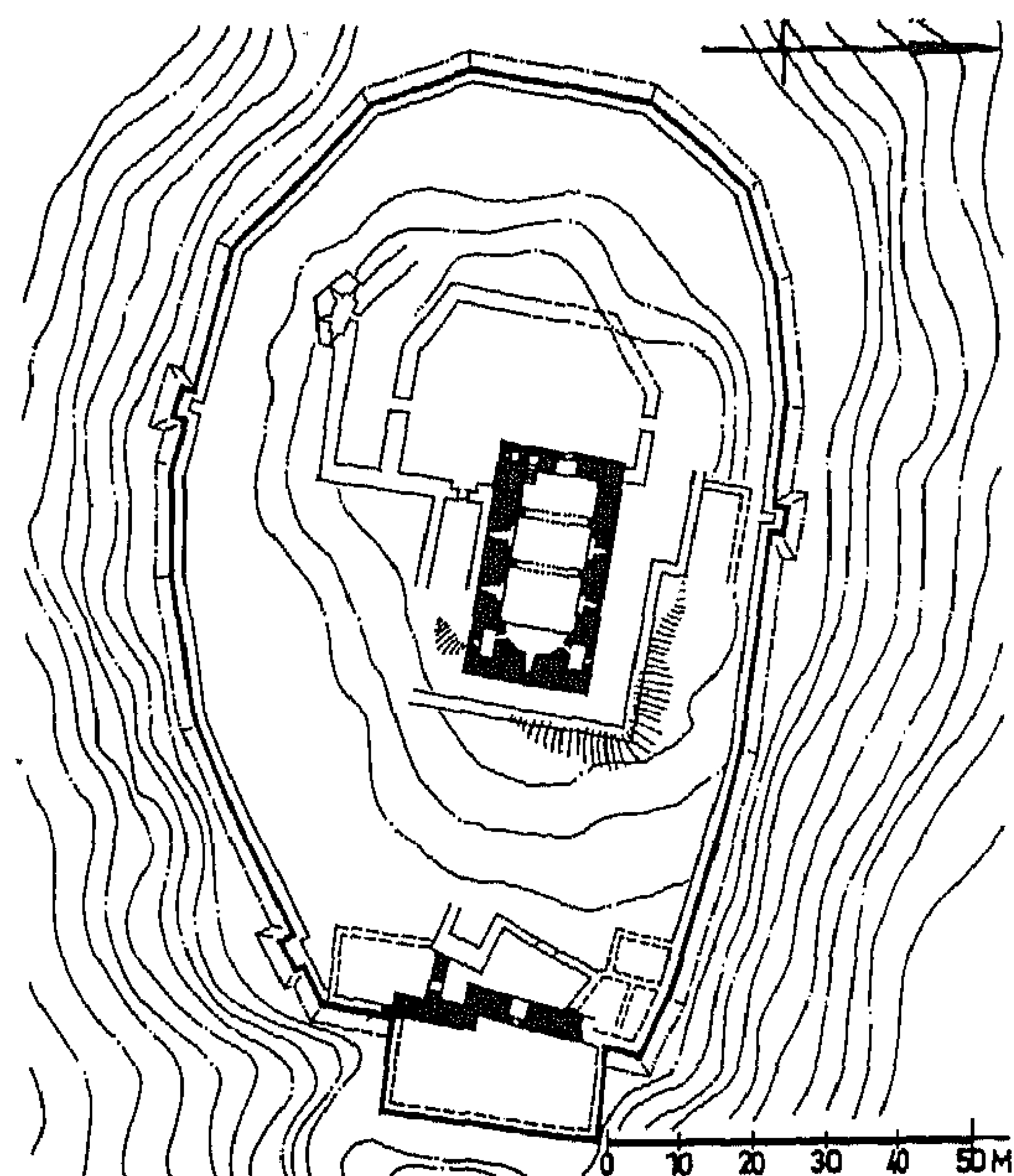
التاريخ :

دلت الحفريات على أن الموقع كان مأهولاً في الأزمنة الغابرة . ولم تحتل مكانة هامة في أية حقبة إطلاقاً ، والمعلومات المتوفرة عن القلعة مبهمة للغاية .

أوائل القرن الثاني عشر : استولى فرنجة أنطاكية على المكان في وقت ما غير محدد . وامتلكه كونتات طرابلس عن طريق المصاهرة في العام ١١١٢ ، رغم أنه حصن قبل ذلك الوقت على الأرجح .

١١٧٧ ـ ١١٧٨ أهدى ريموند الثالث أمير طرابلس القلعة إلى الأسبتارية ، بعد أن عوض على شاغليها السابقين ـ عائلة مونتوليو Montolieu family ـ بإقطاعة من الأراضي في مكان آخر .

١٢٨٩ استرد جيش السلطان قلاوون القلعة . تبدل شكل القلعة قليلاً في العهد العربي بإضافة برجين زاويين إلى السور الخارجي .



المخطط ٧ ـ صافيتا ـ القصر الأبيض Safita- Chastel Blanc .

مخطط أرضي ، المقياس ٢٠٠٠ / ١ يبين ظروف القلعة في حوالي منتصف القرن التاسع عشر . (بالاستناد إلى راي : العمارة العسكرية مخطط ٩) .

المراجع :

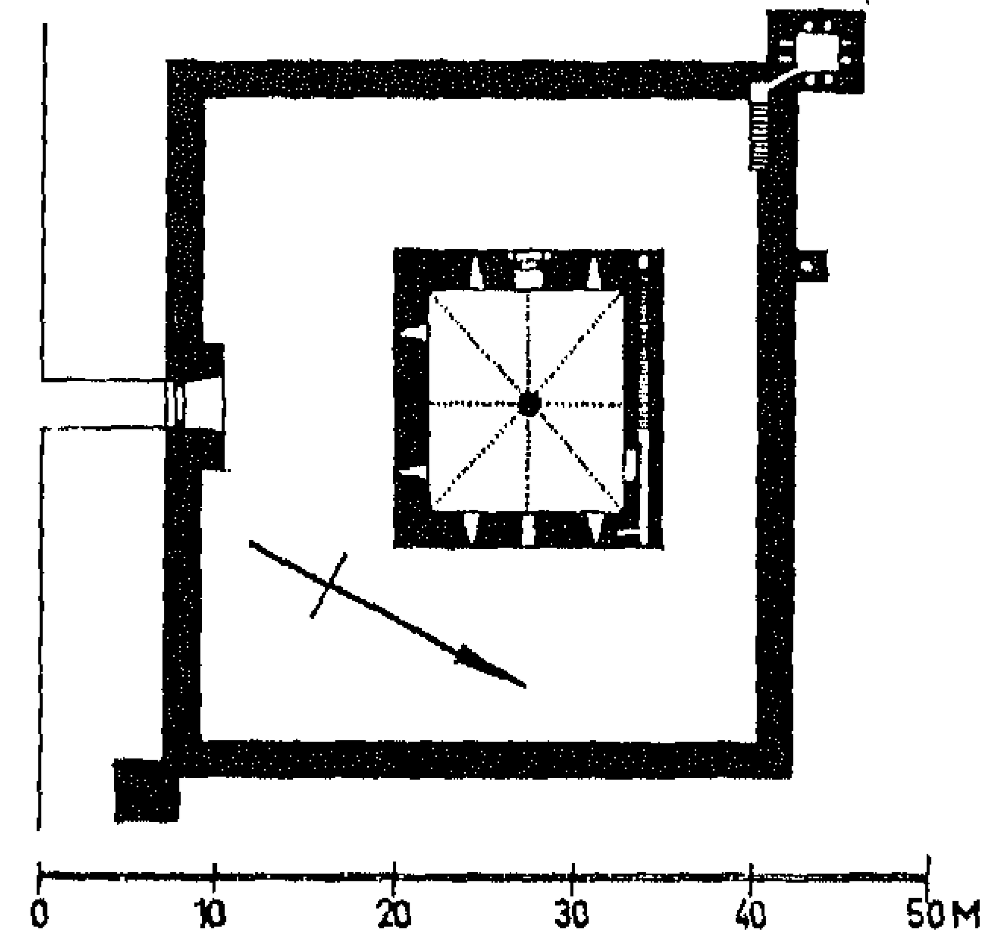
دوشامب ، القصور I ، ٥٦ وما يليها ، ١٠٦ وما يليها .

ج . ريتشارد ، كونتية طرابلس في عهد السلالة الطولوزية (١١٠٢ ـ ١١٨٧) باريز ١٩٤٥ .

Bibliography:

Deschamps, *Châteaux I*, 56 et seq., 106 et seq.;

J. Richard, *Le Comté de Tripoli sous la Dynastie Toulousaine (1102–1187)*, Paris 1945, pass.



مخطط ٨ ـ قلعة يحمور ـ القصر الأحمر Qal'at Yahmour- Chastel Rouge

مخطط أرضي للقلعة ، المقياس ١ / ١٠٠٠ (بالاستناد إلى دوشامب ، القصور ١ ، ٥٧) .

عُرَيْمة ARIMA

اللوحات ٤٢ ـ ٤٣

بالعربية أرايمة وعُرَيْمة Oraimah وقلعة عَريمة .

بالفرنجية أريما Arima وأُرَيْمه Oraima وآريما Areima ألخ ...

الوصف :

قلعة متهدمة في المنطقة الساحلية الجنوبية من سورية ، تربض فوق جرف يتاخم السهل العريض الذي يجتازه النهر الكبير ، وتتحكم في مدخل وادي نهر الأبرش ، كانت فيما مضى تشكل جزءاً من منظومة تحصينات تمتد من طرابلس وحتى طرطوس .

شيدت هذه القلعة فوق موقع لمستوطنة سابقة ، وهي تتألف من قسمين : قلعة سفلية فسيحة يحيط بها سور خارجي واحد ويقسمها جدار قائم عرضي من وسطها تقريباً ، وقلعة علوية أشد تحصيناً إلى الشمال من الأولى ، يفصلها عن باقي أرباضها قناة عميقة . وبالقرب من مركز القلعة العلوية تنتصب قليعة ـ قصر ـ مستطيلة الشكل ذات أبراج زاوية محاطة بفناء أمامي مسور بسيط الشكل وتتماشى مع شكل الأرض . والقلعة متداعية بكاملها إلا أن دراستها التفصيلية ممكنة رغم ذلك .

التاريخ :

١١٤٩ إن التاريخ القديم للموقع غير معروف . وأول ذكر للقلعة مرتبط بانتقالها من يد مالكيها الطرابلسيين إلى الكونت برتران دو تولوز Bertrand de Toulouse ، ثم أعيدت بعد ذلك إلى طرابلس وامتلكها الداوية بالتالي .

١١٦٦ ـ ١١٦٧ احتل نور الدين عريمة ، ولكن يبدو أن الفرنجة استردوها بعد ذلك بقليل ، لأن المصادر العربية تشير إلى أنها كانت في يد الفرنجة أثناء الهزة الأرضية الشديدة عام ١١٧٠ .

١١٧١ يلحق نور الدين أضراراً شديدة بالقلعة مرة أخرى .

ما يزال تاريخ عريمة التالي مبهماً ، ومن المرجح أنها بقيت في يد الداوية حتى نهاية الوجود الفرنجي في المنطقة .

المراجع :

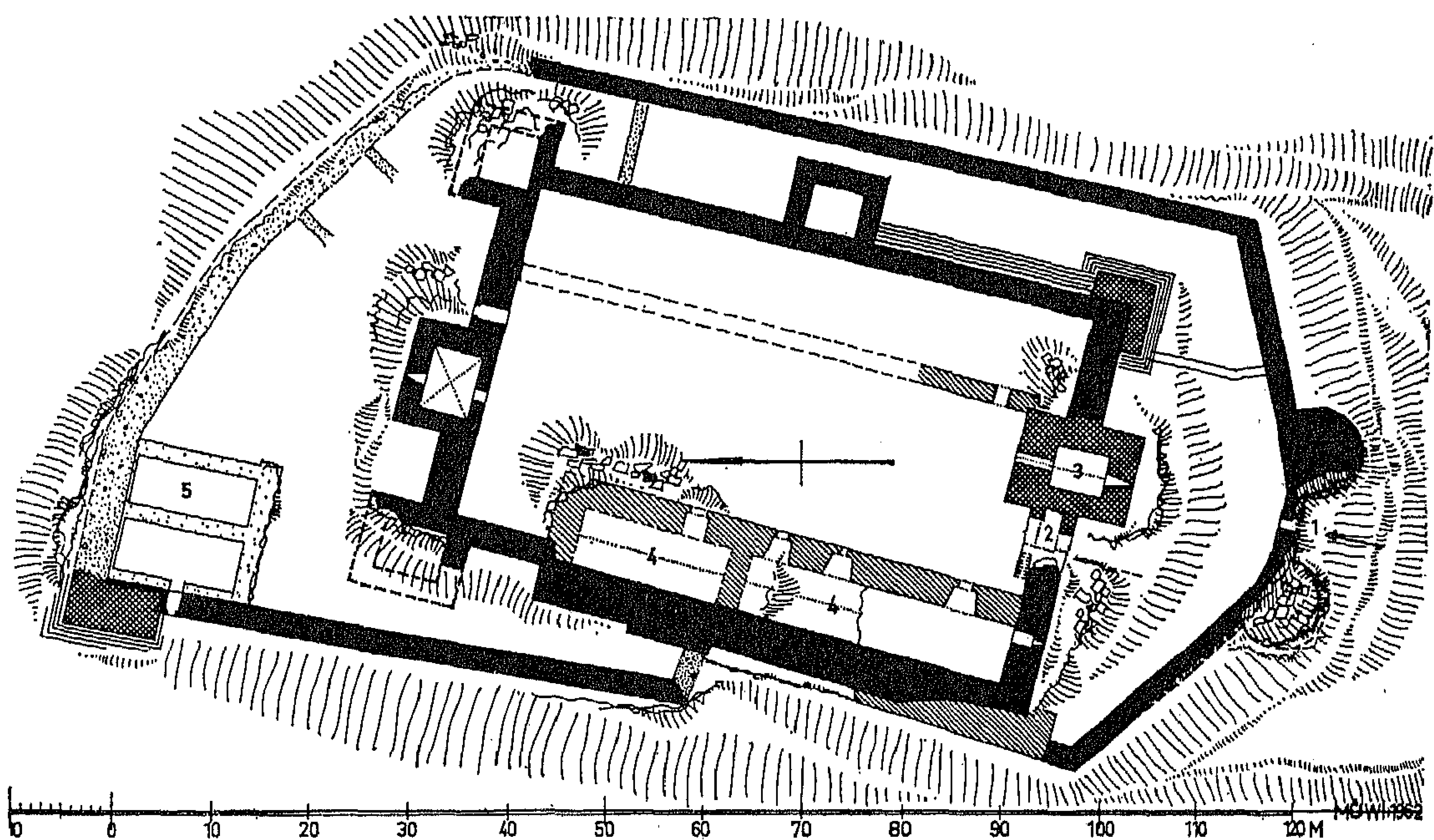
دو شامب ، القصور I ، ٤٩ وما يليها ، ٨٥ و ١٠٧ و ١٢٠ وما يليها .

الدليل الأزرق : الشرق الأوسط ، باريز ١٩٦٥ ص ٣٣٧ .

Bibliography:

Deschamps, *Châteaux I*, 49 et seq., 85, 107, 120 et seq.;

Guide Bleu: Moyen-Orient, Paris 1965, 337.



المخطط ٩ ـ عريمة Arima

مخطط أرضي للقلعة العليا والقليعة ـ القصر الداخلية ، المقياس ١ / ١٠٠٠ تدل المناطق السوداء وذات التهشير المتقاطع والتهشير العادي إلى أطوار البناء المختلفة (غير معروفة التاريخ) .

١ ـ البوابة الخارجية ، ٢ ـ البوابة الرئيسية للقصر الداخلي ، ٣ ـ برج محصن صغير ، ٤ ـ قاعة من جناح واحد ذات سقف أسطواني مقنطر (مخربة) ، ٥ ـ خزانات مياه وبرج زاوي خارجي (بالاستناد إلى ملاحظات المؤلف) .

بعلبك[☆] : BA'ALBEK

اللوحات ٤٤ ـ ٤٦

بالعربية بَعَلْبَك وبَعْلَبَك .

باليونانية هليوبوليس Heliopolis ، بالفرنجية بالبك Balbek وماوبك Maubek إلخ ...

الوصف :

مدينة صغيرة في البقاع ، أو الهضبة المرتفعة الواقعة ما بين سلسلتي لبنان الغربية والشرقية ، اشتهرت بمعابدها القديمة ، وقد حولت أرباض المعبد الكبير الذي يعود تاريخه إلى حقب مختلفة من عصر الإمبراطورية الرومانية إلى قلعة ، وأدخلت عليها تحسينات متكررة خلال العصور الوسطى ، بإضافة أسوار محيطية جديدة مع أبراج . وعلى الرغم من أن الأثريين حافظوا على آثار هذه التحصينات ضمن الحدود التي لا تتعدى فيها على المباني القديمة العهد ، فإن بعلبك ـ مثلها مثل بصرى (انظر ص ٨٧) ـ تظهر بشكل مدهش كيف كان تكيف صروح العالم القديمة الضخمة لتستغل في العصور الوسطى .

التاريخ :

وقعت أرباض معبد بعلبك السابق التي حولت إلى قلعة في العهد البيزنطي في أيدي حكام مختلفين أكثر من مرة بعد أن سكنها العرب المسلمون في العام ٦٣٧ في البداية ، ثم خربت في العام ٧٤٤ . وقد شغل البيزنطيون الغزاة القلعة لمدة قصيرة في عهد الإمبراطور جون تزيميسكس John Tzimisces في العام ٩٧٤ ، وفي زمن الحملة الصليبية الأولى ، وبعد أن تعاورها عدد من الحكام العرب ، انتقلت إلى حكم أتابكة دمشق السلجوقيين وأولهم دقاق بن تتش ، ومن بعده الأتابك طغتكين .

١١١٠ فاوض حاكمها كمشتكين التاجي الخصي الفرنجة المجاورين لها على إلحاق القلعة بهم مقابل بقائه حاكماً مستقلاً لها . ونظراً لأن بعلبك تشكل مخفراً متقدماً ، وظيفته حراسة سهل البقاع الخصيب بأكمله من الفرنجة ، فقد أعفي كمشتكين من منصبه على الفور وعهد بها إلى بوري ابن أتابك دمشق[1] .

١١٣٦ ـ ١١٣٩ سقطت بعلبك بيد زنكي أتابك حلب بعد النزاع الذي نشب بين ورثة طغتكين ، وعين الأمير نجم الدين أيوب والد صلاح الدين حاكماً عليها . جرت تحسينات كبيرة على دفاعات القلعة في هذه الفترة .

١١٧٠ تعرضت القلعة لأضرار بالغة في الهزة الأرضية ، واحتلها صلاح الدين بعد ذلك بفترة وجيزة أي في العام ١١٧٤ ، ثم انتقلت بعد وفاته في العام ١١٩٣ إلى ابن أخيه بهرام شاه .

١٢١٣ ـ ١٢٢٤ أجرى بهرام شاه تحسينات دفاعية بأن أضاف عدداً من الأبراج .

١٢٦٠ استولى المغول على بعلبك وخربوها لدى انسحابهم من سورية ، ولكنها سرعان ما رممت

(☆) وصفها أبو الفداء في كتاب تقويم البلدان فقال :

وهي بلدة قديمة ذات أسوار ولها قلعة حصينة عظيمة البناء ، وهي ذات أشجار وأنهار وأعين وهي كثيرة الخير ، قال في العزيزي : وهي مدينة جليلة قديمة ، بها مذبح تقول الصابئة : أنه بيت من بيوتهم عظيم عندهم جداً ، ومن بعلبك إلى الزبداني ثمانية عشر ميلاً ، والزبداني مدينة ليس لها أسوار ، وهي على طرف وادي بَرَدَى ، والبساتين متّصلة من هناك إلى دمشق ، وهي بلد حسن كثير المنازه والخصب ، ومنه إلى دمشق ثمانية عشر ميلاً .

(١) تاج الملوك بوري بن أتابك طغتكين ، إليه تنسب الدولة البورية في دمشق وقد حكم من : ٥٢٢ ـ ٥٢٦ هـ / ١١٢٨ ـ ١١٣١ م .

وحسنت بعد فترة قصيرة على يد السلطان قلاوون الذي شيد برج المدفعية الضخم المجاور لمعبد باخوس ، وقوّى السور الغربي للقلعة ، وأضاف حصناً أمامياً إلى البوابة الجنوبية .

فقدت بعلبك أهميتها في مجرى العصور الوسطى ، ولم تضف إليها أية أبنية أخرى خلال ذلك . وأصابتها أضرار أخرى بهزة أرضية شديدة في العام ١٧٥٩ . بدأ التنقيب عن الآثار القديمة فيها في مطلع القرن العشرين .

المراجع :

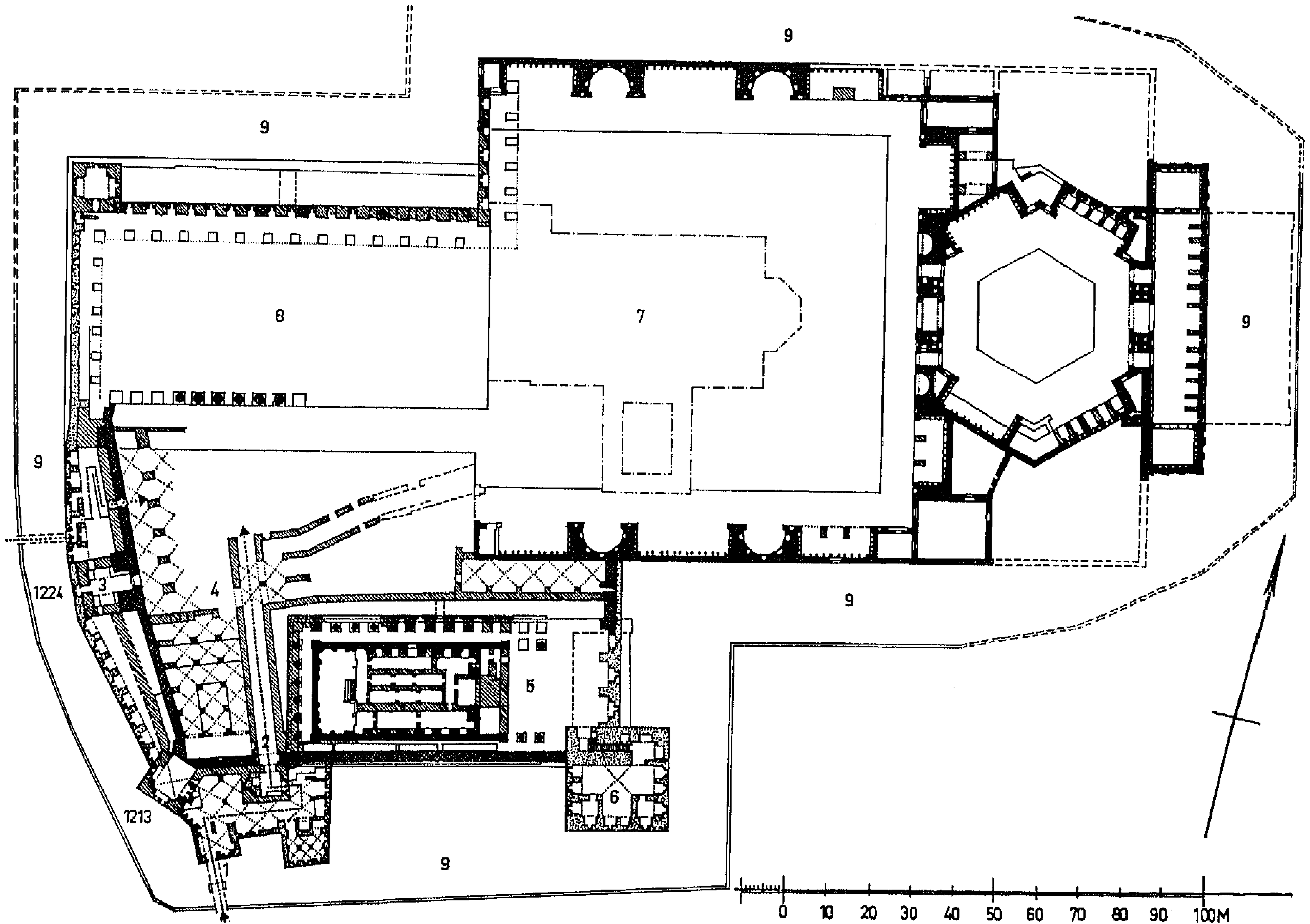
الموسوعة الإسلامية I ، ٥٦٤ ـ ٥٦٦ (م . فون سوبرنهايم ١٩١٣) .

الموسوعة الإسلامية (٢) I ، ١٠٠٠ ـ ١٠٠١ (ج . سورديل ـ ثومين ١٩٦٠) .

شولتز ـ وينفيلد ـ كرنكر وغيرهم (من منشورات ث . ويغان) .

بعلبك ، نتائج التنقيبات والاستكشافات ١٨٩٨ ـ ١٩٠٥ ، م ٣ ، برلين ١٩٢٥ .

Bibliography:
Enc. Isl. I, 564–6 (M. von Sobernheim 1913);
Enc. Isl. (2)I, 1000–1 (J. Sourdel – Thomine 1960);
Schulz – Winnefeld – Krencker and others (publ. by Th. Wiegand);
Baalbek, Ergebnisse der Ausgrabungen und Untersuchungen 1898–1905, Vol. III, Berlin 1925.



مخطط ١٠ ـ بعلبك

مخطط عام لأرباض المعبد التي حولت لقلعة ، المقياس ١ / ٢٠٠٠ . رسمت مباني عصر الإمبراطورية الرومانية باللون الأسود ، والمباني السابقة لمنتصف القرن الثاني عشر بالتهشير المتقاطع ، والمباني العائدة للنصف الأول من القرن الثالث عشر بالتهشير ، ومباني أواخر القرن الثالث عشر بالتنقيط .

١ ـ حصن أمامي . ٢ ـ البوابة الجنوبية الداخلية ، ٣ ـ البوابة الغربية القديمة ، ٤ ـ مسجد متصدع ، ٥ ـ هيكل باخوس مع إضافات من العصور الوسطى ، ٦ ـ برج السلطان قلاوون ، ٧ ـ كنيسة بيزنطية (أزيلت أثناء التنقيب) ، ٨ ـ أساسات هيكل جوبيتر ، ٩ ـ خنادق دفاعية . (بالاستناد إلى شولتز ـ وينفلد ـ كرينكر مع تكبيرها من قبل المؤلف) .

شيزر(☆) - SHEIZAR

اللوحات ٤٧ ـ ٤٩

بالعربية شيزر .

باليونانية سيزارا Sizara وتوسيزر Tosézer

الوصف :

قلعة وقرية في وسط سورية ، تقع بالقرب من جسر قديم ومخاضة على المجرى العلوي لنهر العاصي إلى الشمال الغربي من حماة . وتنتصب القلعة مجانبة للنهر فوق جرف صخري متطاول وضيق ، يفصله عن السفح الصخري المتصل به في الجنوب قناة عميقة . ويرتفع الجدار الأمامي للبرج المحصن فوق هذا الخندق مباشرة ، وهو صرح ضخم يتألف من طابقين داخليين وشرفة سطحية واسعة ـ وهو دون شك نتاج فترات بناء متعددة . انهارت الجدران التي كانت تكسو حافة الجرف على كلا ضلعي القلعة الطويلين في معظمها ، ولم يبق سوى الركن الشمالي الأقصى من القلعة والتي هي عبارة عن سواتر ترابية شديدة الانحدار ، والبوابة متينة البنيان .

ورغم أن القرويين أخرجوا من داخل القلعة إلا أنها لم تحظ بعد بالعناية والاهتمام الجديرين بها كصرح تذكاري قديم وهي تزداد تصدعاً بمرور الزمن .

التاريخ :

أسست هذه القلعة في الأصل كمستوطنة عسكرية سلوقية ، ونظراً لقربها الشديد من المخاضة فقد حازت أهمية محلية منذ قرون عدة . كذلك لعبت دوراً هاماً في الصراع بين الإمبراطور نيقفور فوكاس Nicephorus Phocas والأمراء العرب في شمالي سورية وتبادلتها الأيدي مراراً في هذه الحقبة .

أواخر القرن الحادي عشر : أصبحت شيزر مقر العائلة المنقذية ، إحدى السلالات العربية ، وحازت أهمية كبيرة كقاعدة هجومية يستخدمها الحكام العرب في شمالي سورية .

أوائل القرن الثاني عشر . حاصر الفرنجة القلعة أكثر من مرة دون أن يتمكنوا منها .

١١٣٨ حاصر جون الثاني كومنين إمبراطور بيزنطة (١١١٨ ـ ١١٤٣) القلعة ، واضطر إلى رفع الحصار على عجل بسبب عدم توافر الدعم الفرنجي الكافي له .

١١٥٧ أصابت هزة أرضية القلعة بأضرار فادحة وقتلت أميرها وعائلته كلها . وحاول الفرنجة الاستيلاء على القلعة التي أصبحت عزلاء من الدفاع إلا أن الإسماعيلية في مصياف حالوا دونهم .

١١٥٨ شن الفرنجة هجوماً آخر بلا طائل على شيزر التي كان يدافع عنها هذه المرة نور الدين سلطان حلب .

١٢٣٣ توجد نصوص كبيرة محفورة على البرج المحصن ، تحمل هذا التاريخ ، وربما كانت تشير إلى تشييده في هذا الوقت .

(☆) جاء ذكرها في كتاب تقويم البلدان على النحو التالي :

وهي ذات قلعة حصينة ، والعاصي يمرّ بها من شماليها ، وينحدر عندها النهر المذكور على سكر ارتفاعه يزيد على عشرة أذرع يسمّونه الخرطلة ، وهي ذات أشجار وبساتين وفواكه كثيرة ، أكثرها الرمّان قال في العزيزي : بينها وبين حماة تسعة أميال ، وبينها وبين حمص أيضاً ثلاثة وثلاثون ميلاً ، ومن شيزر إلى أنطاكية ستة وثلاثون ميلاً ، ولها سور من لبن ، ولها ثلاثة أبواب ، والعاصي يمرّ مع السور من شماليها .

١٢٦٠ ـ ١٢٦١ خرب الغـزاة التتـار القلعـة ، ولكنهـا رممت فور هـزيمتهم على يـد السلطـان الملـك الظاهر بيبرس .

١٢٩٠ تدل نصوص محفورة على أن بنـاء البوابـة الكبرى تم على يد السلطان قلاوون . ظلت القلعة في الاستخـدام حتى نهـايـة الحكم العربي ولكنهـا تـداعت تدريجياً بعد الفتح العثماني لسورية حتى استحالت إلى أطلال كما هي الآن .

المراجع :

الموسوعة الإسلاميـة ، م ع ، ٣٠٩ ـ ٣١١ (ي . هونيغمان ١٩٣٤) .

ف . بيرشيم ـ فاتيو . المرحلة I ، ١٧٧ ـ ١٨٨ .

Bibliography:
Enc. Isl. IV, 309–311 (E. Honigmann 1934);
v. Berchem – Fatio, *Voyage I*, 177–188.

قلعة المضيق(*) QALʿT EL-MUDIQ

اللوحات ٥٠ ـ ٥١

بالعربية أفامية Afâmiya ، واعتبـاراً من القرن السابع عشر . قلعة المضيق .

الاسم القديم أباميا Apamea وبالفرنجية أفـاميـا Afamia أو لافامي La Famie .

(*) وصفها أبو الفداء في كتاب تقويم البلدان فقال :
قال في المشترك : يقال لفامية أفامية بزيـادة الهمزة في أولها . قال : وهي مدينة قديمـة ويطلق هـذا الاسم على كورتها أيضاً : قال : وفامية أيضـاً قريـة من قرى فم الصلح من نواحي واسط . قـال في العزيزي : وكورة أفـاميـة لهـا مدينة كانت عظيمة قـديمـة على نشز من الأرض ، لهـا بحيرة حلوة يشقّها النهر المقلوب (أي العاصي) .

الوصف :

مـدينـة صغيرة محصنـة في الشعـاب الجنـوبيـة الغربيـة للهضبـة المرتفعـة في شمال سـوريـة ، وهي تربض فوق تلة صخريـة معزولـة تطل على وادي نهر العاصي المستنقعي (الغاب) .

يعتقد أن المستوطنة التي كانت قائمـة في العصور الـوسطى كانت تشغـل منطقـة المـدافن من أفـاميـة القديمة ، وهو بالذات موقع المستوطنـة الأقـدم ، لأن التل الذي تقوم عليه المدينة الحاليـة مـدين بلا شـك بقسم من ارتفاعه إلى الأطلال التي تركهـا المستوطنون على مر العصور . تتـألف دفـاعـات القرون الوسطى من سـور خـارجي بسيـط مقـوى بـأبراج زاويّـة مستطيلة ، والبوابة الرئيسية في الجنوب التي حصنت تحصيناً قوياً بـإضـافـة برجين ضخمين إليهـا . ولقـد شيدت التحصينات بأكملهـا تقريبـاً من مواد أخـذت من المباني القديمة .

التاريخ :

٥٤٠ دمرت المدينة القديمة على يد كسرى الأول (خسرو) Chosroes I ملك فـارس وفقـدت أهميتهـا السـابقـة ، وبعـد الفتـح العربي أصبحت مقراً لحـاكم عربي محلي . وفيما بعد نزعت بقاياها القديمة تدريجيـاً لتستخدم كمواد لبناء سامراء .

١١٠٠ فشل بوهمنـد أمير أنطـاكيـة في محـاولتـه الأولى للاستيلاء على هذه النقطة الاستراتيجية إلا أن النزاع العربي الداخلي شجعه على معاودة الكرة .

١١٠٦ سقطت المدينة في يد بوهمند بعد حصـار طويل الأمد . وتحولت إثر ذلـك إلى قـاعـدة انطلاق قـويـة للحمـلات الفرنجيـة ضـد الأراضي العربيـة الداخلية .

١١٤٩ استرد نور الدين سلطان حلب القلعة .

١١٥٧ أصيبت التحصينات بأضرار فادحة نتيجة الهزة الأرضية الشديدة ، ومن المرجح أن يكون الفرنجة قد احتلوها إثر ذلك ولفترة وجيزة .

١١٧٠ حدثت أضرار أخرى نتيجة الهزة الأرضية . وتلا ذلك أعمال ترميم وإعادة بناء مكثفة على يد نور الدين .

ظلت المدينة في يد المسلمين وفي رعاية سلسلة من الحكام العرب . وأدخلت تحسينات مستمرة على دفاعاتها في سنة ١٢٠٥ وسنة ١٢٢٦ (طبقاً للنصوص المحفورة المسجلة عليها) ، منذ أن أصبحت قاعدة للهجمات العربية ضد المناطق التي يحتلها الفرنجة . فقدت قلعة المضيق أهميتها بعد القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وهي الآن مجرد ضيعة ريفية متواضعة ظلت على حالها دون تبدل حتى الوقت الحاضر .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية م I ، ١٥٣ (ف ر بوهل ١٩١٣) .

الموسوعة الإسلامية (٢) I ، ٢٢١ (هـ . آ . ر . غيب ١٩٦٠) .

ف . بيرشيم ـ فاشيو . الرحلة I ، ١٨٨ ـ ١٩٤ .

Bibliography:
Enc. Isl. I, 153 (Fr. Buhl 1913);
Enc. Isl. (2)I, 221 (H. A. R. Gibb 1960);
v. Berchem – Fatio, *Voyage I*, 188–194.

المرقب (☆) MARQAB

اللوحات ٥٢ ـ ٦١

بالعربية ـ المرقب ، قلعة مرقب Qal'at Marqab .

باليونانية ماركابوس Markappos ومارشابين Marchappin وبالفرنجية مرغات Margat ومرغاتوم Margathum ، ومرغانت Margant إلخ ...

الوصف :

قلعة على الساحل السوري بالقرب من مدينة بانياس ـ الساحلية الصغيرة ، تقع فوق ذروة رعن جبلي صخري متاخم للبحر مباشرة . ويتألف الموقع المحصن تحصيناً جيداً من قليعة داخلية قوية وقلعة خارجية أكثر اتساعاً ـ من المرجح أنها كانت كثيفة السكان في وقت ما ـ يحيط بها سور خارجي مزدوج جزئياً مرتبط داخلياً بأبراج عديدة مختلفة القياسات والأشكال . والقليعة الداخلية عبارة عن قلعة صغيرة مستطيلة الشكل تقريباً لها حلقتان من الأسوار ، تقع على الذروة الجنوبية لذلك الموقع ، ويفصلها عن القلعة الخارجية قناة مائية عريضة . عززت الأسوار الخارجية بحصون بارزة نصف دائرية معزولة ، وبلغت أوج تحصينها في القرن الثالث عشر

(☆) جاء وصفها في كتاب تقويم البلدان على النحو التالي :
المرقب اسم للقلعة وهي قلعة حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر ، وبلنياس اسم لبلدتها ، وبينهما قريب من فرسخ ، وهي ذات أشجار فواكه وحمض كثير ، ويزرع بها قصب السكّر ، ولها أعين كثيرة . قال العزيزي : ومدينة بلنياس دون مدينة جبلة ، وبينها وبين أنطرطوس اثنا عشر ميلاً ، وهو حصن أحدثه المسلمون في سنة أربع وخمسين وأربع مائة نقله ابن منقذ في تاريخ القلاع والحصون (م . م)

بتحصينات خارجية بعد أن أعاد بناءها العرب كبديل عن الدفاعات التي تهدمت . وتعتبر الأسوار الخارجية للقليعة امتداداً لأسوار القلعة الخارجية ، ويتألف قلب القليعة من برج متين البنيان مستدير الشكل يبلغ قطره حوالي ٧٢ قدماً ويواجه الجنوب . ويتصل هذا البرج من جانبيه بأبنية متعددة الطبقات ذات قاعات فسيحة مقنطرة السقف . وفي منتصف تلك القليعة توجد كنيسة كبيرة تقسم فناءها إلى قسمين غير متساويين . وثمة مستودعات تتجمع حول الفناء الشمالي الأكبر مع الإسطبلات . يتم الدخول إلى القلعة كلها عبر برج بوابة متين واجهته باتجاه الغرب عند السور الخارجي ، ومن هناك يتم الوصول إلى حصن البوابة (نزل الحرس) عبر فناء أمامي . ويتألف حصن البوابة من عدد من الغرف .

حفظت تحصينات القلعة في حالة جيدة نسبياً لأن القرية التي كانت مأهولة حتى القرن التاسع عشر هجرت من سكانها . إلا أن القلعة التي يعود تاريخها إلى عدة عهود مختلفة ما تزال قيد المسح والدراسة .

التاريخ :

١٠٦٢ تذكر المصادر العربية بناء القلعة على يد شيخ القبائل العربية الجبلية التي تقيم في المنطقة .

١١٠٤ شغلت المنطقة لفترة قصيرة من قبل القوات البيزنطية التي يقودها جون كانتاكوزينوس John Cantacuzenus أثناء الصراع الذي دار حول اللاذقية . وبعد ذلك عادت إلى الأملاك العربية (طبقاً للمصادر العربية) .

١١١٦ - ١١١٨ تخلى صاحب المرقب ابن محرز عن القلعة إلى روجه Roger أمير أنطاكية بعد مفاوضات طويلة مقابل ولاية أخرى . وأهداها روجه بدوره إقطاعة إلى أسرة مانسوير Mansoer .

١١٥٧ و ١١٧٠ ، ١١٨٦ حدثت زلازل أرضية أدت إلى تصدع القلعة ، وتطلبت أعمال إصلاح كانت أكبر بكثير من موارد أسره مانسوير . وفي العام ١١٨٦ انتقلت القلعة إلى حيازة الأسبتارية مقابل أجار سنوي يبلغ ٢٠٠٠ بيزنت ذهبي ، تدفع إلى آخر مالك لها برتران المرقبي Bertrand de Margat .

١١٨٨ مر صلاح الدين بجوار القلعة في طريقه إلى شمال سورية ، ولكنه لم يهاجمها ، وربما كان ذلك بسبب ما قام به أصحابها الجدد من الأسبتارية من إصلاحات واسعة عاجلة .

١٢٠٤ - ١٢٠٥ حاصر القلعة سلطان حلب الملك الظاهر غازي الذي دمَّر عدداً من أبراجها الموجودة عند الأسوار الخارجية . (استخدم الأسبتارية المرقب كقاعدة لغاراتهم المتكررة على الأراضي العربية) .

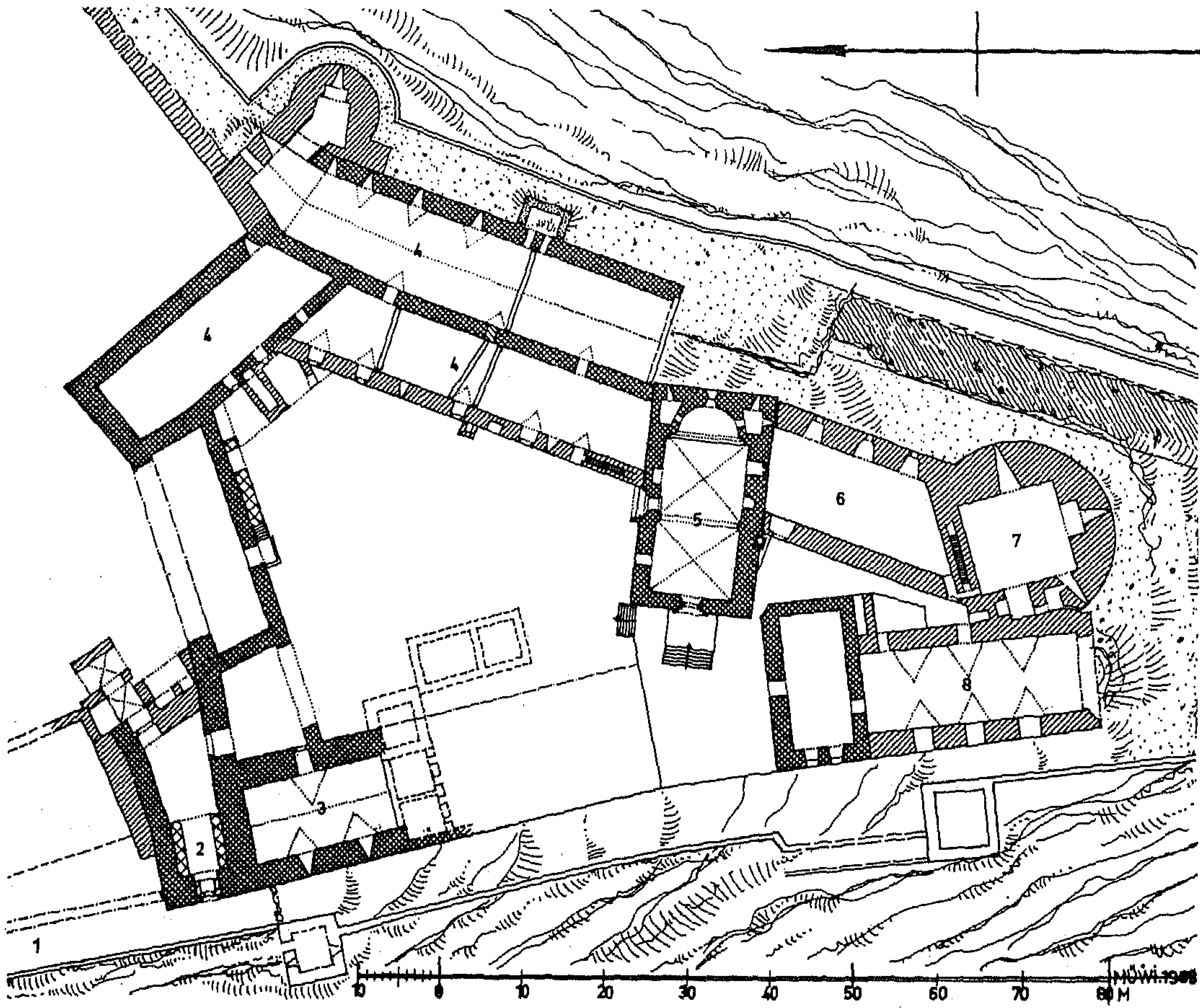
١٢٦٩ - ١٢٧١ شنت هجمات عربية متكررة على القلعة . وأكره فرسان قلعة المرقب على التخلي عن قسم من أراضيهم بعد سقوط قلعة الحصن المجاورة (١٢٧١) ، مع التعهد بعدم القيام بأية أعمال أخرى في القلعة .

١٢٨٥ حاصر جيش السلطان قلاوون القلعة ، وحفر نفقاً تحت الواجهة الجنوبية ، ثم قصفها فانهار البرج الخارجي الجنوبي (المعروف باسم برج الأمل Tour de L'Epérance أو برج أبرون Tour de L'Eperon) . وتحت تهديد الاستمرار في نقب الأسوار استسلم الفرسان شريطة ضمان حياتهم .

تردد العرب في ضرورة تعرية القلعة أم إعادة

ترميمها . ولكن نظراً لموقعها الاستراتيجي الهام شرع الأمير سيف الدين بلبان الطباخي[1] بإعادة بنائها .

ظلت القلعة واحدة من القلاع الرئيسية في البلاد خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، حيث استخدمت معتقلاً لسجن الحكام المعزولين من مناصبهم . لم تحدث في القلعة سوى تبدلات طفيفة لتأمين إيواء حامية تركية صغيرة أقامت هنا في الأزمنة المتأخرة .



المخطط ١٢ : قلعة المرقب Qal'at El-Marqab

مخطط موقع القلعة ، المقياس ١٠٠٠٠ / ١ .

١ ـ فناء أمامي بين البوابتين الخارجية والداخلية ، ٢ و ٣ ـ أقبية مقنطرة لمبنى ملحق بالكاتدرائية أزيل فيما بعد ، ٤ ـ غرف مستودعات ، ٥ ـ كنيسة القلعة ، ٦ ـ قاعة كبيرة من طابقين مع برج محصن ملحق بها ، ٧ و ٨ ـ قاعة . (بالاستناد إلى مسح المؤلف ورواسمه) .

(١) ترجم له المقريزي في المقفى مخطوطة برتوباشا ورقة ٢٦٧ : فذكر أنه كان من مماليك السلطان قلاوون ، تقلب في عدة وظائف منها « ولاية حصن الأكراد وما معه من الفتوحات في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وستمائة » ، وجاءت وفاته سنة سبعمئة هـ .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية III ، ٣١٩ ـ ٣٢٠ (ي . هونيغمان ١٩٣٦) .

راي ، العمارة العسكرية ١٩ ـ ٣٨ .

ف . بيرشيم ـ فاتيو ، الرحلة I ، ٢٩٢ ـ ٣٢٠

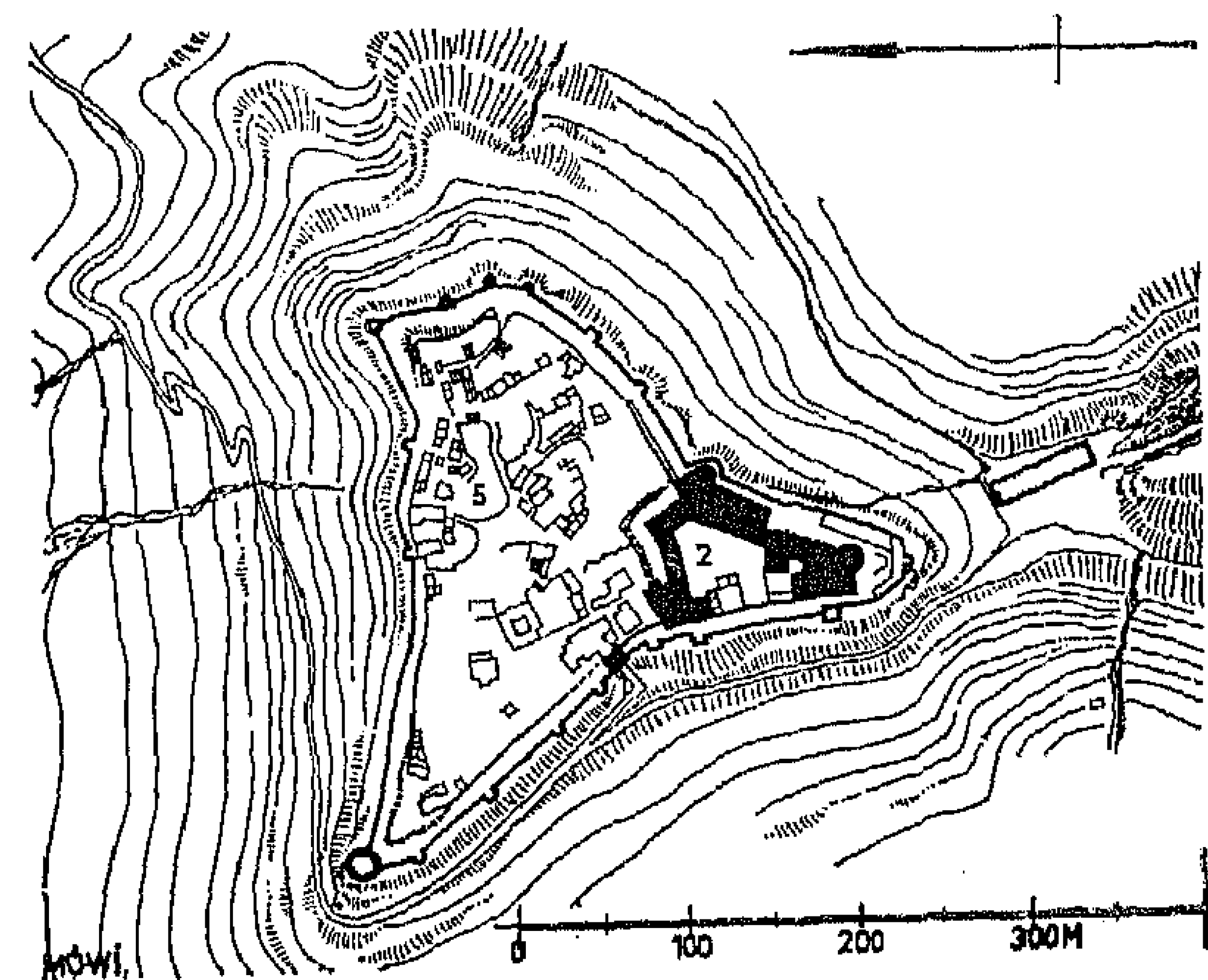
انلارت ، الأوابد التذكارية II ٤٤١ ـ ٤٤٣

الكونت شاندون دو بريال « سلالة أوتريمر »

سادة المرقب في : سورية ٢٥ ، ١٩٤٦ / ١٩٤٨ ص ٢٣١ ـ ٢٥٨

فيدن ـ تومسون باسيم واللوحات ٢٠ ـ ٢٨

Bibliography:
Enc. Isl. III, 319–320 (E. Honigmann 1936);
Rey, *Arch. Militaire,* 19–38;
v. Berchem – Fatio, *Voyage I,* 292–320;
Enlart, *Monuments II,* 441–3;
Comte Chandon de Briailles, 'Lignages d'Outremer: Les Seigneurs de Margat', in: *Syria 25,* 1946/48, 231–258;
Fedden-Thomson, passim and Pl. 20–28.



المخطط ١١ : قلعة المرقب Qal'at El-Marqab

مخطط أرضي للقلعة الداخلية ، المقياس ١٠٠٠ / ١ .

١ ـ البوابة الرئيسية . ٢ ـ القلعة الداخلية ، ٣ ـ التحصينات الخارجية الجنوبية ، ٤ ـ برج الزاوية الشمالية الغربية ، ٥ ـ آثار القرية السابقة (بالاستناد إلى صور جوية ومسح المؤلف) .

قلعة عجلون(☆) QAL'AT AJLUN

بالعربية قلعة عجلون وقلعة الربض Qal'at er Rabad والباعوثة .

الوصف :

قلعة في شمال غرب الأردن على بعد حوالي ثلاثين ميلاً شمال غرب العاصمة عمان ، في الشعاب البعيدة للكتلة الجبلية المتاخمة لوادي نهر الأردن من جهة الشرق . شيدت فوق نهد صخري على ارتفاع يزيد عن ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر . تطل القلعة على منظر رائع يشمل وادي الأردن بأكمله والسفوح الجبلية المقابلة . وثمة قناة مائية تفصل القلعة عن الأرض الجبلية المحيطة بها ، وهي ليست شديدة الانحدار .

برزت القلعة إلى الوجود في فترتين ، وهي متراصة البنيان من حيث تصميها ، فالقلعة العليا على شكل مستطيل غير منتظم له أربعة أبراج في زواياه ، ويجاوره من الشمال والجنوب الشرقي فناءان سماويان في الأصل إلا أنهما غطيا وشيدت فوقهما مبان عدة في

(☆) قال أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٢٤٤ :
وعجلون : حصن وربضه يسمّى الباعوثة ، والحصن عن البلد على شوط فرس ، وهما في جبل الغور الشرقي قبالة بيسان ، وحصن عجلون حصن منيع مشهور يظهر من بيسان ، وله بساتين ومياه جارية ، وهي شرقي بيسان ، وهو حصن محدث بناه عزّ الدين أسامة من أكبر أمراء السلطان صلاح الدين .

مرحلة متأخرة . شقت القناة التي تحيط بالموقع بأكمله عميقاً في الصخر الأصم . والقلعة ماتزال محفوظة في حالة جيدة إلى حد ما .

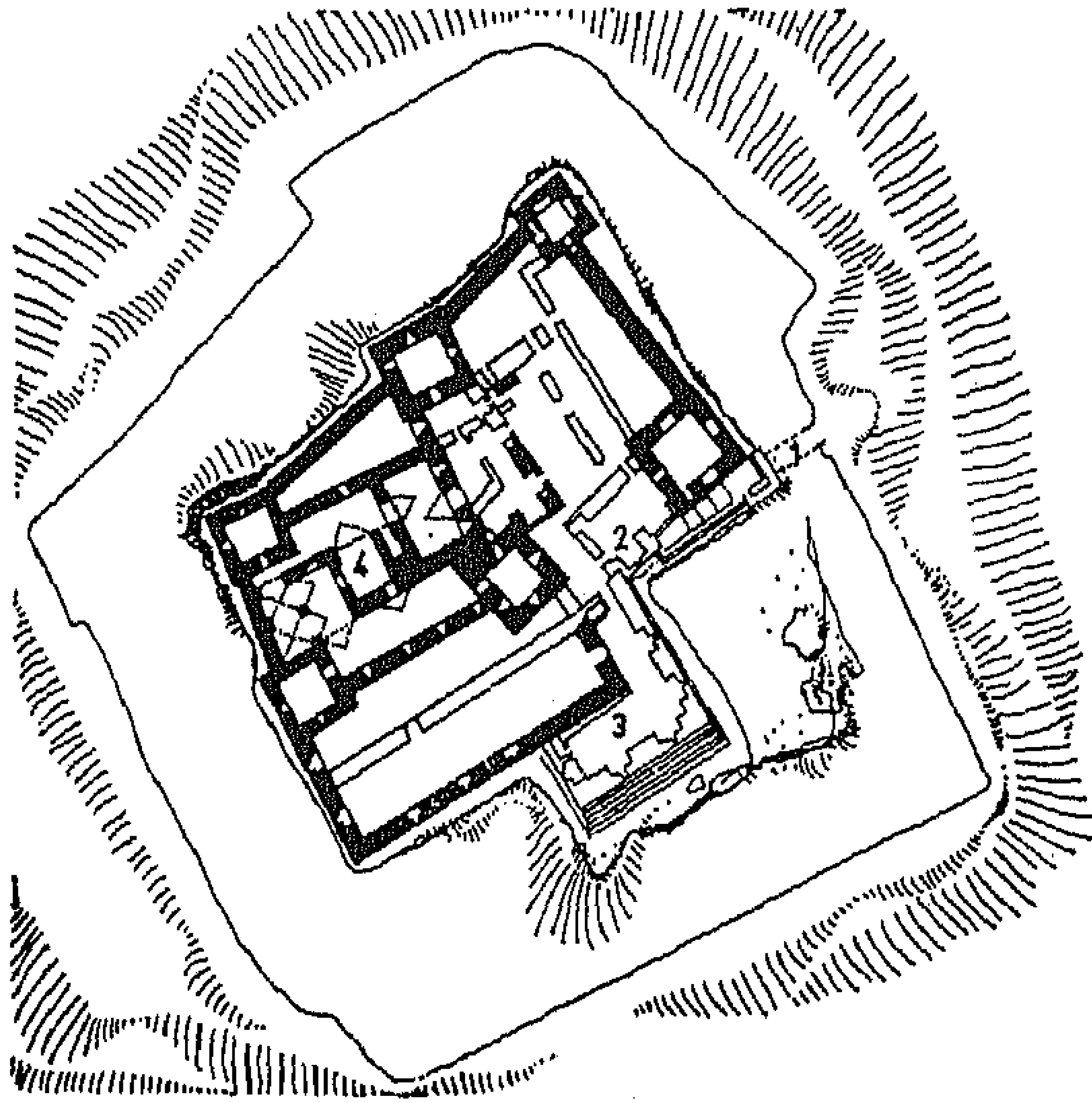
التاريخ :

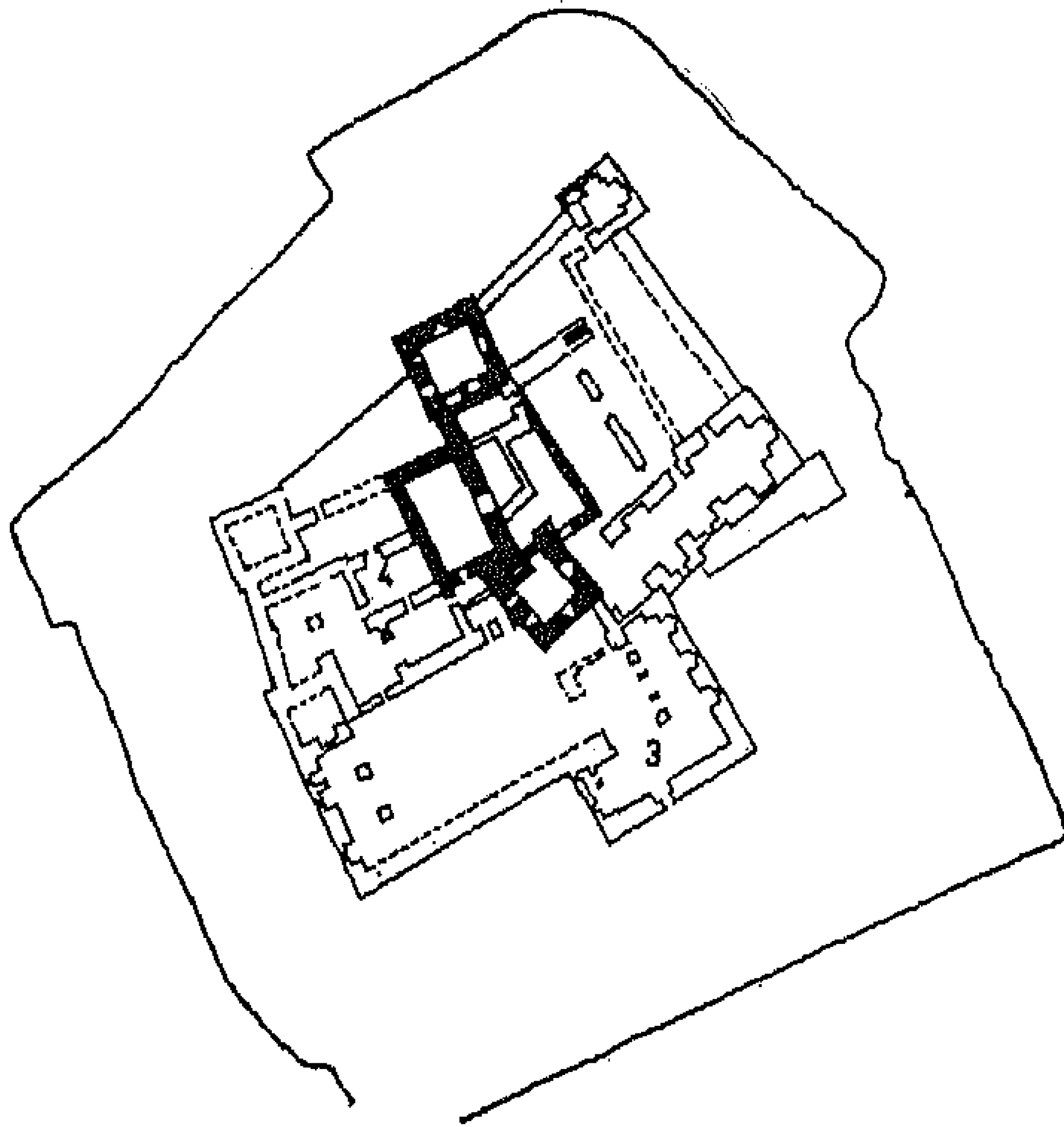
١١٨٤ ـ ١١٨٥ أسس الأمير عز الدين أسامة القلعة لحماية الجناح الجنوبي الغربي لمنطقة دمشق ، وطريق المواصلات الحيوي بين دمشق والقاهرة (ويسمى درب الحج) الذي كان ضعيف الحماية حتى ذلك الحين ، كذلك اعتبرت القلعة كثقل موازن لقلعة كوكب (بلفوار) الفرنجية . وتذكر المصادر العربية بأن هذا الموقع كان يشغله دير سابق .

١٢١١ حوصرت القلعة لأن صاحبها رفض أن يقسم يمين الطاعة للسلطان الجديد بعد وفاة صلاح الدين . ومنحت إلى أيبك بن عبد الله .

١٢١٤ ـ ١٢١٥ أجرى صاحبها الجديد تحسينات معمارية مكثفة على القلعة وقوى الواجهة الجنوبية وسقف الفناء المكشوف .

منتصف القرن الثالث عشر : بعد أن فقدت القلعة أهميتها الاستراتيجية بانتصار العرب في حطين ، أصبحت تستخدم كمحطة للتموين فقط ، ورغم ترميمها على يد الملك الظاهر بيبرس بعد أن خربها المغول في العام ١٢٦٠ ، لم تعد قلعة عجلون تلعب أي دور رئيسي ، ثم أصبحت مقراً لعدة أسر عربية ، وظلت كذلك حتى القرن التاسع عشر .





المخطط ١٣ : قلعة عجلون Qal'at Ajlûn

مخطط أرضي للقلعة ، المقياس ٢٠٠٠ / ١ (الطابق الأرضي إلى اليسار ، والطابق العلوي إلى اليمين) . رسمت الأقسام العائدة إلى العام ١١٨٤ ـ ١١٨٥ باللون الأسود ، والإضافات العائدة للعام ١٢١٤ ـ ١٢١٥ غير مظللة .

١ ـ المدخل الرئيسي ، ٢ ـ غرفة البوابة الداخلية ، ٣ ـ البرج الجنوبي ، ٤ ـ القلعة الداخلية (بالاستناد إلى س . ن . جونز) .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية (٢) ١ ، ٢١٤ (د . سورديل ١٩٦٠) .

س . ن . جونز عجلون في القرون الوسطى : المجلة الفصلية لفرع الأثريات في فلسطين ، I ، ١٩٣١ ، ٢١ ـ ٣٣ .

Bibliography:

Enc. Isl. (2) I, 214 (D. Sourdel 1960);

C. N. Johns, Medieval 'Ajlun', in: *Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine*, I 1931, 21–33.

قلعة الحصن(☆) KRAK DES CHEVALIERS

اللوحات ٦٦ ـ ٨٣

بالعربية قلعة الحصن ، (حصن الأكراد) .

بالفرنجية الحصن Crac ، حصن الأسبتارية Crac de L'Opital .

باللاتينية كراتوم Cratum ، كاستروم كراتي Castrum Crati .

الوصف :

قلعة وقرية في شعاب جبال النصيرية [وادي النضارة] في وسط سورية ، تربض في موقع ممتاز فوق ذروة مرتفعة تزيد عن ٢١٠٠ قدم ، وتحيط بها من جميع جهاتها مدرجات متوسطة الانحدار ، وهي على اتصال مباشر بالنظر مع قلعة « القصر الأبيض » (صافيتا) المجاورة لها .

رممت قلعة الحصن جزئياً في الأعوام الأخيرة ، وتعتبر واحدة من أفضل نماذج التحصينات الفرنجية في المشرق التي حفظت حتى الآن وأكثرها تأثيراً في النفس . ومع أنها ليست أكبر القلاع التي شهدتها فترة الحروب الصليبية من حيث اتساع المنطقة المسورة ، إلا أنها أضخمها طراً . وهي في حالتها الحالية تحوي العديد من التعديلات الكبيرة التي أدخلت إليها في العهد العربي .

توجد قناة مائية قدت في الصخر تعزل القلعة عن الجرف الممتد بعيداً باتجاه الجنوب ، وهي تتألف من حلقتين متحدتي المركز من التحصينات موصولتين بمدخل طويل منحدر يمكن للخيالة الصعود خلاله من حصن البوابة الخارجي إلى الفناء الداخلي .

والحلقة الخارجية مضلعة إهليلجية الشكل تتألف من سور يحوي عدداً من الشرفات الدفاعية ومقواة بحصون بارزة نصف دائرية . يحرس البوابة الثانوية الصغيرة في الواجهة الشمالية حصنان بارزان ملاصقان لها تماماً . أما الواجهة الشرقية فقد عدلت كثيراً تحت الحكم العربي . ويحرس هذا الجناح ، الذي يتمتع بحماية طبيعية أفضل إلى حد ما من بقية الاتجاهات ، ثلاثة حصون بارزة مستطيلة الشكل صغيرة يحوي أحدها المدخل الرئيسي . أما القطاع الذي تعرض لأكبر تبديل وتعديل على يد العرب فهو الواجهة الجنوبية أو الجبهة الدفاعية الرئيسية للقلعة ، حيث استدعت الأضرار الكبيرة التي لحقت بها أثناء الحصار تحصينها بشكل جيد . وكانت هذه الواجهة تتألف في الأصل ـ مثلها مثل الواجهة الغربية الطويلة ـ من سور واق تحميه حصون بارزة نصف دائرية وشرفة مكوّاة متواصلة . ولكنها عززت بعد العام ١٢٨٥ ببرج السلطان قلاوون الضخم .

يوجد فناء أمامي داخل الحلقة الخارجية للتحصينات ، وفي الجنوب توجد قناة مائية عميقة ، قدت في الصخر ، كانت تستخدم كذلك كخزان للمياه .

(☆) ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٣٢٠ فقال :
قال في المشترك : وحصن الأكراد قلعة حصينة مقابل حمص ، من غربيها على الجبل المتّصل بجبل لبنان ، ولها ربض ، وكانت مقرّ ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس ، وهي على مرحلة من حمص ، وكذلك عن طرابلس ، وهي بين حمص وطرابلس .

تنتصب الواجهة الجنوبية الرئيسية للقلعة العلوية ابتداء من الخندق مباشرة : وهي تتألف من ثلاثة أبراج نصف دائرية ضخمة ، تشرف على الدفاعات الخارجية ، وتبدو وكأنها تبرز بصورة طبيعية عن الساتر الحجري الشديد الانحدار . وخلف هذا الساتر المكسو بشكل رائع توجد شرفتان دفاعيتان مقنطرتان يتم الوصول إليهما من الغرف الكبيرة الموجودة فوق الطابق الأرضي للقلعة العلوية . وتضم الأبراج الثلاثة كلها غرفاً ذات أسقف مقنطرة مرتبة في عدة طبقات ، بينما يحوي البرج الدائري في الزاوية الجنوبية الغربية غرفة حسنة التجهيز تعرف باسم Logis du Maitre « مأوى السيد » ، أما الغرف التي كانت قائمة بين الأبراج فتهدمة . ولا يحمل أي من الجناحين الأطول من القلعة العليا أية ملامح خاصة . وهناك في الغرب برج نصف دائري أضيف إليها على مراحل متعددة ، بينما يبرز قبا (الجزء الناتئ نصف الدائري من مذبح الكنيسة) كنيسة القلعة خفيفاً فوق مستوى الأسوار من الجهة الشرقية . وللبرج المستطيل الموجود عند الذروة الشمالية للقلعة العليا صفوف متعددة من الأقواس تضفي روعة خاصة على الواجهة الخارجية .

غطيت أقسام كبيرة من الفسحات المكشوفة في داخل القلعة بعقود ضخمة تقسم مساحتها السطحية إلى عدد من المصاطب (هي في الأصل مستوى واحد كما يفترض المرء) . وفي الفناء المقابل للكنيسة توجد القاعة الكبرى والرواق المعمد الجميلا المنظر اللذان شيدا في منتصف القرن الثالث عشر .

التاريخ :

١٠٣١ وضع أساسات القلعة أمير حمص وشغلتها جالية كردية عسكرية . وربما كان الموقع مقطوناً قبل ذلك أيضاً ، ولكن لا يعرف شيء عن تاريخه السابق .

١٠٩٩ احتل الصليبيون الحصن لفترة قصيرة في طريقهم إلى القدس .

١١٠٩ استولى تنكريد كونت أنطاكية على الحصن بعد حصار سابق فشل في العام ١١٠٢ .

١١١٢ تملك القلعة كونت طرابلس .

١١١٥ حاصرها ألب أرسلان سلطان حلب فترة قصيرة .

١١٤٢ منح صاحب طرابلس الكونت ريموند الثاني الحصن إلى الأسبتارية وعوض عن المالك السابق غليوم دي كراتوم Guillaume de Cratum بأن منحه إقطاعة من الأراضي في مكان آخر . وأعيد بناء الدفاعات على قدم وساق ، بعد تبادل الملكية على هذا النحو ، وبعد زلزال العام ١١٥٧ .

١١٦٣ و ١١٦٧ صدت هجمات العرب على القلعة .

١١٦٩ و ١١٧٠ بدأ الطور الثاني من إعمار القلعة بعد الأضرار البالغة التي ألحقها بها الزلزال الثاني ، وتم ذلك بمساعدات مالية من الملك فلاديسلاس الثاني Vladislas II ملك بوهيميا . ويعود تاريخ الكنيسة إلى هذه الفترة .

١١٨٨ حاصر صلاح الدين الحصن لمدة شهر دون أن يفلح في أخذه .

١٢٠١ ـ ١٢٠٢ حصلت هزة أرضية ثالثة أحدثت أضراراً كثيرة وبدأ طور ثالث من إعمار القلعة ، نتجت عنه حلقة الدفاع الخارجية ، والجدار المنحدر الضخم في الجنوب ، والمستودع الكائن خلف الواجهة الجنوبية .

في هـذه الفترة لعبت القلعـة دوراً بـالغ الأهميـة كقاعدة هجومية لغـارات الأسبتـاريـة ضـد الأراضي العربيـة ، ولكنهـا تعرضت هي ذاتهـا لهجمات حكام حلب (١٢٠٧ ، ١٢١٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٥٢) .

١٢٦٧ بعد أن أخليت معظم الأراضي الواقعة إلى الشرق من القلعة من الفرنجة تحت تهديد جيش الملك الظاهر بيبرس ، شن السلطان أول هجوم على منطقة الحصن ذاتهـا ، واستولى على قـلاع ثـلاث وستـة عشر برجاً محصناً في الجوار .

١٢٧٠ قـدم السلطـان بيبرس مرة أخرى إلى القلعة لمهاجمتها .

١٢٧١ بـدأ الحصـار الرسمي للقلعـة . واضطر الحصن إلى الخضوع تحت وطء استخدام آلات الحصـار والمدفعية بأعداد كبيرة بعد شهر ونيف . وفي ٨ نيسان استسلم الفرسان في مقابل خروجهم إلى طرابلس .

وضـع العرب القلعـة في الخـدمـة على الفـور مرة أخرى . وشيـد فيهـا برجـان على الجـانب الجنـوبي ، وقام حاكمها الجديد صـارم الـدين قـايمـاز[1] بـأعمـال إصلاح واسعة النطاق تحت الإشراف المستمر للسلطـان بيبرس نفسه .

١١٨٥ شيـد البرج المستطيـل الضخم البـارز عن الواجهـة الجنوبيـة للسـور الخـارجي . ويعـزو النص المحفور على البرج بناءه إلى السلطان قلاوون .

١٣٠١ ـ ١٣٠٢ حـدثت أضرار نتيجة تسـاقـط الأمطار الغزيرة تطلبت إجراء إصلاحـات في القلعـة العليا .

كانت القلعة ما تزال تستخـدم في أواخر العصور الـوسطى وفي الأزمنـة الحـديثـة . ولقـد كانت سليمـة تقريباً في أوائل العام ١٨٠٠ إلا أنها لم تكن مسكونـة ، إلا أن توسع القرية الصغيرة في أطلالها في نهاية القرن تسبب في أضرار كبيرة فيما بقي من أبنية فيها . شغلت الإدارة الفرنسية القلعة أيـام الانتـداب وبـدأت فيهـا أعمال الترميم اعتباراً من العام ١٩٢٧ .

المراجع :
راي ، العمارة العسكرية ، ٣٩ وما يليها .
ف بيرشيم ـ فاتيو ، الرحلة I ، ١٣٥ ـ ١٦٣ .
انلارت ، الصروح التذكارية II ، ٩٣ ـ ٩٩ .
دوشامب ، القصور I يحوي معطيات مرجعية كاملة .
فيـدن ـ تـومسـون ، ٧٦ ـ ٨٢ ، واللـوحـات ٣٨ ـ ٥٠٠ (وبعضها تكبير للمخططات الموجودة هنا) .

Bibliography:
Rey, *Arch. Militaire*, 39 et seq;
v. Berchem – Fatio, *Voyage I*, 135–163;
Enlart, *Monuments II*, 93–9;
Deschamps, *Châteaux I*, containing full bibliographical data;
Fedden-Thomson, 76–82 and Pl. 38–50 (some of which amplify the plans given here).

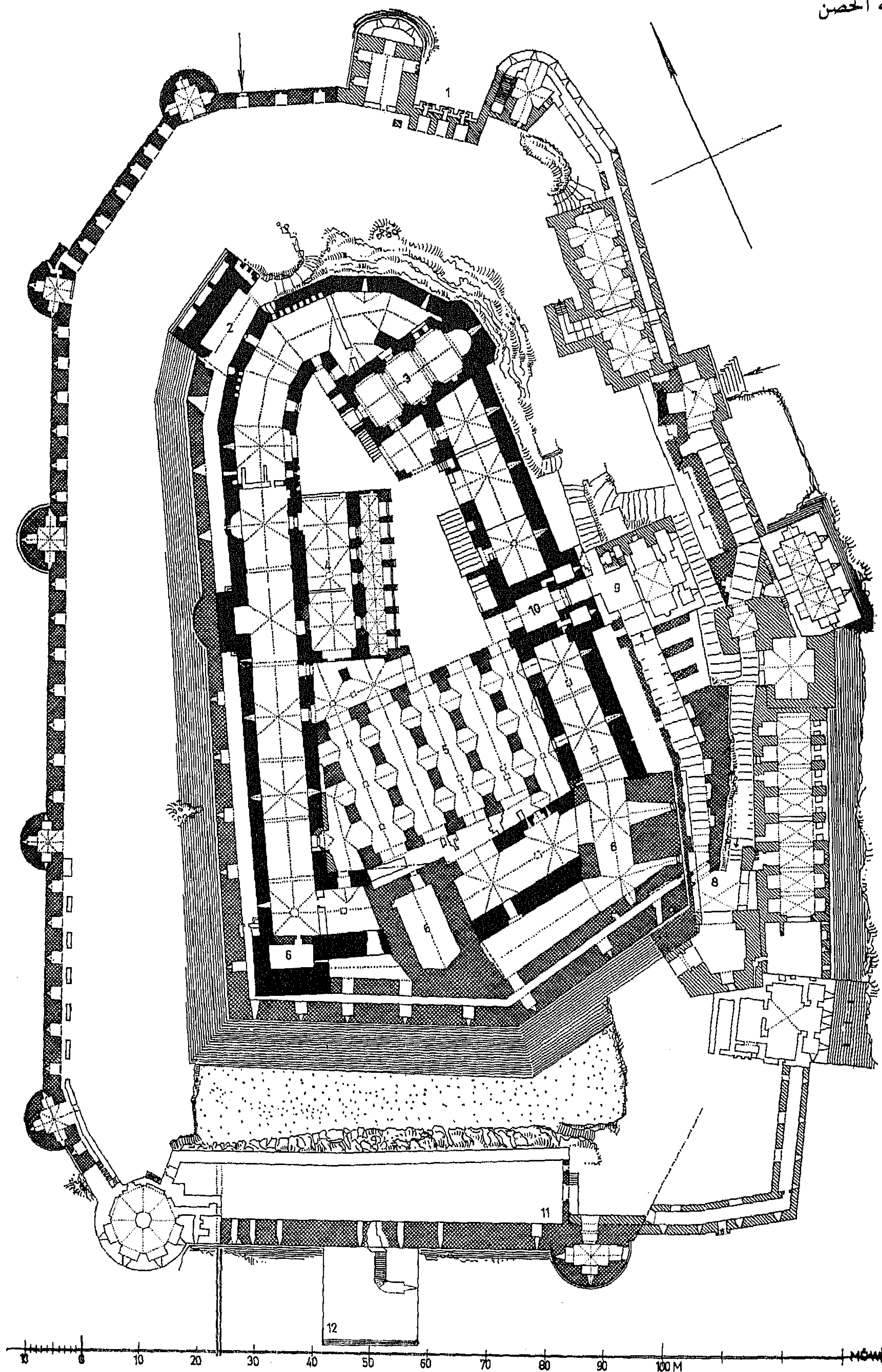
المخطط ١٤ : قلعة الحصن Krak des Chevaliers

مخطط أرضي مركب لجميع المستويات ، المقياس ١٠٠٠ / ١ . رسمت الأجـزاء المبنيـة في القرن الثـاني عشر فمـا قبـل بـاللـون الأسود ، والإضافات التي شيدت في القرن الثـالث عشر بـالتهشير المتقـاطـع ، والإضـافـات التي تلت منتصف القرن الثـالث عشر بـالتهشير البسيـط ، أمـا تعـديـلات مـا بعـد العـام ١٢٧١ فغير مهشرة .

١ ـ البـوابـة الشماليـة ، ٢ ـ البرج الشمالي ، ٣ ـ كنيسـة القلعـة ، ٤ ـ القـاعـة الكبرى والرواق حول فنـاء الكنيسـة ، ٥ ـ المخازن ، ٦ ـ أسـاسـات الأبراج الثلاثـة الجنوبيـة ، ٧ ـ البـوابـة الرئيسيـة الـدنيـا ، ٨ ـ حـاجز على الممر ، ٩ ـ البوابـة الرئيسيـة العليا ، ١٠ ـ البوابة الداخلية ، ١١ ـ الاسطبلات والمخازن ، ١٢ ـ برج السلطان قلاوون (بالاستناد إلى دوشامب ، القصور I) .

(١) انظر الروض الزاهر : ٣٧٧ ، ٤٤٦ .

قلعة الحصن



قلعـــة الشقيف (شقيف أرنـــون)(☆)

BEAUFORT اللوحة ٨٤

بالعربية قلعة شقيف أرنون .

بـالفرنجية بوفور (الحصن الجميل) Beaufort ، بلفور Belfort ، بليفورت Belliforte وغيرها .

الوصف :

قلعة في جنـوب لبنـان تقـع فـوق جرف جبلي شـديـد الانحـدار ارتفـاعـه ٢٢٠٠ قـدمـاً مقـابـل نهر الليطاني . وهي مثل قلعـة صبيبـة (بـانيـاس) التي تقع على اتصال بالنظر معها ، تتحكم بالمنافذ الجنوبية لهضبة البقاع الخصيبة . شيدت القلعة العليـا التي لهـا برج محصن كبير وسور ضخم من الحجـارة المتـداخلـة فوق هضبة مستديرة صخرية بارزة ، بينما تتصل بهـا القلعـة السفليـة عن طريـق ريف صخري ضيـق من جهة الشرق . تنفصل أرباض القلعة كلية عن الهضبـة المحيطة بها ، التي كانت مـأهولـة في يوم مـا ، بخنـدق مائي محفور في الصخر الأصم .

التاريخ :

١١٣٩ . استولى الملـك فـولـك Fulk على معقـل قلعـة الشقيف من الأمير شهـاب الـدين ووهبهـا إلى صـاحب صيـدا الإقطـاعي . جرت تقـويـة القلعـة بإضافة برج محصن إليها مع سور خارجي متين .

١١٨٧ ـ ١١٩٠ . لم تسقـط قلعـة الشقيف أو بوفور بعد هزيمة الفرنجة في حطين ، ولكن القوات العربية حـاصرتهـا على عجل اعتبـاراً من شهر نيسـان ١١٨٩ فمـا بعـد ، إلا أن الفرنجـة زادوا في تحصينهـا في الـوقت ذاتـه . وبعـد حصـار استمر مـا يقـارب العـام اضطرت الحامية إلى الاستسلام .

شرع أصحاب القلعة الجـدد من العرب في أعمـال إصلاح إضافية (القاعة المضلعـة عنـد الطرف الشمالي للقلعة العليا وأجزاء من القلعة السفليـة ، وبرج كبير في الزاوية مع ساتر لتقوية الواجهة الجنوبية .

١٢٤٠ . أعيـدت بـوفـور إلى ملكيـة الفرنجـة بموجب شروط معاهدة عقدت بين الفرنجة والسلطـان الصالح إسماعيل ، ولكنهم اضطروا إلى تخليصهـا عنوة من حاميتها التي رفضت الامتثال لذلك .

شيـدت إضـافـات أخرى إلى القلعـة من بينهـا الكنيسة في القلعة العليا . وامتلكهـا أصحـاب صيـدا مرة أخرى .

١٢٦٠ . أجبر جـوليـان Julien صـاحب صيـدا على بيعهـا إلى الـداويـة الـذين عـززوا دفـاعـاتهـا . وتركزت أعمالهم الرئيسية على التحصينات الخـارجيـة فـوق الهضبـة من جهـة الجنـوب التي صممت لمنـع استخدام آلات الحصار ضد القلعة .

١٢٦٨ . حـاصر السلطـان بيبرس القلعـة واضطرهـا إلى الاستسـلام بعـد أسبـوعين تقريبـاً باستخدام الآلات الضخمة . أعيد تجديـد القلعـة على

(☆) قال أبو الفداء في تقويم البلدان :

قال في المشترك : شقيف أرنون بين دمشق والساحل ، بـالقرب من بـانيـاس ، وأرنون اسم رجل ، والشقيف المذكور معقل حصين ، والشقيف أيضاً شقيف تيرون بكسر المثناة الفوقية وسكون المثنـاة التحتيـة وضم الراء المهملة وواو ونون . قـال : وهي أيضاً قلعـة بقرب صور بالساحل .

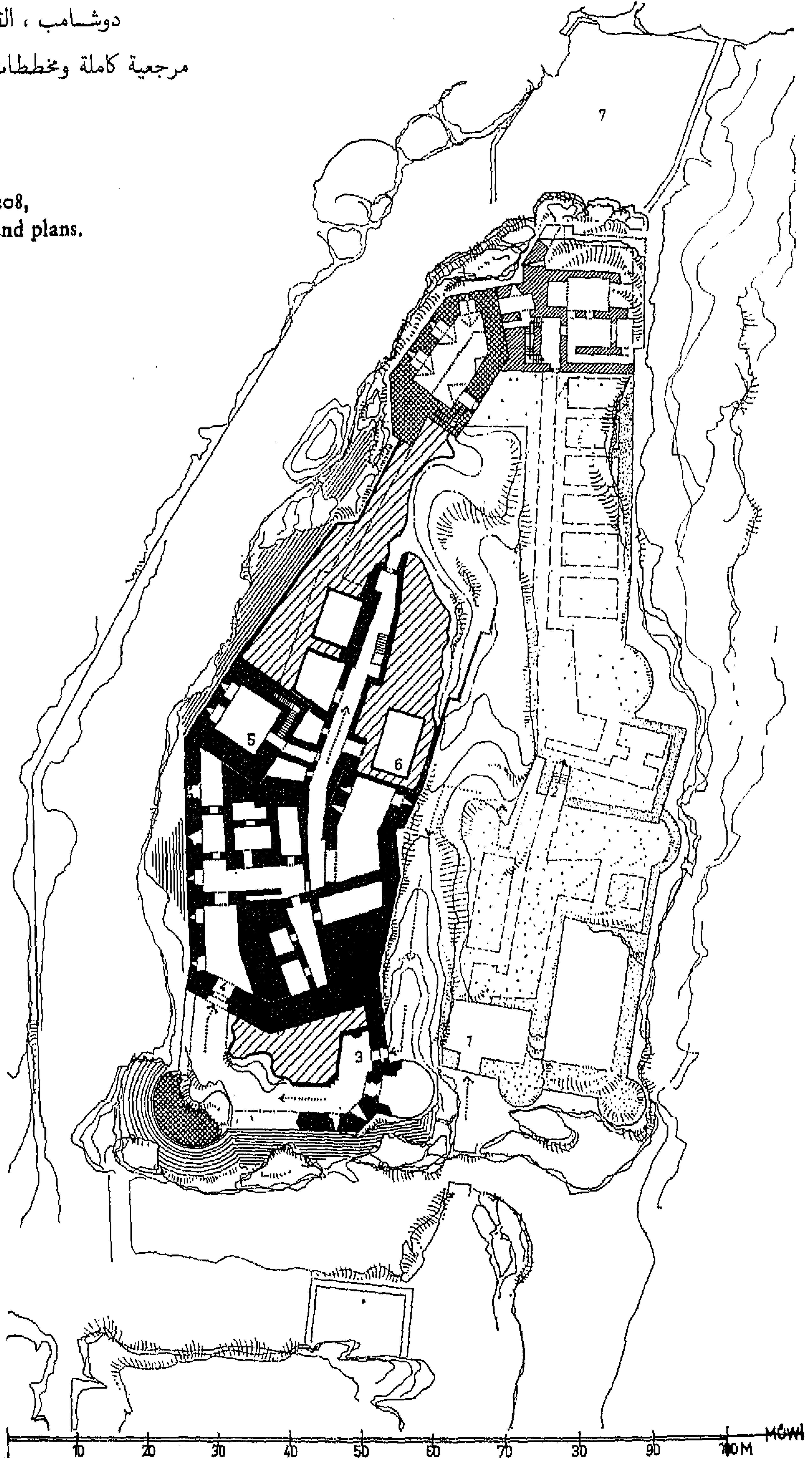
يد حاكمها الجديد الأمير صارم الدين قايماز الكافري .

هجرت القلعة بعد ذلك بسبب موقعها البعيد ، ولكنها حافظت على حالتها منذ العصور الوسطى رغم تهدمها . ونظراً لمتاخمتها للحدود الإسرائيلية لا يمكن التقاط صور لها إلا تحت الرقابة العسكرية المشددة .

المراجع :

دوشامب ، القصور II ، ١٧٦ - ٢٠٨ ، مع معطيات مرجعية كاملة ومخططات .

Bibliography:
Deschamps, *Châteaux II*, 176–208, with full bibliographical data and plans.



المخطط ١٥ : قلعة شقيف Beaufort

مخطط أرضي عام للقلعة ، المقياس ١٠٠٠ / ١ ، رسمت الأجزاء التي تعود بتاريخها إلى فترتي البناء الفرنجيتين الأولى والثانية باللون الأسود ، والإضافات العربية (١١٩٠ - ١٢٤٠) بالتهشير المتقاطع ، والإضافات العربية الأخرى (بعد ١٢٤٠) بالتهشير الكثيف ، والأبنية المشادة تحت الأرض والصخر بالتهشير العريض .

١ - غرفة البوابة الخارجية للقلعة السفلية ، ٢ - ممر عبر بوابة تحت الأرض إلى فناء القلعة السفلى ، ٣ - البوابة الخارجية للقلعة العليا ، ٤ - البوابة الداخلية للقلعة العليا ، ٥ - برج محصن ، ٦ - أساسات الكنيسة ، ٧ - صهريج ماء في قناة القلعة (بالاستناد إلى دوشامب ، القصور II) .

جبيل JBAIL

اللوحات ٨٥ ـ ٨٧

بالعربية جُبيْل وجُبَيْل .

باليونانية بيبلوس Byblos ، بالفرنجية جيبلة جيبيلة Giblet, Gibelet .

الوصف :

مدينة وقلعة على الساحل اللبناني مع مرفأ صغير جيد الحماية ، بني في موقع مرفأ بيبلوس الفينيقي القديم . وهذه المدينة ، على العكس من المستوطنة الأصلية ، تحتضن المرفأ الصغير كلية ، وهي ذاتها محاطة بسور خارجي بسيط معزز بالأبراج . تنتصب القلعة في الزاوية الجنوبية الشرقية للمدينة الصغيرة . أحيط البرج المشيد من حجارة كبيرة متداخلة بجدار ساتر من جميع جوانبه ، وقوي ببريجات زاوية صغيرة . أما البوابة فمحمية ببرج خاص متميز في منتصف الواجهة الشمالية .

خضعت القلعة لتعديلات صغيرة أثناء الحكم العثماني .

التاريخ :

١١٠٣ . بعد أن استولى الفرنجة على طرطوس حاصر ريمون دوسان جيل (صنجيل) جبيل بمساعدة السفن الجنوية ، واستولى على المدينة بهجوم صاعق يوم ٢٨ نيسان .

حصل الجنويون على ثلث جبيل لقاء خدماتهم التي قدموها ، وفي العام ١١٠٩ وبعد الاستيلاء على طرابلس تملكوا المدينة كلها . وعهد بجبيل إلى نبيل جنوي اسمه (أوغو أومبرياكو Ugo Umbriaco) الذي تولى إدارتها بادئ ذي بدء وفق السلوك المتبع في مدينته مسقط رأسه . وحافظ ورثته على المدينة كأملاك موروثة .

ربما كانت الأجزاء الأولى من القلعة تعود في تاريخها إلى القرن الثاني عشر .

١١٧٠ . خربت المدينة بزلزال شديد .

١١٨٨ . حصل صلاح الدين على المدينة والقلعة كفدية مقابل إطلاق سراح هيوغوس الثالث كونت جبيل Hugues III de Giblet .

١١٩٠ . دفعت الأنباء الواردة عن اقتراب الإمبراطور فريدريك الأول (بربروسا) وجيشه السلطان صلاح الدين إلى تعرية جبيل من تحصيناتها .

١١٩٧ ـ ١١٩٨ . استعاد غي الأول صاحب جبيل ملكيته لمقر العائلة وأعاد بناء دفاعاتها .

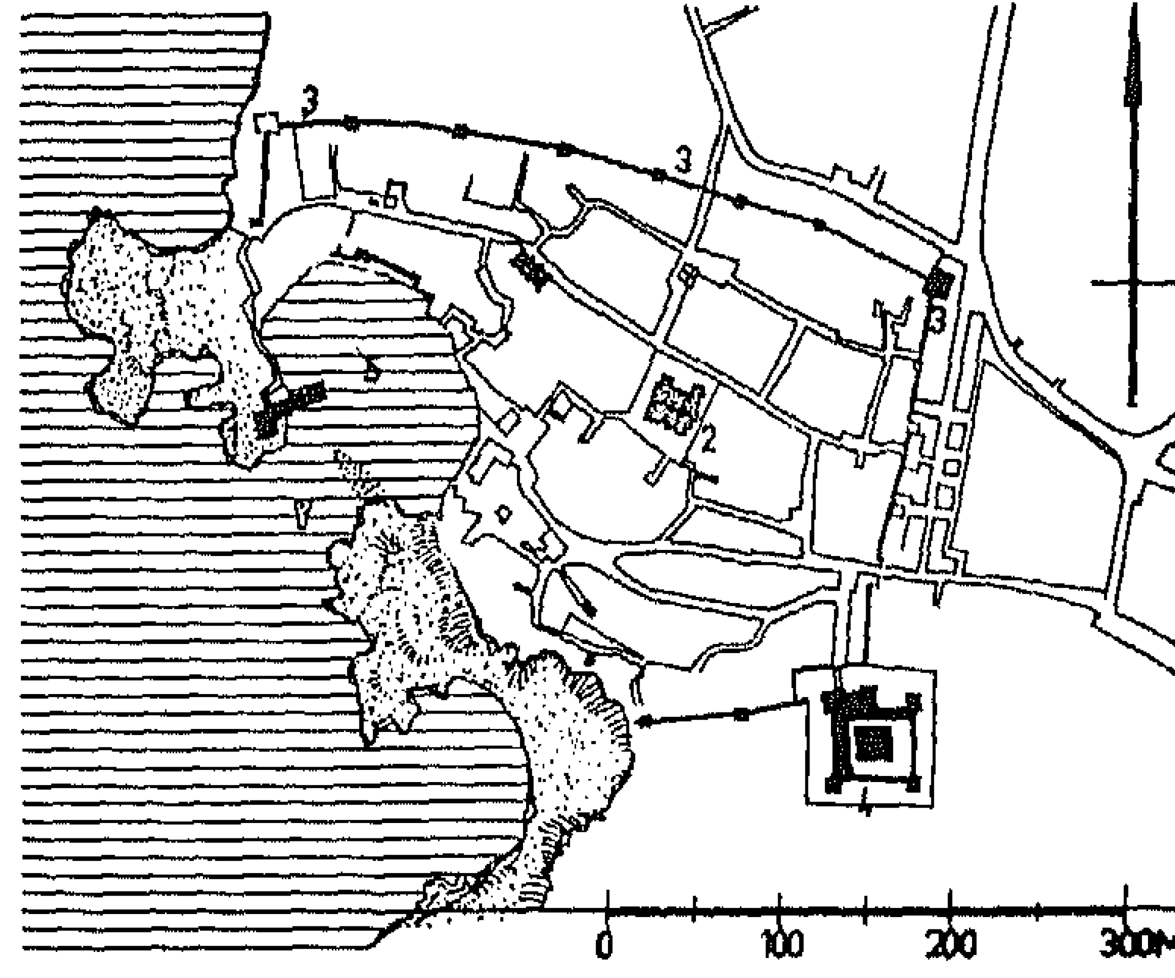
١٣٩٩ . أغارت سفن القبارصة على المدينة قادمة من فماغوستا .

لم تلعب جبيل أي دور آخر في تاريخ البلاد . حدثت تعديلات صغيرة متتالية لمصلحة حاميتها الصغيرة التي تمركزت فيها أثناء الحكم العثماني .

المراجع :

ف . برشيم ـ فاشيو ، الرحلة I ، ١٠٥ ـ ١١٣
انلارت ، الصروح التذكارية II ، ١١٦ ـ ١٢٤
ي . ج . راي ، أصحاب جبيل بالفرنجية أو اللاتينية ، ٣ ، ١٨٩٥ ، ٣٩٨ ـ ٤٤٢ (تاريخ العائلة) .
الموسوعة الإسلامية (٢) II ، ٥٨٢ ـ ٥٨٣ (د . سورديل ١٩٦٣) .

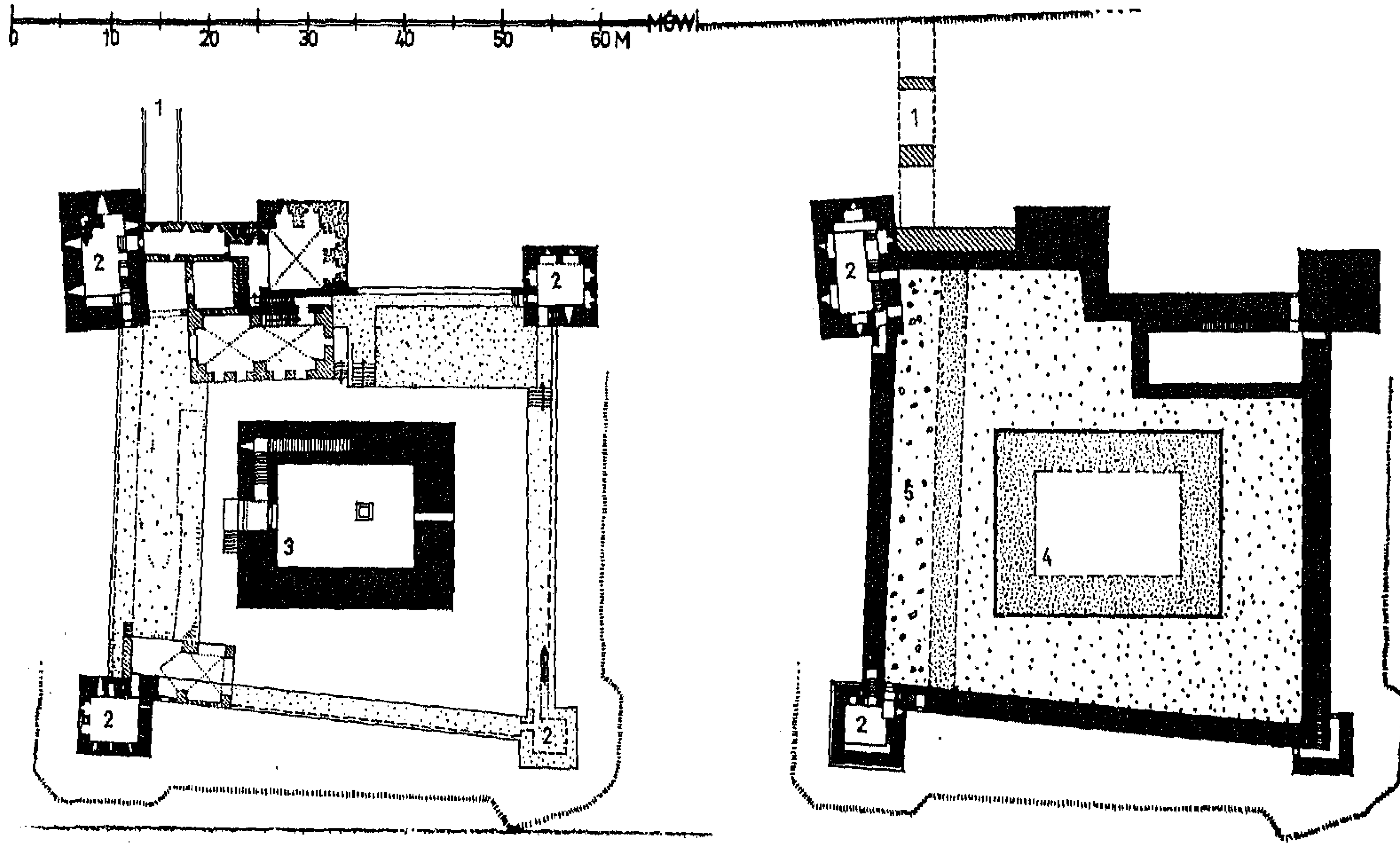
Bibliography:
v. Berchem-Fatio, *Voyage I*, 105–113;
Enlart, *Monuments II*, 116–124;
E. G. Rey, 'Les Seigneurs de Giblet', in: *Rev. Or. Lat. 3, 1895*, 398–442 (family history);
Enc. Isl. (2) II, 582–3 (D. Sourdel 1963).



مخطط ١٦ : جبيل Jbail - Giblet

مخطط المدينة ، المقياس ١٠٠٠٠ / ١ .

١ ـ حصن المرفأ ، ٢ ـ كنيسة القديس يوحنا ، ٣ ـ بوابة المدينة ، ٤ ـ القلعة ، ٥ ـ المرفأ (بالاستناد إلى م . دوناند ، حفريات بيبلوس I باريز ١٩٣٩) .



مخطط ١٧ : جبيل

مخطط أرضي للقلعة (الطابق الأرضي إلى اليسار والأقبية إلى اليمين) المقياس ١٠٠٠ / ١ ، رسمت الأجزاء التي بناها الفرنجة بالأسود ، والتي شيدها العرب بالمهشر .

١ ـ المنفذ إلى القلعة (عن طريق جسر) ، ٢ ـ الأبراج الزاوية مع بوابات جانبية ، ٣ ـ برج محصن ، ٤ ـ خزان في قبو البرج المحصن ، ٥ ـ عقود من دبش الحجارة (مستودع) . (بالاستناد إلى دو شامب ، القصور I ، ص ٥٠ ، وقياسات المؤلف) .

حارم(*) HARIM

اللوحات ٨٨ ـ ٨٩

بالعربية حارم .

بالفرنجية كاستروم هارنك Castrum Harenc ، هارّينش Harrench وهارّم Harrem إلخ ..

الوصف :

قلعة ومدينة في شمالي سورية تقع في الشعاب الغربية من جبل باريشا وتطل على السهل المحيط ببحيرة العمق وتسيطر على الطريق الرئيسي بين أنطاكية وحلب .

تنتصب القلعة فوق مرتفع صخري ، ازداد ارتفاعه صنعياً على مر العصور بالاستيطان السكاني ، وربما كان محمياً من جميع جهاته بقناة مائية ، شقت عميقاً في الصخر من الجهة الشمالية الشرقية . وثمة مناطق واسعة من السفح المتجانس المحيط بها رفدت أو كسيت بالحجارة . ولقد كيفت التحصينات جيداً مع الأرض ، وهي تتألف من سور حاجز ، متداع حالياً ، ولكنه كان مقوى بأبراج متينة ، وتوجد إلى الشرق من ذلك الموقع البيضوي الشكل تقريباً « قليعة » مستطيلة كبيرة الحجم لم يبق منها سوى أثر ضئيل .

التاريخ :

منتصف القرن العاشر قلعة صغيرة مشيدة قرب حارم أعقبها غزو بيزنطي لشمال سورية بقيادة الإمبراطور نقفور فوكاس (٩٦٣ ـ ٩٦٩) وسقوط أنطاكية .

١٠٨٥ استعيدت أنطاكية وحارم على يد الجيش السلجوقي بقيادة سليمان بن قطلميش .

١٠٩٧ ـ ١٠٩٨ هددت القلعة مؤخرة الجيش الصليبي الذي يحاصر أنطاكية فاستولى الفرنجة عليها أثناء الشتاء .

١١٤٩ احتل نور الدين سلطان حلب حارم لمدة قصيرة .

١١٦٤ استعاد نور الدين حارم مرة أخرى ، وظلت في أيد عربية رغم الهجمات المعاكسة العديدة التي شنها الفرنجة .

١١٩٩ قويت الدفاعات على يد الملك الظاهر غازي حاكم حلب ، الذي شيد أبراجاً جديدة ، ربما كانت « القليعة » من بينها ، وجدراناً استنادية للمنحدرات وتابع خلفاؤه العمل من بعده .

أواخر القرن الثالث عشر رممت حارم بعد أن عاث بها المغول خراباً في العام ١٢٦٠ و ١٢٧١ ، ولكنها لم تحتل مكانة هامة منذ أواخر العصور الوسطى .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية II ، ٢٨٤ .
الدليل الأزرق : الشرق الأوسط ، باريز ١٩٥٦ ، ٣١٥ .
ف . بيرشيم ـ فاتيو ، الرحلة I ، ٢٢٩ ـ ٢٣٨ .
سي ل . شابان ، سورية الشمالية في الحروب الصليبية ، باريز ١٩٤٠ .

Bibliography:
Enc. Isl. II, 284;
Guide Bleu: Moyen Orient, Paris 1956, 315;
v. Berchem – Fatio, *Voyage I*, 229–238;
Cl. Cahen, *La Syrie du Nord à l'époque des Croisades*, Paris 1940, pass.

(*) جاء وصفها في تقويم البلدان على النحو التالي :

وهي بلدة صغيرة ذات قلعة وأشجار وأعين ونهر صغير . قال ابن سعيد : هو حصن كثير الأرزاق ، وقد خصّ بالرمّان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة المياه ، وهو على مرحلتين من حلب في جهة الغرب وبين حارم وأنطاكية مرحلة .

حلب[☆]

اللوحات ٩٠ ـ ٩١

بالفرنجية واللغات الأخرى Aleppo .

الوصف والتاريخ :

عاصمة سورية الشمالية وموقع مأهول منذ آلاف السنين . تتألف النواة الأساسية للمنطقة السكنية من التل الضخم الواقع في منتصف المدينة الحديثة ، والذي حول إلى قلعة في العصور الوسطى . وتشغل الأحياء السكنية من العصور الوسطى ـ مثلها مثل المدينة القديمة ـ المساحة الكائنة مابين القلعة ونهر قويق الصغير ، وهي رقعة من الأرض تنحدر تدريجياً باتجاه الغرب .

في نهاية القرن العاشر أصبحت حلب عاصمة دويلة صغيرة يحكمها أمير حمداني اسمه سيف الدولة . وفي العام ٩٦٢ دمرت المدينة كلها بعد أن هزمه القائد البيزنطي (الإمبراطورفيا بعد) نيقفورفوكاس . ومع اقتراب القرن الحادي عشر من نهايته أصبحت حلب من أملاك الأمراء السلاجقة . أدى النزاع المتواصل داخل المعسكر الإسلامي ـ في السنوات الأولى من القرن الثاني عشر ـ إلى غزو الصليبيين لضواحي المدينة ذاتها ، إلا أن هذا الخطر سرعان ماانزاح على يد الأتابك زنكي الذي تسنم زمام الأمور فيها في العام ١١٢٨ . واستعادت المدينة أهميتها كمقر للحكام المحليين المتعاقبين وكمركز تجاري في شمالي سورية ، ولكنها توقفت عن التورط في الصراع ضد الفرنجة .

أخذت التحصينات تتصدع باستمرار منذ العام ٩٦٢ م وفي العام ١١٥٧ أصابتها الزلازل بتلف كبير فشرع نور الدين بالعمل في ترميمها تحت إشرافه بعد تلك الزلازل مباشرة واستمر العمل مع بعض الانقطاع حتى القرن الثالث عشر . وفي عهد ابن السلطان صلاح الدين ، السلطان الظاهر غازي ، اكتملت إعادة بناء قطاعات كبيرة من دفاعات المدينة وكيفت مع التبدلات التي فرضتها متطلبات حرب الحصار ومنها تحصينات القلعة ، وبخاصة البوابة الرئيسية (١٢٠٨ ـ ١٢١٣) . وكانت هذه البوابة في الأصل مؤلفة من برجين مع مدخل وباشورة بينهما . ولكنها رممت وعدلت بشكل أساسي في الفترة بين العامين ١٤٠٤ و ١٤٠٦ لإصلاح الأضرار التي ألحقها بها هولاكو وجيشه المغولي في العام ١٢٦٠ وتيمور الأعرج في العام ١٤٠٠ ؛ فتم وصل البرجين بقاعة فسيحة ، وقام آخر المماليك السلاجقة بترميم القلعة أثناء صراعهم ضد الأتراك العثمانيين ، وشرع السلطان قانصوه الغوري في العام ١٥٠٤ ببناء البوابة الخارجية .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية ، II ، ٢٤١ ـ ٢٥١ (سوبرنهايم ـ هيرزفيلد ١٩٢٧) .

ج . سوفاجيت ، حلب ، مطالعة عن تطور إحدى المدن السورية الكبرى ... باريز ١٩٤١ (النص والمخطط) .

ي . هيرزفيلد ، مواد الوثائق العربية الجزء الثاني :

سورية الشمالية : السجلات والآثار التاريخية في حلب ، القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ .

Bibliography:

Enc. Isl. II, 241–251 (Sobernheim-Herzfeld 1927);

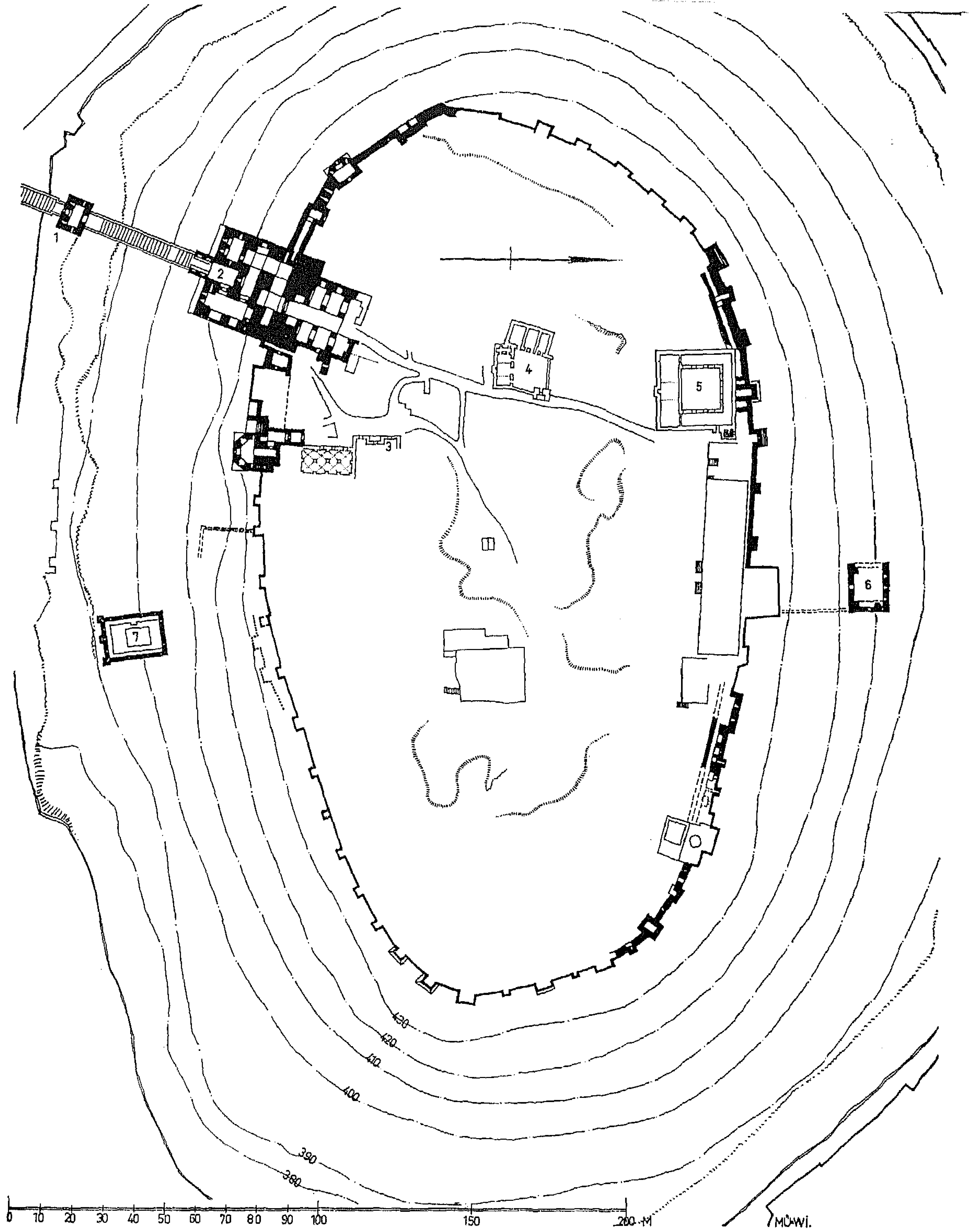
J. Sauvaget, *Alep. Essai sur le developpement d'une grande ville syrienne*... Paris 1941 (text and pl.);

E. Herzfeld, *Matériaux pour un Corpus Inscr. Arabicarum, Part II:*

Syrie du Nord: Inscriptions et monuments d'Alep, Cairo 1954–55 (MIFAO 36–38).

(☆) جاء ذكرها في تقويم البلدان لأبي الفداء ص ٢٦٧ على النحو التالي :

وحلب : بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة ، وبها مقام إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ، ولها بساتين قلائل ويمرّ بها نهر قويق ، وهي على مدرج طريق العراق إلى الثغور وسائر الشامات ، وبين حلب وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً . قال في العزيزي : وهي مدينة جليلة عامرة حسنة المنازل ، عليها سور من حجر ، وفي وسطها قلعة على تلّ لاترام ، وبينها وبين معرّة النعمان ستة وثلاثون ميلاً ، وبينها وبين مدينة بالس خمسة عشر فرسخاً .

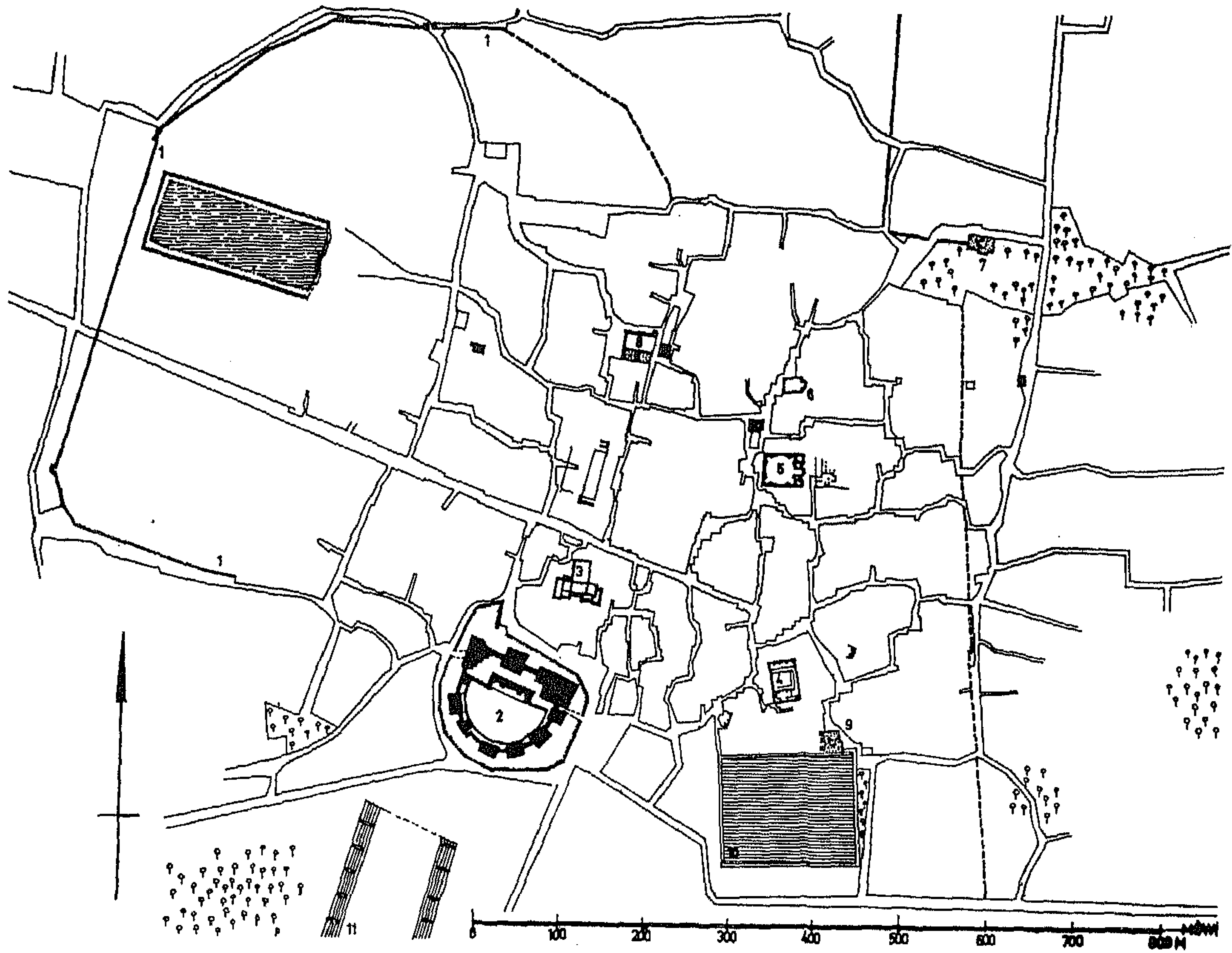


مخطط ١٨ : حلب

مخطط عام للقلعة ، المقياس ٢٠٠٠ / ١ .

١ ـ البوابة الخارجية ، ٢ ـ البوابة الرئيسية ، ٣ ـ حمام متصدع ، ٤ ـ مسجد صغير (يدعى مسجد إبراهيم ، شيد عام ١١٦٢ على يد نور الدين) ، ٥ ـ المسجد الكبير (شيد عام ١٢١٠ على يد الملك الظاهر) ، ٦ ـ البرج الخارجي الشمالي (فوق أطلال سور القلعة السابق) .

(بالاستناد إلى مسح دائرة الآثار السورية وملاحظات المؤلف) .



المخطط ١٩ : بصرى Bosra

مخطط البلدة ، المقياس ١٠٠٠٠ / ١ .

١ ـ السور القديم للمدينة ، ٢ ـ المسرح الروماني والقلعة ، ٣ ـ الحمامات الرومانية ، ٤ ـ ما يدعى قصر تراجان ، ٥ ـ أطلال الكاتدرائية ، ٦ ـ ما يسمى بـ : نصب بحيرا ، ٧ ـ مسجد مبرك الناقة والمقبرة ، ٨ ـ مسجد عمر (أسس عام ٧٨٥ من قبل الخليفة يزيد ٢) ، ٩ ـ مدرسة أبي الفداء (١٢٢٥) والنصب التذكاري ، ١٠ ـ بركة الحج (خزان ماء مكشوف) ، ١١ ـ المدرج السابق .

(بالاستناد إلى ي . أوتشيك و س . آ . مقداد) .

بصرى(☆) BOSRA

اللوحات ٩٢ ـ ٩٤

بالعربية بصرى وقديماً بصرى أسكي شام .

الاسم القديم والتسمية الفرنجية بوسترا Bostra .

الوصف :

مدينة على أطراف حوران في جنوب سورية ، كانت في يوم من الأيام عاصمة مقاطعة « أرابيا » Arabia الرومانية . وأكبر المباني القديمة العديدة التي ظلت باقية فيها هو المسرح الروماني . ولقد حول هذا المسرح كما في أماكن عدة أخرى إلى قلعة خلال العصور الوسطى . وشيدت عدة صفوف من الصهاريج (الخزانات) والمخازن داخل الحلبة القديمة أو قاعة النظارة ، وحصنت الواجهة الخارجية التي كانت مكشوفة في السابق بأسوار وأبراج .

(☆) ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٢٥٦ :

قال في العزيزي : وبصرى مدينة كورة حوران ، وهي مدينة أزلية مبنية بالحجارة السود ، مسقفة بها ، وبها سوق ومنبر ، وهي من ديار بني فزارة وبني مرّة وغيرهم ، ولها قلعة ذات بناء متين وبساتين ، وبناء قلعتها شبيه ببناء قلعة دمشق . قال ابن سعيد : بصرى قاعدة حوران ، وهي على أربع مراحل من دمشق ، وفي شرقيها صرخد على نحو ستة عشر ميلاً .

التاريخ :

٦٣٤ بعد أن ضرب الفرس المدينة في العام ٦١٣ وحرمت نهائياً من مكانتها السياسية السابقة استعادها العرب مجدداً وحولوا مسرحها إلى معقل حصين .

١٠٨٨ ـ ١٠٩٠ شيد أول الأبراج في الزاوية الشمالية الشرقية من القلعة .

أوائل القرن الثاني عشر انضم حاكم بصرى أيتكين Aytekin[1] بقواته إلى الفرنجة ضد الفاطميين . وقام هو وخلفاؤه بعدة محاولات لتسليم المدينة إلى الفرنجة ، إلا أن بصرى رغم جهودهم ومحاولات الفرنجة لمهاجمتها في العام ١١٤٧ و ١١٥١ ظلت في أيدي العرب . وبدأت القلعة تأخذ مظهرها الحالي في عهد صلاح الدين .

أوائل القرن الثالث عشر ظهرت أبراج القلعة التسعة إلى الوجود في الفترة ما بين العام ١٢١١و ١٢٥١ ، ولقد سجل على كل منها تاريخ إنشائه بالضبط .

١٢٦٠ ـ ١٢٦١ خرب المغول المدينة ولكن السلطان بيبرس رممها . ونظراً لعمق موقعها داخل الأراضي العربية لم يعد للمدينة أي دور في الصراع الحربي الذي دار في الفترة الأخيرة من الوجود الفرنجي في المشرق .

جرت تنقيبات عن المسرح الروماني في الآونة الأخيرة ، وأزيلت أجزاء القلعة التي كانت داخل قاعة النظارة .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية I ، ٧٩٧ (ف ر بوهل ١٩١٣) .
الموسوعة الإسلامية (٢) I ، ١٣١٤ ـ ١٦ (آ . آبل ١٩٦٠) .
ي . أوتشيك ـ س . آ . مقداد ، بصرى ، دليل تاريخي وأثري ، دمشق ١٩٥٤ .
آ . آبل ، القلعة الأيوبية في بصرى أسكي شام ؛ في مجلة العاديات السورية ٦ ، ١٩٥٩ ، ٩٥ ـ ١٣٨ .

Bibliography:

Enc. Isl. I, 797 (Fr. Buhl 1913);
Enc. Isl. (2) I, 1314–16 (A. Abel 1960);
E. Ouéchek – S. A. Mougdad, *Bosra, Guide historique et archéologique,* Damascus 1954;
A. Abel, 'La citadelle Ayyubite de Bosra-Eski Châm', in: *Annales Archéologiques de Syrie 6, 1956,* 95–138.

مصياف[*] MASYAF

اللوحة ٩٥

بالعربية مَصياد Masyâd ومصياف إلخ .

بالفرنجية مصياط Messiat .

الوصف :

قلعة ومدينة صغيرة في وسط وغرب سورية ، تقع فوق تل متدرج الانحدار في الشعاب الشرقية من جبال النصيرية . والمدينة الصغيرة محاطة بسور واق

---

(١) أيتكين السليماني من غلمان تتش بن ألب أرسلان أول حاكم سلجوقي لدمشق ، وقد أتى ابن القلانسي في تاريخه : ١٤٥ ـ ١٤٩ على ذكر أعمال أيتكين في حوران وعلاقاته بطغتكين أتابك دمشق وسواه .

(☆) وصفها أبو الفداء في كتابه « تقويم البلدان » فقال :

ومدينة مصياف : هي بلدة جليلة وبها أنهر صغار من أعين ، ولها بساتين ، ولها قلعة حصينة ، وهي مركز دعوة الإسماعيلية ، وهي في لحف جبل اللكام الشرقي ، ومصياف عن بارين في جهة الشمال على مسافة فرسخ ، وعن حماة في جهة الغرب على مسيرة يوم ، وجبل اللكّام بضم اللام وتشديد الكاف وألف وميم .

بسيط . تقع القلعة عند نهايتها الشرقية ، وتتماشى أسوارها الخارجية مع الخطوط العامة للمرتفع الصخري المتطاول الذي تنتصب فوقه . وهي محمية بشكل مثير للعجب باستغلال المعالم الطبوغرافية استغلالاً تاماً . وتتألف هذه القلعة المتضامة للغاية من جناح علوي محاط بقلعة خارجية ، يتميز كل عنصر من عناصرها بتنوع أسلوب البناء فيه على نطاق واسع وشتات من حقب متباعدة جداً .

التاريخ :

١٠٩٩ وجدت القلعة منذ العهود البيزنطية ، وكان يملكها فرع من العائلة المرداسية خلال الحملة الصليبية الأولى .

١١٠٣ يشاع أنها وقعت في أيدي الفرنجة فترة قصيرة .

١١٠٩ ـ ١١١٠ ضمنت معاهدة بين كونت طرابلس وأتابك دمشق حماية مصياف من الغزوات الفرنجية مقابل جزية .

١١٢٧ بيعت مصياف إلى بني منقذ الذين تخلوا عنها إلى الإسماعيلية مع قلعة القدموس التي أضحت مقر شيخ الجبل .

١١٧٦ حاصر صلاح الدين القلعة بسبب محاولتين قامت بها الإسماعيلية لاغتياله ، ولكن سرعان ما اصطلح الطرفان ورفع الحصار .

١٢٢٠ جرت أعمال إصلاح وبناء جديدة في داخل القلعة ، كما تدل على ذلك النقوش الكتابية فيها .

١٢٤٩ شيدت بوابة للمدينة على يد تاج الدين أبو الفتوح وهو فارسي من قلعة ألموت Alamût .

١٢٦٠ استولى المغول على مصياف ، واحتلوها فترة من الزمن ، ثم خربوها بعد أن اضطروا للانسحاب منها نتيجة هزيمتهم في عين جالوت .

١٢٧٠ استولى السلطان بيبرس على القلعة واحتلها وأتبعت في بادئ الأمر لمقاطعة قلعة الحصن ثم إلى ولاية طرابلس .

لم يكن لها سوى دور صغير في النزاع الداخلي بين السكان المحليين في العام ١٨٠٨ . شغلت القلعة فيما بعد حامية فرنسية وأخليت من قاطنيها وأعيد ترميمها جزئياً .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية III ، ٤٦٥ ـ ٤٦٧ (ي . هونيغمان ١٩٣٦) .

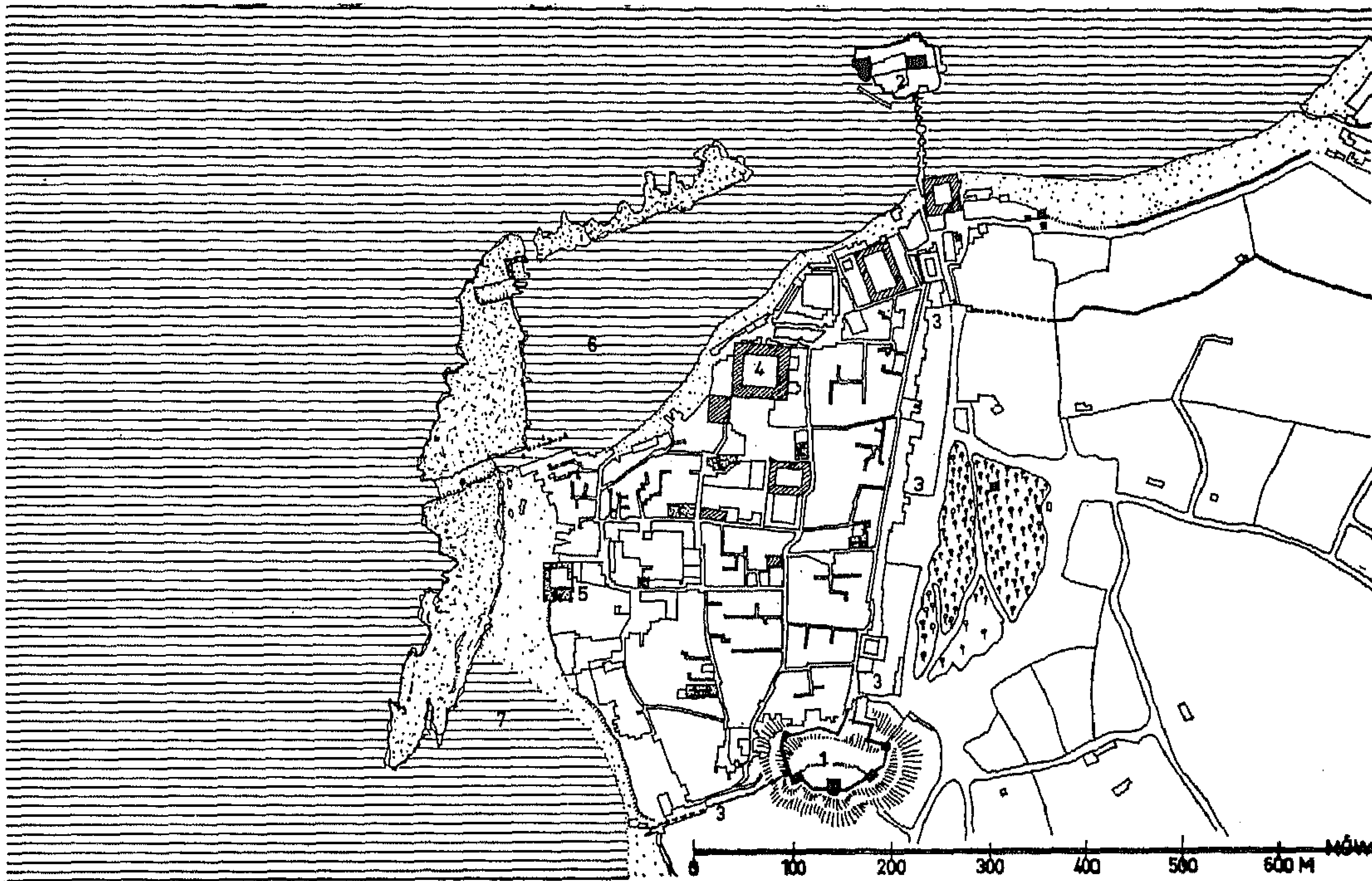
دوشامب ، القصور I (لوحة ٥ ب) .

فيدن ـ تومسون ، المخطط ٣٧ (صورة جوية) .

مارشال ج هودجسون « جماعة الحشيشية » دار غرافنهيج ١٩٥٥ .

م . فان بيرشيم لمحة عامة عن الحشيشية ، في مجلة آسية ، مسلسل ٩ ، مجلد ٩ ، ٤٨١ وما بعد .

Bibliography:
Enc. Isl. III, 465–67 (E. Honigmann 1936);
Deschamps, *Châteaux I* (Plate Vb);
Fedden – Thomson, Pl. 37 (aerial photograph);
Marshall G. Hodgson, *The Order of Assassins,* 'sGravenhage 1955;
M. van Berchem, 'Epigraphie des Assassins', in: *Journ. Asiat.* Ser. 9, Vol. 9, 481 et seq.



المخطط ٢٠ : صيدا ـ صيدون Saida- Sidon

مخطط المدينة كما كان في منتصف القرن التاسع عشر. المقياس ١٠٠٠٠/١ .

١ ـ قلعة البر (قلعة المعزة) ، ٢ ـ حصن المرفأ (قلعة البحر) ، ٣ ـ الحلقة المفترضة لسور المدينة في العصور الوسطى ، ٤ ـ خان الفرنساوي ، ٥ ـ المسجد الكبير ، ٦ ـ المرفأ الرئيسي ، ٧ ـ مايسمى بالمرفأ المصري ، (بالاستناد إلى الدليل الأزرق ومخططات المدينة القديمة) .

صيدا(☆) SAIDA

اللوحات ٩٦ ـ ٩٧

بالعربية صيدا Saidâ .

باليونانية واللاتينية صيدون وسيدون Sidon ، بالفرنجية ساجيت Sagette وساييت Sayette وصَيْد Seyd إلخ ..

الوصف :

مدينة وقلعة على الساحل الجنوبي من لبنان في موقع صيدون سابقاً التي كانت مرفأ بحرياً فينيقياً ، احتل مكانة هامة على مر العصور . تقع صيدا فوق رقعة متسعة من الأرض تمتد قليلاً داخل البحر ، وللمدينة مرفأ يحميه ريف صخري طبيعي ومكاسر صنعية كما يحميه حصن بحري من الهجمات الخارجية القادمة من البحر .

كانت المدينة مسورة بأسوار قوية وتحرسها من جهة البر قلعة (قلعة المعزة) التي تطل عليها من حافة تل قليل الارتفاع . لم يبق أي أثر من القلعة باستثناء برج واحد وأقسام منعزلة من جدارها . كما اختفت أيضاً أسوار المدينة . إلا أن حصن البحر

(☆) جاء ذكرها في تقويم البلدان على النحو التالي ص ٢٤٩ :

وهي على ساحل البحر ، وهي بليدة صغيرة ذات حصن . قال في العزيزي : ومن مدينة صيدا إلى مدينة مشغرا وهي من أنزه بلد في تلك الناحية وادٍ في نهاية الحسن بالأشجار والأنهار أربعة وعشرون ميلاً ، ومن مدينة مشغرا إلى مدينة تعرف بكامد قاعدة تلك البلاد قديماً ستة أميال ، ومن مدينة كامد إلى ضيعة تعرف بعين الجرّ ثمانية عشر ميلاً ، ومن عين الجر إلى مدينة دمشق ثمانية عشر ميلاً ، فجملة المسافة بين صيدا ودمشق ستة وستون ميلاً .

الذي خضع لتعديلات عديدة أثناء الحكم العثماني رمم في الآونة الأخيرة على نطاق واسع ، ولكن عناصر البناء فيه ليست كلها محددة المعالم تاريخياً .

التاريخ :

١١١٠ ظلت صيدا مطوقة منذ العام ١١٠٦ ، وبعد حصار صوري استمر سبعاً وأربعين يوماً تم الاستيلاء عليها بمساعدة أسطول نرويجي . وأصبح أوستاش غارنييه Eustashe Garnier سيد المدينة .

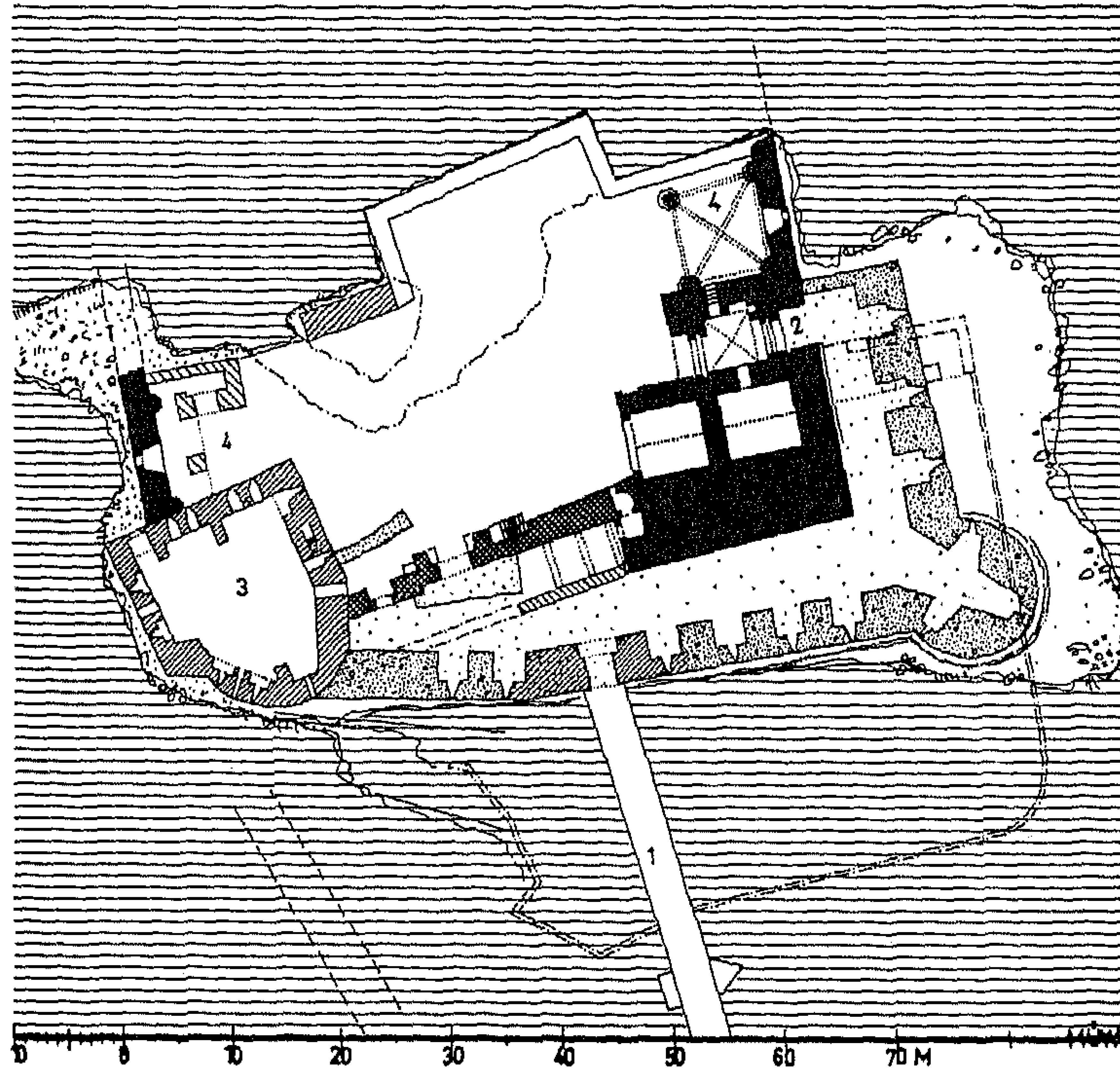
١١٥٧ أصابت الهزة الأرضية المدينة وتحصيناتها بأضرار بالغة .

١١٨٧ - ١١٩٢ هجرها الفرنجة بعد هزيمتهم في حطين واحتلها صلاح الدين ، وأزيل قسم كبير من تحصيناتها . وفي العام ١١٩٢ أعاد صلاح الدين جزءاً من أملاك رينو دو ساجيت Renaud de Sagette ولكن لم تجر أية إعادة بناء منتظمة فيها في البدء .

١٢٢٨ - ١٢٢٩ استعاد الفرنجة القلعة في خاتمة المطاف وأعيد تحصينها . بدأ العمل في إقامة حصن البحر (قلعة البحر) .

١٢٤٩ - ١٢٥٣ شغل العرب القلعة لمدة قصيرة وخرب الحي السكني مرة أخرى رغم أن حصن البحر ظل على ما يبدو في أيدي الفرنجة .

١٢٥٣ - ١٢٥٤ أعيد بناء دفاعات المدينة والقلعة على مستوى كبير على يد الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، وتحت الإشراف المحلي لسيمون دي مونسليار Simon de Montcéliart .



المخطط ٢١ : صيدا - صيدون Saida- Sidon

مخطط أرضي لحصن البحر ، المقياس ١٠٠٠ / ١ . رسم طور البناء الفرنجي القرن الثالث عشر باللون الأسود وبالتهشير المتصالب ، والإضافات العربية بالتهشير العادي .

١ - جسر مرمم ، ٢ - البوابة الرئيسية القديمة ، ٣ - البرج الرئيسي ، ٤ - آثار القاعة الكبرى في الجناح المطل على البحر .

(بالاستناد إلى مسح المؤلف مضافاً إليه - بالخط المتقطع - ماجاء في دوشامب ، القصور II ، ٢٣٠) .

١٢٦٠ هاجم المغول صيدا ، ودمروا أجزاء منها بعد خلاف بين جوليان دو ساجيت Julien de Sagette سيد المدينة والحاكم المغولي في دمشق . امتلك الفرسان الداوية صيدا وقلعة بوفور (شقيف أرنون) بعد ذلك مباشرة ، ولم يكن لها سوى دور ضئيل في النزاع الفرنجي الداخلي في أواخر القرن الثالث عشر . وهاجم المدينة بوهمند السابع صاحب أنطاكية .

١٢٩١ بعد سقوط عكا هرب الداوية منها إلى صيدا وانتخبوا مقدماً (مارشالاً) لهم فيها . ولكنهم لم يصمدوا في وجه الهجوم العربي السابق ، وفروا منها بحراً إلى قبرص ، سقطت المدينة بفرارهم وخربت جميع تحصيناتها .

أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر كان للمدينة دور رئيسي في تجارة المشرق وأعيد تحصينها ، وشيدت فيها خانات أو مستودعات كبيرة عديدة .

ظل المظهر العام للمدينة يميل نحو التبدل على نطاق واسع في القرون التي تلت وأصاب حصن البحر فيها تلف كبير أثناء القصف الإنكليزي النمساوي البحري عام ١٨٤٠ .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية VI ، ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ب . شوارتز ١٩٣٤ .

انلارت ، الأوابد التذكارية II ، ٣٣٦ ـ ٣٣٩ .

دوشامب ، القصور II ، ٢٢٤ ـ ٢٣٣ ويحوي مراجع واسعة جداً .

Bibliography:
Enc. Isl. IV, 434–35 (P. Schwarz 1934);
Enlart, *Monuments II*, 336–39;
Deschamps, *Châteaux II*, 224–233, containing exhaustive bibliographical references.

عتليت قصر (الحجيج)

CHASTEL PELERIN

اللوحة ٩٨

بالعربية عتليت Atlît .

بالفرنجية قصر بيليرين وقصر بلغرينو Castel Pellegrino إلخ .. كذلك كاستروم فيلي داي Castrum Filii Dei .

الوصف :

قلعة متداعية ، وبلدة تقع فوق شبه جزيرة صخرية صغيرة ، على بعد نحو عشرة أميال جنوبي ميناء حيفا (فلسطين المحتلة) . كانت القلعة محمية من جهة البر بخندق مائي عميق ، وسور متقاطع قوي له ثلاثة أبراج متينة مشادة في داخله .

أما التحصينات من جهة البحر فهي أكثر تصدعاً ، ولم يكشف عنها بعد إلا أنه من الواضح أنه كان يوجد برج محصن خلف السور الخارجي والفناء الأمامي الذي يتخلله ، وقد عززت جوانب هذا البرج المحصن بأبراج بارزة (مثل البرج المحصن في قلعة الداوية في طرطوس) ، بينما اختصت الإسطبلات والأحياء السكنية والمستودعات بالأبنية المتاخمة للشاطئ الصخري . جرى التنقيب جزئياً عن المنطقة المأهولة من البلدة (في حدود ٦٠٠ ياردة طولاً و١٥٠ ـ ٢٠٠ ياردة عرضاً) وتركز التنقيب على الحمامات والكنيسة والإسطبلات . وكانت هذه محصنة تحصيناً خفيفاً بسور واحد .

التاريخ :

١٢١٧ ـ ١٢١٨ شيد غوتييه داڤين Gauteir d'Avesnes قلعة جديدة ، بمساعدة العديد من الحجاج (حملت اسمهم قصر الحجيج Castel

Pellegrino) وعدد من أعضاء طائفتي فرسان الهيكل (الداوية) والتوتون ، لتحل محل قلعة الداوية القديمة التي تبعد حوالي ميل واحد عنها (قلعة ديتروا Le Déstroit أو ديستريكتوم Districtum أو بيترا انتشيزا Petra Incisa إلخ ..) . وأثناء البناء قام الداوية بالكشف عن أساسات الأسوار التي كانت تعود في يوم ما إلى مستوطنة فينيقية قديمة صغيرة وعثروا على كنز من النقود المعدنية . وأعيد استخدام تلك الأساسات بينما صرفت النقود الذهبية من ضمن نفقات البناء .

١٢١٩ ـ ١٢٢٠ تعرضت القلعة وهي قيد البناء إلى هجوم عربي أولي ، ثم حوصرت في السنة التي تلت ، إلا أن قوات الملك المعظم انسحبت بعد شهر دون أن تنجز شيئاً .

١٢٢٩ زار الإمبراطور فريدريك الثاني القلعة بعد أن امتنع عن المطالبة بها نتيجة تهديدات شديدة أطلقها الداوية .

١٢٥٠ ـ ١٢٥١ أودع الملك لويس التاسع (القديس لويس) زوجته مارغريت دو بروفانس Marguerite de Provence القلعة فيا كان يقيم في عكا . وولد ابنه بيير Pierre في القلعة ذاتها . وربما شيدت كنيسة المدينة ، التي لم يبق منها سوى أثر ضئيل ، في هذا الوقت .

١٢٦٥ دمر العرب المدينة .

١٢٩١ أُجبر الفرنجة على مغادرة القلعة بعد سقوط عكا وانسحبوا إلى قبرص . أصبحت قلعة عتليت عاصمة إقليمية صغيرة ، وشغلتها حامية مملوكية صغيرة .

ظلت القلعة حتى فترة كبيرة من أوائل القرن التاسع عشر كمصدر لمواد البناء من أجل دفاعات عكا ، وكانت النتيجة أن أزيلت القلعة كلها تقريباً .

المراجع :

راي ، العمارة العسكرية ٩٣ ـ ١٠٠ (بما في ذلك خريطة صغيرة) .

كوندر ـ كيتشنر ، لمحة عامة I ٢٩٣ ـ ٣٠٠ .

انلارت ، الصروح التذكارية II ٩٣ ـ ٩٦ .

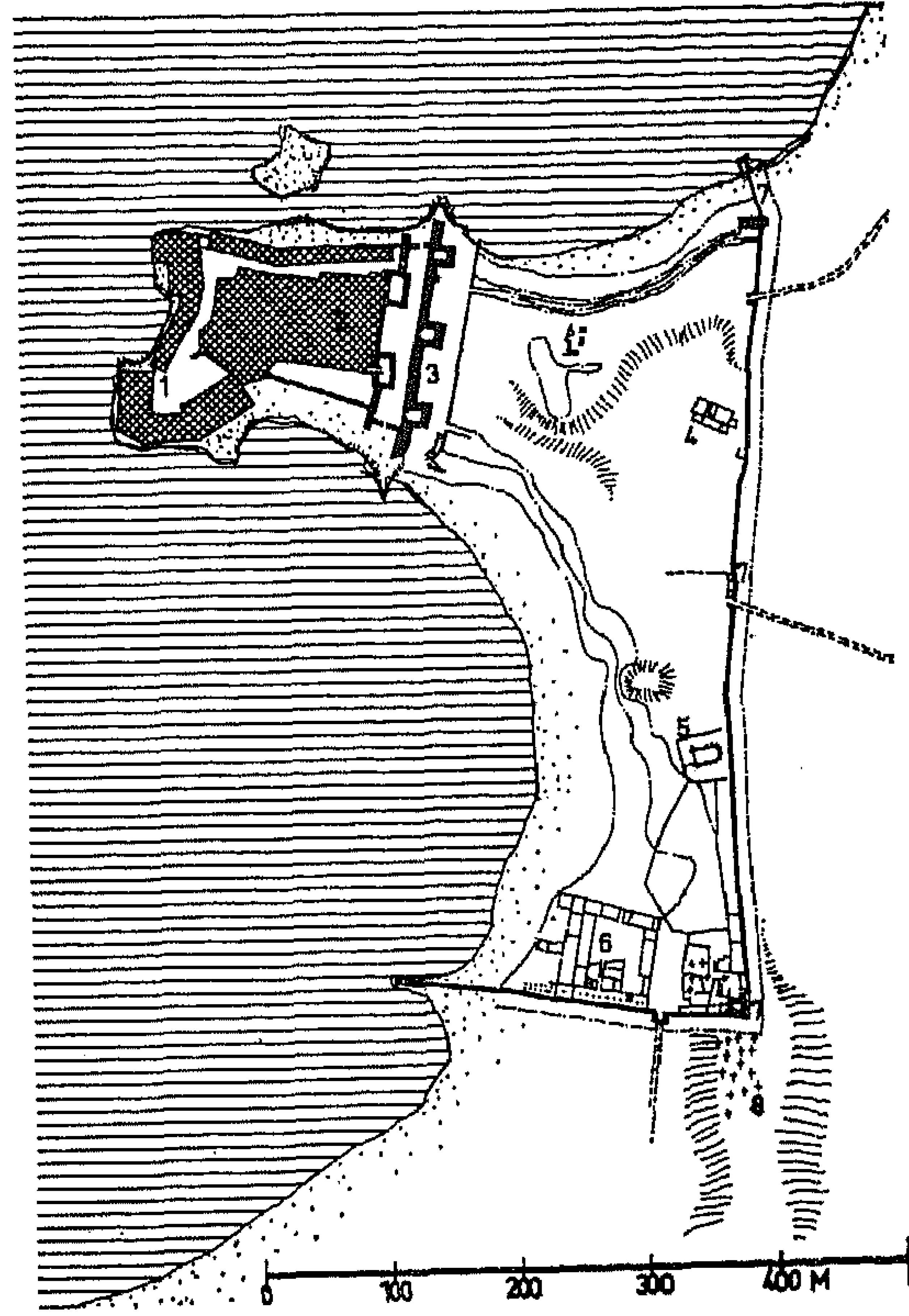
دوشامب ، القصور I (الفهرست) و II ، ٢٤ ـ ٣٣ و ٢٣٧ وما بعدها .

س . ن جونز دليل عتليت ، القدس ١٩٤٧ .

س . ن جونز التنقيب في قصر الحجيج (بلغريم كاسل ـ عتليت) ، مقال في المجلة الفصلية لمديرية الآثار ـ فلسطين ١ ، ١٩٣١ ، ١١١ ـ ١٢٩ ، ٢ ، ١٩٣٣ ، ٤١ ـ ١٠٤ ، ٣ ، ١٩٤٣ ، ١٣٧ ـ ١٦٤ ، ٤ ، ١٩٣٥ ، ١٢٢ ـ ١٦٥ .

فيدن ـ تومسون ، ٤١ وما يليها ٨٢ ـ ٨٥ .

Bibliography:
Rey, *Arch. Militaire* 93–100 (incl. sketch-map);
Conder – Kitchener, *Survey I*, 293–300;
Enlart, *Monuments II*, 93–96;
Deschamps, *Châteaux I* (cf. Index) and II, 24–33, 237 et seq.;
C. N. Johns, *A Guide to Atlit*, Jerusalem 1947
C. N. Johns, 'Excavations at Pilgrims Castle ('Atlît)', in: *Quarterly Dept. Antiquit. Palestine I*, 1931, 111–129; 2, 1933, 41–104; 3, 1934, 137–164; 4, 1935, 122–165;
Fedden – Thomson, 41 et seq., 82–85.



المخطط ٢٢ : عتليت ـ قصر بيليرين (قصر الحجيج)
Chastel Pelerin

مخطط أرضي عام للمستوطنة ، المقياس ١٠٠٠٠ / ١

١ ـ القلعة الداخلية ، ٢ ـ الموقع المحتمل للحصن الكبير ، ٣ ـ السور والخندق ، ٤ ـ الحمامات ، ٥ ـ كنيسة متهدمة ، ٦ ـ الإسطبلات ، ٧ ـ سور البلدة والخندق ، ٨ ـ المدافن الفينيقية (بالاستناد إلى نتائج التنقيب (١٩٣٠ ـ ١٩٣٥) بإشراف سي . ن . جونز) .

عكا(☆) ACRE-AKKON

اللوحات ٩٩ ـ ١٠٠

بالعربية عكا .

باليونانية بتولمايس Ptolemais ، بالفرنجية سان جان داكر Saint-Jean d'Acre وآكري Acri إلخ ..

الوصف :

مرفأ بحري في شمالي فلسطين (المحتلة) يقع فوق بقعة من الأرض بارزة قليلاً في البحر إلى جوار خليج حيفا . ورغم أن عكا كانت المرفأ الفرنجي الرئيسي في زمن الحروب الصليبية ، فهي لم تحتفظ إلا بالقليل من الذخائر العائدة للفرنجة فيها . والتذكارات الوحيدة للحكم الفرنجي ، الذي استمر قرنين من الزمن فيها ، لا تعدو عقوداً قليلة من كنيسة أو قصر وبرجاً واحداً من الأبراج التي كانت تشكل جزءاً من دفاعات المدينة .

التاريخ :

٦٣٦ فتح العرب مرفأ عكا الذي ظل أمداً طويلاً يتمتع بمكانة هامة في العالم القديم ، وأعادوا بناءه على نطاق واسع .

١٠٩٩ أوقف أول هجوم صليبي على أسوار عكا ، لأن أميرها الفاطمي وعد بالخضوع إذا ما سقطت القدس .

١١٠٣ ـ ١١٠٤ بعد هجوم أولي فاشل حاصر جيش الفرنجة المدينة بقيادة الملك بلدوين الأول ،

(☆) ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٢٤٣ :

قال في اللباب : ومدينة عكّا مدينة كبيرة من سواحل الشام ، وداخلها عين تعرف بعين البقر ، وبها مسجد ينسب إلى صالح عليه السلام ، ومن كتب المسالك : بين عكا وبين طبرية أربعة وعشرون ميلاً ، ومنها إلى مدينة صور اثنا عشر ميلاً ، وهي الآن خراب بعد ما استرجعها المسلمون من يدي الفرنج في سنة تسعين وستمائة ، وحضرت فتوحها وحصل لي فيه الغزاة .

يدعمه الأسطول الجنوي ، واستولى عليها بعد عشرين يوماً .

١١١٠ أحبطت محاولة مصرية لاستعادة المدينة بمساعدة أسطول نورمندي . وأصبحت عكا الميناء الرئيسي لمملكة القدس ، وتخضع مباشرة لحكامها .

١١٨٧ حرر صلاح الدين المدينة دون أن يواجه مقاومة تذكر بعد انتصاره في حطين . تمت تقوية الدفاعات . وهي تتألف من جهة البر من سور واحد مع خندق مائي .

١١٨٩ ـ ١١٩١ حوصرت المدينة بقوات غي دي لوزنيان بادئ الأمر ثم (في العام ١١٩١) بقوات ريتشارد قلب الأسد وفيليب ملك فرنسا . واستولى الفرنجة مجدداً على عكا بعد سلسلة من الهجمات الشديدة ، وأصبحت مقر البطركية اللاتينية ومملكة الفرنجة بدلاً عن القدس . أصلحت الدفاعات المتداعية من قبل ريتشارد قلب الأسد .

١٢٠٢ أصاب الزلزال المدينة بأضرار كبيرة .

١٢٥٠ ـ ١٢٥٤ أدخلت تحسينات على الدفاعات الشمالية ، والتحصينات في الضاحية الجديدة خلال إقامة الملك لويس التاسع فيها . ظلت عكا العاصمة الفعلية للمملكة بعض الوقت . وأقام فيها ممثلون عن جميع القوى التجارية الهامة تقريباً (جنوة ، البندقية ، فلورنسا ، لوكّا ، بيزا ، وغيرها) ولكل منهم حيه السكني الخاص . وكان لكثير من تلك الأحياء تحصيناتها الخاصة وكنيستها المحمية جيداً . أصبحت المدينة وكراً للدسائس والمؤامرات . ومع اقتراب القرن الثالث عشر من نهايته كانت تضم حوالي أربعين كنيسة وعدداً كبيراً من الأديرة .

١٢٦٣ و ١٢٦٦ هاجم السلطان بيبرس المدينة دون أن ينجح في أخذها .

١٢٨٣ جرت تقوية التحصينات في الزاوية الشمالية الشرقية على يد الملك إدوارد الأول ملك إنكلترة والكونتيسة أليس دو بلوا Alice de Blois

١٢٩١ حاصر المدينة السلطان الملك الأشرف الذي هاجمها بعد أن نقب أسوارها واستخدم ضدها آلات الحصار ، وسقطت عكا بعد ستة أسابيع تقريباً ، ودافع الفرسان المحاربون بعناد عن قطاعاتهم ، ولكنهم اضطروا في خاتمة المطاف إلى الهرب إلى قبرص مع الباقين . وخربت المدينة .

ظلت المدينة طي النسيان حتى نهاية القرن السادس عشر حين أعاد بناءها الأمير فخر الدين . واستكمل تحصينها مجدداً في أواخر القرن الثامن عشر على يد الباشا العثماني أحمد الجزار وكانت النتيجة أن اختفت الدفاعات القديمة منها . حظيت المدينة بأهمية جديدة كمرفأ بحري خلال هذه الفترة .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية (٢) I ، ٣٢١ ـ ٣٥٢ (ف ر بوهل ١٩٦٠) .

راي ، العمارة العسكرية ، ١٧١ وما يليها .

راي ، المستعمرات الفرنجية في سورية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، باريز ١٨٨٣ .

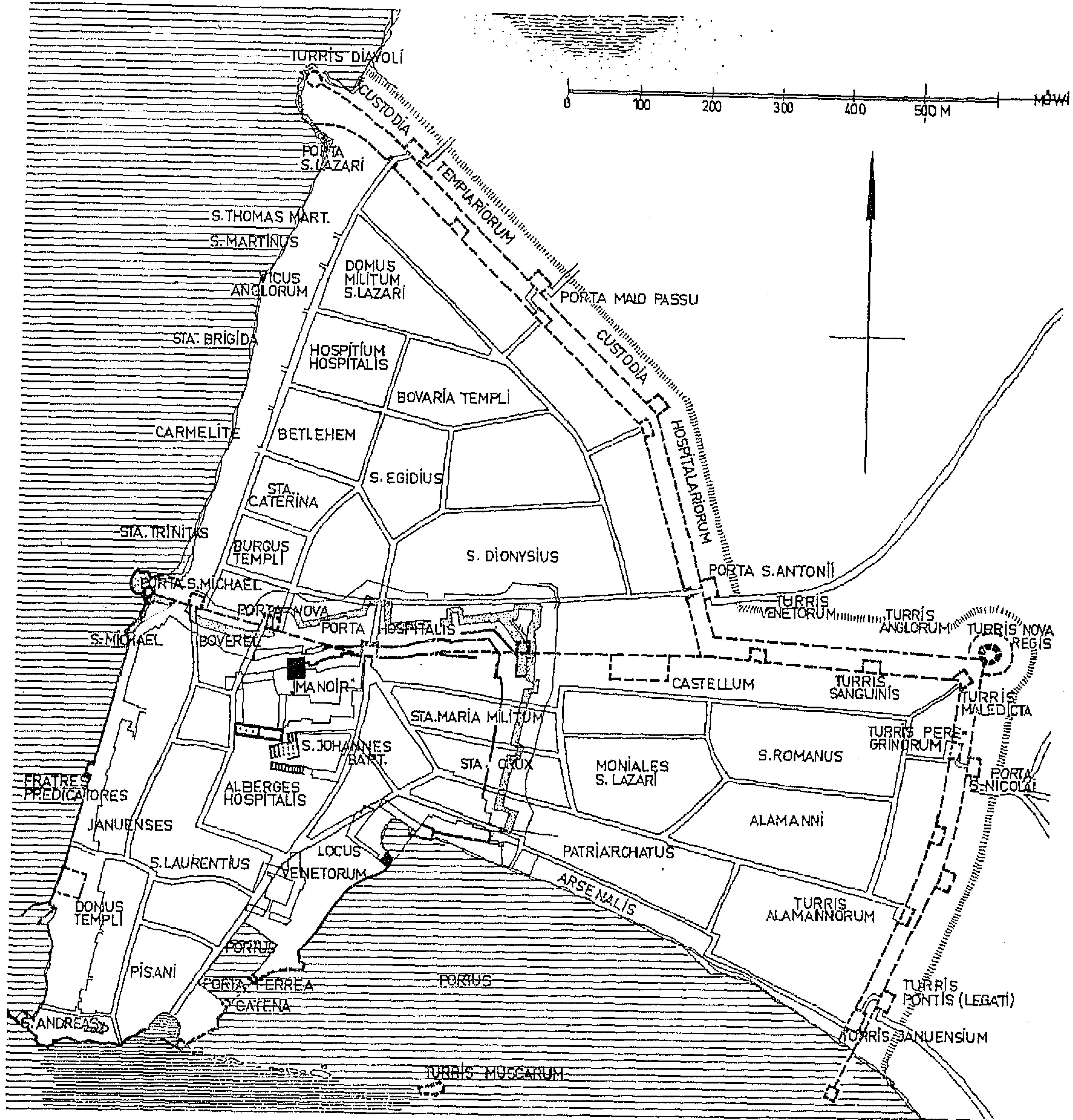
راي ، دراسة حول طبوغرافية مدينة عكا في القرن الثالث عشر في النشرة الأثرية الاجتماعية الفرنسية المجلد ٣٩ باريز ١٨٧٩ .

كوندر ـ كيتشنر ، لمحة عامة I ـ ١٦٠ ـ ١٦٧ .

دوشامب ، القصور I ، ٦٥ ـ ٦٩ ، تتضمن مخططاً قديماً للمدينة (١٦٨٦) .

ن . ماخولي ـ سي . ن . جونز ، دليل عكا ، القدس ١٩٤٦ مع وصف مفصل ، ومخططات ومعطيات مرجعية .

Bibliography:
Enc. Isl. (2) I, 351–52 (Fr. Buhl 1960);
Rey, *Arch. Militaire*, 171 et seq.;
Rey, *Les colonies franques de Syrie au 12e et 13e siècles*, Paris 1883;
Rey, 'Etude sur la topographie de la ville d'Acre au XIIIe siècle', in: *Mém. Soc. Ant. de France*, Vol. 39, Paris 1879;
Conder-Kitchener, *Survey I*, 160–67;
Deschamps, *Châteaux I*, 65–69, containing old plan of city (1686);
N. Makhouly – C. N. Johns, *Guide to Acre*, Jerusalem 1946, with exhaustive descriptions, plans and bibliographical data.



مخطط ٣٢ : عكا Acre

مخطط المدينة يشمل محاولة لإعادة تركيب الأسوار القديمة ، المقياس ١٠٠٠٠ / ١ ، بالاستناد إلى مخطط المدينة الحالي (أشير إلى التحصينات الجديدة بخطوط متقطعة) ولكنه يبين الأحياء التي أشير إليها في الخرائط القديمة للقرون ١٤ - ١٨ مع أسمائها اللاتينية « الأصلية !! » . استند تمديد الشوارع على الخرائط المذكورة جزئياً وإلى الآثار المتبقية التي ما تزال قابلة للتمييز في المدينة الحديثة . إن المباني القائمة أو التي جرى التنقيب عنها مؤخراً مرسومة باللون الأسود (أي بقايا حي الأسبتارية والبرج المسمى برج السلطان والذي ما يزال قائماً بجانب المرفأ) .

قيسارية(☆) CAESAREA

اللوحات ١٠١ ـ ١٠٣

بالعربية قيسارية وقيصرية وكيساري Qaisariya, Qesari .

باليونانية قيساريّة Kaisareia وستراتونوس Stratonos .

باللاتينية قيسارية ماريتيما (البحرية) Caesarea maritima .

بالفرنجية سيزاريه Césarée وسيزار (قيصر) Sezare وسيزير Cezaire و Sezaire و Sessaire إلخ ..

الوصف :

كانت قيسارية في السابق مرفأ هاماً من مرافئ فلسطين في العصور القديمة والقرون الوسطى ، وهي تقع في خليج طبيعي ، يشكله نتوءان صخريان كبيران داخل البحر ما بين حيفا ويافا . ولقد ظل الموقع مهجوراً منذ نهاية القرون الوسطى وحتى أواخر القرن التاسع عشر عندما أُهل على نطاق ضيق . تجري حالياً حفريات فيه منذ العام ١٩٥٨ . وقد تم الكشف فعلاً عن أجزاء من تحصينات القرون الوسطى مع بعض المباني العائدة للعهود القديمة وللعصور الوسطى . وتحيط الدفاعات المتينة بمنطقة ذات شكل شبه منحرف تقريباً من جانب الخليج . وكانت متصلة من جهة الجنوب بقلعة قديمة ، كانت تشغل حيزاً من الأرض عند الطرف الجنوبي للمرفأ ويحميها من جهة البر سور قوي .

التاريخ :

٦٣٩ افتتح العرب قيسارية وحصنوها تحصيناً قوياً .

١١٠١ بعد أن استولى الملك بلدوين الأول على أرسوف هاجم قيسارية واحتلها بهجوم كاسح بعد حصار قصير وأعمل الجيش الفرنجي السيف في رقاب أهلها بوحشية شديدة .

١١٨٧ حرر صلاح الدين قيسارية بعد أن هزم الفرنجة في حطين وضرب التحصينات القديمة فيها .

١١٩١ احتل الفرنجة المدينة المهجورة بقيادة ريتشارد قلب الأسد . وأعيد بناؤها ورممت تحصيناتها .

١٢١٨ شيدت قلعة جديدة على يد غوتييه داڤين Gautier d'Avesnes وجان دو بريين Jean de Brienne .

١٢٢٠ سقطت قيسارية في يد جيش السلطان الملك المعظم بسبب إهمال أو تهاون من قسم من الحامية .

١٢٥١ ـ ١٢٥٢ جرى تحسين دفاعات المدينة كثيراً بعد استعادتها . وتضمنت هذه التحسينات

(☆) ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٥٣٩ :
من المشترك : قيسارية : مدينة بساحل بحر الشام وتعدّ في أعمال فلسطين ، وكانت من أمّهات المدن العظام ، وهي اليوم خراب . وقيسارية أيضاً ببلاد الروم تذكر هناك . قال الشريف الإدريسي : وبها مرسى يسع مركباً واحداً . قال أبو الريحان : وهي القيصرانية فهي إذن بالصاد . قال العزيزي : وبينها وبين الرملة على ضفّة البحر اثنان وثلاثون ميلاً . قال : ومدينة قيسارية مدينة جليلة . قال : ومنها إلى مدينة عكّا ستة وثلاثون ميلاً .

إضافات على حصن البوابة وشق القناة الكبيرة المكسوة والجدار المائل المتواصل .

١٢٦٥ استسلمت قيسارية إلى جيش السلطان بيبرس بعد حصار لم يدم أكثر من سبعة أيام ، رغم أن القلعة قاومت مدة أطول قليلاً . جرت في المدينة أعمال بناء منتظمة بعد إعادة احتلالها .

١٢٩١ خربت مرة أخرى في عهد السلطان الملك الأشرف لمنع الفرنجة من استخدامها كرأس جسر ، وظلت قيسارية بعد ذلك مهجورة .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية II ، ٧٠٧ ـ ٧٠٨ (م . شتريك ١٩٢٧) .

كوندر ـ كيتشنر ، لمحة عامة II ، ١٣ ـ ٢٩ .

إنلارت ، الصروح التذكارية II ، ٨٥ ـ ٨٩ .

أخبار لندن المصورة ، مجلد ٢٤٣ ، رقم ٦٤٨٢ ـ ٦٤٨٣ (تقرير ميداني) .

Bibliography:
Enc. Isl. II, 707–08 (M. Streck 1927);
Conder – Kitchener, *Survey II*, 13–29;
Enlart, *Monuments II*, 85–89;
Illustrated London News, Vol. 243, Nos. 6482–83 (field report).

قلعة قرين (مون فور) MONT FORT

اللوحات ١٠٤ ـ ١٠٥

بالعربية قلعة قُرين Qal'at Qourein .

بالفرنجية فرانز شاستيو Frans Chastiau .

بالألمانية شتاركنبرغ Starkenberg و Starkenburg .

الوصف :

قلعة متهدمة في شمالي فلسطين على بعد نحو عشرين ميلاً شمالي حيفا ، تقع فوق جرف شديد الانحدار في الشعاب الخارجية للسلسلة الجبلية الواقعة إلى الشمال الغربي من بحيرة طبرية . وثمة قناة عريضة تفصل هذا المعقل المتهدم تماماً عن الجبل المتاخم ، ويحميه من هذا الجناح برج محصن (يرجح أنه نصف دائري) . وهذا الموقع متطاول وضيق وغير متناظر ، وتتجمع أركان القصر المنفصلة عن بعضها بعضاً في الوسط غالباً . بينما تحتل السفح على الجناح الشمالي قلعة أخرى أكثر اتساعاً منها .

التاريخ :

١٢٢٧ ـ ١٢٢٩ تخلى جاك أرميغدالا Jacques de Armigdala سيّد مانديليه Seingneur de Mandelée عن القلعة إلى فرسان التيوتون الذين حولوها إلى مستودع لمحفوظاتهم من الوثائق والأموال الخاصة بالرهبنة (١٢٢٩) . ولقد أجازت معاهدة بين الإمبراطور فريدريك الثاني والسلطان الملك الكامل أعمال البناء هذه ، التي أشرف عليها مقدم (مارشال) الطائفة هيرمان فون سالزا Herman Von Salza .

١٢٣٠ بعث البابا غريغوري الرابع برسالة بابوية مكرسة لمساعدة الطائفة في إعادة بناء القلعة .

١٢٦٦ حاصر السلطان بيبرس قلعة قرين (مون فور) ولكنه رد عنها .

١٢٧١ حوصرت القلعة للمرة الثانية واستسلمت هذه المرة للسلطان بيبرس ، بعد أن هاجمها بأدوات الحصار ودك حصونها بنقبها . انسحب الفرسان إلى عكا . وعريت القلعة من تحصيناتها وهجرت إلى الأبد .

المراجع :

راي ، العمارة العسكرية ، ١٤٢ ـ ١٥١ والمخطط ١٥ .

كوندر ـ كيتشنر ، لمحة عامة I ، ١٨٦ ـ ١٩٠ .

دوشامب ، القصور II ، ١٣٩ ..

باشفورد دين ، استطلاع قلعة الصليبيين (مون فور) في فلسطين ، في نشرة متحف ميتروبوليتان ، نيويورك ن ر ـ ٢٢ (١٩٢٧) .

Bibliography:
Rey, *Arch. Militaire 142–151 and Plan 15;*
Conder-Kitchener, *Survey I 186–190;*
Deschamps, *Châteaux II 139 ff.;*
Bashford Dean, 'The exploration of a Crusaders fortress (Montfort) in Palestine.' *In: Bull. Metrop. Museum New York Nr. 22 (1927).*

تل حمدون(☆) (طبراكال) TOPRAKKALE

اللوحات ١٠٦ ـ ١٠٨

بالعربية تل حمدون وثيل وتل Til, thil, Tell Hamdûn إلخ ..

باليونانية التسمية غير مؤكدة وربما كانت ايبيفانياس Epiphanias .

بالفرنجية تيليوم Tilium .

بالتركية توبراكال أوطبراكّال Toprakkale .

الوصف :

قلعة وقرية فوق الحافة الشرقية لسهل أضنة العريض في جنوبي تركيا ، تقعان في موضع مسيطر على الأرض التلية المنحدرة المتصلة بالسفوح الغربية لسلسلة جبال أمانوس . تنتصب القلعة فوق نتوء صخري ازداد ارتفاعاً اصطناعياً بأطلال مستوطنة قديمة ، وماتزال محفوظة في حالة حسنة نسبياً . وهي تتألف من قلعة منخفضة فسيحة خفيفة التحصين ، وقلعة مرتفعة من الشرق هي القلعة العليا التي اجتزئت عن سابقتها بسور متقاطع مقوى بأربعة أبراج قوية . وتوفر لها السفوح الصخرية شديدة الانحدار حماية طبيعية ممتازة من جوانبها الثلاثة الأخرى التي يحرسها سور خارجي متكامل مع أبراج نصف دائرية وشرفات دفاعية متواصلة . وثمة قاعة بلاط فخمة في الزاوية الجنوبية الغربية من الجناح الداخلي تكتنف البرج الجنوبي الغربي الموجود في الزاوية . بينما تمتد المخازن بأسقفها المعقودة

(☆) وصفها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٢٣٠ فقال :

وقلعة تل حمدون حصينة ، لها سور جيّد ، حسنة البناء ، وهي على تلّ عالٍ ، ولها ربض وبساتين ونهر يجري عليها ، وهي خصبة كثيرة الرخص والرزق ، وخربها المسلمون ، وهي إلى الآن خراب ، وهي على القرب من جيحان على بعض مرحلة في جهة الجنوب عنه ، وبين تل حمدون وبين سيس نحو مرحلتين ، وفي شرقي تل حمدون حصن حموص ، ويظهر من تل حمدون على القرب منها .

والإسطبلات والمكاتب البسيطة وماشاكلها على امتداد الضلع الطولي الداخلي للسور الغربي ، هذا وتوجد غرفتان أكبر حجماً وأكثر إتقاناً في الزاوية الشمالية الغربية أيضاً . وفيما عدا خزاني المياه لم يبق أي شيء من الذخائر المعمارية في داخل الفناء الفسيح ، رغم وجود مايشير إلى أبنية أصغر حجماً كانت قائمة هناك في يوم ما .

التاريخ :

من المرجح أن القلعة وجدت منذ زمن طويل وأنها لعبت دوراً بارزاً في زمن الحملات التي كان يقوم بها الأباطرة البيزنطيون في شمال سورية في النصف الثاني من القرن العاشر ، إلا أن اسمها الإغريقي لم يتحدد بالضبط ولاتوجد أية تفاصيل أخرى عن تاريخها السابق يمكن التحقق منها .

١١٣٧ أشير إلى القلعة للمرة الأولى بمنحها تسمية فرنجية ترتبط بتدمير مملكة أرمينيا الصغرى في فترة قريبة على يد الإمبراطور جون الثاني كومنين (١١١٨ ـ ١١٤٣) .

١١٥١ استولى الأرمن على القلعة واستخلصوها من البيزنطيين .

١١٥٤ هاجم السلاجقة القلعة بتحريض من الإمبراطور البيزنطي ولم يتحولوا عنها إلا بسبب العون الذي قدمه الفرنجة إليها من قلعة بغراس .

١١٥٨ استولى الإمبراطور عمانويل كومنين (١١٤٣ ـ ١١٨٠) على طبراكال ولكن يعتقد بأن الأرمن استردوها بعد وقت قصير .

١١٨٥ أهدى الأرمن طبراكال إلى أنطاكية كفدية عن الأمير روبن الذي أسره الكونت بوهمند الثالث .

١١٩٤ أعيدت القلعة إلى الأرمن . وتدل سجلات ويلبراند أولدنبرغ (١٢١١) Willebrand of Oldenburg بأنها حصنت تحصيناً قوياً في هذه الحقبة . وظلت تقوم بدور هام في النزاعات المتتابعة بين أمراء أنطاكية وملوك الأرمن .

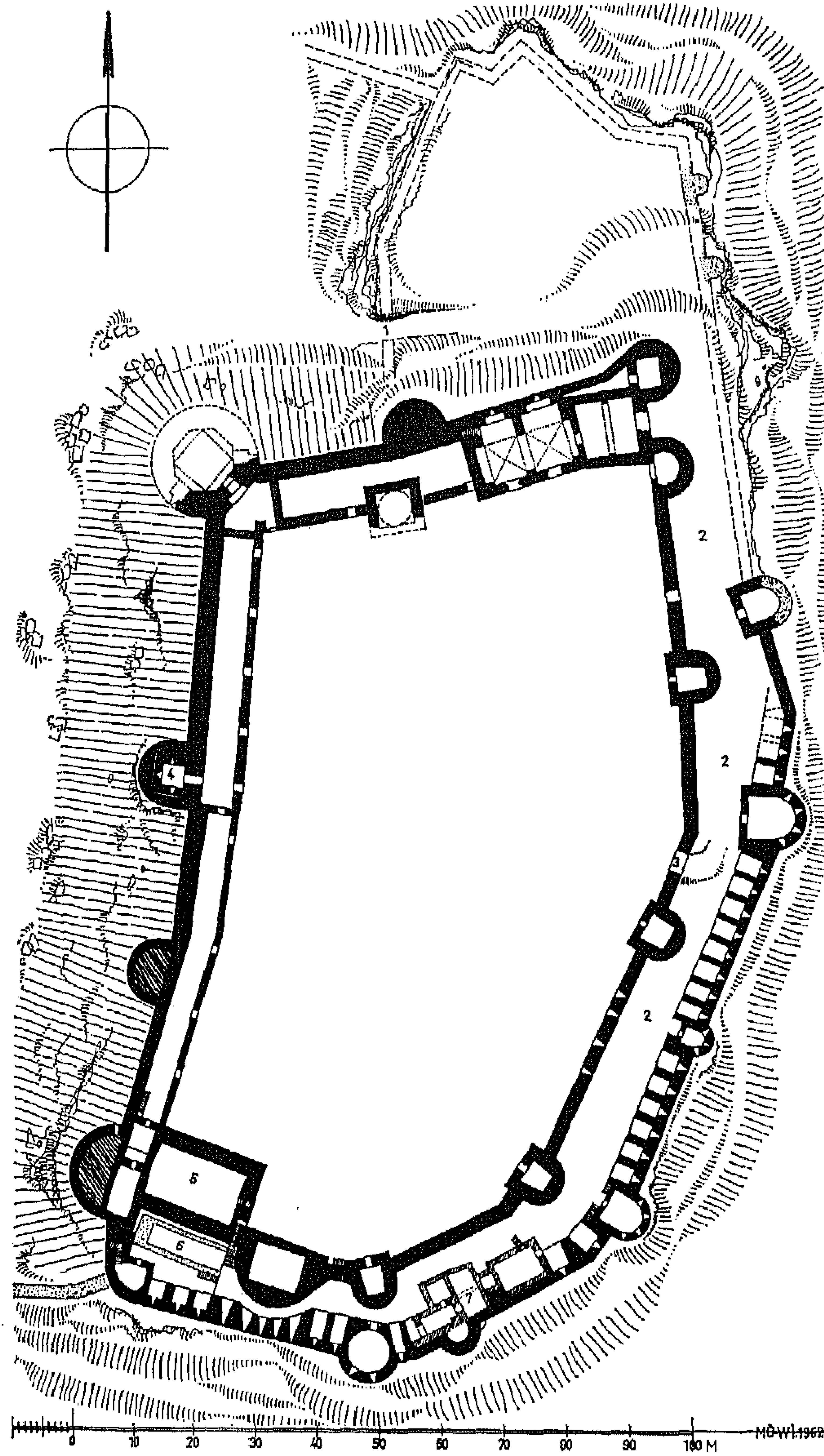
أواخر القرن الثالث عشر (ربما ١٢٩٣)

خربت القلعة على يد قوات المماليك التي كانت تقوم بحملة ضد الأرمن ، ولم ترمم بعد ذلك أبداً على الأغلب . وتعاورتها الأيدي مراراً بعد ذلك ، ولكنها ظلت من بين ممتلكات المماليك اعتباراً من العام ١٣٣٧ وحتى استولى عليها سلاطين آل عثمان في العام ١٤٩١ حيث فقدت أهميتها تماماً .

المراجع :

ج . غوتولد ، جبل تل في جنوبي غرب قلقيلية . مقال في مجلة بيزنطة ، زايتشر ، ٤٠ ، ١٩٤٠ ، ٨٩ ـ ١٠٤ .

Bibliography:
J. Gottwald, 'Die Burg Til im südöstlichen Kilikien', in: *Byzant. Zeitschr.* 40, 1940, 89–104.



مخطط ٢٤ : تل حمدون (طبراكال) Toprakkale

مخطط أرضي للقلعة العليا . المقياس ١٠٠٠/١ .

رسمت المباني البيزنطية والفرنجية والأرمنية باللون الأسود ، ورسمت إضافات القرنين الخامس عشر والسادس عشر بالتهشير المكثف .

١ ـ المدخل الرئيسي من القلعة السفلية ، ٢ ـ فناء أمامي للقلعة العلوية ، ٣ ـ البوابة الرئيسية للقلعة العلوية ، ٤ ـ برج بيزنطي ، ٥ ـ القاعة الكبرى ، ٦ ـ صهريج مياه ، ٧ ـ حمامات (بالاستناد إلى مطالعة المؤلف) .

حصن سيسية(☆) (سيس ، كوزان) SIS (KOZAN)

اللوحة ١٠٩

بالعربية سيسية Sîsiya أو حصن سيسية Hisn Sîsiya .

باليونانية سيسيون كاسترون Sîsion Kastron .

بالفرنجية ـ اللاتينية سيس sis وسيسيا Sisia وأسّيس Assis وأوسيس Oussis إلخ ..

بالتركية الحديثة كوزان Kozan .

الوصف :

قلعة وبلدة في جنوبي تركيا ، على بعد حوالي أربعين ميلاً شمال شرقي أضنة ، تسيطر على الطريق النازل من جبال طوروس إلى السهل الفسيح عند سفوحها . نظم الحي السكني فيها على شكل مصاطب فوق المنحدرات الواقعة أسفل القلعة ، بينما تمتد القلعة ذاتها مسافة ١٠٠٠ ياردة تقريباً على طول الحافة الضيقة للجرف الواقع فوق المدينة . توجد التحصينات الرئيسية والمقر الملكي في أقصى الطرف الجنوبي لهذا الجرف . والقلعة كلها تتماشى مع الأرض الصخرية التي تنتصب عليها وتبدو معالمها شبيهة بالمعالم المعتادة للقلاع الأرمنية ، بما في ذلك الأبراج نصف الدائرية وحجارتها الناتئة المرصوفة بعناية . ولكن الحي السكني لم يحصن إطلاقاً .

التاريخ :

كان للمدينة دور رئيسي في نزاعات الحدود العربية البيزنطية في القرنين الثامن والتاسع .

أوائل القرن الثالث عشر : أصبحت المقر الملكي لمملكة أرمينيا الصغرى فترة قصيرة في أوائل عهدها ، وتحولت المدينة إلى مقر للحكومة على يد الملك ليو الثاني ، ووسعت إلى درجة كبيرة . تعود الدفاعات الخاصة بالقلعة العليا إلى هذه الحقبة .

١٢٦٦ بعد أن هُزم الأرمن في دربساك Darbsâk تقدم جيش المماليك إلى سيسية وخرب المدينة وأحرق كاتدرائيتها ونهب الأضرحة الملكية .

١٢٧٤ ـ ١٢٧٥ استبيحت المدينة مرة أخرى من قبل جيوش المماليك بقيادة الملك الظاهر بيبرس ولكن القلعة صمدت .

١٢٩٢ استقر البطرك الأرمني في سيس بعد هربه من روم كال Rum Kale . أصبحت سيسية هدف الغارات المملوكية العديدة في العقود التي تلت (١٢٩٨ ، ١٣٠٣ ، ١٣٢١ ، ١٣٣٩ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٩) ورغم أن المدينة كانت تقاسي منها في كل مرة ، فقد كانت القلعة العليا تصمد لهذه الهجمات . عقدت في سيس مجالس عديدة لمناقشة مشاكل الاتحاد الكنسي Church Union (١٣٠٧ ، ١٣٠٩ ، ١٣٤٢) .

(☆) وهي بلدة كبيرة ذات قلعة بأسوار ثلاثة ، على جبل مستطيل ، ولها بساتين ونهر صغير ، وهي بلدة ملك الأرمن وقاعدة ملكه في زماننا هذا . قال ابن سعيد : أحدثها ابن لاوى ملك الأرمن وصيرها حاضرة ملكه ، وكانت قاعدة الثغور الشمالية . قال في العزيزي : وبين حصن سيسية وبين عين زربة أربعة وعشرون ميلاً ، وبين حصن سيسية أيضاً وبين المصّيصة أربعة وعشرون ميلاً ، [وفي تاريخ الصاحب جمال الدين بن النديم : أن سيس أحدثها بعض خدام الرشيد قال : وسمّاها سيسية والمعروف في زماننا سيس] .

١٣٧٤ - ١٣٧٥ سقطت القلعة في يد المماليك بعد حصار طويل الأمد وبنتيجة خيانة ، وأخذ آخر ملوك الأرمن ليو السادس أسيراً وحمل إلى القاهرة .

ظلت المدينة مقر الكنيسة الكاثوليكية الأرمنية حتى القرن التاسع عشر ولكن لم تعد لها أية أهمية تذكر .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية ٧١ ، ٤٨٧ - ٤٨٩ (ف . ف بوشنر ١٩٣٤) .

فيدن - تومسون ٨٩ - ٩٤ .

Bibliography:
Enc. Isl. IV, 487–89 (V. F. Büchner 1934);
Fedden – Thomson, 89–94.

ييلان كاليسي (قلعة)(☆) YILAN KALESI

اللوحة ١١٠

(لم تتحدد تسميتها القديمة أو تسميتها في العصور الوسطى حتى الآن) .

الوصف :

قلعة في جنوب تركية تقع بالقرب من نهر سيحان (جيحان) Ceyhan river ، فوق جرف شديد الانحدار ما بين سيحان ومصيص Misis . ولقد جعل منها موقعها المسيطر على منظر رائع لسهل أضنة بكامله ، واتصالها بالنظر مع سلسلة القلاع المجاورة كلها ، من أهم المعاقل التابعة لمملكة أرمينيا الصغرى .

تتماشى قلعة ييلان كاليسي مع الطبيعة فوق الأرض الصخرية . وهي تتألف من قلعة علوية تحرسها أبراج سبعة متينة نصف دائرية ، وقلعة صغيرة خارجية تبرز من جهة الجنوب . وعند قاعدة السفح الشرقي ينتصب سور خارجي مقوى بحصون بارزة . ما تزال القلعة بحاجة إلى بحث وتنقيب ومسح دقيق رغم أنها حفظت في حالة جيدة حتى الآن .

التاريخ :

بما أن الاسم القديم للقلعة واسمها في العصور الوسطى غير معروفين حتى الآن فليس ثمة تفاصيل موثوقة عن تاريخها . ولكن من الممكن عزوها إلى عهد الملك ليو الثاني بالاستناد إلى بعض معالمها .

أما التاريخ التالي لهذه القلعة فيمكن قرنه مع تاريخ طبراكال (تل حمدون) القريبة منها . ومن غير المرجح أن يكون للقلعة وظيفة رئيسية هامة بعد أن ساد العثمانيون البلاد .

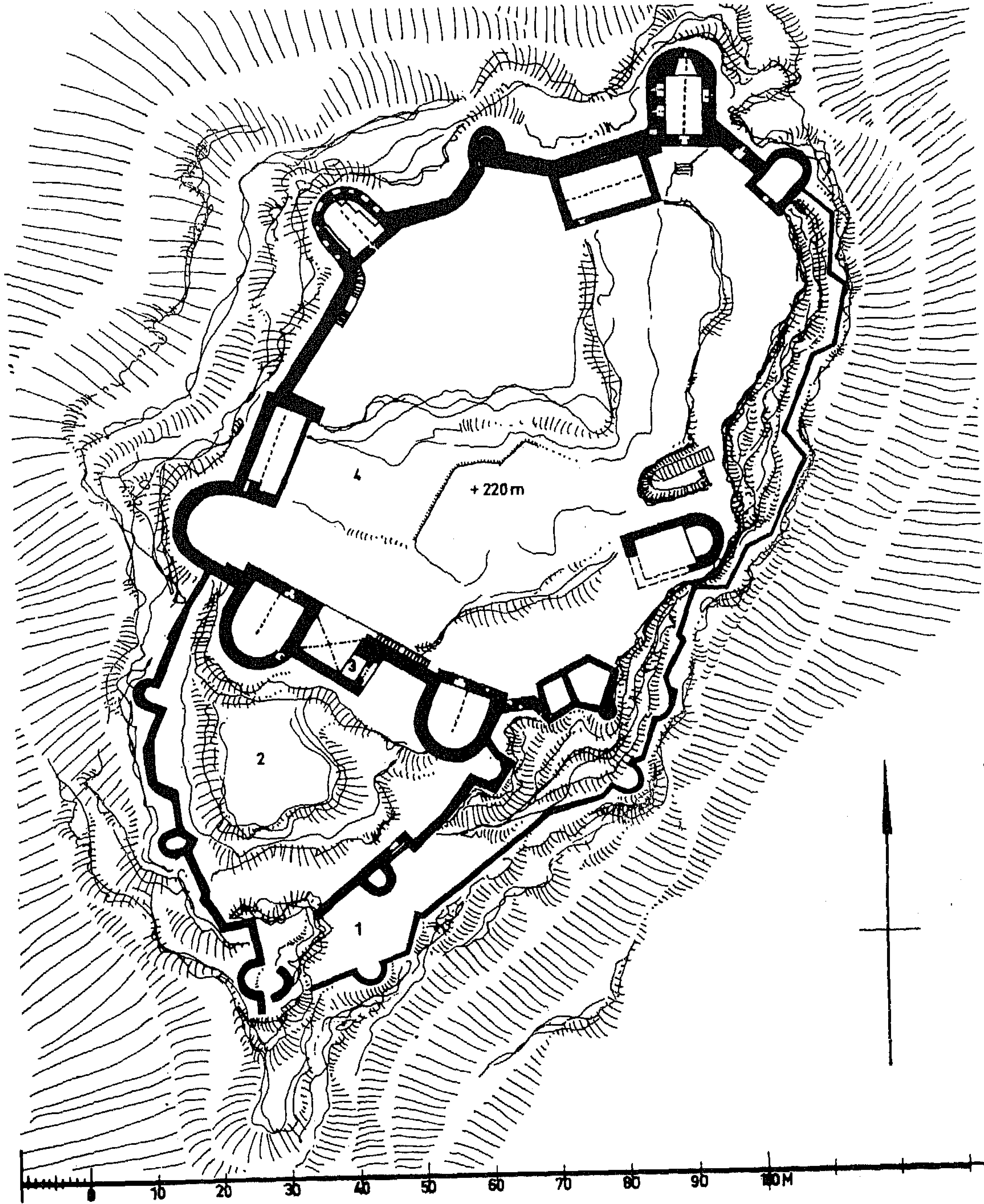
(☆) من المرجح أنها حصن حموص أو قلعة سرفندكار التي وصفها أبو الفداء في تقويم البلدان حيث قال (ص ٢٥٦) : وسرفندكار : قلعة في واد حصينة على صخر ، وبعض جوانبها ليس له سور لاستغنائهم عنه بالصخر ، وهي على القرب من جيحان من البرّ الجنوبي ، وهي على طريق دربند المرّي ، وهي في الشرق عن تلّ حمدون ، وبينهما نحو أربعة أميال ، والدربند معروف ، ومرّي بفتح الميم وتشديد الراء المهملة وفي الآخر ياء آخر الحروف ، والدربند المذكور منها في جهة الشرق على بعض مرحلة وما بين الدربند وسرفندكار ينبت من شجر الصنوبر ما لا يوجد مثله من الشهوق والغلظ . وسرفندكار في جهة الشرق والجنوب عن عين زربة على بعض مرحلة .

المراجع :

ج . غوتولد : القلاع والقصور في أواسط قليقية في مجلة الدراسات البيزنطية ، ٤١ ، ١٩٤١ . ص ٨٢ ـ ٩٣ (تحوي عزواً خاطئاً) .

ج . ر . يونغز ، ثلاث قلاع في قليقية في مجلة دراسات أناضولية العدد ١٥ عام ١٩٦٥ ، ص ١٢٥ وما يليها .

Bibliography:
J. Gottwald, 'Burgen und Kirchen im mittleren Kilikien', in: *Byzant. Zeitschr.* 41, 1941, 82–93 (containing false attribution).
G. R. Youngs, 'Three Cilician castles', in: *Anatol. Stud.* 15, 1965, 125 et seq.



المخطط رقم ٢٥ : ييلان كاليسي Yilan Kalesi

مخطط أرضي للقلعة ، المقياس ١٠٠٠ / ١ .

١ ـ الفناء الأمامي ، ٢ ـ القلعة الخارجية ، ٣ ـ البوابة الرئيسية للقلعة العليا ، ٤ ـ السور الداخلي للقلعة العليا (بالاستناد إلى مسح ك . بوكان) .

كوريكوس CORYCUS

اللوحات ١١١ ـ ١١٤

باليونانية كوريكوس Korykos ، بالفرنجية كوركو Curco وكلتشوس Culchus وكورتشوس Curchus إلخ ..

بالتركية كورغوس Korgos وكوريكوس Korikus .

الوصف :

قلعة ما بين مرسين Mersin وسلوقية (تراقيا) Silifke في جنوبي تركيا ، في موقع مدينة ـ مرفأ ـ كان لها بعض الأهمية في العالم القديم . وهي تقع إلى الغرب من الحي السكني القديم ، وملاصقة للمرفأ القديم ، الذي كان محمياً جيداً بكسر للأمواج مبني من كتل صخرية ضخمة . ولقد صممت القلعة لتحمي المرفأ بالاشتراك مع حصن خارجي فوق جزيرة غير بعيدة عنها .

يتألف ذلك الحصن الجزري الصغير من سور مضلع وحيد مقوى بأبراج مستطيلة ونصف دائرية وفيه صهريج ماء وكنيسة صغيرة في فنائه الداخلي . أما القلعة الواقعة على البر فهي أكبر حجماً وأقوى تحصيناً ، وتتألف من سورين واقيين متحدي المركز غير متناظري الشكل ، قويت الحلقة الخارجية منها بحصون بارزة صغيرة منعزلة وقناة مائية . أما الحلقة الداخلية فمحروسة باثني عشر برجاً قوياً أشكالها مختلفة . وقد رتبت الأبراج الثلاثة الكائنة في الزاوية الشمالية الشرقية ترتيباً متناظراً وتشكل بلا شك جزءاً من قاعة فسيحة . وثمة مبان أصغر حجماً في الأقسام الداخلية للقلعة (كنائس وصهاريج وغيرها) .

التاريخ :

١١٠٠ ـ ١١٠٤ من المعتقد أن الحصن الجزري أسس خلال حملة شنها أمير البحر البيزنطي أوستاشيوس Eustathius ضد الأرمن ، وربما كان الهدف منه السيطرة على المدينة والمرفأ دونما حاجة لاحتلال البر الرئيسي .

أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر : حصل الأرمن على ملكية الموقع بأكمله . ولم تكن كوريكوس المعقل الوحيد الموجود على حدود العالم الغربي ، ولكنها كانت مرفأ هاماً اتخذت منه الدول البحرية الإيطالية مقرات لها فيه . وكانت المدينة في الأساس ملكاً للتاج الأرمني الذي جدد بناء دفاعاتها .

أواسط القرن الثالث عشر : أصبح أوشين Oschîn أحد أفراد الأسرة المالكة الأرمنية سيد كوريكوس .

١٣٦١ . بعد انهيار مملكة أرمينيا الصغرى طلب سكان المدينة المساعدة من ملوك قبرص لصد هجمات الترك القرمانية المتكررة . نزل روبير لوزينيان إلى البر وأعاد ترميم التحصينات .

١٣٦١ . حوصرت المدينة مرة أخرى من قبل الأتراك .

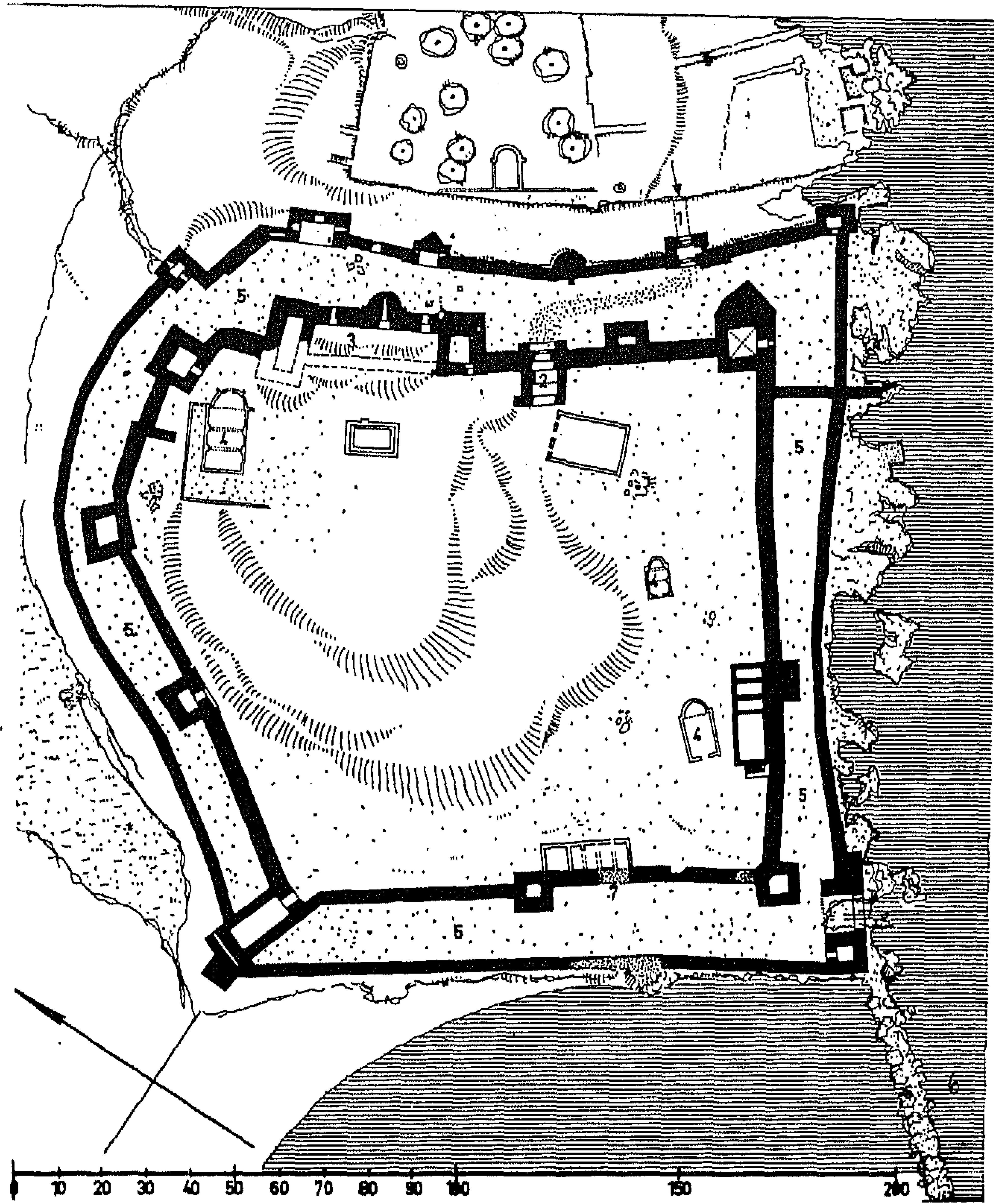
أواسط القرن الخامس عشر : استولى القرمانية Karamanoğlo على القلعة واستخلصوها من آل لوزينيان نتيجة لخيانة كما يزعمون . ولكنها لم تمكث في يد أصحابها الجدد لمدة طويلة . إذ انتزعها العثمانيون في العام ١٤٨٢ إثر موت آخر أمراء القرمانية بعد أن أصبحت هدفاً لنزاع شديد منذ العام ١٤٧١ .

ظل المرفأ يقوم بدور ثانوي حتى مطلع العصور الحديثة ، ولكن المدينة آلت إلى الزوال فيما بعد .

المراجع :

ي . هيرز فيلد ـ س . غوير ، المباني التاريخية في آسية الصغرى في العصور القديمة المجلد II : ميرياملك وكوريكوس ، بلدتان مسيحيتان أثريتان في مقاطعة قليقية ، مانشستر ١٩٣٠ ، تتضمن معطيات مرجعية كاملة .

Bibliography:
E. Herzfeld – S. Guyer, *Monumenta Asiae Minoris Antiqua*, Vol. II: *Meriamlik und Korykos, zwei christliche Ruinenstätten des Rauhen Kilikien*, Manchester 1930, containing full bibliographical data.



المخطط ٣٦ : كوريكوس Corycus

مخطط أرضي لقلعة البر ، المقياس ٢٠٠٠ / ١ .

١ ـ جسر متحرك سابق والبوابة الرئيسية ، ٢ ـ البوابة الداخلية ، ٣ ـ أطلال القاعة الكبرى ، ٤ ـ كنائس ، ٥ ـ فناء أمامي ، ٦ ـ مكسر صخري ، ٧ ـ أطلال البوابة الرومانية ، أدمجت مع قلعة القرون الوسطى .

(بالاستناد إلى هيرتزفلد ـ غوير) .

سلوقية SILIFKE

اللوحات ١١٥ ـ ١١٦

التسمية القديمة سلوقية Seleukeia وسلوسيا Seleucia وطراقية Trachaea وسيلوتشيا Seleucia وسيليسيا (قليقية) Cilicae إلخ ..

بالفرنجية سيليف Selef ، وبالتركية سيليفكه Silifke .

الوصف :

قلعة وبلدة ريفية صغيرة في جنوبي تركيا ، على بعد نحو عشرة أميال تقريباً من مصب نهر غوك ـ سو Gök-Su (سابقاً كاليكادنوس Calycadnus) في الشعاب الخارجية لجبال طوروس . وتتماشى القلعة مع الأرض تماماً وقد شيدت فوق مرتفع صخري تمتد جوانبه معتدلة الانحدار بعيداً من جميع النواحي . وهي ذات شكل أقرب إلى البيضوي ويحيط بها سور هامشي مضلع بسيط تحرسه بضعة أبراج متينة نصف دائرية ومقوى في بعض الأماكن بسور خارجي . كما شقت قناة عريضة في الصخر الأصم في عدة نقاط حولها .

رغم أن الأسوار الخارجية للقلعة ماتزال محفوظة بحالة جيدة تقريباً فإن شيئاً لم يبق من الأجزاء الداخلية للقلعة .

التاريخ :

القرن الثامن ـ القرن العاشر : مستوطنة محصنة أقيمت منذ أمد طويل تدعى سلوقية كان لها دور هام في حروب الثغور بين العرب والبيزنطيين .

١٠٩٨ تقريباً استغل البيزنطيون ضعف الفرنجة بعد هزيمة بوهمند القاسية في حران Harran فاستردوا سيطرتهم على المنطقة ، وأعيد بناء دفاعات سلوقية مثل كوريكوس مرات متتالية على يد أمير البحر البيزنطي أوستاشيوس . ولابد من أن تكون القلعة التي تعلو المدينة قد شيدت في هذه الفترة على الأرجح .

أوائل القرن الثاني عشر : من المعتقد أن سلوقية انتقلت من يد إلى يد أكثر من مرة في مجرى الصراع الذي دار بين بيزنطة وأرمينيا الصغرى خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر وليس مايؤكد بقاءها في يد الأرمن حتى نهاية ذلك الصراع .

١١٩٠ . غرق الإمبراطور فريدريك الأول (بربروسا) خلال الحملة الصليبية الثالثة في نهر كاليكادنوس المتاخم لسلوقية وهو يحاول اجتيازه .

١٢١٠ ـ ١٢٢٦ وهب الملك ليو الثاني ملك أرمينية المدينة إلى الأسبتارية مقابل خدمات يقدمها أربعمئة فارس مدججين بالسلاح . وخشي الفرسان التورط في النزاع الداخلي الذي كان على وشك الوقوع بين الأرمن ـ فرت الأميرة إيزابيل إلى سلوقية قبل زواجها من الملك المقبل هيثوم الأول ـ فباعوا المدينة إلى محاصريها من الأرمن . ويشير نقش منحوت إلى أن الملك الجديد أجرى تحسينات تالية على القلعة .

من المرجح أن تكون سلوقية ظلت تابعة لمملكة أرمينية الصغرى حتى سقطت هذه الأخيرة . وأثناء القرن الخامس عشر كان لها دور في النزاع بين السلطان العثماني محمد الثاني والحكام القرمانية المحليين الذين كان يدعمهم البنادقة ، إلا أن العثمانيين تملكوها بعد انتصارهم . لحقت بالقلعة أضرار بالغة بتفجيرات بارود المدافع أثناء القتال الأخير .

المراجع :

الموسوعة الإسلامية IV ٢٢٨ ومايليها (س ل . هوارت ١٩٣٤) .

ج . كايل ـ آ . ويلهلم (الآثار التاريخية في آسية الصغرى مجلد III) مانشستر ١٩٣١ .

فيدن ـ تومسون ، ٩٤ ـ ٩٧ .

Bibliography:
Enc. Isl. IV, 228 et seq. (Cl. Huart 1934);
J. Keil – A. Wilhelm, *Denkmäler aus dem Rauhen Kilikien (Monumenta Asiae Minoris Antiqua, Vol. III)*, Manchester 1931;
Fedden – Thomson, 94–7.

أنمور (مامورية) ANAMUR

اللوحة ١١٧

باليونانية أنيموريون Anemourion ، بالفرنجية ستاليموري Stallimuri أو ستالمورا Stalemura إلخ ..

بالتركية أنامور Anamur ، وماموريـة Mamuriye ومامور كاليسي (قلعة مامور) Mamur Kalesi .

الوصف :

قرية وقلعة على الساحل الجنوبي لتركيا ، تقعان بالقرب من مصب نهر صغير ورأس في البحر يحمل الاسم نفسه . تضم القلعة المنيعة الضخمة ستة وثلاثين برجاً ، وتتألف من ثلاثة أفناء تفصلها أسوار محصنة بأبراج . تنتصب أبنية القلعة الداخلية فوق نهد صخري إلى جوار البحر مباشرة . ويتفرع عنها نحو الشمال والشرق فناءان فسيحان مسوران يواجه الشرقي منهما البحر ، أما الفناء الداخلي الشمالي فحمي من جهة البر بقناة مائية عريضة وسور متين بشكل خاص . كانت قلعة أنمور واحدة من أهم وأقوى المعاقل في مملكة أرمينية الصغرى وهي ما تزال في حالة رائعة بفضل الترميات التي جرت عليها في القرن التاسع عشر .

التاريخ :

شيدت القلعة في موقع مستوطنة قديمة ، وربما كان الأرمن هم من شيدها . ويعتقد أنها كانت من ممتلكات ملوك الفرنجة في قبرص لفترة ما ، بعد أن اختفت مملكة أرمينية الصغرى من الوجود ، ولكنها سقطت بعد ذلك في يد السلاجقة .

١٣٧٣ تملك القرمانية القلعة وأصيبت بأضرار بالغة خلال هجوم شنه أسطول قبرصي بقيادة جان الصوري Jean de Tyr .

١٤٦٩ ـ ١٤٧٠ رمم العثمانيون أنمور مجدداً .

١٨٤٠ أجريت على القلعة إصلاحات كبيرة وما تزال تشغلها حامية صغيرة . شيد المسجد الصغير والمئذنة في الفناء الداخلي في الوقت نفسه . جرت بعد ذلك إصلاحات كثيرة في القلعة حتى نهاية القرن ، ولكنها توقفت بعد انهيار البرج الزاوي الضخم في القلعة الداخلية .

المراجع :

باولي ـ ويسوفا ـ موسوعة ريال II ، ٢١٨٢ (هيرشفيلد ١٨٩٤) .

الموسوعة الإسلامية ـ (٢) I ، ٤٩٥ (فر . تايشنر ١٩٦٠) .

ل . دوماس ـ لاتري ، جزيرة قبرص . موقعها الحالي وأثرها في العصر الوسيط ، باريز ١٨٧٩ ، ص ٢٣١ وما يليها ، ٢٦١ وما يليها .

فيدن ـ تومسون ، ٩٧ ـ ٩٨ .

Bibliography:
Pauly – Wissowa, *Realencyclopädie II, 2182* (Hirschfeld 1894);
Enc. Isl. (2) I, 495 (Fr. Taeschner 1960);
L. de Mas-Latrie, *L'Ile de Chypre. Sa situation présente et ses souvenirs du moyen-âge*, Paris 1879, 231 et seq., 261 et seq.;
Fedden – Thomson, 97–8.

بودونيتسة BODONITSA

اللوحة ١١٨

بالفرنجية ميديتاس Medietas وبوندونيسية Bondoncie وبودونيتزا Boudonitza .

الوصف :

قلعة في الجزء الشرقي من اليونان الأوسط ، تقع في المرتفعات شمالي مافروبوتاموس Mavropotamos (سيفيسوس من بيوتيا القديمة Cephissus) ، وتحرس المنافذ الجنوبية لمنطقة تيرموبيلاي Thermopylae . ولقد استحالت القلعة والبلدة الصغيرة التي كانت متصلة بها كلتاهما إلى أطلال . وكل مابقي من القلعة ذاتها أطلال من السور الخارجي والبرج المتين البنيان المربع الشكل نسبياً .

التاريخ :

١٢٠٥ أعطيت المقاطعة الواقعة إلى الجنوب من تيرموبيلاي إقطاعة إلى الكونت غويدو بالافيتشيني Count Guido Pallavicini ، أحد أفراد أسرة بونيفاس مونتفيرات Boniface of Montferrat ملك سالونيك ، أثناء الحملات التي شنها هذا الملك في أواسط اليونان وجنوبيها . (وكان غويدو بالافيتشيني ، الذي قدمت أسرته من منطقة بارما ، معروفاً بين اليونانيين باسم مارشيسوبولوس Marchesopoulos . وظل نبيلاً من نبلاء هذه المملكة الضعيفة حتى سقوطها) .

١٢٢٥ - ١٢٢٦ ظلت بودونيتسه في أيدي الفرنجة بعد انهيار مملكة سالونيك هي ودوقية أثينا . وبموجب تعليمات البابا هونوريوس الثالث أعيد تنظيم دفاعات القلعة الصغيرة وحصلت الأموال من أجل تحسينها بعد ذلك .

١٢٥٢ تقريباً هاجم اليونانيون بودونيتسه على الأرجح ضمن حملة شنوها ضد ميخائيل الثاني إبيروس بإيعاز من الإمبراطور يوحنا الثالث فاتاتزيس John III Vatatzes (١٢٢٢ - ١٢٥٤) . ولكن اليونانيين ردوا عنها بفضل غليوم فيلهاردوان Guilleume de Villehardouin .

أوائل القرن الرابع عشر : بعد مقتل ثالث كونتات بودنيتسه وآخرهم في معركة دامية عند بحيرة كوبيس Lake Copais في العام ١٣١١ ، قسمت الكونتية بين أرملة ألبيرتو بالافيتشيني وابنته غوليلما Guglielma . ثم انتقلت بعد ذلك بكاملها إلى فرنشيسكو غيورغيو بن غوليا من نيكولو غيورغيو واستمر ورثته يحكمون الكونتية تحت وصاية حكام أثينا من الكتالونيين . إلا أن العائلة ظلت من البنادقة على كل حال .

١٤١٠ اقتحم السلطان موسى العثماني القلعة . وبعد استيلائه عليها حمل نيقولا الثاني إلى أدرنة كأسير عنده ولكنه أطلق سراحه فيما بعد .

١٤١٤ في ٢٠ حزيران (يونيو) استولى الأتراك مرة أخرى على بودونيتسه وخربوا المدينة والقلعة وفر نيقولا إلى البندقية . وأعيدت أملاكه إليه في العام ١٤١٦ بموجب معاهدة سلام ، ولكنه رفض أن يقبلها .

ظل الموقع تحت الحكم التركي وآل إلى السقوط .

المراجع :

ج . شلومبرغر النقود في الشرق اللاتيني باريز ١٨٧٨ ، ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

و . ميلير : اللاتين في المشرق ، تاريخ اليونان الفرنجية ، لندن ١٩٠٨ .

ج . لونيون ، الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وفي مقاطعة مورة ، باريز ١٩٤٩ .

Bibliography:
G. Schlumberger, *Numismatique de l'Orient Latin*, Paris 1878, 350–1;
W. Miller, *The Latins in the Levant. A history of Frankish Greece*, London 1908, pass.;
J. Longnon, *L'Empire Latin de Constantinople et la Principauté de Morée*, Paris 1949, pass.

قلعـة كليرمـونت (تـورنيز)

CASTEL TORNESE

اللوحات ١١٩ ـ ١٢٠

بالفرنجية كليرمون أو كلرمون Clairmont, Clermont .

باليونانية شليموتزي Chlemutzi .

الوصف :

قلعة في القسم الشمالي الغربي من البيلوبونيز على بعد نحو ثلاثة أميال عن البحر . تقع على ذروة تل منبسطة فوق رعن صخري يمتد قليلاً داخل البحر اسمه شليموتزي . وهي تطل تماماً على الداخل وعلى المضيق المحصور ما بين البر الرئيسي وجزيرة تقع بعيداً عن الشاطئ تدعى جزيرة زاكنتوس Zakinthos . وتعتبر بلدة كلارنتزا Clarentza مرفأ للقلعة وتؤمن خدماتها .

تتألف القلعة من قلعة داخلية سداسية الأضلاع غير منتظمة ، وهي نوع من الأبراج المحصنة مع فناء مكشوف صغير ، وغرف ذات سقف أسطواني مقنطر ، تقوم على محيط البناء الداخلي بالإضافة إلى فناء متسع مكشوف يرتبط بها من جهة الغرب . وإذا ما غض البصر عن بعض التعديلات الطفيفة يمكن القول : إن البناء بكامله محفوظ بحالته الأصلية . والأسلوب المتبع في البناء بيزنطي على وجه العموم ولكن يمكن تلمّس بعض الملامح المنفردة عن التأثير الأوربي الغربي القوي فيها .

التاريخ :

١٢٢٠ ـ ١٢٢٣ شيد جوفروا الأول فيلهاردوان Geoffroy I Villehardouin القلعة خلال نزاعه مع إكليروس أخايا Achaea (باليونانية Akhaia) . ثم أقام فيها فيما بعد بإذن من الملك لويس التاسع داراً لضرب العملة تنتج نسخاً عن (التورنوا Tournois) وهي عملة كانت تصك في تور Tours في فرنسا أخذت منها تسميتها .

١٣١٣ ـ ١٣١٦ انتقلت القلعة من يد إلى أخرى عدة مرات خلال النزاع الذي نشب بين فرديناند صاحب ميورقة Ferdinand of Majorca ولويس بورغندي Louis of Burgundy حول من سيرث أمارة أخايا . وظلت في أيدي البورغنديين حتى أوائل القرن الخامس عشر عندما استعادها البيزنطيون .

١٤٨٠ تقريباً امتلك الأتراك قلعة تورنيز ولكنها ظلت تنتقل من يد البنادقة إلى يد الأتراك وبالعكس عدة مرات خلال الحقبة التي تلت . بعد أن فقدت القلعة أهميتها الاستراتيجية تركت على حالها التي كانت عليها في العصور الوسطى .

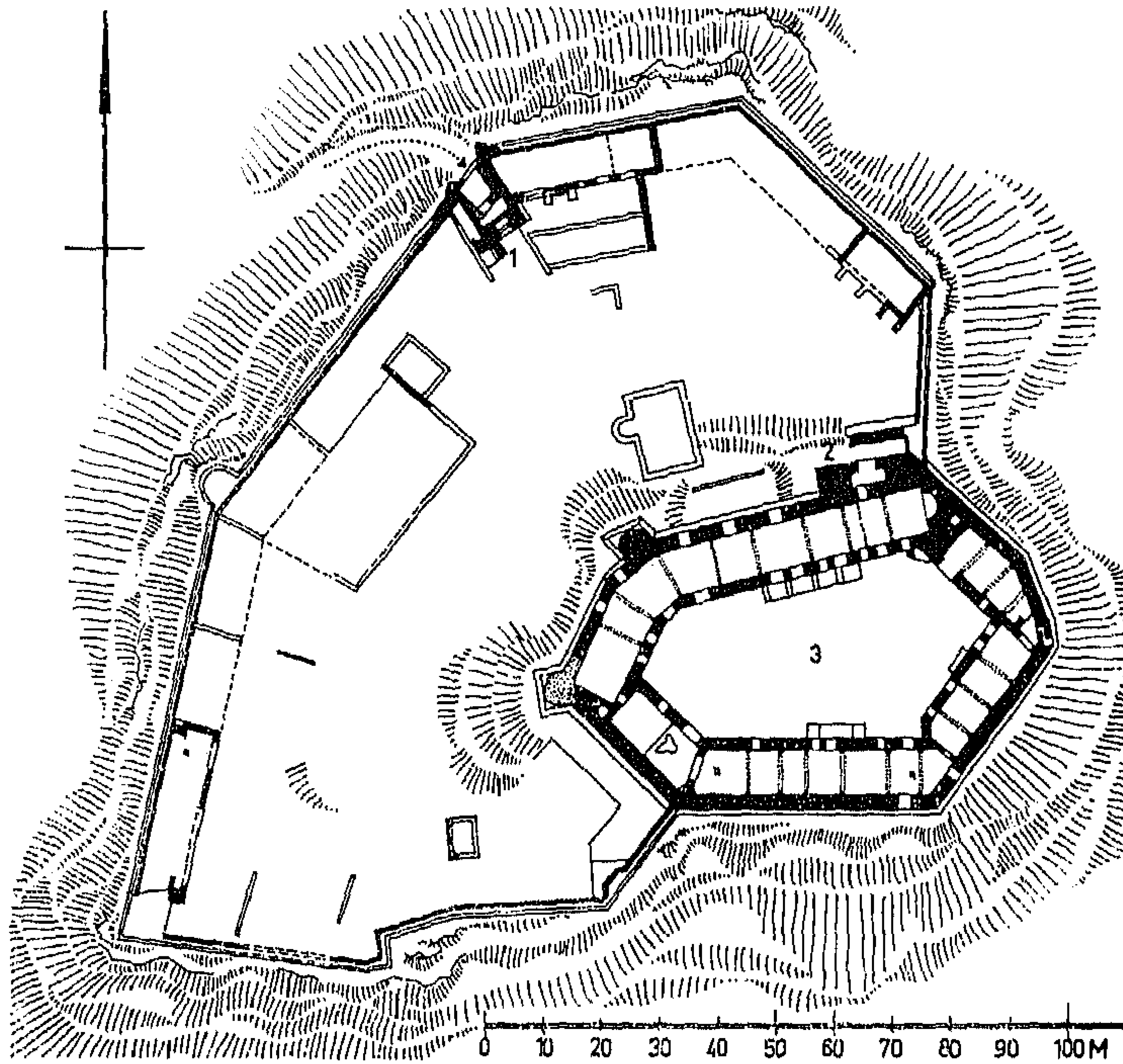
المراجع :

ر . تراكيير ، القلاع في القرون الوسطى في شمال غربي البيلوبونيز ، في المجلة السنوية للمدرسة البريطانية الأثينية ، ١٣ ، ١٩٠٧ ، ٢٧٢ وما يليها .

جيورجيوس سوتيريو ، قصر شليوتزي ودار العملة فيه في المجلة الدولية للنقود الأثرية العدد ١٩ ، ١٩١٨ - ١٩١٩ ، ٢٧٦ .

كيڤين أندروس ، قلاع مورة ، برينستون ١٩٥٣ ، ١٤٦ - ١٥٨ .

Bibliography:
R. Traquair, 'Mediaeval fortresses in N. W. Peloponnesos', in: *Ann. Brit. School Athens 13*, 1907, 272 et seq.;
Georgios Sotiriou, 'Le Château de Chlemoutzi et son atelier monétaire', in: *Journ. Intern. d'archéol. numismat. 19*, 1918–19, 276;
Kevin Andrews, *Castles of the Morea*, Princeton 1953, 146–158.



المخطط ٢٧ : قلعة تورنيز - شليموتزي Castel tornese-Shlemutzi

مخطط أرضي للقلعة ، المقياس ٢٠٠٠ / ١ .

١ - البوابة الرئيسية للقلعة الخارجية ، ٢ - بوابة القلعة الداخلية ، ٣ - القلعة الداخلية (بالاستناد إلى سوتيرو) .

نافارينو NAVARINO

اللوحات ١٢١ ـ ١٢٢

بالفرنجية كاستيل دو پور دو جونك Chastel du Port de Junch .

بالإيطالية زونتشيو Zunchio .

باليونانية بالايا (قصر) أفارينو Palaia Avarino نسبة إلى التسمية البيزنطية للقلعة .

الوصف :

قلعة على الساحل الجنوبي الغربي للبيلوبونيز ، تقع فوق كتلة صخرية شديدة الانحدار إلى الشمال من بلدة بيلوس Pylos الحديثة (نافارينو الجديدة) ، على ارتفاع شاهق فوق الخليج الذي يحمل الاسم نفسه . وهي ترتبط بالبر الرئيسي بطريقين مرتفعين ضيقين وتفصلها عن جزيرة شفاكتيريا Sphakteria قناة ضيقة .

إن تصميم القلعة أملته طبيعة موقعها بالذات ، فهي مقسومة إلى قلعة علوية وقلعة سفلية بسور داخلي ، وكلتاهما خلوٌ من أية ذخائر تعود إلى العصر الفرنجي .

التاريخ :

حوالي ١٢٧٨ شيد نيقولا دو سانت أومير Nicolas de St Omer القلعة لابن شقيقه نيقولا الثالث فوق موقع قلعة بيزنطية سابقة ، كانت تشغل بدورها موقع بلدة قديمة تدعى كوريفاسيون Koryphasion . ويمكن أن تشاهد آثاراً كثيرة لتحصينات ومباني البلدة القديمة في جوار القلعة ، ومما لا شك فيه أن حجارة الأولى استخدمت في بناء الثانية وهكذا .

أوائل القرن الرابع عشر : سقطت القلعة لفترة قصيرة في أيدي الجنويين الذين استخدموها قاعدة لهجاتهم على معاقل البنادقة في مسينا Messenia .

١٣٦٦ دافعت ماري دو بوربون أرملة أمير أخايا عن القلعة ضد القوى المشتركة لبارونات الفرنجة ورئيس أساقفة بتراس Archbishop of Patras .

١٣٨١ استولت على القلعة سرية نافار الكبرى Grand Company of navarre ، وهي جماعة من المرتزقة الإسبان سرعان ما توصلت إلى السيطرة على مورة الفرنجية كلها .

١٤٢٣ تملكت البندقية نافارينو من صاحبها السابق القائد (سنتوريون) زكريا Centurione Zaccaria . وظلت من أملاك البندقية بعد أن غزا الأتراك العثمانيون مورة ، ولم يستول عليها السلطان بيازيد الثاني حتى العام ١٥٠٠ . تداولت الأيدي القلعة أكثر من مرة وتغيرت تحصيناتها كثيراً خلال حروب القرنين السابع عشر والثامن عشر .

المراجع :

كيفين أندروز ، قلاع مورة ، برنستون ، ١٩٥٣ ، ٤٠ ـ ٤٨ مع المخططات .

الدليل الأزرق ، اليونان ، باريز ١٩٥٦ ، ٤٠١ ـ ٤٠٤ .

Bibliography:
Kevin Andrews, *Castles of the Morea*, Princeton 1953, 40–8 and plans;
Guide Bleu, Grèce, Paris 1956, 401–4.

ميسترا MISTRA

اللوحات ١٢٣ ـ ١٢٤

الوصف :

قلعة منهارة ومدينة قرب إسبارطة Sparta ، تقع فوق المنحدرات الشرقية لجبال تايجيتوس Taygetos Mountains ، على بعد نحو ثلاثة أميال عن نهر إيفروتاس Evrotas . تشغل القلعة موقعاً منيعاً للغاية تقريباً فوق جرف شاهق ينحدر بشدة من جميع جهاته ، بينما شيدت المدينة على مصاطب على السفحين الشمالي الشرقي والشرقي المتناظرين في انحدارهما .

والقلعة ذات شكل متطاول فرضته طبيعة الأرض الجبلية . وتشغل القلعة السفلية (حوالي ١٩٣٥ قدماً فوق سطح البحر) معظم مساحة الجرف . وإلى الشمالي منها وأعلى قليلاً (٢٠٣٦ قدماً في أعلى نقطة) تنتصب القلعة العليا التي يواجه برجها المحصن القلعة السفلية بالطريقة الاعتيادية . ويتم الوصول إليها من جهة الشمال عن طريق دروب جبلية ملتوية شديدة الانحدار .

كانت المدينة الصغيرة محاطة بسورين خارجيين منفصلين ، تحيط الحلقة العليا منهما بالحي السكني الرئيسي وقصر الحاكم على مصطبته البارزة من جهة الشمال ، أما الحلقة الدنيا فتعانق الجزء السفلي الأقل ازدحاماً بالسكن من المدينة مع عدة أديرة .

التاريخ :

أواسط القرن الثالث عشر : أسس غليوم دوفيلهاردوان القلعة والمستوطنة عندما استكمل فتح البيلوبونيز تقريباً على يد الفرنجة .

١٢٥٩ ـ ١٢٦٢ بعد أن هزم غليوم ـ نتيجة خيانة ـ أمام جيش الإمبراطور ميخائيل الثامن بلايولوغوس إمبراطور بيزنطة الذي أبقاه في الأسر ثلاثة أعوام ، رضخ لطلبه بأن سلمه ميسترا وأماكن غيرها كفدية .

١٢٦٢ ـ ١٤٦٠ ظلت ميسترا تحكم من قبل حكام مورة مطلقي الصلاحية من البيزنطيين الذين وطدوا أنفسهم على البقاء شبه مستقلين عن البلاط الإمبراطوري في القسطنطينية .

١٤٦٠ سقطت المدينة في يد الأتراك العثمانيين وظلت تحت سيطرتهم حتى نهاية السيادة التركية ١٤٦٤ ـ ١٦٨٧ تخللتها فترة انقطاع قصيرة .

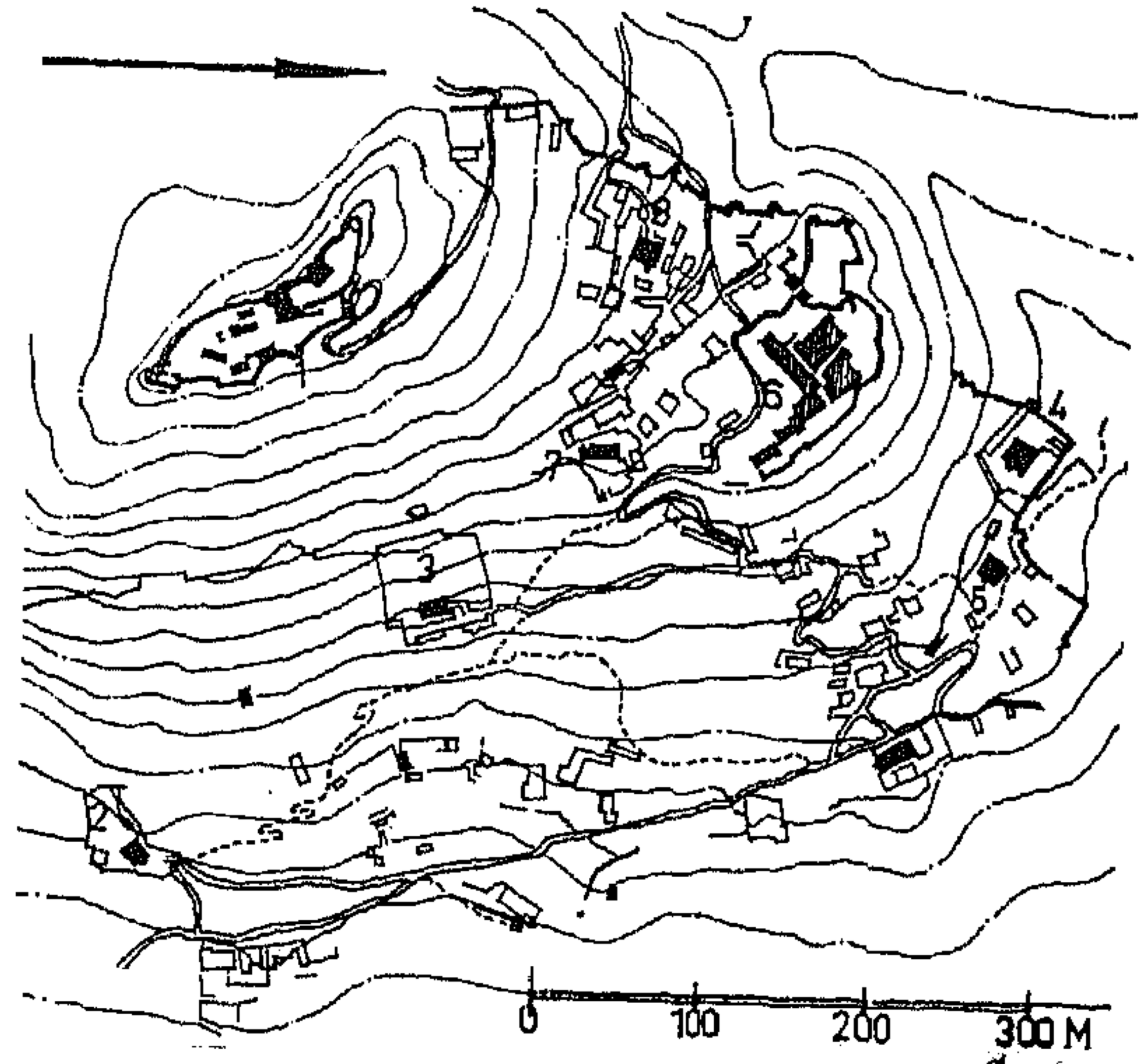
١٧٧٠ خربت الحرائق البلدة وباستثناء القلعة ذاتها لم يبق أي شيء من الذخائر العائدة إلى فترة الاحتلال الفرنجي القصيرة الأجل هناك .

المراجع :

كيفين أندروز ، قلاع مورة ، برينستون ١٩٥٣ ، ١٥٩ ـ ١٨٢ .

م هادجيداكيس ، ميستراس ، أثينا ، ١٩٤٨ .

Bibliography:
Kevin Andrews, *Castles of the Morea*, Princeton 1953, 159–182;
M. Hadzidakis, *Mystras*, Athens 1948.



المخطط ٢٨ : ميسترا Mistra

مخطط البلدة ، المقياس ١٠٠٠٠ / ١ .

١ ـ قلعة غليوم دوفيليهاردوان ، ٢ ـ دير بيريبلبتوس Peribleptos ، ٣ ـ دير بانتاناسا Pantanassa ، ٤ ـ كنيسة ودير هوديجتريا (آفنتكو) ، ٥ ـ كنيسة القديس تيودور ، ٦ ـ قصر الحاكم البيزنطي ، ٧ ـ بوابة مونمفاسيا وكنيسة القديس نيكولاس ، ٨ ـ كنيسة القديسة صوفيا .

(بالاستناد إلى هادجيداكاس) .

كاريتاينا KARYTAINA

اللوحة ١٢٥

الوصف :

قلعة وقرية عند المجرى العلوي لنهر آلفييوس Alpheios ، في أواسط البيلوبونيز . وتنتصب القلعة فوق ذروة ذات جرف شديد الانحدار إلى جوار انحناء في مجرى النهر ، ومعها مستوطنة صغيرة تقع على سلسلة مصاطب تحت القلعة .

تأخذ القلعة شكلاً مضلعاً متطاولاً أملته طبيعة الأرض الصخرية . وتبرز منها من جهة الشرق قلعة صغيرة خارجية مع كنيسة صغيرة جداً تدعى كنيسة القديس أندرو تربض فوق الصخور . وتوجد في فناء القلعة الضيق فوق الهضبة أطلال قاعة وبعض الصهاريج ذات السقف المقنطر . وعلى وجه العموم فإن القلعة تعود إلى فترة الحكم الفرنجي ولكنها خضعت لبعض التعديلات الخفيفة أثناء حرب الاستقلال اليونانية .

التاريخ :

١٢٥٤ . شيد القلعة هوغ دو برويير Hugues de Bruyères الذي جعل من كاريتاينا مقره الرئيسي منذ الغزو الفرنجي للبيلوبونيز . وكان هوغ وولده جوفروا من بين الإقطاعيين الرئيسيين في مورة الفرنجية إلا أن سلالتهم المذكرة انتهت في العام ١٢٧٢ . وعندئذ انتقلت القلعة إلى ملكية عائلة بريين Brienne .

١٣٢٠ . استعاد البيزنطيون القلعة مع أصقاع أركاديا الفسيحة على يد أندرونيكوس آسان Andronicus Asan وهو أحد الحكام البيزنطيين في البيلوبونيز . ظلت القلعة تحت سلطة الحكام البيزنطيين حتى غزا الأتراك العثمانيون البلاد في العام ١٤٦٠ .

١٨٢١ . انسحب ثيودوروس كولوكوترونيس إلى كاريتاينا وحسن دفاعات القلعة .

المراجع :

ر . تراكيير ، قلاع القرون الوسطى في شمال غرب البيلوبونيز ، في المجلة السنوية للمدرسة البريطانية في أثينة ، ١٣ ، ١٩٠٧ ، ٢٦٨ ومايليها .

الدليل الأزرق : اليونان ، باريز ١٩٥٦ ، ٤٦٨ .

Bibliography:
R. Traquair, 'Mediaeval fortresses in N. W. Peloponnesos', in: *Ann. Brit. School Athens 13*, 1907, 268 et seq.;
Guide Bleu: Grèce, Paris 1956, 468.

(الـ) قنطرة KANTARA

اللوحات ١٢٦ ـ ١٢٨

بالفرنجية : لوكاندار Le Candare ، لو كانديرLe Candaire لاكاندار La Candare ، قنطرة Kantara .

الوصف :

قلعة على الساحل الشمالي من قبرص على بعد نحو ٣٨ ميلاً شرقي كيرينيا Kyrenia تقع على ارتفاع حوالي ٢٢٠٠ قدم فوق جرف شديد الانحدار في السلسلة الشمالية . وهي على اتصال بالنظر مع بوفافنتو Buffavento وفماغوستا Famagusta . ولقد قوي السور الذي يحيط بأطراف ذلك الموقع الشديد الانحدار بشكله غير المنتظم بعدد من الأبراج القوية والحصون البارزة ولكن من الجهة الجنوبية والجهة الجنوبية الشرقية فقط . ويتم الوصول إلى القنطرة من جهة الجنوب عن طريق درب جبلي يؤدي إلى فناء أمامي تحرسه حصون بارزة جانبية نصف دائرية . ومن الملامح غير الاعتيادية للقلعة ، التي ما تزال محفوظة في حالة جيدة ، هو أن أعلى نقطة في القسم الداخلي منها تشغله ساعة برج صغيرة .

التاريخ :

١٢٢٨ ـ ١٢٢٩ حاصرت القوات القبرصية تحت قيادة أنسو دوبري Anseau de Brie القلعة التي كان يحتلها أتباع الإمبراطور فريدريك الثاني . فأزالت قطاعاً من السور بالمنجنيق Trabuch ولكن القلعة صمدت حتى تمكن رام ماهر من اصطياد المدافعين وطردهم من صخرة مجاورة .

١٢٣٢ احتلت القلعة مرة أخرى من قبل الموالين للإمبراطور ولكن سرعان ما استردها الملك هنري .

١٣٧٣ بعد احتلال فماغوستا من قبل الجنويين أصبحت القنطرة قاعدة هامة يمكن منها وضع أنشطتهم تحت الرقابة . ولقد ظلت تقوم بهذا الواجب لعدة عقود تلت .

١٣٩١ نفذ الملك جيمس الأول إضافات واسعة إلى القنطرة وإلى قلعة سيغوري للغاية المذكورة آنفاً . والقنطرة في حالتها الحالية تعود إلى هذه الفترة في معظمها .

١٥٢٥ قرر حكام البندقية تعرية القلعة التي أضحت عتيقة الآن اقتصاداً لنفقات الصيانة . ولم تعد تستخدم منذ ذلك الحين .

المراجع :

انلارت ، الفن القوطي II ، ٦٤٨ ـ ٦٥٤ .

Bibliography:
Enlart, *Art Gothique II*, 648–654.

سانت هيلاريون ST HILARION

اللوحات ١٢٩ ـ ١٣٢

باليونانية ديديموس Didymos .

بالفرنجية ديودامور Dieudamur ، دودامور Deudamor ، ديو دامور (إله الحب) Dieu d'Amour ، إلخ .. كذلك تسمى القديس هيلاريون ، St Hilarion وهي التسمية المستخدمة حالياً .

الوصف :

قلعة على الساحل الشمالي من قبرص مباشرة إلى جنوب غرب كيرينيا . وهي تقع على ارتفاع يتراوح بين ٢٣٠٠ و ٢٤٠٠ قدم ، وتسيطر على الطريق بين كيرينيا ونيقوسيا . وهي مثلها مثل المعاقل الجبلية في قبرص تنبثق من الظروف الطبوغرافية المحلية ، وتتألف من قلعة خارجية فسيحة تحوي مباني معزولة وجناحاً منخفضاً مغلقاً مع كنيسة وأحياء سكنية وخزان مياه مكشوف ضخم ، وقلعة علوية تحوي شققاً ملكية وكانت منفصلة عن القلعة السفلية بسور تسنده أبراج .

التاريخ :

أواخر القرن الحادي عشر : بنيت القلعة على الأرجح بسبب حملة الإمبراطور ألكسيوس الأول (١٠٨١ ـ ١١١٨) ضد الحاكم المتمرد رابسوماتس Rhapsomathes ليأمن الهجمات البحرية . وتقول الأسطورة على أن الموقع كان يشغله دير في السابق .

١٢٢٩ ـ ١٢٣٠ بعد أن أدخل الوصي جين ايبلين Jean d'Ibelin تحسينات على قلعة سانت هيلاريون سقطت في يد أتباع الإمبراطور فريدريك الثاني ، وكان سقوطها نتيجة حصار استمر تسعة أشهر .

وعندما كانت مملكة قبرص في أوجها استخدمت القلعة كمقر صيفي للعائلة المالكة .

١٣٧٣ بعد الاستيلاء على فماغوستا حاول الجنويون غزو كيرينيا أيضاً ، ولقد لعبت قلعة سانت هيلاريون دوراً هاماً في مقاومة المحاصرين .

أوائل القرن السادس عشر : عريت قلعة سانت هيلاريون وقلاع أخرى جبلية على يد البنادقة ادخاراً لنفقات الصيانة .

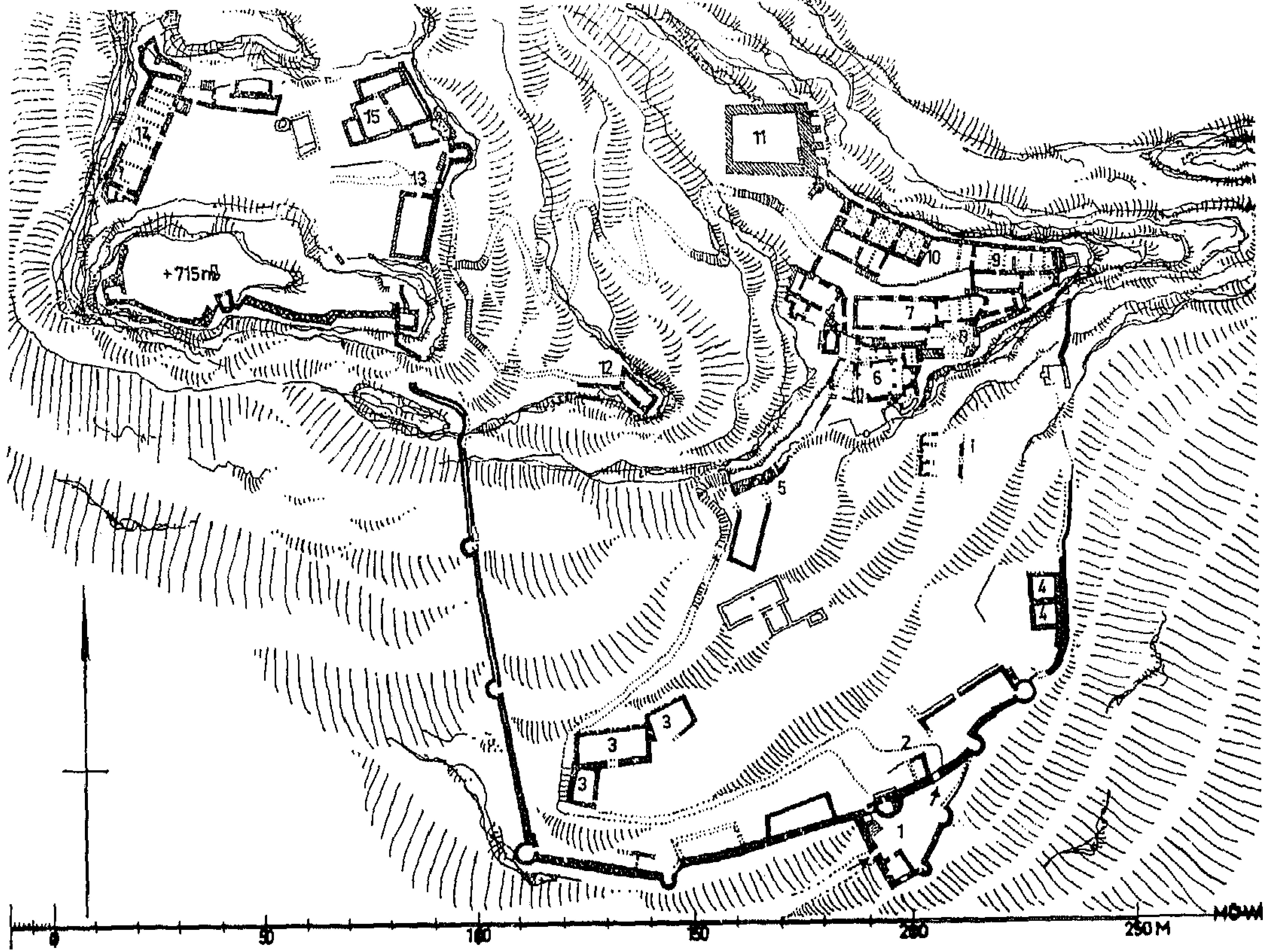
المراجع :

انلارت ، الفن القوطي II ، ٥٧٨ ـ ٥٩٦

فيدن ـ تومسون ، ١٠٥ وما يليها .

آ . هـ . س . ميغاو ، التاريخ المختصر لقلعة سانت هيلاريون ووصفها ، نيقوسيا ١٩٥٤ .

Bibliography:
Enlart, *Art Gothique II*, 578–596;
Fedden – Thomson, 105 et seq.
A. H. S. Megaw, *A brief history and description of St Hilarion Castle*. Nicosia 1954



المخطط ٢٩ : سانت هيلاريون - ديودامور St . Hilarion-Dieadamour

المخطط الأرضي للقلعة ، المقياس ٤٠٠٠ / ١ . رسمت مباني العهد البيزنطي (القرن العاشر) باللون الأسود ، والإضافات الفرنجية الأولى بالتهشير المتقاطع ، ومباني القرن الرابع عشر بالتهشير البسيط .

١ - حصن خارجي والبوابة الخارجية ، ٢ - البوابة الداخلية المؤدية إلى الفناء المسور السفلي ، ٣ - الإسطبلات ، ٤ - الصهاريج ، ٥ - البوابة الداخلية المؤدية إلى الفناء المسور الأوسط ، ٦ - كنيسة بيزنطية (النصف الثاني من القرن العاشر) ، ٧ - قاعة كبرى (القرن الرابع عشر فوق أساسات بيزنطية) ، ٨ - منظرة (مَطَلّ) Belvedere ، ٩ - شقق سكنية من أربع طبقات ، ١٠ - أحياء سكنية (براكات) ، ١١ - صهريج مياه ، ١٢ - برج الأمير جون ، ١٣ - بوابة الفناء العلوي المسور ، ١٤ - الجناح الملكي ، ١٥ - مكاتب ومطابخ (بالاستناد إلى آ . هـ . س . ماغيو) .

كيرينيا KYRENIA

اللوحات ١٣٣ ـ ١٣٦

باليونانية كيرينييا Keryneia وكيرينيا Kerynia وكيرين Kyrene إلخ ..

باللاتينية سيرينيا Cyrinia .

بالفرنجية سيرينا Cerina وسيرين Cérines وشيرنيس Schernis وسيروني Ceraunie إلخ ..

الوصف :

مرفأ وبلدة صغيرة وقلعة هامة على الساحل الشمالي من قبرص . كان المظهر الخارجي للقلعة الضخمة شبه المستطيلة مع أبراجها المستديرة ، وحصنها المضلع البارز الضخم من الناحية الجنوبية الغربية ، وأسوارها الساترة السميكة قد حدد في طور البناء الذي تم على يد البنادقة . أما البرج نصف الدائري الواقع في الزاوية الشمالية الشرقية ، والسور الواقي الملاصق له ، بالإضافة إلى قسم لابأس به من أحياء السكن والمخازن التي تتاخم الفناء الداخلي الفسيح ، فتعود إلى عهد الفرنجة . ولم يبق من ذخائر العهد البيزنطي سوى القليل جداً من الأسوار الداخلية والكنيسة الصغيرة التي طغى عليها البرج المدور البندقي في الشمال الغربي .

وكل مابقي من دفاعات البلدة الأصلية أطلال برجين نصف دائريين فقط .

التاريخ :

١٠٩٢ أسست البلدة بالأصل في الأزمنة القديمة ، وشغلها الأسطول البيزنطي ، أثناء الحملة التي قام بها ضد الحاكم رابسوماتيس المتمرد بقيادة الإمبراطور ألكسيوس الأول (١٠٨١ ـ ١١١٨) .

١١٩١ قرر الحاكم البيزنطي في قبرص إسحاق كومنين أن يجد لنفسه ملاذاً في كيرينيا ، ولكنه وقع في الأسر قبل أن يصل إليها . حاصر الفرنجة كيرينيا واستولوا عليها .

١٢١١ ظلت دفاعات البلدة بدون تحسين في زمن ريادة (ڤيلبراند فون أولدنبرغ) ولكن القلعة قويت بشكل واضح بعد ذلك .

١٢٢٨ ـ ١٢٣٤ تعرضت القلعة لحصارين . واستولت عليها قوات الإمبراطور فريدريك الثاني في العام ١٢١٣ ، بعد أن طوقت مدة عام تقريباً ، ولكن سرعان مااستردها أصحابها القبارصة .

القرن الرابع عشر : استخدمت القلعة كسجن للدولة .

١٣٧٤ حاصر الجنويون كيرينيا من فماغوستا ، ولكن الملك جيمس الأول صمد في القلعة رغم قصفها بمدافع الحجارة الثقيلة . ولعبت قلعة سانت هيلاريون دوراً حيوياً في المحافظة على مؤخرة المدافعين .

١٤٢٦ انسحب الوصي الكاردينال (دي لوزينيان) إلى كيرينيا بعد أن هزم في خيروكيتيا Khirokitia ، ولكن المماليك أحجموا عن اختبار مناعة دفاعاتها .

١٤٦٠ ـ ١٤٦٣ حوصرت كيرينيا لمدة حوالي ثلاث سنوات ، نتيجة لنزاع حول حقوق الوراثة بين شارلوت دي لوزينيان وأخيها غير الشرعي جيمس الثاني . وفي آخر الحصار استسلم حاكمها سور دي ناف Sor de Naves .

١٥٤٤ أعيد بناء القلعة التي أضحت عتيقة على نطاق واسع ، على يد سادتها الجدد من البنادقة ،

الذين عززوا الأسوار الجنوبية والغربية وأقاموا برجاً دائرياً وحصناً بارزاً ضخماً فيها .

١٥٦٥ رغم هـذه التحسينـات أعلن الحـاكم (أسكانيو سافورنيانو Ascanio Savorgnano) أن القلعة في وضعها الحالي ضعيفة للغاية وموقعها غير صالح .

١٥٧٠ استولى الأتراك العثمانيون على كيرينيا دون قتال . وظلت القلعة في ظل الحكم التركي قاعدة للحامية وسجناً .

المراجع :

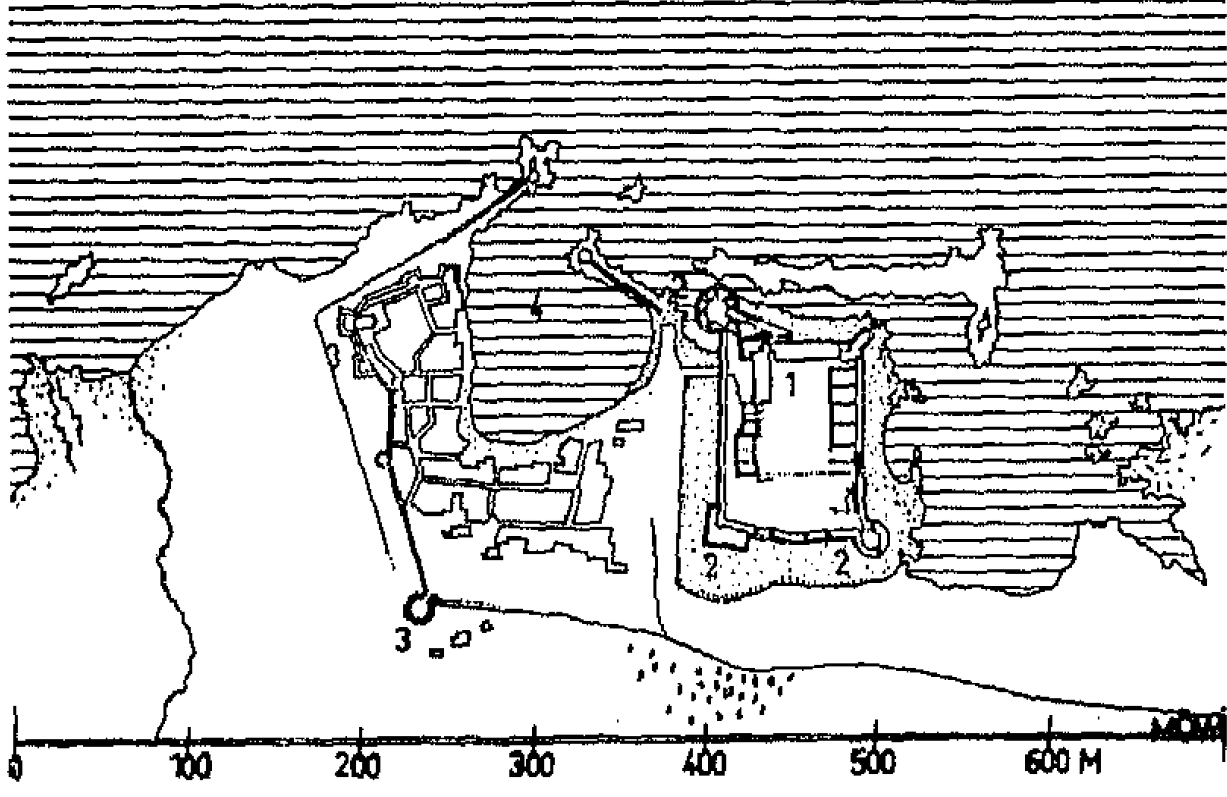
باولي - ويسّوفا الموسوعة الواقعية مجلد XI ، ٣٤٤ - ٣٤٧ (أوبرهومر ١٩٢١) .

إنلارت ، الفن القوطي II ، ٥٥٩ - ٥٧٨ .

جيفري ، الصروح التذكارية التاريخية في قبرص ، نيقوسيا ١٩١٨ ، ٣٠٤ ومايليها .

آ . هـ . س . ميغاو في : تقرير دائرة الآثار القبرصية ١٩٣٦ ، ١٠٥ - ١٠٧ .

Bibliography:
Pauly – Wissowa, *Realencyclopädie Vol. XI,* 344-7 (Oberhummer 1921);
Enlart, *Art Gothique II,* 559-578;
Jeffery, *Historic Monuments of Cyprus,* Nicosia 1918, 304 et seq.;
A. H. S. Megaw in: *Report of the Department of Antiquities of Cyprus* 1936, 105-7.



المخطط ٣ : كيرينيا

مخطط المدينة (كما كانت عليه في نهاية القرن التاسع عشر) . المقياس ١٠٠٠٠ / ١ رسمت التحصينات العائدة إلى العهدين البيزنطي والفرنجي باللون الأسود ، وتلك التي تعود للعهد البندقي بدون تظليل .

١ - القلعة البيزنطية والفرنجية ، ٢ - حصون بارزة من القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ٣ - قطاعات أزيلت من سور البلدة ، ٤ - المرفأ (بالاستناد إلى إنلارت) .

بيلاّبايس BELLAPAIS

اللوحات ١٣٧ - ١٣٨

بالفرنجية لابايس Lapaïs ، بيلابايس Bellapais ، دير أبيسكوبي Abbaye de Episcopie ، أبيسكوبيا Episkopia .

الوصف :

دير لطائفة البرومنتريين[1] وقرية في شمال قبرص ، يقعان في الجبال على مسافة أميال قليلة جنوب شرقي كيرينيا . صمم الدير الذي ما يزال في حالة جيدة جداً وفق النموذج الاعتيادي . وحدد الفناء الداخلي المكشوف بأروقة معمدة . وتنتصب الكنيسة الصغيرة في الجهة الجنوبية منه وفيها صحن وجناحان ، وفي الشمال توجد قاعة الطعام الكبيرة ، وفي الغرب يوجد قبو المؤونة والمطبخ الذي له فسحة خاصة منفصلة .

---

(١) طائفة من الروم الكاثوليك تأسست عام ١١٢٠ على يد القديس نوربرت دوكسانتن الذي أقام ديراً لطائفته في بريمونتري (فرنسة) وتسمى أيضاً : أخوة نظام بريمونتري الكنسي أو القانون الأبيض وهو يقوم على تطبيق مبادئ القديس أوغسطين في الحياة .

التاريخ :

أواخر القرن الثاني عشر : بعد أن سقطت القدس في العام ١١٨٧ هرب رهبان بريمونتري منها إلى قبرص . والأرجح أن أملريك لوزينيان (ملك القدس عام ١١٩٨ - ١٢٠٥) هو الذي أسس الدير وعهد به إلى جماعة من الرهبان الأوغسطيين .

أوائل القرن الثالث عشر : تبنى دير بيلابايس في عهد رئيس أساقفة نيقوسيا اللاتيني الثاني ، ثييري Thierry ، أنظمة البريمونتريين Premonstratensians . وتوسع كثيراً في السنوات التي تلت وبخاصة في عهد الملك هيو الثالث (١٢٦٧ - ١٢٨٤) الذي ربما شهد إنجاز بناء الكنيسة . كذلك رعى خليفتا هيو توسيع الدير أيضاً بإضافة أقسام جديدة إليه وتخصيص وقف له .

١٣٧٣ كان نصيب الدير عكس ذلك حين تأثر بالصراع الذي نشب بين القبارصة والجنويين بعد أن استولى هؤلاء الأخيرون على فماغوستا ، كما عانى بشكل خاص من حصار كيرينيا .

أواسط القرن السادس عشر : تصدع الدير كثيراً في عهد حكم البندقية ، وأجري فيه تحقيق شديد استجابة إلى شكاوى تقدم بها الحاكم برناردو ساغريدو Prouveditore Bernardo Sagredo (١٥٦٢ - ١٥٦٤) ولكن الرهبان طردوا منه على يد الأتراك العثمانيين قبل التمكن من إجراء أي إصلاح .

١٥٧٠ بعد فتح العثمانيين لقبرص انتقل الدير وأملاكه إلى ملكية الأتراك رغم أن القرويين ظلوا يستخدمون الكنيسة .

المراجع :

إنلارت ، الفن القوطي I ، ٢٠٢ - ٢٣٦ .

Bibliography:
Enlart, *Art Gothique I*, 202–236.

فماغوستا FAMAGUSTA

اللوحات ١٣٩ - ١٤٢

باليونانية : أمّوخوستوس Ammochostos (وتعني في الرمال) وقد ظلت هذه التسمية هي الدارجة حتى القرن الثالث عشر ، وبعدها أصبحت تعرف باسمها الفرنجي فقط الذي هو فماغوسْتا (Famagosta أو Famagusta إلخ ..) .

الوصف :

مدينة - مرفأ - وقلعة هامة على الساحل الشرقي من قبرص خلفت مستوطنة قديمة اسمها سلاميس - كونستانتيا Salamis-Constantia ، وكانت على بعد أميال قليلة عن الساحل من جهة الشمال .

رغم أن داخل المدينة أصبح مهجوراً من السكان بسبب مناخها غير الصحي فإن تحصيناتها التي تعود في معظمها إلى عهد البندقية ما تزال في حال جيدة كما هو الحال بالنسبة لكنائسها العديدة أيضاً . تقع فماغوستا فوق أرض مستوية تقريباً إلى جوار خليج محمي جيداً بريفٍ صخري بارز ويمكن إغلاقه تماماً - في العصور الوسطى - بسلسلة حديدية تمتد بين القلعة وبرج الحصار .

لا يتفق تخطيط المدينة مع أي تخطيط معروف . وكانت محاطة بأسوار غير منتظمة مقواة بحصون بارزة ، والقطاع الوحيد المحصن جيداً من هذه الحواف الدفاعية هما زاويتا المدينة ، أي البوابة البرية الجنوبية الغربية مع الحصن الأمامي الذي يعود بتاريخه إلى العام ١٥٤٤ ، وما يسمى بحصن مارتيننغو Martinengo (حوالي ١٥٥٠ - ١٥٦٠) في الشمال الغربي المشاد بالأسلوب الإيطالي القديم . وفي

منتصف الواجهة المطلة على البحر توجد القلعة التي عرفت في العهد التركي العثماني باسم إيتش كال Iç Kale أو القلعة الداخلية . ويعود قلب القلعة في تاريخه إلى القرن الرابع عشر بينما شيد السور الخارجي في العام ١٤٩٢ بعد أن استولت البندقية على قبرص .

التاريخ :

١١٩١ احتل ريتشارد قلب الأسد وغي لوزنيان المدينة المرفأ الصغيرة التي كانت قد أصبحت ذات أهمية منذ أن أهملت سلاميس - كونستانتيا Salamis-Constantia .

١٢٣٢ استولى فيليب دونافار على البرج الذي يحرس المرفأ أثناء الصراع الذي دار بين أتباع الإمبراطور فريدريك الثاني والقبارصة الملكيين .

١٢٩١ بعد سقوط عكا عرض الملك هنري الثاني (١٢٨٥ - ١٣٢٤) إعادة توطين اللاجئين الفرنجة في فماغوستا وشرع بتقوية تحصينات المدينة .

١٣٠٦ - ١٣١٠ استمر العمل في الدفاعات بحماس خاص أثناء حكم مغتصب العرش املريك الصوري القصير الأمد ، والذي أتم بناء القلعة والإضافات التي أجراها على القصر الملكي والمدينة ، كما حسن السور البحري ما بين البوابة البحرية وحصن المدفعية في القسم الجنوبي الشرقي ، وحفر خنادق بمساعدة الفلاحين الذين جندوا من جميع أنحاء الجزيرة .

١٣٣٦ وصف لودلف سوشيم Ludolf of Suchem فماغوستا بأنها واحدة من أغنى مدن المشرق وأصبحت فيها الآن كاتدرائية القديس نيقولا الضخمة التي شيدت ما بين العامين ١٣٠٨ و ١٣١٥ .

١٣٧٣ استولى الجنويون على فماغوستا بعد حصار قصير . وظلت من ضمن ممتلكاتهم حتى العام ١٤٦٣ رغم المحاولات العديدة التي بذلها ملوك قبرص من أجل استعادتها .

١٤٦٤ بعد نحو ثلاثة أعوام من الحصار استرد البيت الملكي قبرص بموجب معاهدة مع جيمس الثاني (ابن أبيه The Bastard) ، ولكن البنادقة كانوا قد وطدوا أقدامهم فيها قبل زمن طويل من ذلك .

١٤٨٨ رفع فرانشيسكو بريولي Francisco Prioli علم البندقية فوق فماغوستا ، وفي السنة التي تلت أجبرت جيوش الجمهورية آخر ملكات قبرص كاترينا كورنارو Caterina Cornaro على التنازل عن العرش والتخلي عن حقها الشرعي بالجزيرة .

١٤٩٢ - ١٤٩٦ حسن البنادقة المدينة ودفاعاتها وأعادوا ترميم السور الخارجي للقلعة وبوابة البحر . شيد حصن موراتو Moratto Bastion تحت إشراف نيكولو فوسكاريني ونيكيولو بريولي .

١٥٤٤ - ١٥٦٥ تقريباً تحسينات أخرى أضيفت إلى الدفاع من بينها تقوية بوابة البر وبناء حصن مارتيننغو Martinengo Bastion .

١٥٧٠ - ١٥٧١ نزل جيش تركي عثماني بقيادة لالا مصطفى باشا في قبرص ، وأقام الحصار على فماغوستا . وصمدت المدينة ببطولة تحت قيادة ماركو أنطونيو براغادينو Marco Antonio Bragadino لمدة نحو سنة ، ولكنها أجبرت على الاستسلام في ٢٩ تموز عام ١٥٧١ بعد أن تهدمت الواجهة الجنوبية بأن نقب الأتراك أسوارها (عن طريق الأنفاق) وبعد أن فقدت مؤونتها من الوقود والذخيرة .

أعيد توطين القليل ممن ظل على قيد الحيـاة من سكانها المسيحيين في قرية ڤاروشا الصغيرة إلى الجنوب من فماغوستا ، وحرم عليهم دخول أسوار المدينة عنـد حلول الظلام لعدة عقود تلت ذلك .

١٥٧٢ أصلحت دفاعات فماغوستا بعد سقوطها ، وآلت مباني البلدة تدريجياً إلى السقوط بمرور عشرات السنين ، وامتـلأ المرفـأ بـالغرين والطمي ، وفقـدت فماغوستا أهميتها السـابقـة بـاعتبـارهـا المرفـأ الرئيسي للجزيرة .

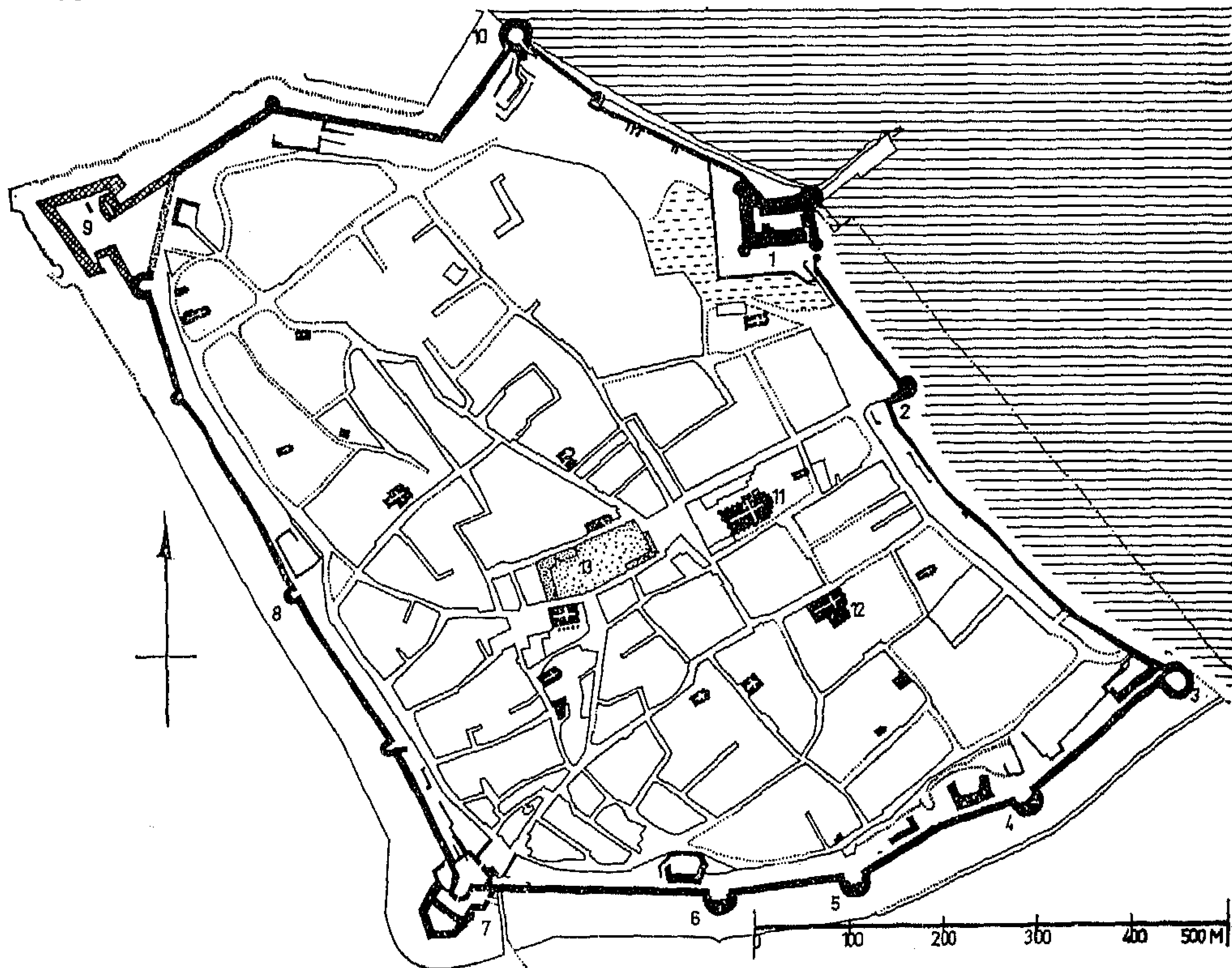
المراجع :

إنـلارت ، الفن القـوطي I ، ٢٥٠ ـ ٣٩٤ ، II ، ٦٠٦ ـ ٦٢٢ .

ج . جيفري ، الأوابـد التـذكاريـة التـاريخيـة في قبرص ، نيقوسيا ١٩١٨ .

آ . هـ . ي . مغــاو ، ت . مغبغب وآخرون في أعـداد الأعـوام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ من تقـارير إدارة الآثـار القبرصية .

Bibliography:
Enlart, *Art Gothique I*, 250–394, II 606–622;
G. Jeffery, *Historic Monuments of Cyprus*, Nicosia 1918;
A. H. S. Megaw, T. Mogabgab and others in the 1936–9 issues of the *Report of the Department of Antiquities, Cyprus.*



المخطط ٣١ : فماغوستا Famagusta .

إعادة تركيب للمدينـة كما كانت في منتصف القرن الســادس عشر ، المقيــاس ١٠٠٠٠ / ١ . رسمت تحصينــات أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن التاسع عشر باللون الأسـود . ومبــاني منتصف القرن الســادس عشر بــالتهشير المتقاطع Arsenal Bastion .

١ ـ القلعـة (إيتش كال ، أو حصن البحر) ، ٢ ـ بوابة البحر ، ٣ ـ حصن المدفعية ، ٤ ـ حصن كامبو سانتو ، ٥ ـ حصن أندروزي ، ٦ ـ حصن القديسة ناية ، ٧ ـ بوابـة البر ومعصم أمــامي Ravelin ، ٨ ـ حصن مـوراتّــو ، ٩ ـ حصن مـارتيننغو ، ١٠ ـ حصن الجـوهرة ، ١١ ـ كاتـدرائيـة القـديس نيقـولا لـلاتين (أيــا صـوفيــا كامي Aya Sofya Camii) ، ١٢ ـ كاتدرائية القـديس جورج لليونـان ، ١٣ ـ موقع القصر الملكي السـابق وأطـلالـه (بـالاستنـاد إلى تقرير مديرية الآثار ـ قبرص) .

كولوسيّ KOLOSSI

اللوحات ١٤٣ ـ ١٤٤

باليونانية كولوسي وبالفرنجية لوكولوس Kolossi وكولوسو Colosso .

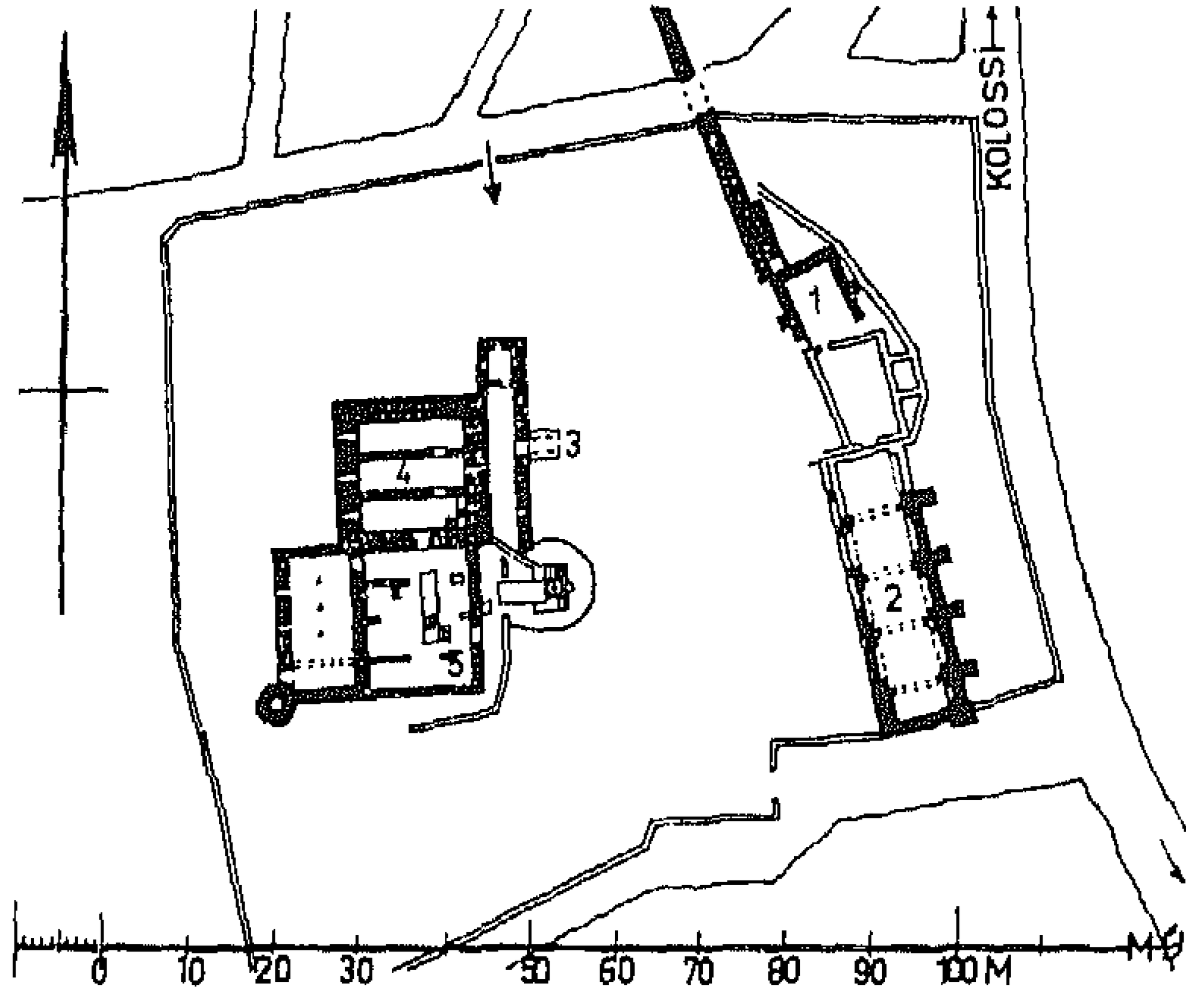
الوصف :

قلعة وقرية في جنوبي قبرص ، تقع على بعد نحو ستة أميال غربي ليماسول على الطريق إلى بافوس Paphos . وكل ما بقي من دفاعات تلك القلعة الصغيرة هو برجها المحصن الضخم . وإلى جنوبي هذا البرج توجد بضع مبان متهدمة ، وإلى الشرق منه مباشرة يقوم بناء ذو عقود مع أكتاف داعمة قوية هو معمل تكرير السكر سابقاً ، مع أطلال مطحنة تكملها ساقية الطاحون . وثمة صهاريج مياه في قبو البرج المحصن المؤلف من ثلاثة طوابق ، ومخازن في الطابق الأرضي ، وحجرة انتظار ، ومطبخ في الطابق الأول ، وغرفتا نوم بسقف ذي عقود في الأعلى .

التاريخ :

١٢١٠ لا تتوفر أية معلومات دقيقة عن القلعة الأولى التي شيدت هنا ، ولكن من المحتمل أن يكون الموقع قد شغل سابقاً بمعقل بيزنطي صغير . إلا أن القلعة كانت موجودة بالتأكيد عندما منح الملك هيو الأول هذا الموقع إلى الأسبتارية .

١٢٩١ ـ ١٣٠١ انسحب الأسبتارية إلى ليماسول بعد سقوط عكا وسرعان ما قرروا توسيع كولوسي لتكون مقراً ثانياً لرهبانيتهم . ورغم أن هذا القرار لم يخرج إلى حيز الوجود أبداً بسبب انتقالهم إلى رودس ، فقد ظلت كولوسي مقر مقدم الأسبتارية في قبرص ومركزاً لممتلكات الأسبتارية الغنية التي كانت تضم العديد من القرى والكروم .



المخطط رقم ٣٢ : كولوسي Kolossi

مخطط أرضي لأملاك الأسبتارية ، المقياس ١/٢٠٠٠ .

١ ـ الطاحون وساقية الطاحون ، ٢ ـ معمل تكرير السكر السابق ، ٣ و ٥ ـ مبان خارجية ، ٤ ـ البرج المحصن .

(بالاستناد إلى آ . هـ . س . مغاو) .

أواخر القرن الرابع عشر ـ أوائل القرن الخامس عشر : عانت كولوسي من العديد من الغارات التي كان يشنها الجنويون (عام ١٣٧٣ و ١٤٠٢) والمماليك القادمون من مصر (١٤٢٥) على المنطقة الخصيبة في ضواحي ليماسول .

النصف الثاني من القرن الخامس عشر : تم تشييد البرج المحصن القائم تحت إشراف القائد العام للأسبتارية لويس دومانياس Louis de Magnas (١٤٥٠ ـ ١٤٦٨) . وهو يحمل إلى جانب شعار من بناه شعارات مملكة القدس وقبرص ولوزينيان وأرمينيا ومقدمي رهبانية فرسان القديس يوحنا الأسبتارية ج . لاستيك J. de Lastic وج . ميي (J. de Milly) .

١٤٨٨ بعد أن امتلكت البندقية الجزيرة ، مُنح جيورجيو كورنارو شقيق كاترينا آخر ملكات قبرص لقب « مقدم الأسبتارية » Grand Master مع حصة

من الأملاك التابعة لفرسان الأسبتارية ، وظل اللقب في العائلة حتى انقرضت سلالتها في العام ١٧٩٩ .

١٥٦٧ - ١٥٦٨ أصابت هزة أرضية شديدة ضواحي ليماسول وربما القلعة وبقية ممتلكات الرهبانية بأضرار بالغة .

١٥٧٠ انتقلت قبرص وممتلكات الأسبتارية إلى حوزة العثمانيين . ورمم معمل تكرير السكر على يد مراد باشا في العام ١٥٩١ .

المراجع :

إنلارت ، الفن القوطي II ، ٦٨٣ - ٦٩٥ .

ج . ريتشارد ، قبرص في عهد لوزينيان ، باريز ، ١٩٦٢ ، ٦٧ وما يليها .

Bibliography:
Enlart, *Art Gothique II*, 683–695;
J. Richard, *Chypre sous les Lusignan*, Paris 1962, 67 et seq.

بوفّافنتو BUFFAVENTO

اللوحة ١٤٥

بالفرنجية واللاتينية : بوفڤنت Bufevent ، بوفاڤان Buffavent إلخ .. كذلك تسمى ليونته Leonte ، وقصر الأسد Château du lion وقصر الملكة Château de la Reine .

الوصف :

قلعة في الساحل الشمالي من قبرص ، على بعد نحو ستة أميال جنوب شرق كيرينيا . تقع بين الجروف شديدة الانحدار من السلسلة الشمالية على ارتفاع يزيد عن ٣٠٠٠ متر . وهي على اتصال مباشر بالنظر مع كيرينيا ، وقلعة القنطرة ، وبسبب موقعها الملائم فقد استخدمت لسنوات عديدة مكاناً لإضرام النيران كإشارات تحذير عند اقتراب السفن الغريبة من الجزيرة . وهي تتألف من قلعة سفلية مبنية فوق السفح الجنوبي وتحوي مخازن وأماكن لإقامة الحامية ، ومن قلعة علوية على ارتفاع حوالي ثمانين قدماً عن الأولى . وقد صمم مخططها اللامتناظر بكامله طبقاً للأرض الجبلية .

التاريخ :

ظل تاريخ القلعة القديم مبهماً ، حيث أن القصص والروايات المحلية المتوارثة التي تتناول أصلها تشكل مزيجاً متضارباً ومتناقضاً مع الحقائق التاريخية .

١٢٣٢ وردت أول إشارة إلى بوفّافنتو كملاذ لجأ إليه إيشيف دو مونت بليار Eschive de Montbeliard أثناء الصراع الذي نشب بين أفراد حزب الإمبراطور فريدريك الثاني وأنصار حمي الوصية على العرش جين الأولى ايبلين Jean I d'Ibelin . وظلت القلعة في يد الحزب القبرصي ولم تتعرض للهجوم .

كان للقلعة دور غير حربي أيضاً في العقود التي تلت . فقد استخدمت على نطاق واسع كمكان لاعتقال السجناء الهامين الذين كانوا غالباً ما يقضون بقية حياتهم فيها .

النصف الأول من القرن السادس عشر :

عريت بوفافنتو ، مثلها مثل باقي القلاع الجبلية العتيقة ، على يد سلطات البندقية توفيراً لنفقات الصيانة .

المراجع :

إنلارت ، الفن القوطي II ، ٥٩٦ - ٦٠٥ .

راي ، العمارة العسكرية ، ٢٤٩ والمخطط ٢٤ .

Bibliography:
Enlart, *Art Gothique II*, 596–605;
Rey, *Arch. Militaire*, 249 and Pl. 24.

بودروم BODRUM

اللوحات ١٤٦ ـ ١٥٣

باليونانية هاليكارناسّوس Halekarnassos ، وفي العصور الوسطى بترونيون Petrunion . بالفرنجية واللاتينية : كاستروم سانكتي بيتري (قلعة القديس بطرس) Castrum Sancti Petri وسانت بيترو S. Petro إلخ .. على أن الاسم اليوناني الدارج هو بيترونيون ، وبالتركية بودروم Bodrum .

الوصف :

قلعة وميناء بحري صغير على الساحل الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى مقابل جزيرة كوس اليونانية . تشغل أرباض القلعة الفسيحة شبه جزيرة تفصل حوض المرفأ الداخلي عن خليج بودروم الواسع . وهي مأهولة منذ الأزمنة الغابرة وعرفت في العالم القديم باسم زيفيريون Zephyrion ، ومن المرجح أن شبه الجزيرة هذه كانت تستخدم كقاعدة خلفية للبيزنطيين في أوائل العصور الوسطى .

استمر العمل في بناء القلعة دون انقطاع تقريباً مدة مئة وعشرين عاماً هي فترة الوجود الفرنجي فيها . وكانت دفاعاتها تتألف في الأصل من برجين قويين وسور واق واحد ، ومن ثم أضيف إليها سور خارجي معزز بأبراج في حوالي منتصف القرن الخامس عشر . وبعد العام ١٤٨٠ كُيِّفَ الجناح المتاخم للبر منها لتركيب مدافع فيه ، وجرت تقويته بحصون بارزة ضخمة .

التاريخ :

١٤١٥ أهدى السلطان محمد الأول فرسان رودس موقعاً في قارية Caria كتعويض لهم عن إخراجهم من قلعة القديس بطرس في سميرنا (إزمير حالياً) Smyrna . وشيدت قلعة جديدة تحت إشراف الفارس شليغلهولت Schlegelholt بمواد أخذت في الغالب من الأبنية القديمة .

كان برج فرنسا The Tower of France أول ماشيد منها ، ثم تلاه في العام ١٤٣١ تقريباً برج إيطاليا The Tower of Italy ، واعتباراً من العام ١٤٤٠ فما تلاه شيد السور الشمالي القوي الذي يعترض شبه الجزيرة ، وكل من الجناح الشرقي والجنوبي والغربي من السور الخارجي (بحسب ترتيبها الزمني) .

١٤٨٠ بعد أن فشل الأتراك في مهاجمة رودس حاولوا الاستيلاء على قلعة القديس بطرس ولكنهم ردوا عنها .

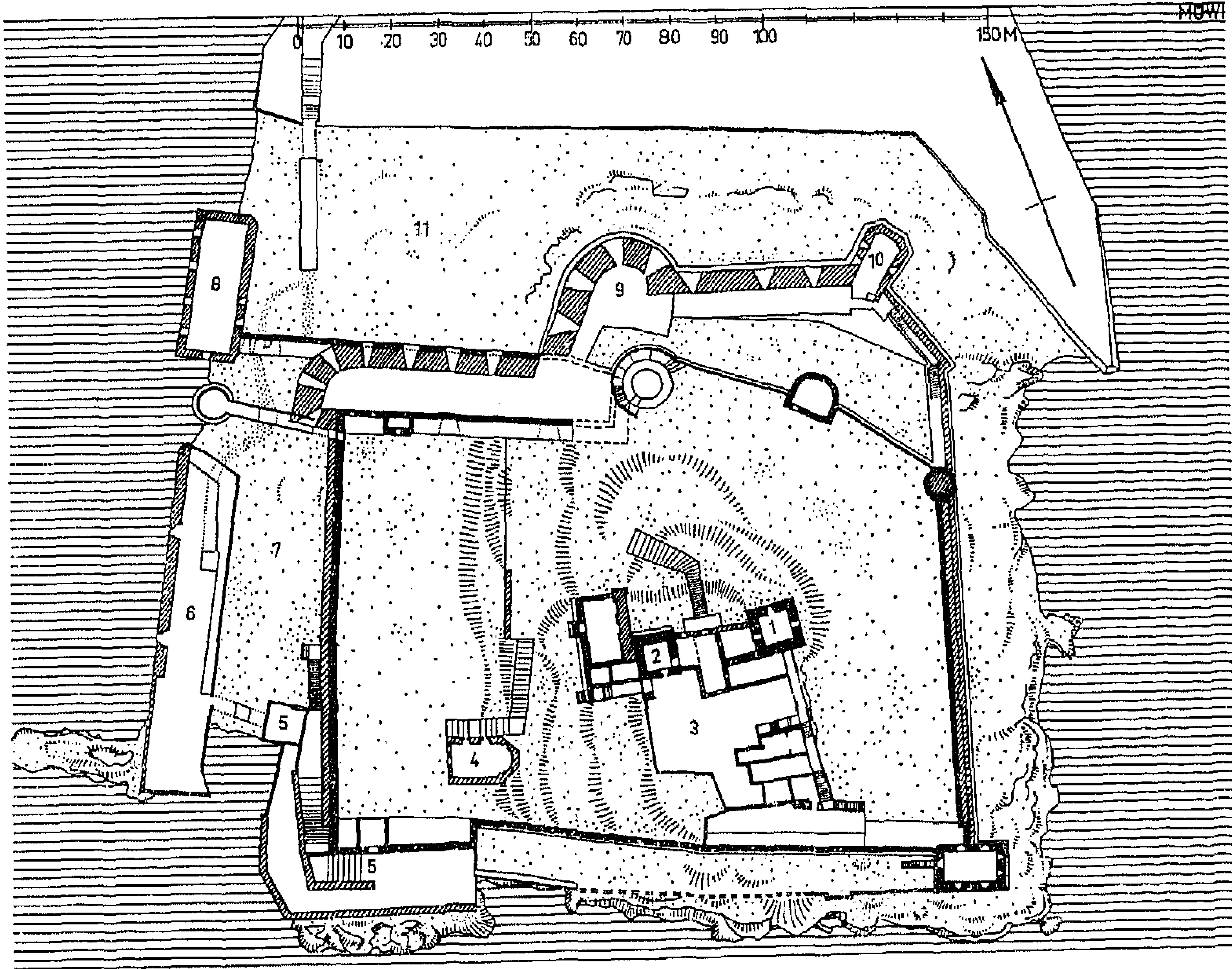
١٥٠١ ـ ١٥٢٢ جرت إضافات أخرى ، بما في ذلك حصن المدفعية عند المرفأ ، والخندق ، والحصون الشمالية التي شيدت جزئياً من أطلال الضريح التذكاري الشهير (ضريح هاليكارناسوس) وأحد الأعاجيب السبع في العالم القديم . شيدت الكنيسة في العام ١٥١٩ ـ ١٥٢٠ .

١٥٢٢ بعد أن فقد فرسان الأسبتارية رودس اضطروا إلى التخلي عن قواعدهم الأخرى والانسحاب إلى إيطاليا بادئ ذي بدء ومنها إلى مالطا . احتل الأتراك القلعة واستخدموها سجناً لقرون عدة ، وأقامت فيها حامية صغيرة . أصاب القلعة ضرر شديد عندما قصفها الأسطول الفرنسي عام ١٩١٥ .

Bibliography:
G. Karo, 'Die Burg von Halikarnassos', in: *Archäolog. Anzeiger, 34,* 1919, 59–76;
A. Maiuri, 'I castelli dei Cavalieri di Rodi a Cos e a Budrum', in: *Annuario Scuola Atene 4/5,* 1921/22, 290 et seq.

المراجع :

ج . كارو . مدينة هاليكارناسوس المحصنة ، في دورية الآثار ، ٣٤ ، ١٩١٩ ، ٥٩ ـ ٧٦ .
آ . مايوري . قلاع فرسان رودس وكوس وبودروم . في دورية المدرسة الأثينية ٤ و ٥ ، ١٩٢١ / ٢٢ ، ٢٩٠ وماتلاها .



المخطط ٣٣ : بودروم ـ القديس بطرس (هاليكارناسوس Bodrum- ST Peter (Hlekarnassos .
مخطط أرضي لقلعة الأسبتارية ، المقياس ١ / ٢٠٠٠٠ .
رسمت مباني القرن الخامس عشر باللون الأسود ، والتحسينات التي أجريت في الفترة بين ١٥٠١ ـ ١٥٢٢ بالتهشير .

١ ـ برج فرنسا ، ٢ ـ برج إيطاليا ، ٣ ـ الجناح الداخلي للقلعة الأصلية ، ٤ ـ الكنيسة ، ٥ ـ حصن البوابة الداخلي ، ٦ ـ المعصم الأمامي الكبير Large Ravelin ، ٧ ـ فناء أمامي ، ٨ ـ حصن مدفعية المرفأ ، ٩ ـ حصن كاريتو ، ١٠ ـ حصن غاثيناو ، ١١ ـ قناة ماء . (بالاستناد إلى مايوري Maiuri مع إضافات من المؤلف) .

رودس(☆) RHODES

اللوحات ١٥٤ ـ ١٥٩

باليونانية رودس Rhodos ، بالفرنجية ـ اللاتينية رودي Rodi وتسميات أخرى .

الوصف :

مدينة وقلعة تقع على الطرف الشمالي لجزيرة رئيسية من جزر الدوديكانيز Dodecanese وتحمل الاسم ذاته . وكانت مقر قيادة فرسان القديس يوحنا أو الأسبتارية لمدة تزيد عن قرنين من الزمن بعد طردهم من الأراضي المقدسة .

أعاد الأسبتارية تشييد قلب المدينة الأصلية إلى جانب المرفأ الرئيسي القديم خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وحصنوها تحصيناً قوياً بعد ذلك . وبفضل حالتها الجيدة التي حفظت بها ، وعمليات الترميم واسعة النطاق التي جرت فيها خلال الخمسين عاماً الماضية ، فإن هذه المدينة تقدم لنا فكرة جيدة عن عمارة المدن الفرنجية في المشرق ، ويمكن أن تكون دليلاً لنا ـ ولو جزئياً ـ على المظهر السابق للمدن الساحلية في سورية وفلسطين ، باعتبارها المثال الوحيد الذي مايزال قائماً . وهي في الأصل مصممة طبقاً لنماذج القرون الوسطى (منظومة من الأسوار الرئيسية والخارجية مع أبراج بارزة عنها) . وكان لابد من تقوية الدفاعات من أجل تأمين تركيب مدفعية فيها ، وتكييفها بحيث تصمد أمام طرائق الحصار الجديدة ، بعد أول هجوم تركي ضدها في العام ١٤٨٠ . وتعتبر التحصينات الباقية منها نموذجاً انتقالياً للأشكال الإيطالية الأولية في منظومة الحصون الحديثة .

التاريخ :

كانت رودس في غابر الزمان مركزاً تجارياً مزدهراً . استولى العرب عليها في العام ٦٥٤ . ثم استولى عليها البيزنطيون بعد ذلك ، وظلت في حيازتهم كمرفأ بحري صغير قليل السكان حتى احتلها الأسبتارية . شرع الفرسان ، الذين هربوا إلى قبرص بعد سقوط عكا ، في غزو الجزيرة في العام ١٣٠٦ بعد أن نزلوا فترة قصيرة على ساحل آسيا الصغرى (قرب ماكري / فضّية Makri/ Fethiye) [مدينة ومركز إداري لمقاطعة فضّية من محافظة موغلة في جنوب غرب تركية م . م] .

١٣١٠ حاصر مقدم الأسبتارية فولكو دو ڤيلاريه Fulco de Villaret المدينة واستولى عليها وشرع للتّوّ في تحسين دفاعاتها . استمر العمل في التحصينات دون انقطاع تقريباً تحت إشراف المقدمين المتعاقبين سواء في رودس أو في قلعة بودروم الأسبتارية فيما بعد .

١٣١٤ غالباً ماكان البناء محصوراً في الجزء الحصين من المدينة ، أي البلدة الداخلية الذي يضم قصر مقدم الطائفة والأحياء السكنية للفئات القومية المختلفة من تلك الطائفة .

أواسط القرن الرابع عشر : زيد في مساحة المدينة بإضافة مايسمى برغس Burgus ، أو الحي

(☆) ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ١٩٥ :

جزيرة رودس : فتحها المسلمون في زمن معاوية ، وامتداد هذه الجزيرة من الشمال إلى الجنوب بانحراف نحو خمسين ميلاً ، وعرضها نصف ذلك ، وبين هذه الجزيرة وبين ذنب إقريطش مجرى واحد ، وبعض رودس للفرنج وبعضها لصاحب اصطنبول ، ورودس في الغرب عن قبرس بانحراف إلى الشمال ، وهي بين جزيرة المصطكي وبين جزيرة إقريطش .

السكني الخارجي ، وربما كان ذلك تحت إشراف مقدم الطائفة ديودونيه دو غوزون Dieudonne' de Gozon .

أوائل القرن الخامس عشر : أجزاء عديدة من الدفاعات أعيد بناؤها ، أو شيدت مجدداً أثناء رئاسة المقدم فيليبير دو نايّاك Philibert de Naillac وبخاصة برج الحصار الضخم عند المرفأ . واستمر هذا العمل في رعاية خلفه أنتونيو فلوڤيانو Antonio Floviano ، كما عززت البوابتان الجنوبيتان كرد فعل على التهديد المصري بغزو رودس .

١٤٣٧ نظراً لأن خطر الهجوم المصري مازال قائماً ، فقد جرى تعزيز الجناحين الغربي والجنوبي من دفاعات المدينة في عهد المقدم الذي جاء بعده جان دولاستيك Jean de Lastic .

١٤٤٤ نزل أسطول مصري على الجزيرة وحوصرت المدينة لمدة تزيد عن ستة أسابيع . ولم يثمر هذا الهجوم ، مثله مثل سابقه في العام ١٤٤٠ ، واضطر المصريون إلى الانسحاب .

١٤٥٥ - ١٤٥٦ جرت معارك بين الفرسان والأتراك الذين غزوا الجزيرة دون أن يهاجموا المدينة .

١٤٦٠ تقريباً عززت دفاعات المدينة أكثر بإضافة سور خارجي متواصل . شيد المقدم ريموند زاكوستا Raymond Zacosta الحصن الخارجي المسمى حصن سان نيقولا ، فوق بقعة من الأرض تفصل بين مايسمى مرفأ ماندراكي Mandraki harbour والمرفأ الرئيسي .

نظراً لتهديد الأتراك المستمر وغاراتهم المتتالية ، قويت التحصينات إلى درجة كبيرة على يد خليفتي زاكوستا ، جيوفاني أورسيني Giovanni Orsini وبيير دوبوسّون Pierre d'Aubusson .

١٤٧٩ بعد أن توقفت المفاوضات المطولة بين الفرسان والأتراك ، هاجم أسطول تركي جديد رودس في الخريف ولكنه رُدّ عنها .

١٤٨٠ هاجم الأتراك المدينة مرة أخرى بقوة أكبر ، ولكن الفرسان صمدوا ٨٩ يوماً أمام الحصار والقصف الشديدين بفضل خطأ تكتيكي ارتكبه الأدميرال التركي الذي انسحب دون أن يستولي عليها .

وبعد أن انسحب الأسطول التركي مباشرة جرت أعمال ترميم وتحسين واسعة على التحصينات تحت إشراف مقدم الأسبتارية النشيط بيير دوبوسّون .

١٤٨١ لحقت بالبلدة والتحصينات أضرار بالغة نتيجة الزلازل .

١٥١٢ فما بعد أدخلت تحسينات أخرى على الدفاعات في الجناحين الجنوبي والغربي بما في ذلك تشييد حصن إيطاليا (١٥١٥) وحصن القديس جورج (١٥٢١ فما بعد) . وأعيد بناء جميع البوابات ، وزيد في سماكة الأسوار من ١٧ قدماً إلى حوالي ٤٠ قدماً ، كما شقت قناة أخرى مع متراس بين الخندقين الموجودين سابقاً .

١٥٢٢ هاجم المدينة مرة أخرى جيش تركي قوي مع الأسطول . امتد الحصار من نهاية شهر تموز إلى ٢١ كانون الأول حتى فقد المحاصَرون (بفتح الصاد) آخر أمل برفع الحصار ، واستنفذوا مخزوناتهم من الذخائر ، عندئذ اضطر الفرسان إلى الاستسلام وطلبوا الأمان الشخصي إبقاء لحياتهم . ومن ثم انسحبوا إلى ڤيتربو (Viterbo) وسيڤيتافيتشيا

(Civitavecchia) وبعـد ذلـك أقطعهم الإمبراطـور تشارلز الخامس جزيرة مالطة .

فقـدت رودس أهميتهـا في عهـد الأتراك كقلعـة لأن رحيـل الأسبتـاريـة عنهـا ، ترك بحر إيجـة كلـه تحت السيطرة التركيـة . كـذلـك وضع رحيلهم حـداً للمقترحـات التي كانت تتصـاعـد بين الحين والآخر للمضي في الحروب الصليبية ضد الأتراك العثمانيين .

المراجع :

آ . غـابرييـل ، مـدينـة رودس ، مجلـد ١ ، العمارة العسكريـة ، بـاريـز ١٩٢١ ، مجلـد ٢ ، العمارة المـدنيـة والـدينية ، باريز ١٩٢٣ (تجميع وتصنيف لجميع الأبحـاث والمصادر السابقة) .

آ . مايوري - ج . جاكوبي الأبنية التـذكاريـة لفن الفروسية ، في مجلة كلارا رودس I ، ١٩٢٨ .

ب . لـوجـاكـونـو ، قصر مقـدم الأسبتـاريـة في رودس ، في مجلة كلارا رودس ١ ، ١٩٢٨ .

ر . مـاتّـون ، رودس (مـدن اليـونـان ومنـاظرهـا الطبيعيـة) ، أثينـا ١٩٥٩ ، (خلاصـة مختصرة مـع مراجـع محدودة) .

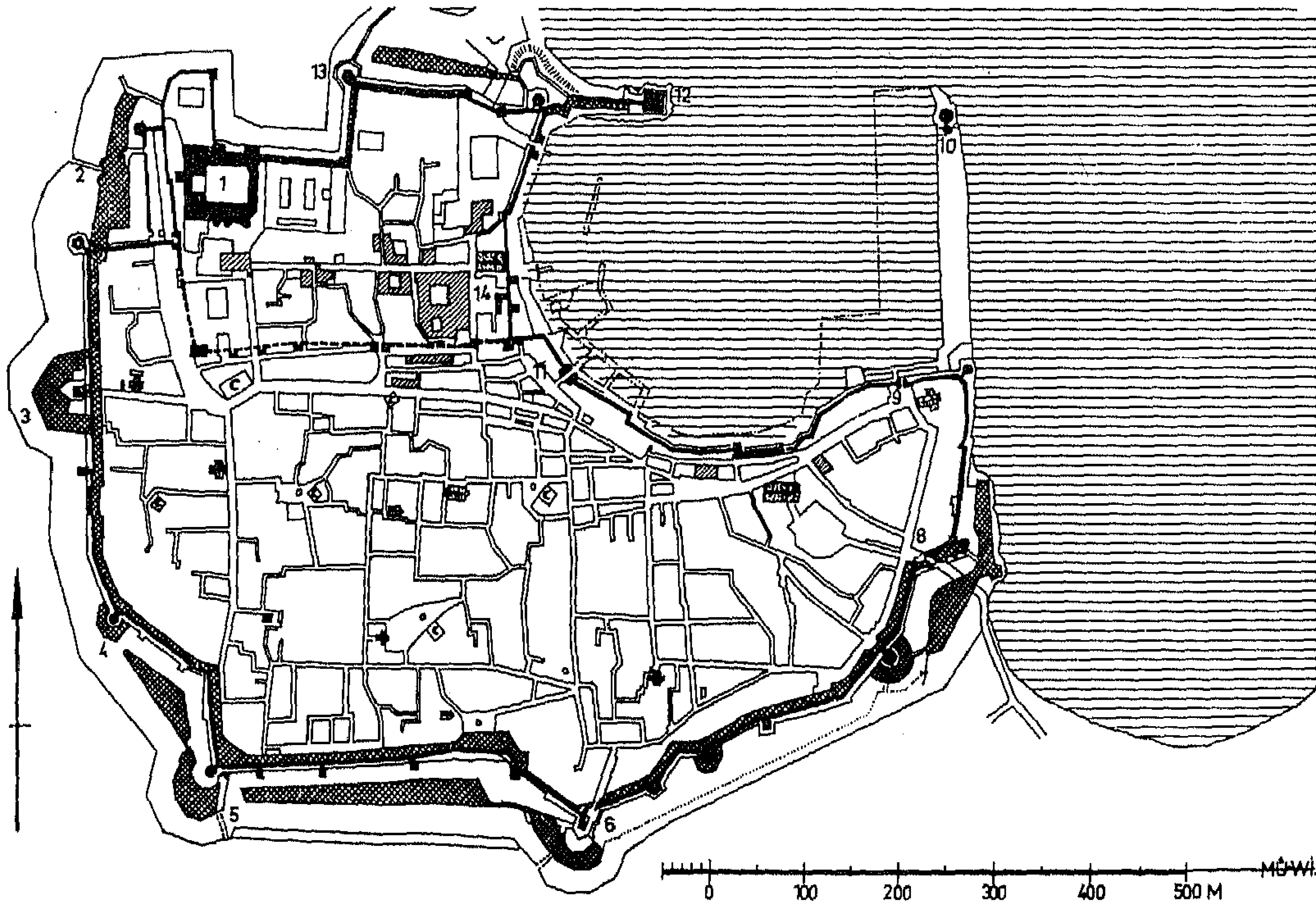
Bibliography:

A. Gabriel, *La Cité de Rhodes, Vol. I: Architecture militaire,* Paris 1921; *Vol. II: Architecture civile et réligieuse,* Paris 1923 (a compilation of all earlier research and sources);

A. Maiuri – G. Jacopi, 'Monumenti di Arte Cavalleresca', in: *Clara Rhodos I,* 1928;

P. Lojacono, 'Il Palazzo del Gran Maestro in Rodi', in: *Clara Rhodos I,* 1928;

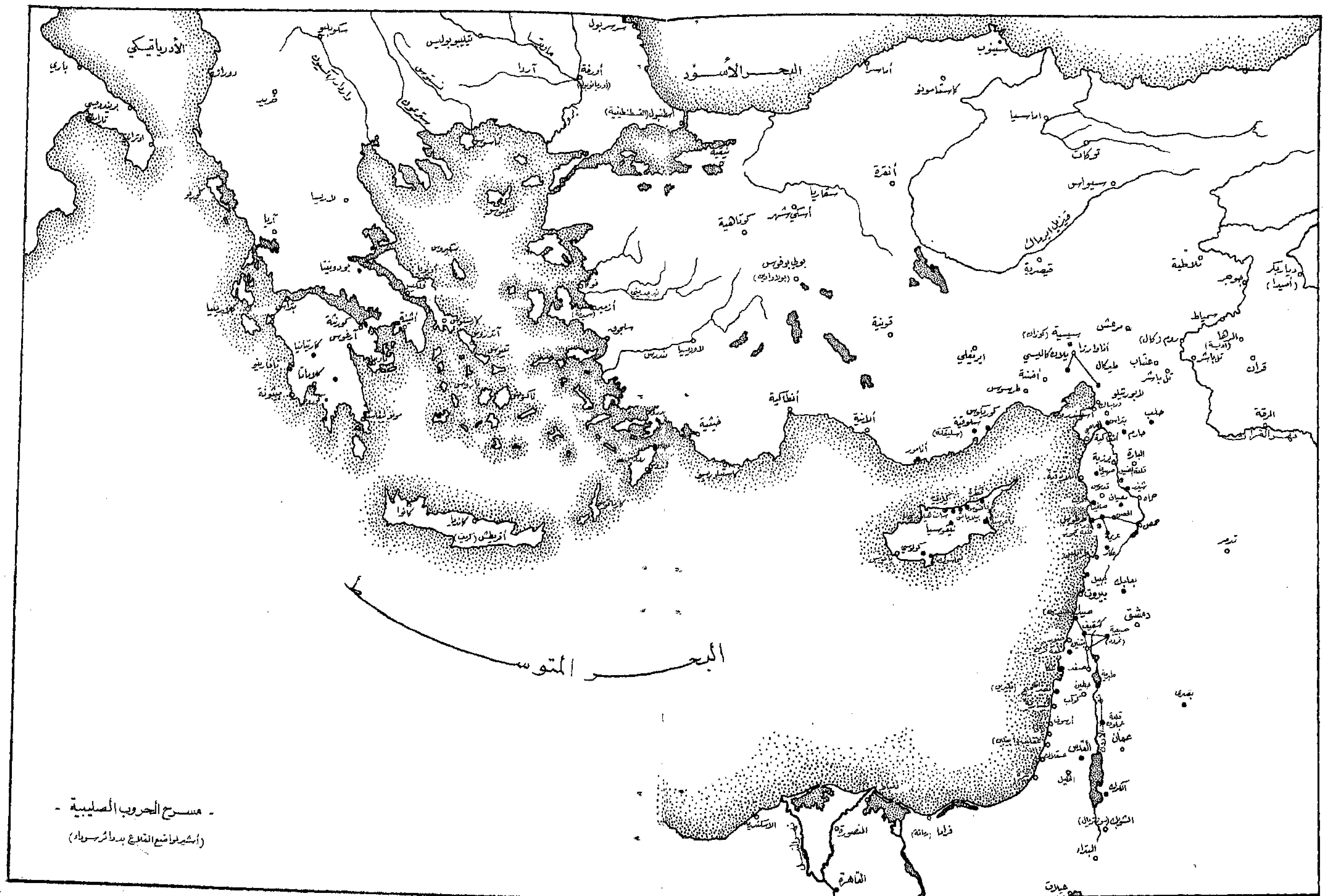
R. Matton, *Rhodes (Villes et paysages de Grèce),* Athens 1959 (brief summary with limited bibliography).



المخطط ٣٤ : رودس Rhodes

إعادة تركيب لمخطط المدينـة كما كانت عليـه في العام ١٥٢٠ تقريبـاً . المقيـاس ١٠٠٠٠ / ١ ، رسمت التحصينـات التي شيـــدت في الفترة بين ١٣١٤ ـ ١٤٨٠ بـــالأسـود ، والإضافات بين ١٤٨١ ـ ١٥٢٢ بالتهشير المتصالب .

١ ـ قصر مقـدم الطـائفـة ، ٢ ـ بوابـة دامبـواز D'Amboise ، ٣ ـ حصن القـديس جـورج ، ٤ ـ الحصن الإسبـاني ، ٥ ـ حصن القـديسـة مـاريـة ، ٦ ـ الحصن الإيطـالي ، ٧ ـ البـوابة الجـانبيـة ، ٨ ـ بـوابـة القـديسـة كاترينة ، ٩ ـ برج الطاحون ، ١٠ ـ الباب البحري (بوابـة المرفأ) ، ١١ ـ أساسات برج نايلاك ، ١٢ ـ حصن القـديس بطرس ، ١٣ ـ مستشفى وكنيسة القـديسـة مـاري دو شـاتو (بالاستناد إلى غابرييل) .



- مسرح الحروب الصليبية -

(أشير لمواضع القلاع بدوائر سوداء)

التّعليق على اللّوحات

بلڤال BELVAL

١ ـ ضريح (أواخر القرن الثاني عشر) من أطلال دير بلڤال (ڤوج Vosges) ، موجود حالياً في المتحف في نانسي Nancy ، يعتقد أنه يمثل الكونت هوغو دو ڤودمون Count Hugo de Vaudémont أقامته زوجته هيدڤيغ فون داغسبرغ Hedwig Von Dagsburg بمناسبة عودته من الحروب الصليبية .

اسطنبول ISTANBUL

٢ ـ برجان يشكلان جزءاً من الدفاعات البرية لاسطنبول . لقد كانت أسوار مدينة القسطنطينية أول تحصينات رئيسية جابهها الفرسان في الحملة الصليبية الأولى بعد أن جازوا البلقان . تتألف الدفاعات الخارجية التي يبلغ طولها حوالي أربعة أميال من أربعة حواجز متتالية : قناة (خندق) ماء بعرض ٦٠ قدماً مع أسوار حاجزة قوية ، متراس منخفض (على ارتفاع الصدر Breastwork) مع شرفات للرمي . سور خارجي مقوى بأبراج نصف دائرية ومستطيلة ، وأخيراً السور الرئيسي . وهذا السور الأخير مبني من الإثلب (دبش الحجارة) ومقوى بحواش قرميدية ومكسو من واجهته بالحجارة المربعة المنحوتة ، ويحرسه على طوله ست وتسعون برجاً وله ثماني بوابات رئيسية وأربع بوابات ثانوية .

يبدو في اللوحة البرجان السابع عشر والثامن عشر الواقعان بين البوابة الذهبية وبلغرات كاب Belgrat Kap في الجزء الجنوبي من الدفاعات المحيطة بالمدينة .

إيزنيك (نيقية) IZNIK

٣ ـ الواجهة الجنوبية لسور مدينة إيزنيك (نيكايا ، نيقية Nikaia أو Nicaea) : كانت نيقية أول معقل سلجوقي يصطدم به الفرنجة بعد أن تجمع جيشهم قرب القسطنطينية وعبر المضائق إلى آسية الصغرى . حاصر الصليبيون هذه المدينة المحصنة جيداً معززين بقوات بيزنطية وتحت إشراف المهندسين العسكريين البيزنطيين ، ووجهوا وطأة هجومهم ضد القاطع المتاخم للبوابة الجنوبية (يسمى الآن ينيشهير كابي Yenisehir Kapi ، كما هو

مبين في الصورة) . ولقد أزيل البرج المسمى غوناتاس Gonatas الواضح في النصف الأيمن من الصورة عن طريق لغمه ، ولكن البيزنطيين احتلوا نيقية بعد مفاوضات مع الأتراك قبل ليلة من الوقت المقرر لهجومهم العام مع الفرنجة ـ ولقد كانت هذه خطوة ساعدت في تعزيز العلاقات الودية اليونانية ـ الفرنجية بصعوبة .

إن الأسوار التي ترى في مقدمة الصورة مع البرج الصغير نصف الدائري والممر الخلفي الملحق به يعود إلى عهد الدولة اللاسكرية Lascarid ، التي بدأت عندما استولى الفرنجة على القسطنطينية في العام ١٢٠٤ وأجبروا الإمبراطور تيودور الأول لاسكاريس Lascaris (١٢٠٤ ـ ١٢٢٢) على الانسحاب إلى نيقية . أصلح تيودور أسوار المدينة وقوى محيطها كله بإقامة سور خارجي .

أنطاكية ANTAKYA[١]

٤ ـ أحد الأبراج الرئيسية للتحصينات في أنطاكية . شيد فوق الجانب المتطاول لجبل سليبيوس Slipius على يد الإمبراطور جوستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥) . أعيد تحصين المدينة ، التي عانت من زلزالين في العام ٥٢٦ و ٥٢٨ وتعرضت لتخريب شديد أثناء الغزو الفارسي في العام ٥٤٠ م ، من قبل جوستنيان رغم أنه قلص من حجمها كثيراً . ولقد حدثت بعض التعديلات الطفيفة فقط في العصور التي تلت ولكنها شكلت أحد الموانع الرئيسية الأولى في وجه زحف أول جيش صليبي . حوصرت المدينة التي كانت في يد السلاجقة اعتباراً من شهر تشرين الأول (أوكتوبر) عام ١٠٩٧ إلى شهر حزيران (يونيو) ١٠٩٨ ، عندما تمكن الصليبيون من الاستيلاء عليها نتيجة خيانة أحد القادة الصغار .

تبين هذه الصورة بوضوح التقنية التي طبقها البناؤون في تشييد السور الذي يمتد حوالي ½ ٧ ميلاً ، وقيل بأنه كان محمياً بثلاثمئة وستين برجاً . ولقد شيد قسماه العلوي والسفلي من كتل الحجارة المربعة المنحوتة وقد ملئ ما بينها ببناء أشبه بالخرسانة (يعرف باسم أوبوس إنسيرتوم Opus Incertum) ، ومنحها الملاط القاسي للغاية المستخدم في بنائها قدرة على مقاومة عوامل الطبيعة أحقاباً طويلة . وكان مقوى ـ في أوسطه تقريباً ـ بثمانية مداميك رابطة من الآجر التي تمتد على عمق السور بكامله .

طبق أسلوب مشابه لهذا تقريباً في بناء معظم الأبراج التي تشكل جزءاً من دفاعات المدينة والتي ظلت قائمة حتى القرن التاسع عشر . ورغم أن هذه التقنية كانت مستخدمة على نطاق واسع في العهد البيزنطي ، فهي لم تكن شائعة في سورية ، وتدل على تأثير العاصمة البيزنطية .

---

(١) ذكرها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٢٥٥ :

وهي بلدة كبيرة ذات أعين وسور عظيم ، داخله خمسة أجبل وقلعة ، ويمرّ بظاهرها نهر العاصي والنهر الأسود مجموعين ، وبها قبر حبيب النجار . قال ابن حوقل : أنطاكية أنزه بلد الشام بعد دمشق ، عليها سور من صخر يحيط بها وبجبل مشرف عليها ويجري مياههم في دورهم وسككهم ومسجد جامعهم ، ولها ضياع وقرى ونواحي خصبة جداً . قال في العزيزي : ومساحة دور السور اثنا عشر ميلاً .

القدس JERUSALEM[1]

٥ ـ منظر للمدينة القديمة ، من برج القديس سافيور St Saviour's الذي ينتصب في موقع مأوى (مستشفى) القديس يوحنا سابقاً . وفي منتصف الصورة يوجد الحي المسمى بالحرم الشريف ، وإلى اليسار توجد أرباض الهيكل القديم وقبة الصخرة The Dome of The Rock ، وإلى اليمين يبدو المسجد الأقصى . وكانت قبة الصخرة ـ وهي من أهم المقدسات في العالم الإسلامي ـ قد حولت إلى كنيسة (هيكل الناسك The Templum Domini) بعد الاستيلاء على القدس في العام ١٠٩٩ ولكن المسلمين استردوها عندما حرر صلاح الدين المدينة في العام ١١٨٧ . وظلت في أيدي المسلمين طوال الفترة ما بين العامين ١٢٢٩ ـ ١٢٤٤ حتى بعد أن تملك القدس الإمبراطور فريدريك الثاني . أما المسجد الأقصى فكانت بدايته كنيسة ثم حول إلى مسجد بعد الفتح العربي الأول للقدس في العام ٦٣٨ . وفي عهد الفرنجة أصبح القصر الملكي في أول الأمر ثم مقر طائفة فرسان الهيكل (الداوية) بعدئذ (اعتباراً من العام ١١١٨) . وإلى الغرب (أي إلى هذه الجهة) من المسجد يمكن مشاهدة قسم من حائط المبكى اليهودي الذي كان يوجد في قبالته (عند الحافة اليمينية من الصورة تقريباً) مأوى طائفة الفرسان التوتون .

في خلفية الصورة يشاهد جبل الزيتون مع حديقة الجثمانية [الحديقة التي اعتقل فيها السيد المسيح خارج القدس (م . م)] The Garden of Gethseman ودير روسي صغير عند قاعدة الجبل ، وأسفل منه يوجد وادي ستي مريم Wâdi Sitti Maryam (وادي كدرون The Valley of Kedron) .

٦ ـ الواجهة الشمالية من أسوار مدينة القدس . إن الأرض المنبسطة من هذه الجهة كانت تتيح على الدوام أفضل الفرص لمهاجمة المدينة ، وهي التي استخدمها فرسان الجيش الصليبي الأول في دفع واحد من أبراج حصارهم الكبيرة إلى مسافة قريبة جداً من السور ، وتمكنوا بوساطته من اقتحام المتاريس بنجاح يوم ١٥ تموز عام ١٠٩٩ بعد حصار استمر ستة أسابيع تقريباً . وقد ركز صلاح الدين هجماته على هذا القطاع بالذات إلى حد ما في العام ١١٨٧ وهدم الأسوار ، بشدة هنا ، عن طريق لغمها (التنقيب تحتها) ودكها بالمجانيق الكبيرة ، بحيث اضطرت الحامية إلى الاستسلام .

يعود تاريخ الأسوار الحالية إلى الأعوام ١٥٣١ ـ ١٥٤١ عندما حصنت المدينة مجدداً على يد السلطان العثماني سليمان الأول (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) . ولم تجر أية تعديلات على مخطط الأسوار ، ولكن زيد في ارتفاعها ، وجددت أساساتها جزئياً بحيث تصبح المدينة منيعة إزاء الهجمات المباغتة .

---

(١) وصفها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٢٢٧ :

وبيت المقدس مرتفع على جبال يصعد إليها من كل مكان ، وبه مسجد ليس في الإسلام أكبر منه ، وبه الصخرة ، وهي حجر مرتفع مثل الدكّة ، وعلى الصخرة قبّة عالية جداً ، وارتفاع الصخرة من الأرض قريب القامة ، وينزل إلى تحتها بمراقي إلى بيت يكون طوله بسطة في مثلها ، وليس ببيت المقدس ماء جارٍ سوى عيون لا تتّسع للزروع ، وهي من أخصب بلاد فلسطين ، ومحراب داود بها . قال الحسن بن أحمد المهلّبيّ في كتابه المسمّى بالعزيزي : إن الوليد بن عبد الملك لما بنى القبّة على الصخرة ببيت المقدس ، بنى أيضاً هناك عدّة قباب وسمّى كلّ واحدة باسم ؛ فمنها قبّة المعراج ، وقبّة الميزان ، وقبة السلسلة ، وقبة المحشر ، قال : وإنما فعل ذلك ليعظم موقع القدس في نفوس أهل الشام .

٧ ـ الواجهة الغربية للمسجد الأقصى في ساحة الهيكل (الحرم الشريف) : ويقال : إنه شيد فوق موقع إحدى كنائس جستنيان ورمم لآخر مرة على يد الخليفة الظاهر الفاطمي في العام ١٠٣٣ ، وكان ذلك إثر تصدعه نتيجة عدة زلازل ، ثم استخدمه الفرنجة قصراً ملكياً عند استيلائهم على القدس ، وعرف آنئذ باسم هيكل سليمان Templum Solomonis . وبعد أن منح فرسان الهيكل (الداوية) أجزاء من القصر إثر تأسيس رهبنتهم على يد هوغ دو پايان Hugues de payen في العام ١١١٨ تملكوا البناء بأكمله عندما انتقل الملك منه . وبعد تحرير المدينة في العام ١١٨٧ حول صلاح الدين مقر الداوية هذا مجدداً إلى مسجد وأجرى عليه إضافات . أما المجاز الشمالي (في الجانب الأيسر من الصورة) فأضافه السلطان الملك المعظم في العام ١٢١٧ ـ ١٢١٨ . وشيد معظم الأجنحة الجانبية و (ربما) الجدران الخارجية من البناء الحالي في العهد الفرنجي . وتذكر سجلات الحجاج تأسيس كنيسة هناك إلا أن بناءها لم ينجز بالتأكيد .

يعود تاريخ القبة وبناؤها الداخلي إلى طور البناء الأول (١٠٣٣) .

٨ ـ الواجهة الخارجية لبوابة السيدة مريم (ستي مريم) كما ترى من جهة الشرق ؛ ويشير النقش المنحوت الموجود فوق المدخل إلى أنها شيدت في العام ٩٤٥ هجرية أي العام ١٥٣٨ ميلادي في عهد السلطان سليمان الأول . وتضم البوابة الحالية بقايا سابقتها . وهي موجودة عند نهاية شارع ضخم يشكل استمراراً لشارع طريق الآلام Via Dolorosa الواقع إلى الشمال من الحرم الشريف مباشرة ، وكان هو الطريق الوحيد المؤدي إلى وادي كدرون (ستّي مريم) منذ أن سدت البوابة الذهبية .

وإذا ما غض النظر عن التسمية العربية المستخدمة في أيامنا هذه ، فإن البوابة حملت أسماء أخرى كثيرة غيرها في مجرى تاريخها ، ومنها مثلاً بوابة أسطفان Stephen's Gate ، وبوابة يهوسافات Jehosaphat Gate ، وبوابة الجثمانية Gethseman Gate .

طرابلس TRIPOLI (ص ٤٧)

٩ ـ منظر عام للقلعة من جهة الشرق يطل على سرير نهر قاديشا العميق . إن الأجزاء السفلية من الأسوار الجاثمة فوق سفح صخري شديد الانحدار تتألف من بناء فرنجي جيد ، ولكن الأجزاء العلوية تعود إلى الأزمنة العربية ، بل حتى التركية .

١٠ ـ البوابة الرئيسية للقلعة كما ترى من جهة الشمال . وكانت القناة المائية الضيقة تجتاز بجسر متحرك يؤدي إلى فناء البوابة الضيق . شيدت البوابة في بداية القرن الرابع عشر ومن المرجح أن ذلك تم فوق أساسات سابقة . ورممت البوابة في العام ١٥٢١ (حسبما جاء في النقش المنحوت فوق المدخل) على يد السلطان العثماني سليمان الأول الكبير .

١١ ـ أطلال فرنجية : (دعامة ركنية تشكل جزءاً من قاعة أو كنيسة ؟) عند الواجهة الجنوبية للفناء الداخلي الكبير شيدت داخل الجدار الخارجي لبناء ذي عقود يعود تاريخه إلى أوائل القرن الرابع عشر . ومن جهة اليمين يوجد ضريح إسلامي صغير .

صهيون SAHYUN (قلعة صلاح الدين) (ص ٥٠)

١٢ ـ منظر من الجو (١٩٣٨) لأرباض القلعة ، مأخوذ من جهة الغرب . إلى اليسار تبدو التحصينات البسيطة للقلعة السفلية الفسيحة التي تتماشى مع خطوط الأرض حولها ، ويمكن بسهولة تمييز الأبراج الضخمة للقلعة العليا في الوسط ، وعلى ذروة الجرف توجد القليعة البيزنطية القديمة . ويشاهد الرعن الصخري المواجه للقلعة من جهة الشمال (مقدمة الصورة) وهو المكان الذي نصب فيه صلاح الدين مجانيقه التي دك بها قلعة صهيون في العام ١١٨٨ .

١٣ ـ منظر داخلي للجبهة الدفاعية الرئيسية (الشمالية الشرقية) (انظر الصورة الملونة في اللوحة رقم ٣ للاطلاع على المنظر الخارجي) . وفي منتصف الصورة ينتصب البرج المحصن القوي ومساحته التقريبية ٨٢ قدماً مربعاً تقريباً ، وإلى اليمين يبدو البرج الأول من الواجهة الجنوبية . وتستند الجبهة الداخلية لهذا البرج فوق أحد الأسوار البيزنطية السابقة التي تختلف حجارتها الصغيرة الحجم بوضوح عن أسوار الفترة الفرنجية التي شيدت من كتل ثقيلة متداخلة .

١٤ ـ الواجهة الجنوبية ويظهر فيها الحصن البارز الزاوي المستدير واثنان من الأبراج الثلاثة المستطيلة على هذا الجانب . وعند قاعدة الواجهة الصخرية الشاقولية التي شقت اصطناعياً يمر الممر الرئيسي المؤدي إلى القلعة .

١٥ ـ القناة المائية العميقة التي شقت في الصخر الأصم ، ويشرف عليها السور الضخم الذي يعود إلى عهود بناء فرنجية مختلفة . وفي الوسط معاصم البرج المحصن الضخم الذي كسيت واجهته كلها بقطع الحجارة المربعة المنحوتة الملساء . ويعود تاريخ القطع الحجرية الملساء الواقعة فوق الواجهة الصخرية المحفورة شاقولياً إلى طور بناء سبق بقليل الأجزاء العلوية من الجدران حيث يلاحظ هنالك الانتقال إلى استخدام القطع الحجرية المربعة الناتئة من طرز مختلفة . وللبرج المحصن المؤلف من طابقين شرفتان خارجيتان أيضاً ، وفيها أربع طبقات من كوات الرمي .

١٦ ـ القناة المائية وتبدو فيها ركيزة الجسر المتحرك في الوسط . ولقد تشكلت هذه الركيزة عن طريق إزالة الصخر المحيط بها ثم توجت ببناء حجري لإعطائها الارتفاع المطلوب .

١٧ ـ الغرفة السفلية من البرج المحصن بسقفها المقنطر المتقاطع مع ركيزة في الوسط ، مساحتها التقريبية عشرة أقدام مربعة . ويمكن رؤية آثار السور الخارجي البيزنطي الذي لم يكشف التراب عنه عند قاعدة الركيزة .

١٨ ـ القليعة البيزنطية الداخلية ، وفي مقدمة الصورة تشاهد أطلال حي سكني يعود تاريخه لأزمنة مختلفة

من القرون الوسطى . وتنتصب خلفها بقايا السور الداخلي المحيطي البيزنطي مع الأبراج التي تعلو القلعة الداخلية ، وهي عبارة عن بناء على شكل برج محصن ذي تصميم لا متناظر .

١٩ ـ الفناء الداخلي من القلعة العليا كما يرى من الجنوب ، يعود تاريخ المئذنة في مقدمة الصورة إلى أواخر القرن الثالث عشر وخلفها يقوم السور العرضي البيزنطي والبرج المحصن .

٢٠ ـ منظر لأحد الأجنحة في المخزن الكبير المتاخم للبرج المحصن في الجنوب . ويقوم فوق السور الخارجي البيزنطي القديم قاعة ضخمة ذات سقف مقنطر ، تتألف من خمسة أجنحة ، وكل جناح منها يتألف من خمس حجرات . وتدعم الركائز الحجرية التي تبلغ أبعادها التقريبية ٦ × ٧ قدماً العقود المتصالبة المبنية من الحجارة الخام موشاة بأقواس شديدة الانحناء من الحجر السلس freestone إمعاناً في تقوية بنيتها .

٢١ ـ الغرفة الداخلية للصهريج الكبير عند الجناح الشمالي للقلعة العليا . وقد حفر القسم السفلي من الصهريج في الصخر الأصم ، وطليت الجدران بملاط غير نافذ للماء . ويحمل الجدار السفلي سقفاً أسطوانياً ذا عقود مبني من لبنات مثبتة ببراعة وإحكام . وتقوم الطُنُف الموجودة هنا بعمل الدعائم للقطع المستخدمة في البناء .

قلعة نمرود (صبيبة) QAL'AT SUBEIBE (بانياس)(ص ٥٢)

٢٢ ـ منظر عام للقلعة من ناحية الجنوب في مواجهة الجبال . وفي مقدمة الصورة أبراج الواجهة الجنوبية القصيرة وقد دمرت بالزلازل ، وإلى الخلف منها في الوسط أطلال قرية صغيرة مهجورة . تنتصب القلعة في خلفية الصورة ، ويفصلها عن الفناء المطوق المنخفض الفسيح سور عرضي ، وهي صرح ضخم له حصن زاوي بارز ربما كان يحوي ذخائر معمارية من العهد البيزنطي .

الكرك AL- KERAK (ص ٥٥)

٢٣ ـ قلعة الكرك ومدينة الكرك من الناحية الجنوبية الشرقية مع وادي الست في مقدمة الصورة . وتشاهد إلى اليسار القناة العميقة والبركة (خزان ماء مكشوف) ، ويتاخمها من اليمين برج محصن سامق مبني فوق ذروة منحدر شديد مكسو بالحجارة ، بالإضافة إلى الواجهة الشرقية للقلعة العلوية التي يعود تاريخها كلها تقريباً إلى العهد الفرنجي ، رغم أن الجزء السفلي من البرج الزاوي المواجه للقناة الشمالية هو الوحيد الذي مايزال باقياً . في الثلث الأيمن من الصورة يشاهد سور البلدة ، ومعظم أجزائه العلوية تعود في الأصل إلى الفترة التي تلت العام ١١٨٨ .

٢٤ ـ المنظر الجنوبي الغربي من وادي الفرنجي وفي خلفية الصورة إلى اليسار يبدو الجناح الغربي من تحصينات المدينة . وباستثناء جدران البركة (الصهريج) وقسم صغير من السور المتاخم لها ، فإن جميع التحصينات التي تشاهد في هذه الصورة هي إضافات تمت بعد العهد الفرنجي ـ وبخاصة البرج المضلع الكبير .

٢٥ ـ الجناح الجنوبي لأسوار المدينة مع حصن القلعة كما يبدو في خلفية الصورة من جهة اليسار . ويعود تاريخ الأجزاء السفلية من السور التي تشاهد في مقدمة الصورة إلى العهد الفرنجي في معظمها بينما شيدت معظم الأجزاء العلوية في مراحل مختلفة خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر .

٢٦ ـ الفناء العلوي المسور للقلعة ، ويطل باتجاه الجنوب على البرج المحصن الضخم . وكل ماحفظ تحت المستوى الحالي للساحة هي آثار الأحياء السكنية الفرنجية ويمكن تمييز بعضٍ منها في مقدمة الصورة .

إن المخطط الأرضي المضلع ، والبناء العلوي المتدرج للبرج المحصن المؤلف من خمسة طوابق ، يجعل منه أكثر الأبنية إثارة للاهتمام من هذا الطراز . تزيد سماكة الأسوار الخارجية هنا عن ستين قدماً .

٢٧ ـ الفناء السفلي المسور من القلعة ، وإلى اليسار السور الغربي للقلعة العلوية وهو ينتصب فوق جدار صخري قدّ جزئياً في الصخر يدوياً . وبغض النظر عن الحصنين البارزين المستطيلين فإن هذه القلعة تعود إلى العهد الفرنجي . ولم يكن الجناح الغربي من السور الخارجي للقلعة العليا مع بوابته الغربية المصممة بمهارة قد شيد حتى مابعد الفتح العربي .

يمكن التفريق بين أطوار البناء ـ والتي تميز أساساً بتنوع ألوان مواد البناء المستخدمة فيها ـ بتنوع أساليب البناء الحجري ، رغم أن هذه الناحية أقل وضوحاً . إن عناصر البناء في العهد العربي غالباً ماتظهر عناية أكبر في كسوة البناء .

بغراس BAGRAS « بايراس » (ص ٥٨)

٢٨ ـ منظر عام للقلعة الطويلة المتضامة مأخوذ من ناحية الجنوب . ومايزال باستطاعة المرء أن يشاهد ـ من جهة اليسار ـ النقطة التي كان يتصل السور الخارجي عندها بقناة لجر المياه (لم تعد موجودة) .

٢٩ ـ منظر القاعة الكبرى (الشمالية) والسور الواقي للفناء العلوي المتاخم لها من جهة اليسار ، والمنظر مأخوذ من الفناء الداخلي السفلي . وإلى اليمين يبدو مدخل المخزن المقنطر الكبير الذي ساعد أيضاً في تدرج المساحات المحدودة من الفناء الموجود عند القلعة العليا .

٣٠ ـ منظر الشرفة الدفاعية الجنوبية الغربية الكبرى ، التي يمكن الوصول إليها من القلعة السفلية . في مقدمة الصورة تبدو بقايا بناء سابق شيدت من كتل حجرية كبيرة خشنة الكسوة .

٣١ ـ تظهر هذه الصورة ، التي أخذت من الفناء الداخلي العلوي ، القاعة الجنوبية والسهل العريض المحيط ببحيرة العمق خلفها . وتبعد حارم عنها نحواً من عشرين ميلاً ونيف في خط مستقيم . وفي مقدمة الصورة توجد عقود مقنطرة كانت تشكل في يوم من الأيام البناء العلوي للفناء الأعلى .

عكار AKKAR (ص ٦٠)

٣٢ ـ القلعة كما تشاهد من وادي نهر عكار في الشمال . وعند أقصى النهاية الشمالية لصخرة القلعة ينتصب سور حائل مكسو جيداً بالحجارة ، يحمل بوضوح بناء ذا حجم لابأس به . تمتد آثار السور الهامشي القديم باتجاه الجنوب حتى برج مخرب ينتصب فوق رعن صخري ناتئ إلى جهة الشرق . ولا يمكن في هذه الصورة مشاهدة الجانب الرئيسي للقلعة الذي يواجه الجبال .

طرطوس TARTUS (ص ٦١)

٣٣ ـ الواجهة الداخلية للحصن البارز في السور القديم الداخلي ، وكل مابقي من الممرات المقنطرة الطويلة التي كانت تلتف بالأصل بشكل متعرج حول الدفاعات الهامشية هو أجزاء صغيرة من السور الخارجي يضم دعامات للسقف الخشبي .

إن القسم الخارجي لسور القلعة المحيطي كله كان مكسواً بعناية بكتل من الحجارة المربعة الملساء أو الناتئة .

٣٤ ـ الواجهة الغربية للكاتدرائية (أحيلت إلى متحف منذ العام ١٩٦٠) .

٣٥ ـ القسم الداخلي من الكاتدرائية . إن الصحن المستدق النهاية ذا السقف الأسطواني المقنطر ، مثله مثل الأجنحة ذات العقود المتصالبة ، مقسوم إلى خمسة أقسام بأقواس شديدة الانحناء تسندها ركائز مع أنصاف أعمدة . وعلى كل جانب من جانبي قبا الكنيسة apse مع سقفه المقنطر شبه المقبب توجد غرف ملحقة صغيرة .

تشاهد الركيزة في وسط الصورة وهي ترتكز على ممر مقوس ربما كان مدخل الحجيج إلى حرم سابق لكنيسة .

صافيتا SAFITA (ص ٦٣)

٣٦ ـ منظر عام من ناحية الشرق مع أطلال البوابة الكبرى في مقدمة الصورة . عندما أخذت هذه الصورة (١٩٣٦) كان البناء العلوي للسور الواقي الخارجي مايزال مرئياً في المساحات التي لم يتناولها التعمير إلى القرب والشمال من البرج المحصن ، ولكن معظمه أزيل أو شيد فوقه في السنوات التي تلت ذلك .

٣٧ ـ منظر يواجه الناحية الغربية لمعبر الدخول إلى القاعة الكبرى إلى الشرق من البرج المحصن ، وثمة بناء من طابقين لم يبق منه سوى الجدار الغربي وأطلال ذات عقود .

٣٨ ـ البرج المحصن ويبدو منه المدخل الرئيسي ، والجدران التي شيدت من قطع حجرية مربعة رائعة ، وتظهر فيها آثار مميزة للإصلاحات التي جرت هنا بعد الزلزال الكبير في العام ١٢٠٢ ، الذي انهار خلاله الطابق العلوي وجزء من الزاوية اليسارية من البناء .

٣٩ ـ القاعة الكبرى فوق الطابق الأول للبرج المحصن . يمكن ملاحظة دليل واضح على تصميم أوائل القرن الثالث عشر في الركائز التي خصصت بعناية بأعمدة بارزة عنها ، وبعقودها المتصالبة شديدة الانحناء .

قلعة يحمور QAL'AT YAHMUR (ص ٦٤)

٤٠ ـ منظر عام من ناحية الجنوب إلى اليسار ، يبدو أحد الأبراج الزاوية التي أضيفت فيا بعد ، ويشاهد وراءها البرج المحصن الضخم ذو الطابقين .

٤١ ـ المدخل إلى البرج المحصن (من المرجح أنه رمم في العهد العربي) . تضم أرضية البرج والطابق الأول من

البرج غرفاً كبيرة ذات عقود . أما البناء العلوي فانهار بكامله تقريباً ، ولكن من المرجح أن يكون قد شيد فوق البرج شرفة دفاعية منخفضة ذات صفين ، زادت من ارتفاعه إلى درجة لا بأس بها .

عريمة ARIMA (ص ٦٥)

٤٢ ـ منظر عام من جهة الشرق ، وهو يظهر بوضوح كيف قسمت أرباض القلعة إلى مصاطب منفصلة . وعند ذروة الجرف المتطاول توجد القلعة العلوية مع جبهتها الدفاعية الرئيسية المطلة على الجنوب .

٤٣ ـ الواجهة الداخلية للبرج الرئيسي إلى جانب البوابة المؤدية إلى القليعة كما ترى من الفناء المسور الداخلي . ويتاخمها من جهة اليمين أطلال قاعة كبيرة الحجم .

بعلبك BA'LBAK (ص ٦٧)

٤٤ ـ منظر عام من جهة الجنوب . لم تكن الأسوار المحددة لهيكل جوبيتر الذي يطل على السهل الفسيح بحاجة إلى تقوية عندما حول المكان إلى قلعة . وتم الاكتفاء بثقب الأسوار القائمة لفتح كوات للرمي وتتويجها بفتحات (شرفات للرمي) . أما الجناح الجنوبي الغربي المعرض للهجوم والذي يضم الموقع المستوي لمعبد باخوس فكان لا بد من تقويته بصورة جوهرية بسور واق أضيفت إليه عدة أبراج في مرحلة تالية .

٤٥ ـ الواجهة الجنوبية لمعبد باخوس كما تشاهد من الشرق . وإلى الخلف من المدخل (جرى تحسينه في نهاية القرن الثالث عشر) يوجد البرج الزاوي الجنوبي الغربي (١٢١٣) ، ويمكن أن تشاهد خلف العمود الزاوي للمعبد نقطة اتصال السور الواقي الذي يعود أصله ، كما هو الحال بالنسبة للبرج الزاوي ، إلى عهد بهرام شاه .

كان الوجه الجنوبي للمعبد محصناً أثناء الطور الأول من إعادة البناء بسور ، يمتد قسم منه بين الأعمدة والقسم الآخر أمام قاعدة أعمدة الهيكل the stylobate . ولقد أزيل هذا السور أثناء الحفريات . كانت واجهة المعبد الجنوبية محمية بخندق مائي عريض .

شيزر SHEIZAR (ص ٦٩)

٤٧ ـ صورة القلعة والقرية من ناحية الجنوب (١٩٣٧) . عند الذروة الشمالية للجرف ، وفي مقابل البناء المكسو بالحجارة والمشيد من تاريخ سابق بوضوح ، ينتصب حصن الحرس الضخم الذي شيده السلطان قلاوون . ومنذ ذلك الحين انهارت أجزاء متفرقة من السور الشرقي الطويل التي تبدو ظاهرة في هذه الصورة .

٤٨ ـ البرج المحصن كما يرى من ناحية الخندق الجنوبية . وتحت البرج وإلى اليسار توجد بقايا تحصينات سابقة دمرت في العام ١١٥٧ . ويرى بوضوح في منتصف الواجهة الجنوبية الخط الذي يتصل فيه القسم الأقدم (الأيمن) بالقسم الأكثر حداثة منه . ولقد جرت محاولات من أجل تأمين سلامة البرج ضد الزلازل في المستقبل وزيادة ثباته عن طريق تقوية الجدران بأعمدة أخذت من المستوطنة القديمة .

٤٩ ـ حصن البوابة ويحمل نقشاً يعزوه إلى السلطان قلاوون .

قلعة المضيق (ص ٧٠)

٥٠ ـ منظر عام من الغرب (١٩٣٣) . وتوجد على السفح من جهة اليمين طريق صاعدة عريضة للوصول إليها تحرسها أبراج ، وتوجد إلى جوارها آثار كسوة حجرية من العصور الوسطى . كما يمكن مشاهدة آثار فترة استيطان سابقة متناثرة فوق السفوح التي تآكلت وعريت بشدة في أماكن عدة منها .

٥١ ـ منظر عبر موقع المستوطنة القديمة عند الجناح الجنوبي الأكثر تحصيناً للمدينة . ولقد أدى تعريض الطريق الصاعد المؤدي إليها مؤخراً إلى إتلاف أجزاء من الكسوة الحجرية السابقة والحفر في أنقاض الحضارات السابقة المتراكمة فوق بعضها بعضاً . أما الأبراج الموجودة على هذه الناحية والتي أصابها الضرر نتيجة الزلزال فقد صمدت أمام الانهيار في العصور الوسطى بإضافة أكتاف داعمة وركائز زاوية إليها .

المرقب MARQAB (ص ٧١)

٥٢ ـ منظر عام من جهة الجنوب (١٩٣٨) . ويمكن أن تشاهد بوضوح الأسوار المحيطية الخارجية والداخلية للقلعة الخارجية فوق الرعن الجبلي الناتئ في الغرب . ويوجد على السرج الجبلي المسطح عند قاعدة القليعة (لا ترى في الصورة) بركة مستطيلة (أو خزان مياه) كبيرة . أما الطريق الصاعدة على السفح الموجودة إلى اليسار فحديثة العهد . والطريق القديمة الموصلة إلى القلعة تقع إلى الأعلى قليلاً وهي تؤدي إلى برج البوابة في منتصف الواجهة الجنوبية الغربية .

وتبدو إلى جوار الخليج الظاهر في خلفية الصورة منازل ميناء بانياس الصغير الذي كان في يوم من الأيام مقر رئيس الأساقفة اللاتين وكان يعرف في العهد الفرنجي باسم فالنيا Valenia .

٥٣ ـ طريق الوصول القديم ومنظر الواجهة الجنوبية الغربية للقلعة الداخلية .

٥٤ ـ طريق الوصول إلى برج البوابة الخارجي . ويمر طريق الوصول هذا ، الذي رمم وقوي في العهود الحديثة ، عبر جسر ـ مع جدران غليظة تم بناؤها على الأرجح في أزمنة متأخرة ـ إلى حصن بوابة أدخلت عليه تعديلات جزئية في العهود العربية . وكان المنفذ المؤدي إلى المدخل محروساً باستطالات مكوّاة (ذات كوات رمي) من فوقه . وإلى اليمين يبدو المدخل المقوس للبوابة الرئيسية الداخلية .

٥٥ ـ منظر للفناء الداخلي الشمالي ملتقط من سطح كنيسة القلعة . وفي خلفية الصورة وفي المنتصف تقريباً يبدو برج البوابة الخارجي ، وفي قبالته أطلال قاعة مع سقفها ذي العقود المبني بعناية شديدة (أزيل كله حالياً) . وربما أضيف القوس الضخم الذي يبدو في مقدمة الصورة عندما عدل الأتراك البوابة الرئيسية لتسهيل الدخول إليها على الأرجح .

تبدو البراكات وأماكن المستودعات مجمعة حول الفناء الداخلي وقد تداعى بعضها كثيراً .

٥٦ ـ الفناء المسور الفسيح في القلعة الداخلية . إلى اليسار يوجد صف طويل من الغرف ذات العقود ، وفي منتصف الصورة يبدو الجدار الجانبي والمدخل الجانبي لكنيسة القلعة .

٥٧ ـ المدخل الجانبي للكنيسة مماثل تقريباً للبوابة الرئيسية ولكنه أحسن منها حالاً . ولقد انهار الرواق الذي كان هنا خلال أحد الزلازل الكثيرة التي تعرضت لها المنطقة .. وتحمل المقاطع الجانبية والتيجان تشابهاً قوياً للنماذج الفرنسية التي تعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر .

٥٨ ـ الواجهة الغربية للكنيسة ، وهي تظهر للعيان زخارف الباب الرئيسي المنحوتة بعناية والتي تبدو تفاصيلها المتناثرة والفجة إلى درجة ما تقليدية من حيث التصميم في المشرق الفرنجي عند نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر . ولقد كسي القسم السفلي من الجدران الخارجية للكنيسة بكتل بازلتية صغيرة ملساء ، بينما شيدت الأقسام العليا من الإثلب (دبش الحجارة) العادي . وأحيطت الأبواب والنوافذ شأنها شأن أقسام أخرى من القلعة بأحجار كلسية منحوتة ملساء .

٥٩ ـ كنيسة القلعة ، منظر باتجاه قبا الكنيسة . ويذكرنا هذا البناء الذي لا يضم سوى الصحن بسقفه ذي العقود المتصالبة والذي يقسمه قوس شديد الانحناء في الوسط بفن العمارة الرومانيسكي البعيد المل إلى حد ما في جنوبي فرنسة ، والذي مارس تأثيراً قوياً دونما شك على فن البناء في الأراضي المقدسة .

استخدمت الكنيسة فترة طويلة أسقفية لرئيس الأساقفة اللاتين في فالنيا (بانياس) الذي اتخذ من القلعة مسكناً له لدواعي الأمن .

٦٠ ـ برج الصبي Burg as-Sabi (وهو يدعى كذلك بناء على أسطورة قديمة) ويقع أسفل قلعة المرقب بجوار البحر . وهو تحصين خارجي يشكل جزءاً من دفاعات القلعة . صمم هذا البرج بطوابقه الثلاثة لحماية المرفأ الصغير لقلعة المرقب وقطع الطريق الساحلي . ويقال ـ بأقاويل غير مؤكدة ـ : أنه كان متصلاً مع القلعة في يوم من الأيام .

٦١ ـ منظر عن بعد ملتقط من الطريق الساحلي . وتوضح هذه الصورة موقع القلعة المسيطر على المنطقة .

قلعة عجلون (ص ٧٤)

٦٢ ـ منظر عن بعد للقلعة ملتقط من جهة الجنوب الشرقي يطل على السرير العميق لوادي كفرنجة (Wadi Kefrinja) .

٦٣ ـ الواجهة الجنوبية الشرقية ويبدو فيها حصن البوابة (إلى اليمين) والبرج الجنوبي الضخم الذي يعود تاريخه إلى مرحلة البناء الثانية ولقد نحتت حجارته المتداخلة البارزة في الصخر مباشرة .

٦٤ ـ الواجهة الشمالية الغربية . تبدو في مقدمة الصورة القلعة العليا مع برجها الزاوي الغربي الداخل قليلاً وبرجها الزاوي الشمالي نصف المنهار ، وقد شيد كلاهما من كتل الحجارة المكسوة بقطع ملساء فوق بناء حجري أسبق ذو حجارة بارزة متداخلة . ولم يحافظ على مظهره الأصلي من القلعة الخارجية سوى برجها الشمالي الزاوي .

٦٥ ـ الفناء الداخلي ويبدو فيه المدخل الرئيسي العتيق المؤدي إلى القلعة الداخلية ، والذي أدخلت عليه تبدلات جوهرية في بداية القرن الثالث عشر . كذلك تنتمي الأعمال الحجرية التي ترى إلى اليمين إلى طور البناء نفسه ، وثمة بضع درجات تؤدي إلى مدخل البرج الجنوبي الكبير ، والجدار الغربي للبناء الذي أصبح حصن البوابة فيما بعد .

قلعة الحصن KRAK DES CHEVALIERS (ص ٧٦)

٦٦ ـ منظر عام ملتقط من جهة الجنوب الشرقي في العام ١٩٣١ ، أثناء المراحل الأولى من الحفريات والترميمات التي بدأها الفرنسيون . وكانت بيوت الضيعة الصغيرة ما تزال قائمة ولم تهدم بعد ، وتمثل القلعة مظهرها نفسه الذي كانت عليه في نهاية القرن التاسع عشر .

٦٧ ـ منظر من الجهة الشمالية الشرقية .

٦٨ ـ الواجهة الخارجية الجنوبية . تشاهد في مقدمة الصورة التحصينات التي شيدت بعد الفتح العربي ، وإلى اليسار يوجد البرج المدور الذي شيد في العام ١٢٧١ في عهد السلطان الملك الظاهر بيبرس ، وإلى جواره توجد قناة جر المياه ، وإلى اليمين يوجد البرج المستطيل الضخم الذي شيده السلطان قلاوون . ويحمل كلا البرجين نقوشاً طويلة محفورة تحت حوامل شرفاتها المكواة .

٦٩ ـ كسوة حجرية كبيرة في واجهة الوجهة الجنوبية للقلعة العليا . وخلف السفح المكسو بمربعات حجرية ملساء توجد طبقتان من الشرفات ذات العقود المجهزة بفتحات للرمي .

٧٠ ـ البرج الزاوي الجنوبي الغربي للقلعة العليا تحوي ما يسمى مسكن السيد (المقدم) Logis du Maitre .

٧١ ـ منظر من الفناء الأمامي الجنوبي ، ويبدو فيه برج الحصار الذي بني على الأغلب أثناء طور البناء الفرنجي الأخير . وكان ذلك يساعد المدافعين في حراسة المنافذ المؤدية إلى القلعة العليا ، ورمي الخندق ، والفناء الأمامي ، بالرمي الجناحي .

٧٢ ـ يبين هذا المنظر الملتقط من بوابة برج الحصار الخندق المائي والواجهة الخلفية للبرج الذي شيده السلطان قلاوون إلى جانب المخازن والاسطبلات الملحقة به . وكان جانبا الخندق كلاهما مكسوين بالحجارة الملساء لأنه كان يستخدم كخزان للمياه أيضاً .

٧٣ ـ الجزء العلوي من طريق الوصول المغطى الذي يستند سقفه المقنطر على أساسات البرج الزاوي الجنوبي الشرقي من القلعة العليا . ويمتد السقف المقنطر على طول الممر الذي يلتفت وينعطف بشدة وكان محروساً بمتاريس إضافية ومواضع للرمي الجانبي .

٧٤ ـ مدخل الفناء المسور السفلي للقلعة الداخلية مع منظر القاعة الكبرى (أواسط القرن الثالث عشر) .

٧٥ ـ منظر يطل على داخل ردهة القاعة الكبرى التي كانت تستخدم كمقر اجتماعات . إن غنى التفاصيل المعمارية يمت بصلة القرابة المباشرة للنماذج الفرنسية الأولية .

٧٦ ـ منظر يطل على الناحية الجنوبية عبر الفناء السفلي المسور من القلعة العليا . وإلى اليسار واجهة القاعة الكبرى ، وفي مقابلها حصن البوابة العلوية ، وتبرز من ورائه كنيسة القلعة مع ردهتها المكشوفة . لقد كانت الأسقف المسطحة للأبنية كلها مكسوة ببلاطات حجرية أو دبش الحجارة لجمع مياه الأمطار .

٧٧ ـ الفناء الأمامي المتسع إلى الغرب من القلعة . وإلى اليمين الجناح الغربي المتطاول من القلعة العليا ، وتحده ـ مثل الواجهة الجنوبية ـ كسوة حجرية متواصلة ، تعلوها شرفات مقنطرة دفاعية . وإلى اليسار تبدو الواجهة الداخلية للسور الواقي الخارجي ، والذي تداعت طبقاته العليا كلها .

٧٨ ـ الغرفة الرئيسية للبرج الزاوي الجنوبي الغربي المعروفة باسم مسكن السيد (المقدم) Logis du Maitre ، وكانت قد حولت إلى غرفة معيشة في الفترة بين ١٢٣٠ ـ ١٢٤٠ حيث سدت فتحات الرمي الموجودة وحلت محلها نافذة كبيرة على الجانب الشرقي .

٧٩ ـ تاج وطنف من الزهور في مسكن السيد .

٨٠ ـ الفناء المطوق السفلي للقلعة العليا ، وإلى اليسار إحدى زوايا القاعة الكبرى ، وإلى اليمين مجاز كنيسة القلعة ، وفي الخلفية البرج الشمالي الضخم .

٨١ ـ داخل كنيسة القلعة في مواجهة القبا . ولهذه الغرفة المفردة سقف أسطواني ذو عقود شديد الانحناء ، ويقسمه قوسان ثخينان شديدا الانحناء ، واجتزئ من الجدار قوسان مجوفان فيه وإفريز متواصل يبرز مرونة الخط . وبعد أن فتحها العرب حولت الكنيسة إلى مسجد صغير ، ويشاهد في الجدار الجنوبي التجويف نصف الدائري للمحراب ، والمنبر المغطى الذي يعود إلى هذه الفترة .

٨٢ ـ مجاز القاعة الكبرى ، وهو يبرز عناية معمارية نادراً ماتشاهد في قلاع المشرق الفرنجي . وكان بناؤو هذا النوع من القلاع لا يهتمون بالمظاهر الخارجية على وجه العموم ويقيدون أنفسهم بالبناء الصقيل والأملس الذي كان ضرورياً لأغراض الدفاع .

٨٣ ـ الباب الجنوبي للقاعة الكبرى . إن الملامح الفريدة التي يحملها هذا البناء تنسجم انسجاماً تاماً مع تلك التي تحملها نماذج العمارة في أواسط القرن الثالث عشر في فرنسا كما في ريمس (رانس) Rheims مثلاً .

قلعة شقيف أرنون BEAFORT (ص ٨٠)

٨٤ ـ منظر عام من ناحية الغرب (١٩٣٦) . في مقدمة الصورة آثار متبقية من مستوطنة من العصور الوسطى ، وخلفها قناة مائية عريضة قدت عميقاً في الصخر الأصم ، وهي تصب في بركة أو خزان ماء مكشوف عند طرفها الشمالي . ومن جهة اليمين ترتفع على نحو مفاجئ قاعدتا البرجين الزاويين المكسوتان بحجارة ملساء ، وهذان البرجان يخصان التحصينات الخارجية التي شيدت في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر . وفوق القاعدتين وإلى اليسار يوجد بناء حجري من الحجارة البارزة المتداخلة يواجه السور الخارجي والبرج

المحصن المبني بالطريقة ذاتها (النصف الأول من القرن الثاني عشر) . أما القاعة المضلعة التي يمكن مشاهدة آثارها عند الذروة الشمالية للموقع (إلى اليسار) فتعود في تاريخها إلى زمن الفتح العربي الأول .

جبيل JEBAIL (ص ٨٢)

٨٥ ـ منظر عام لبلدة جبيل وقلعتها مع مينائها الحديث في مقدمة الصورة وحصن الميناء القديم إلى اليمين . وإلى اليسار تبدو كنيسة القديس يوحنا الفرنجية (١١١٥ ـ ١٢٠٠) ، وكانت في يوم من الأيام كنيسة المدينة الرئيسية .

٨٦ ـ الوجه الداخلي لحصن الميناء وبقايا المكسر القديم . وكانت أجزاء من الحصن قد طمرت عندما جرى تعريض المكسر في الحقب المتأخرة . وكان في الأصل يتألف من برجين قويين يصل بينهما سور ضخم . ومايزال بالإمكان مشاهدة أجزاء من أساسات البرج الداخلي من جهة اليسار ، ولكن الأثر الوحيد الباقي من البرج الخارجي الأكثر مناعة هي أجزاء متناثرة من أساساته التي يمكن رؤيتها فوق الرف الصخري الموجود أمام الحصن .

٨٧ ـ الوجه الغربي الخارجي للقلعة والقناة المائية الجنوبية . إن هذه القناة التي كانت تجري حول المحيط الخارجي للقلعة كلها قد ردمت بأكملها ، وأزيلت جدرانها ، عندما جرى التنقيب عن سور المدينة الفينيقية القديمة . وإلى جوار البرج الزاوي الشمالي الغربي (اليسار) يوجد واحد من الأبواب الخفية العديدة . شيد السور الواقي المتاخم من حجارة ملساء منحوتة بارزة ، وقويت طبقاتها السفلى بإدماج أعمدة قديمة فيها وضعت بشكل مستعرض . وقد رمم البرجان الباديان في الصورة من جهة اليمين جزئياً في الأزمنة الحديثة . أما الجزء العلوي من البرج المحصن والذي كان يتألف بكامله من كتل الحجارة الضخمة ، فقد رمم في عهد الاحتلال العثماني بقطع حجرية أصغر كانت هي المستخدمة في تلك الحقبة . كذلك تعود القاعة المكشوفة الموجودة إلى يسار البرج المحصن إلى تلك الأيام .

حارم HARIM (ص ٨٤)

٨٨ ـ منظر جوي (عين الطائر) للقلعة والبلدة من جهة الشمال الشرقي (١٩٣٥) . لقد اختفت جميع المباني المهدمة في داخل القلعة السفلية الفسيحة كلها تقريباً منذ ذلك الحين ومثلها بعض أقسام ما يسمى بالقليعة . ومايزال الطريق القديم الموصل إليها والذي يصعد جانب التل (اليسار) مستخدماً حتى اليوم .

٨٩ ـ منظر عام يبدو فيه السهل الفسيح حول بحيرة العمق وجبال أمانوس في خلفية الصورة . يزخر السهل بالتلال التي كانت تزداد ارتفاعاً بالتدريج ـ مثل حارم ـ بمرور عصور من الاستيطان البشري (إن الكلمة العربية تل ، والتركية هويوك Hüyük تدل على أن هذه المنطقة كانت موطناً لحضارات قديمة متطورة جداً) .

إن التحصينات التي كانت تحيط بذروة التل في الأصل ، والتي نادراً ماتنحرف عن حدودها فيما عدا قلب الدفاع في الجهة الشمالية الشرقية ، لابد أنها كانت مماثلة لقلعة حلب التي حفظت في حالة جيدة .

حلب ALEPPO (ص ٨٥)

٩٠ ـ صورة جوية للقلعة من جهة الشرق (١٩٣٦) ، مع السوق الكبير المغطى في خلفية الصورة ، وعند الحافة العلوية من الصورة يبدو المسجد الكبير الذي يقع في مركز المدينة القديمة . إن المخطط الأرضي المستطيل تقريباً للمدينة القديمة يبدو مميزاً بوضوح بشكل مواز للشوارع العامة الرئيسية وجادات السوق الكبير .

٩١ ـ البوابة الرئيسية للقلعة من الجهة الجنوبية الغربية . إن الأجزاء الأقدم من حصن البوابة تتألف من الحصنين البارزين المستطيلين على جانبي طريق الدخول . وكان هذان ينتهيان في الأصل أعلى قليلاً من حافة الشرفة المكوّاة ، ولم يدمجا في برج واحد حتى شيدت القاعة الكبيرة فوق الطابق العلوي .

يتم الوصول إلى حصن البوابة المبني ببراعة فائقة ، عن طريق جسر يستند إلى خمسة أعمدة (ركائز) ضخمة ، وتحرس مدخله بوابة خارجية شيدت في أوائل القرن السادس عشر . لقد كان الجدار المائل المحيط بالقلعة مكسواً بكتل ضخمة من الحجارة . وما تزال هذه الكسوة في حالة جيدة في جوار البوابة .

بصرى BOSRA (ص ٨٧)

٩٢ ـ البلدة والقلعة في وضعها الأصلي (١٩٣٤) . وتشاهد بوضوح الأجزاء العلوية من خشبة المسرح وصفوف مقاعد المتفرجين ، فوق الإضافات التي تمت في العصور الوسطى ، وكذلك الفناء الأمامي بين الواجهة الخارجية للمسرح القديم والسور الذي شيد أمامه . أما قناة الماء التي كانت تحيط بالموقع كله في يوم من الأيام فقد ردمت في معظمها .

٩٣ ـ منظر للفناء الأمامي المرتفع مع الجدار الخارجي للمسرح القديم من جهة اليمين وأبراج الدفاعات الخارجية (١٢١١ ـ ١٢٥١) من جهة اليسار .

٩٤ ـ المدخل الرئيسي إلى القلعة . يمر طريق الدخول عبر جسر ضيق إلى فناء خارجي أمامي يحرسه برجان ، ومن ثم ـ وبشكل مضلل ـ عبر البرج المرئي عند حافة الصورة اليمنى وإلى داخل القلعة أيضاً .

مصياف MASYAF (ص ٨٨)

٩٥ ـ منظر عام للقلعة من الشرق ، وتبدو فيه التحصينات الدفاعية المحيطية المنفصلة عن بعضها والمتدرجة بالارتفاع : حلقة خارجية تحيط بالمستوى الأدنى ، وفوقها حلقتان متحدتا المركز داخليتان يفصل بينهما فناء أمامي ضيق . وفي أقصى اليسار توجد التحصينات الخارجية التي تحمي المنافذ ، وأعلى منها برج البوابة الطويل قوي البنيان ، إن كل شكل من أشكال الأبراج ممكن تصوره نجده ممثلاً في القلعة بالإضافة إلى الأسوار التي تعود إلى أطوار مختلفات في البناء وشيدت من مواد كثيرة التنوع تتراوح بين الإثلب (دبش الحجارة) وبين قطع الحجارة المربعة الملساء .

صيدا ـ صيدون SAIDA-SIDON (ص ٩٠)

٩٦ ـ مدينة صيدا ومرفؤها كما ترى من الجو (١٩٣٨) . إلى اليمين يشاهد البرج نصف الدائري الكبير الوحيد الذي حفظ من القلعة القديمة والتي كانت تغطي الجناح الجنوبي من البلدة . ولقد تم التنقيب عن القناة المائية العريضة للقلعة في السنوات الأخيرة .

٩٧ ـ منظر المرفأ الداخلي الصغير ، ويبدو فيه حصن المرفأ مع الجسر الجديد وواجهة البوابة التي رممت وحدها . وإلى اليسار يشاهد البرج الدفاعي الرئيسي الذي ربما كان يعود إلى العهد العربي (أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر) . وإلى اليمين وفوق البوابة يوجد مسجد صغير شيد في عهد الاحتلال العثماني .

عتليت (قصر الحجيج) CHASTEL PELERIN (ص ٩٢)

٩٨ ـ منظر عام من جهة الشمال الشرقي . في مقدمة الصورة يوجد البرج الشمالي الأقصى لدفاعات المدينة وأطلال السور المتواضع . وفي خلفية الصورة يبدو البرج الوحيد الباقي من السور العرضي المتين المشيد من حجارة جيدة النوعية . ويجاور البرج من جهة اليمين الحصن البارز الشمالي الذي يمتد بعيداً داخل البحر (والذي ربما غاصت أرضيته في غضون ذلك) . كذلك كان هذان البرجان المؤلفان من طابقين بمثابة برجي بوابة ولكن لم تكن هنالك أية اتصالات بين مستوى البوابة والشرفات الدفاعية القائمة فوقها ، والتي لا يمكن الوصول إليها إلا من القلعة الداخلية عن طريق أسوار عرضية تسد منافذ الفناء الأمامي .

عكا ACRE (ص ٩٤)

٩٩ ـ المدينة والمرفأ من الجنوب . في أقصى اليسار تشاهد بقايا المكسر الذي كان قائماً في العصور الوسطى والسور البحري الذي يعود تاريخ أجزاء منه إلى العصور الوسطى أيضاً . وفي القرن التاسع عشر امتد السور الحائل تحت البرجين العاليين ليتصل بالبرج الضخم الذي يرتفع فوق منصة نزول خشبية وهو برج السلطان الذي يعود تاريخه إلى عهد الفرنجة .

١٠٠ ـ ما يسمى « سرداب فرسان القديس يوحنا » (الأسبتارية) وهو سرداب ذو جناحين مقنطر السقف تحت البراكات التركية التي أصبحت سجناً فيما بعد . ولقد تم الكشف عن هذا البناء الواقع في حي الأسبتارية في السنوات الماضية . وتستند العقود المتقاطعة شديدة الانحناء إلى ثلاث ركائز ضخمة . وتدل النوافذ والأبواب الموجودة في الأسوار الجانبية على أن المكان كان غرفة أرضية أكثر منه سرداباً ولكن وظيفته الأساسية لم يكشف النقاب عنها بعد .

قيسارية (قيصرية) CAESAREA (ص ٩٧)

١٠١ ـ المدخل الخارجي للبوابة الرئيسية على الجانب الغربي من المدينة ، وهو أحد التحسينات التي قام بها

الملك لويس التاسع (القديس لويس) . وكانت البوابة في الأصل بناء بسيطاً أعطيت مدخلاً ذا زاوية عن طريق الغرفة الخارجية الجديدة وأمنت حمايتها بشكل إضافي ببرج قوي على جانب البر .

١٠٢ ـ الزاوية الجنوبية الشرقية والجناح الجنوبي المتاخم له من تحصينات البلدة . وكانت قناة الماء التي يبلغ عرضها أربعين قدماً يحدها من جهة البر سور شاقولي من الحجارة الصغيرة المنحوتة يتماشى مع الجدران الساترة الناتئة والمتداخلة والحصون البارزة . وكان القسم السفلي من السور قد قوي بجدار مائل قوي يبلغ انحداره حوالي ٦٠ درجة .

١٠٣ ـ القلعة على المكسر الجنوبي وقد غطيت جزئياً بمنازل حديثة ، وتظهر هنا آثار البرج المحصن الكبير (مساحة أرضيته حوالي ٦٢ قدماً مربعاً تقريباً) . لقد انهارت معظم الأسوار الخارجية في المرفأ الضحل (إلى اليسار) .

قلعة قرين MOTFORT (ص ٩٨)

١٠٤ ـ منظر عام من الجهة الجنوبية الغربية . في أقصى اليسار القناة نصف المتهدمة إلى جانب بقايا البرج المحصن والجدار المائل نصف الدائري عند قاعدته . وعلى النقيض من بقية القلاع كانت قلعة قرين عبارة عن برج محصن منتصب وحده يقع قبالة السور وكان متصلاً بالقلعة الداخلية عن طريق جسر متحرك فقط . وخلف القسم الناتئ من الجدار يوجد القصر وفناء سفلي يشرف عليه برج شمالي .

١٠٥ ـ يمكن أن يشاهد خلف الكنيسة برج محصن متداعٍ وجداره الخلفي والمدخل على جانبه الجنوبي (يشاهد في الصورة ١٠٤) . وتكشف الفروق في البناء الحجري بأن القلعة اكتملت بإضافات في مراحل مختلفة . ولا تعرف أية تفاصيل عن تاريخ القلعة الأول .

تل حمدون (طبراكال) TOPRAKKALE (ص ٩٩)

١٠٦ ـ منظر عام من جهة الغرب يبدو فيه السور المحيطي الذي يحيط بالتل في حوالي منتصفه والواجهة الدفاعية الرئيسية للقلعة العليا بأبراجها العالية المطلة على السور . كذلك يمكن مشاهدة الأسوار المتهدمة للمستوطنة القديمة فوق السفح من جهة اليمين تحت السور المحيطي الخارجي . ولقد ساعدت تلك الأسوار في تأمين المواد من أجل قلعة العصور الوسطى .

١٠٧ ـ الواجهة الدفاعية الرئيسية للقلعة العليا بجوانبها المكسوة الشديدة الانحدار ، مع صف من الأبراج نصف الدائرية المتينة . ويمكن مشاهدة أطلال الشرفة المكواة التي كانت تمتد في يوم من الأيام على طول الواجهة كلها بجلاء من جهة اليمين . وكانت الأسوار قد شيدت من جلاميد البازلت وتستند مباشرة على الأرض الصخرية في بعض الأماكن . يعود تاريخ التكسية إلى فترة البناء الأخيرة (من العهد الصليبي) وتضم شرفة دفاعية ذات سقف مقنطر .

١٠٨ ـ أطلال البرج الواقع على الجناح الشمالي من القلعة العليا ، وكان يستخدم سابقاً كحي سكني .

حصن سيسية (كوزان) SIS (KOSAN) (ص ١٠٢)

١٠٩ ـ القلعة من جهة الجنوب . يربض عند ذروة الجرف القائم برج دائري ضخم تجانبه أسوار حاجزة متعرجة .

ييلان كاليسي YILAN KALESI (ص ١٠٣)

١١٠ ـ منظر عام من جهة الجنوب ، ويبدو فيه جانب بوابة القلعة العليا فوق وادي سيحان العميق .

كوريكوس CORYCUS (ص ١٠٥)

١١١ ـ منظر عام للتحصينات من جهة البر ، وتظهر فيها الواجهة الشمالية لقلعة البر بأسوارها المزدوجة والمرفأ الصغير وحصن الجزيرة .

١١٢ ـ منظر المرفأ والمكسر المتهدم وحصن الجزيرة الذي كان قد شيد في الأصل في العهد البيزنطي ولكنه حصل على مظهره الخارجي الحالي في عهد السلطة الأرمنية .

١١٣ ـ قلعة البر من جهة الشرق . وإلى اليمين تشاهد مجموعة الأبراج الأكثر إتقاناً في القلعة الداخلية والقاعة الكبرى وقد قويت من الخارج بحصن بارز نصف دائري .

١١٤ ـ جبهة الدفاع الرئيسية المواجهة لجهة الشرق . وتظهر القناة المائية التي شقت في الصخر الأصم ، ويمكن ملؤها جزئياً بمياه البحر .

سلوقية (تراقيا) SILIFKE (ص ١٠٧)

١١٥ ـ الأبراج نصف الدائرية للجناح الجنوبي . وإلى اليسار تبدو القناة المائية التي شقت أجزاء منها في الصخر الأصم مع بقايا السور الخارجي .

١١٦ ـ منظر عام للقلعة والمدينة كما تشاهدان من خلال نهر غوك سو Gok-Su العريض . إن الطبقة العلوية للجسر حديثة العهد ولكن أساساته رومانية . كانت السفوح الموجودة في مواجهة القلعة مشغولة في يوم من الأيام بمستوطنة قديمة لم يبق منها سوى شذرات متناثرة ومصاطب صخرية فقط .

أنمور ANAMUR (ص ١٠٨)

١١٧ ـ منظر عام من الغرب . تنتصب القلعة الداخلية على الرأس الصخري ، وهي جيدة البناء إلا أنها متهدمة بشدة ، ويجاورها من اليسار سور الفناء الداخلي الذي يقع على مستوى أكثر انخفاضاً .

بودونيتسا BODONITSA (ص ١٠٩)

١١٨ ـ منظر بانورامي لمرتفعات كاليدروم الفسيحة Kallidromon التي تقع بين كيفيسوس Kephissos

وبيوتيـا Bœotia ونهر سبيرخيوس Sperkhios الـذي يصب في خليج لاميـا Lamia . تشـاهـد القلعـة الصغيرة في خلفية الصورة وهي تقع على المنحدرات الجنوبية .

قلعة كليرمونت (تورنيز) CASTEL TORNESE (شليموتزي) (ص ١١٠)

١١٩ ـ القلعة من جهة الشرق .

١٢٠ ـ القلعة العلوية من جهة الشرق . ويبدو في الوسط حصن البوابة ويلتصق بـه السور المحيطي العلوي للقلعة السفلية . قويت قاعدة القلعة العلوية في أحد أطوار البناء المتأخرة لتقاوم القصف المدفعي بإضافـة جـدار مائل شديد الانحدار .

نافارينو NAVARINO (ص ١١٢)

السـور الجنـوبي للقلعـة السفليـة ، ويعـود في معظمـه إلى عهـد الاحتـلال البنـدقي ، كما يرى من البـوابـة الخارجية . وكان هذا السور مع برج المدفعيـة المسمى بـاتريـا مورونسينـا Batteria Moronsina يقوم فوق بقـايـا أبنية قديمة وينتهي عندما يسمى بالمخفر الرئيسي بوستو بريسيبيو Posto Precipio ، وهو برج مـدفعيـة مستـدير يحتوي على منع للمدفعية .

١٢٢ ـ إطلالة باتجاه الجنوب من القلعة العلويـة عبر السور الخـارجي المحيـط بـالقلعـة السفليـة حيث تبـدو البوابة الخارجية (بوابة القلعة Porta da fortezza) وحصن البنادقة الصغير المسمى حصن القديسـة بربـارة . وفي وسط الصورة تبدو جزيرة سفاكتريا Sphakteria الصخرية (مع آثار تحصينـات قـديـة فيهـا) تفصلهـا عن البر الرئيسي قناة ضيقة . وفي خلفية الصورة وإلى أقصى اليسار تشاهد قلعة نافارينو الجديدة (تـدعى بيلوس Pylos حالياً) التي شيدها الأتراك العثمانيون في العام ١٥٧٣ لتحل محل القلعة القديمة .

ميسترا MISTRA (ص ١١٣)

١٢٣ ـ القلعة والبلدة من جهة الشمال ، وأدنى منهـا إلى اليسـار يبـدو دير برونتوشيون Brontochion وسور المدينة السفلي الـذي يعود إلى العهـد البيزنطي . وينتصب فوق الرعن أعلى منـه قصر الحـاكم . تشغل قلعـة غيّوم فيلهاردوان Guillaume of Villehardouin ذروة الجرف الجبلي شديد الانحدار .

١٢٤ ـ المدينة العلوية وتل القلعة المنحدر بشدة ، وعند قاعـدتـه ينتهي سور المـدينـة العلويـة البيزنطي . ويشاهد هنا بوضوح حصن القلعة الشمالي الغربي البارز وحصن البوابة الضخم (في أقصى اليسار) .

كاريتاينا KARYTAINA (ص ١١٤)

١٢٥ ـ القلعـة والقريـة من جهـة الجنوب . ويجثم فوق الجرف القـائم عنـد الطرف الأقصى لـوادي ألفييـوس Alpheios valley الحصن الجنوبي المضلع . بينما تشاهد على السفح بقايا القلعة العليا .

قنطرة KANTARA (ص ١١٥)

١٢٦ ـ منظر عام من جهة الجنوب . تتجه الأرض صعوداً متوسط الانحدار حتى الفناء الأمامي ولكنها تنحدر بشدة في بقية الأماكن . وتبدو جبهة الدفاع الرئيسية وبرجاها الجانبان نصف الدائريين بوضوح خلف الحصنين البارزين نصف الدائريين القائمين في الفناء الأمامي . وفي قبالة الفناء الأمامي يوجد صهريج (خزان مياه) مكشوف مدعم بأكتاف قوية .

١٢٧ ـ الجبهة الدفاعية الرئيسية ، وتبدو فيها البوابة الرئيسية والبرج الغربي نصف الدائري والحصن البارز الخارجي .

١٢٨ ـ جبهة الدفاع الرئيسية من جهة الداخل ، ويبدو فيها البرج الكبير نصف الدائري إلى جهة اليمين ، والبرج الشرقي من جهة اليسار ، وكان هذا البرج في الأصل مقسماً إلى طبقات ثلاث لغايات الدفاع . وثمة باب للخروج من الشرفة السفلية إلى غرفة برجية ضيقة ، فيها سبع كوات للرمي ، يمكن منها رمي الفناء الداخلي كله برمايات جانبية .

قلعة سانت هيلاريون ST. HILARION (ص ١١٦)

١٢٩ ـ إطلالة إلى أسفل من القلعة على خط الشاطئ ، وبلدة كيرينيا الصغيرة . ويمكن تمييز المرفأ وحصنه الكبير بسهولة من هنا .

١٣٠ ـ الجناح الغربي للقلعة مع سور القلعة الخارجية الذي يصعد السفح شديد الانحدار . وفي منتصف الطريق الصاعدة يوجد برج الأمير جون . (تقول إحدى الأساطير الرهيبة : إن الأمير دفع أفراد حرسه الشخصي البلغاريين واحداً إثر واحد من فوق هذا الجرف) . يعود تاريخ القلعة القائمة عند الذروة إلى العهد الفرنجي ، بينما يعود تاريخ السور القائم على السفح تحتها إلى عهد التحصينات البيزنطية .

١٣١ ـ منظر القلعة السفلية ويبدو فيه قبا الكنيسة البيزنطية الصغيرة الذي أعيد ترميمه . وإلى اليسار يشاهد سطح القاعة الكبرى العائدة للقرن الرابع عشر .

١٣٢ ـ منظر عام من جهة الشرق ، يوضح بجلاء درجة الحماية الطبيعية الممتازة التي تتمتع بها القلعة بجناحها الشمالي والجروف شديدة الانحدار التي تفصل القلعة الخارجية عن أملاك القلعة . وإلى ناحية اليمين تبدو القلعة السفلية وفوقها برج الأمير جون مع البرج الزاوي للقلعة العليا الواقع إلى الخلف مباشرة .

كيرينيا KYRENIA (ص ١١٨)

١٣٣ ـ الجناح الشرقي للقلعة ، مع البرج المستدير الجنوبي الشرقي الضخم الذي أشاده البنادقة إلى جهة اليسار ، والبرج الفرنجي نصف الدائري إلى جهة اليمين . ويمكن أن يشاهد الجناح الناتئ من الحصن البارز الجنوبي الغربي المضلع الضخم عند نهاية قناة الماء المواجهة لجهة البر من جهة اليسار .

١٣٤ ـ إطلالة إلى الأسفل من منصة المدفعية فوق البرج الدائري الشمالي الغربي عند الفناء الأمامي للسور الخارجي الفرنجي القديم والستارة الخارجية المقامة في القرن السادس عشر ، والتي كانت تشكل طريقاً مستوراً للمدافع . ظل حصن البوابة القديم قائماً ولكن نتج عن ذلك ظهور فناء أمامي صغير مكشوف موجود بينه وبين البوابة الجديدة في الساتر العائد لعهد البندقية .

١٣٥ ـ الكنيسة البيزنطية الصغيرة داخل الساتر الغربي الذي أقامه البنادقة . إن هذه الكنيسة الضئيلة التي تشكلت جدرانها من حجارة الساتر والبرج الشمالي الضخم (الذي يعرف في العهد الفرنجي باسم برج القديس جورج) تعود في تاريخها إلى منتصف العهد البيزنطي . ولكن القبة رممت في مرحلة متأخرة .

١٣٦ ـ الجناح الشمالي للقلعة ـ وهو الجزء الوحيد الذي ما يزال يحمل امتدادات حجرية غير متداعية يعود تاريخها حتى العهد الفرنجي . وفي أقصى نقطة يبدو البرج الشمالي الشرقي نصف الدائري (انظر صورة رقم ١٣٣) . شيدت مرابض المدافع داخل الطابق الأرضي في العهد البندقي .

بيلابايس BELLAPAIS ابيسكوبيا (ديرسكوبيا) (ص ١١٩)

١٣٧ ـ الواجهة الغربية للكنيسة مع برج الجرس الصغير كما يشاهد من خلال الرواق المعمد المسقوف الشمالي .

١٣٨ ـ الباب الرئيسي لحجرة الطعام في الكنيسة ، وهي تزودنا بمفتاح الكنوز المعمارية الضائعة في نيقوسيا . تتطابق التزيينات الفنية مع الأساليب الزخرفية التي شاع استخدامها في الأرض المقدسة ، والتي لم يبق منها سوى نماذج متناثرة .

تحمل أسكفة الباب الرخامية شعارات أسرة لوزينيان (اليسار) ومملكة القدس (الوسط) ومملكة قبرص (اليمين) .

فماغوستا FAMAGUSTA (ص ١٢٠)

١٣٩ ـ كاتدرائية القديس نيقولا ، صورة ملتقطة من الرواق المقنطر للقصر الملكي السابق . شيدت الكنيسة ما بين العام ١٣٠٨ والعام ١٣١٥ من ريع حملة التبرعات التي نظم جمعها الأسقف غي دإيبلن Guy dIbelin في الأعوام ١٢٩٨ ـ ١٣٠٨ . وهي تشبه كاتدرائية ريمس في الكثير من تفاصيلها . أصاب الأجزاء العلوية من البناء والأبراج بشكل خاص أضرار بالغة نتيجة القصف في العام ١٥٧٠ ـ ١٥٧١ .

١٤٠ ـ البوابة الرئيسية للقلعة ويعلوها أسد القديس مارك St. Mark على غرار بوابات جميع قلاع البنادقة تقريباً . ويوجد تحته نقش منحوت يحمل اسم نيكولو فوسكاريني N. Foscarini يعود تاريخه إلى العام ١٤٩٢ . تؤدي البوابة التي تقع عند الجهة الجنوبية للقلعة ، ويحرسها برج مستدير بشكل مخادع ، إلى الفناء الداخلي لحصن البحر المشيد في القرن الرابع عشر ، والذي تركه البنادقة دون تغيير تقريباً . إن المشاهد الختامية لمسرحية شيكسبير « عطيل » وضعت في هذه القلعة .

١٤١ ـ غرفة الطابق الأرضي الكبيرة على الجانب الشمالي البحري لحصن البحر القديم . المشيد في الأعوام ١٣٠٠ ـ ١٣١٠ . دفنت آثار البناء السابق في الأرض . إن النوافذ التي تواجه البحر (اليمين) سدت بسور واق شيد أثناء حكم البنادقة .

١٤٢ ـ منظر حصن بوابة البحر . وإلى اليسار الكاتدرائية اليونانية المسماة كاتدرائية القديس جورج ، والتي شيدت على الأغلب مع نهاية القرن الثالث عشر قبالة كاتدرائية القديس نيقولا اللاتينية مباشرة ، ولقد أصيبت بأضرار بالغة في العام ١٥٧١ مثلها مثل هذه الأخيرة . إلى يمين منتصف الصورة تبدو الواجهة الشرقية من كاتدرائية اللاتين . أما السور البحري في مقدمة الصورة فيعود تاريخه إلى فترة سيطرة البندقية ، وهو يمثل أحد الملامح التقليدية للأسلوب الإيطالي القديم في فن التحصين ، وبخاصة الواجهة ذات الجدار المائل المنتهية بنتوء مستدير على ارتفاع الشرفة المفرجة .

كولوسّي KOLOSSI (ص ١٢٣)

١٤٣ ـ منظر عام من جهة الجنوب الشرقي مع معمل تكرير السكر في مقدمة الصورة . وربما كان هذا الأخير أقدم عهداً من البرج المحصن ، وتبدو فيه آثار مميزة للترميات التركية التي نفذت في العام ١٥٩١ .

١٤٤ ـ موقد كبير مع تزيينات بسيطة من النحت النافر موجود في جناح سكن القائد فوق الطابق العلوي للبرج المحصن .

بوفّافنتو BUFFAVENTO (ص ١٢٤)

١٤٥ ـ المظهر الجنوبي للأطلال . إن المباني البسيطة المستطيلة الثلاثة المبنية من الإثلب (دبش الحجارة) التي تشكل القلعة العليا تصدعت إلى درجة كبيرة ، ولكن المباني الأكثر انخفاضاً وغير المتقنة مثلها من القلعة السفلية محفوظة بشكل أفضل ، ويمكن أن تشاهد بوضوح على جانب الجبل . ومن أبرزها السور الضخم المتبقي من حصن البوابة .

بودروم BODRUM (ص ١٢٥)

١٤٦ ـ القلعة والبلدة كما تبدو من الناحية الشمالية الشرقية ، التقطت الصورة من الطريق الحديث المؤدي إليها . تنتصب فوق نهد صخري صغير إلى يمين القلعة أطلال حصن حصار شيد في العهد التركي . شيد المكسر الطويل الذي يسد المرفأ الداخلي في الأزمنة الحديثة .

١٤٧ ـ بلاطة منحوتة في السور الخارجي الغربي إلى جوار بوابة القلعة الرئيسية . في الأعلى منه درع طائفة الأسبتارية ومقدمها جان باتيست أورسيني Jean-Baptiste Orsini (١٤٧٦ ـ ١٤٧٦) يحمله كل من العذراء والقديس بطرس ، وتحتها تاريخ السور (١٤٧٢) ودرع قائد القلعة ف . بوكسول .

١٤٨ ـ أقدم برج في القلعة الداخلية ، برج فرنسا ، شيد في الفترة ما بين العام ١٤١٥ والعام ١٤٢٠ ، ويحمل

درع كل من البابا وفرنسا ومقدم الطائفة ب . نايّاك Naillac (١٣٩٦ ـ ١٤٢١) والفارس المدرع كلاڤيلّي Dragonetto Clavelli يتفق البرج في أسلوبه مع برج نايّاك في رودس المعاصر له تقريباً . وإلى اليمين تبدو واجهة القلعة القديمة ، وفي خلفية الصورة وإلى اليسار برج إنكلترا .

١٤٩ ـ منظر عام من جهة الشرق يطل عبر المرفأ الكبير ، والذي لم يعد مستخدماً الآن . وكان هذا الجانب من القلعة المحمي حماية طبيعية بالسفوح شديدة الانحدار محروساً بسور مستقيم واحد فقط وجرت تقويته في بداية القرن السادس عشر . وثمة قشرة رقيقة من سور تتراوح سماكتها بين ستة أقدام وتسعة أقدام أضيفت فيما بعد ، تغلف البرج الزاوي الشرقي القديم كله تقريباً . من الممكن أن نميز بوضوح نقطة الاتصال بين الواجهة الشمالية ذات الحصون البارزة والحصن البارز المضلع المسمى حصن غاتينو Gatineau Bastion ولو عن طريق الفروق بين المواد المستخدمة في بنائها .

١٥٠ ـ برج إنكلترا من الناحية الشمالية الغربية . ويقع هذا البرج عند الزاوية الجنوبية للسور الخارجي ويعود تاريخه إلى النصف الأول من القرن الخامس عشر ، وهو مزين بزخارف غنية مع نصب تذكارية تقليدية وشعارات النبالة . وربما كان يستخدم كقاعة اجتماعات .

١٥١ ـ منظر السور الداخلي ملتقط من البوابة الرئيسية ، وتبدو فيه الواجهة الجنوبية البحرية . وكانت الواجهة الجنوبية ، التي شيدت في الفترة بين العامين ١٤٦١ ـ ١٤٧٥ وعدلت لتسمح بتركيب مدافع في بداية القرن السادس عشر ، قد أصيبت بأضرار بالغة بالقصف المدفعي في العام ١٩١٥ ، ودمر مربض المدفعية السفلي كلية . ويبدو برج إنكلترة في خلفية الصورة .

١٥٢ ـ منظر القلعة من خلال المرفأ الداخلي الصغير ، الذي أجريت عليه تحسينات كثيرة في الأزمنة المتأخرة وما يزال مستخدماً حتى اليوم . إن هذا المظهر هو السائد في الواجهة الشمالية القوية وحصون المدفعية الثلاثة الضخمة عندها ، والتي تبدو تحتها مرابض مدفعية المرفأ المنخفضة والمعصم الأمامي الغربي قزمة ضئيلة . أما البرجان اللذان يشغلان أعلى نقطة في شبه الجزيرة فهما برجا فرنسا وإيطاليا .

١٥٣ ـ بلاطة ذات نحت نافر تصور القديس جورج ، وكانت مركبة في الأصل على برج إيطاليا ولكنها ثبتت فيما بعد في الفناء الأمامي . ويشاهد تحت القديس شعار الطائفة وشعار المقدم جان دو لاستيك Jean de Lastic (١٤٣٧ ـ ١٤٥٤) والقائد أنجيلو موسيتولا Angelo Muscettola (١٤٣٦ ـ ١٤٣٧) الذي شيد برج إيطالية .

رودس RHODES (ص ١٢٧)

١٥٤ ـ منظر البلدة وقصر مقدم الطائفة ، التقط من برج التحصينات الخارجية الصغيرة المعروف باسم حصن القديس نيقولا . وفي خلفية الصورة يبدو المرفأ الخارجي الصغير (ماندراكي Mandraki) . رمم قصر مقدم الطائفة بالكامل بعد أن احتل الإيطاليون الجزيرة في العام ١٩١٢ . وكان البناء قد أصيب بأضرار شديدة نتيجة القصف في العام ١٥٢٢ ، والزلازل في العام ١٨٥١ و ١٨٦٠ ، ونتيجة انفجار عرضي في العام ١٨٥٦ ، بحيث

لم يبق قائماً سوى أجزاء من الطابق الأرضي وأقسام منعزلة من جدار الطابق الأول . وباستثناء الأساسات التي ظل معظمها موجوداً فإن القسم الأعظم من القصر الموجود حالياً حديث البناء .

١٥٥ ـ منظر الساحة المربعة المقابلة للمأوى (المستشفى) الكبير لفرسان القديس يوحنا ويبدو فيه المقر (المستشفى) ذاته (إلى اليسار) ونزل دوڤيرن Auberge d'Auvergne (في خلفية الصورة مع مدخل مقنطر وكنيسة القديسة ماري دوشاتو .

شرع ببناء المستشفى في العام ١٤٤٠ وكان قد وضع حجر الأساس له المقدم آ . فلوڤيانو (١٤٢١ ـ ١٤٣٧) في العام ١٤٣٧ وذلك طبقاً للنقش الموجود حالياً على البناء ذاته . اكتمل البناء في حوالي العام ١٤٩٠ بعد أن توقف العمل فترة بسبب الحصار التركي . ويدل النقش الموجود على نزل دوڤيرن على أنه شيد في العام ١٥٠٧ ويحمل اسم المقدم غاي دو بلانشفور Gay de Blanchefort . أما كنيسة القديسة ماري دوشاتو والتي عرفت في زمن الاحتلال التركي باسم كانتوري چامي فربما حولت عن كنيسة بيزنطية قديمة في القرن الخامس عشر .

١٥٦ ـ إطلالة نحو الشرق على طول الشارع الرئيسي للرباط (كاستروم) . وعند منتصف الطريق المنحدر تقريباً وإلى اليسار يوجد نزل فرنسا Auberge de France ، الذي شرع في بنائه في العام ١٤٩٢ ، واكتمل على الأرجح في العام ١٥٠٣ على يد مقدم الطائفة إيميري دامبواز Emery d'Amboise . رمم البناء على نطاق واسع في العام ١٩١٣ . وفي نهاية الشارع يمكن أن نشاهد الواجهة الجانبية للمأوى (المستشفى) .

١٥٧ ـ بوابة دخول صغيرة في غربي المدينة . وقد جرت العادة في جميع المدن الفرنجية في الأراضي المقدسة باستثناء عكا على أن تكون التحصينات الأصلية للحي السكني أو البرغس Burgus أضعف بكثير من تلك الموجودة في رباط الجند . واعتباراً من منتصف القرن الخامس عشر فما بعد جرت تقوية الدفاعات الخارجية ولم تنفذ أية أعمال أخرى في التحصينات الداخلية في الرباط .

١٥٨ ـ جبهة التحصينات الخارجية للقديس نيقولا . شيد البرج المستدير في الداخل على يد المقدم ب . ر . زاكوستا Zacosta (١٤٦١ ـ ١٤٦٧) . ويعود تاريخ المنصة الخارجية وجدارها المنحدر إلى العام ١٤٦٤ ، ولكن السور الخارجي أضيف فيما بعد على الأرجح من قبل المقدم بيير دوبوسّون بعد حصار العام ١٤٨٠ ، وبعد الزلزال العظيم عام ١٤٨١ . وكانت هذه التحصينات الخارجية هدف الهجوم خلال حصار العام ١٤٨٠ ، رغم أن الأتراك فشلوا في احتلالها .

١٥٩ ـ البوابة التي شيدها مقدم الأسبتارية إيميري دامبواز مع قصر المقدم في خلفية الصورة . شرع في تشييد هذه البوابة التي يحرسها برجان دائريان والمصمة بطريقة خداعية في العام ١٥١٢ من جملة أعمال تقوية الجناح الغربي . وتشير لوحات تحمل شعارات إلى أن الأسوار المتبقية من التحصينات الخارجية قد شيدت في الأعوام ١٥١٤ ـ ١٥٢٢ .

١٦٠ ـ سيد ستراسبورغ (١٢٩٠) لويس التاسع ملك فرنسا (القديس لويس) ١٢١٥ ـ ١٢٧٠ مع زوجته مارغريت دو بروڤنس (توفيت عام ١٢٩٥) .

إن هذه القطعة المنحوتة من خشب السنديان هي صورة أصيلة للقديس لويس بلحيته التي أطلقها عند بداية حملته الصليبية في العام ١٢٤٨ . وهو يحمل على صدره صليب الصليبيين مزركشاً بزخارف زهرية ، ويحمل على كف يده اليمنى المعقوف نموذجاً للقبر المقدس في القدس . وثمة مشكاة خلف رأسه من أجل ذخائره .

أما الملكة التي تتأبط ذراع الملك فتحمل زهرة من زنبق الماء في يدها (رمز البيت المالك الفرنسي) . ورأسها المنفذ عن الأصل الحي فريد في نحته . والابتسامة التي تزين وجه المرأة ترمز إلى كمال الأنوثة .

وهب جان دو جوانفيل ، مؤلف تاريخ القديس لويس والذي كان قد ساهم في الحملة الصليبية في الأعوام ١٢٤٨ ـ ١٢٥٤ مع الملك والملكة ، وهب هذه المجموعة إلى كنيسة سانت لورنس في قصر جوانفيل لتكون قطعة من المذبح في ذكرى الحملة الصليبية . مجموعة خاصة موجودة في برلين .

مراجع عامة

نظراً لوجود المراجع الشاملة ولائحة المصادر في جميع الأعمال الرئيسية التي تتناول الموضوع ، فقد تمت الإشارة هنا إلى أكثر الكتب المكملة . ولقد حذفت هنا المقالات المنشورة في المجلات ، فيما عدا بعض الاستثناءات ، ولم يعد ثمة داع لسرد المصادر المتوفرة . ويمكن الرجوع إلى كتاب هانز ابرهارد ماير Hans Eberhard Mayers مراجع الحروب الصليبية ، هانوفر ١٩٦٠ Bibliographie zur Geschichte der Kreuzzüge من أجل الاطلاع على مرجع شامل بذاته .

المراجع :

أليشان ، ل . تاريخ أرمن قليقية ، البندقية ١٨٩٩ . (باللغة الإيطالية) .

آندروس ، ك . قلاع مورة ، برينستون ١٩٥٣ . (باللغة الإنكليزية) .

فان برشيم ، م . وفاتيو ، رحلة في سورية (مذكرات معهد الآثار الشرقية الفرنسي في القاهرة ، المجلدات ٣٧ ـ ٣٨) ، القاهرة ١٩١٣ ـ ١٩١٥ (أشير إليها هنا باسم بيرشيم ـ فاتيو ـ الرحلة) (باللغة الفرنسية) .

بريهير ، ل . العالم البيزنطي : (١) حياة بيزنطة وموتها ، باريز ١٩٤٧ ، (٢) مؤسسات الإمبراطورية البيزنطية ، ١٩٤٨ . (باللغة الفرنسية) .

بروكلمان ، ك . تاريخ الشعوب الإسلامية ، الطبعة الثانية برلين ١٩٤٣ (باللغة الألمانية) .

بيرن ، ي ، هـ . الملاحة الجنوية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، كامبردج ١٩٣٠ (رسالة لأكاديمية أمريكا في العصور الوسطى ١) (باللغة الإنكليزية) .

كلود كاهن ، سورية الشمالية في عصر الحروب الصليبية وإمارة أنطاكية الفرنجية (المعهد الفرنسي . دمشق ، مكتبة الشرق ١) باريز ١٩٤٠ . (باللغة الفرنسية) .

Cl. Cahen. La Syrie du nord à l'époque des croisades et la principauté franque...

شالاندون ، ف . آل كومنين ، باريز ١٩١٢ ـ مجلدان (باللغة الفرنسية) .

كوندر ، سي . آ . وكيتشنر ، هـ . هـ . دراسة عامة عن فلسطين الغربية ، مذكرات عن طبوغرافيتها وجبالها ومياهها وآثارها : I الجليل ، لندن ١٨٨١ ، II السامرية ، لندن ١٨٨٢ (هنا أشير إليه باسم كوندور ـ كيتشنر ، لمحة عامة) .

كريسويل ، ك . آ . سي . العمارة الإسلامية القديمة ، الأمويون ، العباسيون الأول والطولونيون ، ٢ مجلد ، أوكسفورد ، ١٩٣٢ ـ ١٩٤٠ . (بالإنكليزية) .

كريسويل ـ العمارة الإسلامية في مصر ، ٢ مجلد ، أوكسفورد ١٩٥٢ ـ ١٩٥٩ (بالإنكليزية) .

ديشامب ، ب . قصور الصليبيين في الأرض المقدسة ، مجلد I : حصن الأكراد ، باريز ١٩٣٤ ، المجلد ٢ : الدفاع عن مملكة القدس ، باريز ١٩٣٩ (أشير إليه هنا باسم ديشامب ، القصور ، ١ ، ٢) (بالفرنسية) .

دوسود ، ر . التاريخ الطبوغرافي للآثار السورية في القرون الوسطى ، باريز ١٩٢٧ (مكتبة الآثار والتاريخ ٤) بالفرنسية .

إيهارت ، ب . القوات المسلحة الأوربية في العصور الوسطى ، محاولة لدراسة شاملة عن الحصون الأوربية . المجلد I ، برلين ١٩٣٩ ، المجلد II ، ١ و ٢ شتوتهالم ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ . بالألمانية

إيبرسولت ، ج . الشرق وحوادثه . بحث في التأثيرات البيزنطية والشرقية على فرنسة خلال الحروب الصليبية ، باريز ـ بروكسل ، ١٩٢٩ .

موسوعة الإسلام (الموسوعة الإسلامية) . معجم جغرافي وعرقي وتراجم الشعوب المحمدية ، الطبعة الأولى ، لايدن ـ لايبزيغ ١٩١٣ ـ ١٩٣٤ (أشير إليها هنا بالموسوعة الإسلامية) .

موسوعة الإسلام ، الطبعة الجديدة ، مجلد ١ ، باريز ـ لايدن ، ١٩٦٠ (أشير إليها هنا باسم الموسوعة الإسلامية [٢]) .

إنلارت ، سي . الفن القوطي في عصر النهضة في قبرص ، ٢ مجلد ، باريز ١٨٩٩ (أشير إليه هنا باسم إنلارت ـ الفن القوطي) .

ـ الصروح التذكارية للصليبيين في مملكة القدس ، العمارة الدينية والمدنية (٢ مجلد يضم كل منها نصاً ولوحات) ، باريز ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ (ب . آ . هـ . ٧ ـ ٨) اختصر هنا على الشكل التالي : إنلارت ـ الصروح التذكارية .

فيدن ، ر . قلاع الصليبيين . دراسة مختصرة عن العمارة العسكرية للصليبيين لندن ١٩٥٠ .

فيدن ، ر . وتومسون ، ج . قلاع الصليبيين ، لندن ١٩٥٧ (أشير إليه هنا على النحو التالي : فيدن ـ تومسون) .

جيرلاند ، ي . تاريخ الفرنجة في الأرض المقدسة ، مجلد ١ : تاريخ الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، مجلد ٢ : تاريخ القيصر بلدوين الأول وهنريخ باد ـ هامبورغ ١٩٠٥ .

جيرولا ، ج . الصروح التذكارية في العصور الوسطى لثلاث عشرة دولة في دورية المدرسة الأثينية ٢ ، ١٩١٥ ، ١ وما تلاها .

غروسيت ، ر . تاريخ الحملات الصليبية ومملكة القدس ، ٣ مجلدات ، باريز ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦ (أشير إليه هنا : غروسيت) .

ـ إمبراطورية المشرق ، تاريخ المسألة الشرقية ، باريز ١٩٤٩ .

هامر ـ بورغشتال ، ج . فون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ١٠ مجلدات ، بيست ١٨٢٧ ـ ١٨٣٥ .

ـ تاريخ طائفة الحشاشية ، باريز ١٨٣٣ .

هايد ، ف ، تاريخ التجارة في المشرق (الطبعة الثانية) ، مجلدان ، لايبزيغ ١٩٣٦ .

هوبف ، ك . التاريخ الزمني للعلاقات الإغريقية الرومانية المستجدة والمعروفة قليلاً . برلين ١٨٧٣ .

ـ تاريخ الأراضي المقدسة في بداية القرون الوسطى من وجهة نظرنا تأليف إيرش ـ غروبر ، الموسوعة الألمانية مجلد ٨٥ ـ ٨٦ ، لايبزيغ ١٨٦٧ ـ ٦٨ .

جفري . وصف للصروح التذكارية في قبرص نيقوسيا ١٩١٨ .

جونز ، سي ، ن . فلسطين في عهد الصليبيين (الطبعة الثالثة) القدس ١٩٤٦ .

جورغا ، ن . التاريخ المختصر لمملكة أرمينية الصغرى ، باريز ١٩٣٠ .

لامونت ، ج . ل . الممالك الإقطاعية في مملكة القدس اللاتينية (١١٠٠ ـ ١٢٩١) ، ١٩٣٢ (رسالة لأكاديمية أمريكا في القرون الوسطى ٤) .

لاورنت ، ج . سي . م . الحجاج في القرون الوسطى لايبزيغ ١٨٦٤ .

لورنس ، ت . ي . قلاع الصليبيين ، مجلدان ، لندن ١٩٣٦ .

لونيون ، ج . الفرنسيون في ماوراء البحار في القرون الوسطى ، باريز ١٩٢٩ .

ميلر . و . اللاتين في المشرق ـ تاريخ اليونان الفرنجي ١٢٠٤ ـ ١٥٦٦ ، لندن ١٩٠٨ .

أومان ، سي ، و . سي . تاريخ فن الحرب في العصور الوسطى (الطبعة الثانية) مجلدان ، لندن ١٩٢٤ .

أوستروغورسكي . ج . تاريخ الدولة البيزنطية ، أوكسفورد ١٩٥٦ .

بروتز ، هـ . التاريخ الثقافي للحروب الصليبية برلين ، ١٨٨٣ .

رامسي ، و . م . الجغرافية التاريخية لآسية الصغرى لندن ١٨٩٠ .

راي ، ي . ج . دراسة حول الممتلكات الفرنسية في سورية خلال العصور الوسطى باريز ١٨٦٦ .

ـ دراسة حول آثار العمارة العسكرية الصليبية في سورية وفي جزيرة قبرص ، باريز ١٨٧١ (أشير إليه هنا باسم راي ـ العمارة العسكرية) .

ـ المستعمرات الفرنجية في سورية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، باريز ١٨٨٣ .

ريتشارد . ج . كونتية طرابلس في عهد السلالة الطولوزية (١١٠٢ ـ ١١٨٧) ، باريز ١٩٤٥ .

ـ قبرص في عهد أسرة لوزينيان ، وثائق قبرصية في أرشيف الفاتيكان (القرنان الرابع والخامس عشر) باريز ١٩٦٢ .

روهريخت . ر . تاريخ مملكة القدس (١١٠٠ ـ ١٢٩١) انسبروك ١٨٩٨ .

ـ تاريخ القدس ، انسبروك ١٨٩٨ وملحقها انسبروك ١٩٠٤ .

ـ دراسة حول جغرافية وطبوغرافية سورية في العصور الوسطى في مجلة فلسطين الألمانية ١٠ / ١٨٨٧ ، ١٩٥ ومايليها ، ١١ / ١٨٨٨ ، ١٣٩ ومايليها .

ـ خريطة ومخطط فلسطين .

رانسيمان ، سيرستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٣ مجلدات ، لندن ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ .

شلومبرجر ، ج . النقد في الشرق اللاتيني ، دراسات حول الإمارات المسيحية في سورية واليونان ، مجلدان ، باريز ١٨٧٨ ـ ١٨٨٢ .

ـ أوربة البيزنطية ، ٣ مجلدات ، باريز ١٨٩٦ ـ ١٩٠٣ .

ـ بيزنطة والحروب الصليبية . صفحات من القرون الوسطى ، باريز ١٩٢٧ .

سيتون ، ك . م . تاريخ الحروب الصليبية ، فيلادلفيا I ١٩٥٥ ، II . ١٩٦٢ .

سيفجن ، ن . تاريخ الأناضول ، مجلد واحد ، أنقرة ١٩٥٩ (باللغة التركية) .

سميل ، ر . سي . الحروب الصليبية ، لندن ١٩٥٦ .

سبولر ، ب . تاريخ الأقطار الإسلامية ، الخلافة ، نشوء الدولة الإسلامية وسقوطها ، لايدن ١٩٥٢ (مخطوطات المستشرقين مجلد ٦) .

توبلر ، ت . جولة في القدس ووصف الأراضي المقدسة ٢ مجلد ١٨٧٩ ـ ١٨٨٥ .

توي ، س . آ . تاريخ فن التحصين لندن ١٩٥٥ .

فيوليت ـ لو ـ دوك . معجم مصور للعمارة الفرنسية في القرون ١١ ـ ١٦ ، باريز ١٨٦٧ ـ ١٨٧٠ .

واس ، آ . تاريخ الحروب الصليبية ، مجلدان ، فريدبورغ ١٩٥٦ .

ويت . ج . مصر المسلمة في الفتح العربي والفتح العثماني ، في مجلة تاريخ مصر II القاهرة ١٩٣٢ ، ١٠٩ ـ ٣٣١ .

يونغ ج . ر . ثلاث قلاع صقلية ، في دراسات أناضولية ١٥ / ١٩٦٥ .

GENERAL BIBLIOGRAPHY

In view of the comprehensive bibliographies and lists of sources given in almost all major works on this subject, reference is made only to the most important supplementary books. With a few notable exceptions, magazine articles have been omitted and no further enumeration of available sources has been made. For a single comprehensive bibliography, see Hans Eberhard Mayer's *Bibliographie zur Geschichte der Kreuzzüge*, Hanover 1960.

Alishan, L. *Sissouan ou l'Armeno-Cilicie,* Venice 1899.

Andrews, K. *Castles of the Morea,* Princeton 1953.

van Berchem, M. and Fatio, E. *Voyage en Syrie* (Mém. Inst. Franç. Archéol. Orient. du Caire, Vols 37–38), Cairo 1913–15 (here referred to as: v. Berchem – Fatio, *Voyage).*

Bréhier, L. *Le monde Byzantin:* (1) *Vie et mort de Byzance,* Paris 1947; (2) *Les institutions de l'empire byzantin,* 1948.

Brockelmann, K. *Geschichte der islamischen Völker und Staaten,* 2nd Ed., Berlin 1943.

Byrne, E. H. *Genoese shipping in the 12th and 13th centuries,* Cambridge (Mass.) 1930 (Monogr. Mediev. Acad. of America, 1).

Cahen, Cl. *La Syrie du nord à l'Epoque des Croisades et la Principauté Franque d'Antioche* (Inst. Franç. Damas, Bibl. Orient, I), Paris 1940.

Chalandon, F. *Les Comnènes,* Paris 1912, 2 vols.

Conder, C. R. and Kitchener, H. H. *The Survey of Western Palestine, Memoirs of the topography, orography, hydrography and archaeology: I Galilee,* London 1881, *II Samaria,* London 1882 (here referred to as: Conder – Kitchener, Survey).

Creswell, K. A. C. *Early Muslim Architecture, Umayyads, Early Abbasids and Tûlûnids,* 2 vols, Oxford 1932–40.

– *The Muslim Architecture of Egypt,* 2 vols, Oxford 1952–9.

Deschamps, P. *Les Châteaux des Croisés en Terre Sainte,* Vol. I: *Le Crac des Chevaliers,* Paris 1934; Vol. II: *La défense du Royaume de Jérusalem,* Paris 1939 (here referred to as: Deschamps, *Châteaux I* and *II).*

Dussaud, R. *Topographie historique de la Syrie antique et medièvale,* Paris 1927 (Bibl. Arch. et Hist. 4).

Ebhardt, B. *Der Wehrbau Europas im Mittelalter. Versuch einer Gesamtdarstellung der europäischen Burgen,* Vol. I, Berlin 1939; Vol. II, 1 and 2, Stollhamm 1958–9.

Ebersolt, J. *Orient et Occident. Recherches sur les influences byzantines et orientales en France pendant les Croisades,* Paris – Brussels 1929.

Enzyklopädie des Islam. *Geographisches, Ethnographisches und Biographisches Wörterbuch der muhammedanischen Völker,* 1st Ed., Leyden – Leipzig 1913–34 (here referred to as: *Enc. Isl.).*

Enzyklopädie des Islam. New Edition, Vol. I, Paris–Leyden 1960 (here referred to as: *Enc. Isl. [2]).*

Enlart, C. *L'Art Gothique et la Renaissance en Chypre,* 2 vols, Paris 1899 (here referred to as: Enlart, *Art Gothique).*

– *Les Monuments des Croisés dans le Royaume de Jérusalem. Architecture réligieuse et civile* (2 vols each of text and plates), Paris 1926–7 (B. A. H. 7–8), here abbreviated to: Enlart, *Monuments.*

Fedden, R. *Crusader Castles. A brief study in the military architecture of the Crusades,* London 1950.

Fedden, R. and Thomson, J. *Crusader Castles,* London 1957 (here referred to as: Fedden – Thomson).

Gerland, E. *Geschichte der Frankenherrschaft in Griechenland,* Vol. I: *Geschichte des Lateinischen Kaiserreichs von Konstantinopel;* Vol. II: *Geschichte der Kaiser Balduin I und Heinrich,* Bad Homburg 1905.

Gerola, G. 'I monumenti medioevali delle 13 Sporadi' in: *Annuario Scuola Atene 2,* 1915, 1 et seq.

Grousset, R. *Historie des Croisades et du Royaume de Jérusalem,* 3 vols, Paris 1934–6 (here referred to as: Grousset).

– *L'Empire du Levant. Histoire de la question d'Orient,* Paris 1949.

Hammer – Purgstall, J. von *Geschichte des Osmanischen Reiches,* 10 vols, Pest 1827–35.

– *Histoire de l'Ordre des Assassins,* Paris 1833.

Heyd, W. *Histoire du commerce du Levant* (2nd Ed.), 2 vols, Leipzig 1936.

Hopf, K. *Chroniques gréco-romanes inédites ou peu connues,* Berlin 1873.

– 'Geschichte Griechenlands vom Beginn des Mittelalters bis auf unsere Zeit', in Ersch-Gruber, *Allg. Enzyklopaedie,* Vols 85–6, Leipzig 1867–8.

Jeffery, G. *Description of the historic Monuments of Cyprus,* Nicosia 1918.

Johns, C. N. *Palestine of the Crusades* (3rd Ed.), Jerusalem 1946.

Jorga, N. *Brève histoire de la Petite Arménie,* Paris 1930.

La Monte, J. L. *Feudal monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem (1100-1291),* 1932 (Monogr. Medieval Acad. of America, 4).

Laurent, J. C. M. *Peregrinatores medii aevi quattuor,* Leipzig 1864.

Lawrence, T. E. *Crusader Castles,* 2 vols, London 1936.

Longnon, J. *Les Français d'Outre-Mer au Moyen-Age,* Paris 1929.

Miller, W. *The Latins in the Levant. A History of Frankish Greece 1204–1566*, London 1908.

Oman, C. W. C. *A History of the Art of War in the Middle Ages* (2nd Ed.), 2 vols, London 1924.

Ostrogorsky, G. *History of the Byzantine State*, Oxford 1956.

Prutz, H. *Kulturgeschichte der Kreuzzüge*, Berlin 1883.

Ramsay, W. M. *Historical Geography of Asia Minor* (R. Geograph. Soc., Suppl. Papers No. 4), London 1890.

Rey, E. G. *Essai sur la domination française en Syrie durant le moyen-âge*, Paris 1866.

– *Etude sur les monuments de l'architecture militaire des Croisés en Syrie et dans l'Ile de Chypre*, Paris 1871 (here referred to as Rey, *Arch. Militaire).*

– *Les colonies franques de Syrie au 12e et 13e siècles*, Paris 1883.

Richard, J. *Le Comté de Tripoli sous la dynastie Toulousaine (1102–1187)*, Paris 1945 (B. A. H. 39).

– *Chypre sous les Lusignan. Documents chypriotes des archives du Vatican (XIVe et XVe siècles)*, Paris 1962 (B. A. H. 73).

Röhricht, R. *Geschichte des Königreichs Jerusalem (1100–1291)*, Innsbruck 1898.

– *Regesta Regni Hierosolymitani*, Innsbruck 1898. *Additamentum*, Innsbruck 1904.

– 'Studien zur mittelalterlichen Geographie und Topographie Syriens', in: *Ztschr. Dtsch. Palästina-Verein 10/1887*, 195 et seq.; *11/1888*, 139 et seq.

– 'Karten und Pläne zur Palästinakunde vom 7. bis 16. Jahrh.', in: *ZDPV 14/1891, 8–11, 87–92, 137–141*; *15/1892*, 34 et seq.; *18/1895*, 173 et seq.

Runciman, Sir Steven, *A history of the Crusades*, 3 vols, London 1951–4.

Schlumberger, G. *Numismatique de l'Orient Latin. Monographies sur les princes chrétiens de Syrie et de Grèce*, 2 vols, Paris 1878–82.

– *L'Epopée Byzantine*, 3 vols, Paris 1896–1903.

– *Byzance et les Croisades. Pages medievales*, Paris 1927.

Setton, K. M. (ed.) *History of the Crusades*, Philadelphia, I 1955, II 1962 (in progress).

Sevgen, N. *Anadolu kaleleri, I cilt.*, Ankara 1959.

Smail, R. C. *Crusading warfare*, London 1956.

Spuler, B. *Geschichte der islamischen Länder. I: Die Chalifenzeit. Entstehung und Zerfall des islamischen Weltreichs*, Leyden 1952 (Handb. d. Orientalistik, Vol. 6).

Tobler, T. *Itinera Hierosolymitana et descriptiones Terrae Sanctae bellis sacris anteriora*, 2 vols, 1879–85.

Toy, S. *A history of fortification*, London 1955.

Tuulse, A. *Burgen des Abendlandes*, Vienna – Munich 1958.

Viollet-Le-Duc, E. *Dictionnaire raisonné de l'architecture française du 11e au 16e siècle*, Paris 1867–70.

Waas, A. *Geschichte der Kreuzzüge*, 2 vols, Freiburg 1956.

Wiet, G. 'L'Egypte musulmane de la conquête arabe à la conquête ottomane', in: *Précis de l'histoire d'Egypte II*, Cairo 1932, 109–331.

Youngs G. R. 'Three Cicilian Castles', in *Anatolische Studien* 15, 1965.

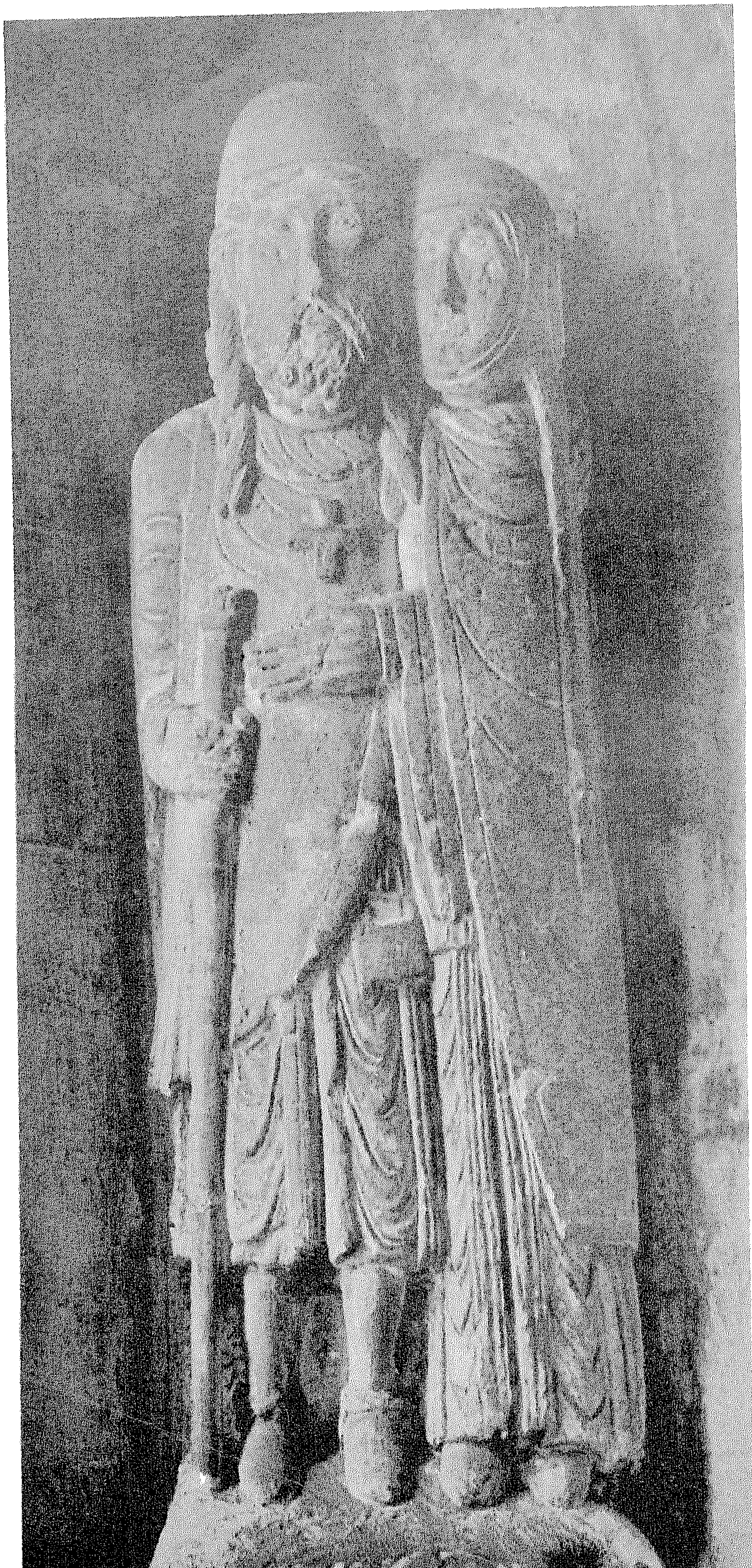
القلاع الرئيسيّة الموصوفة

الأماكن الجغرافية

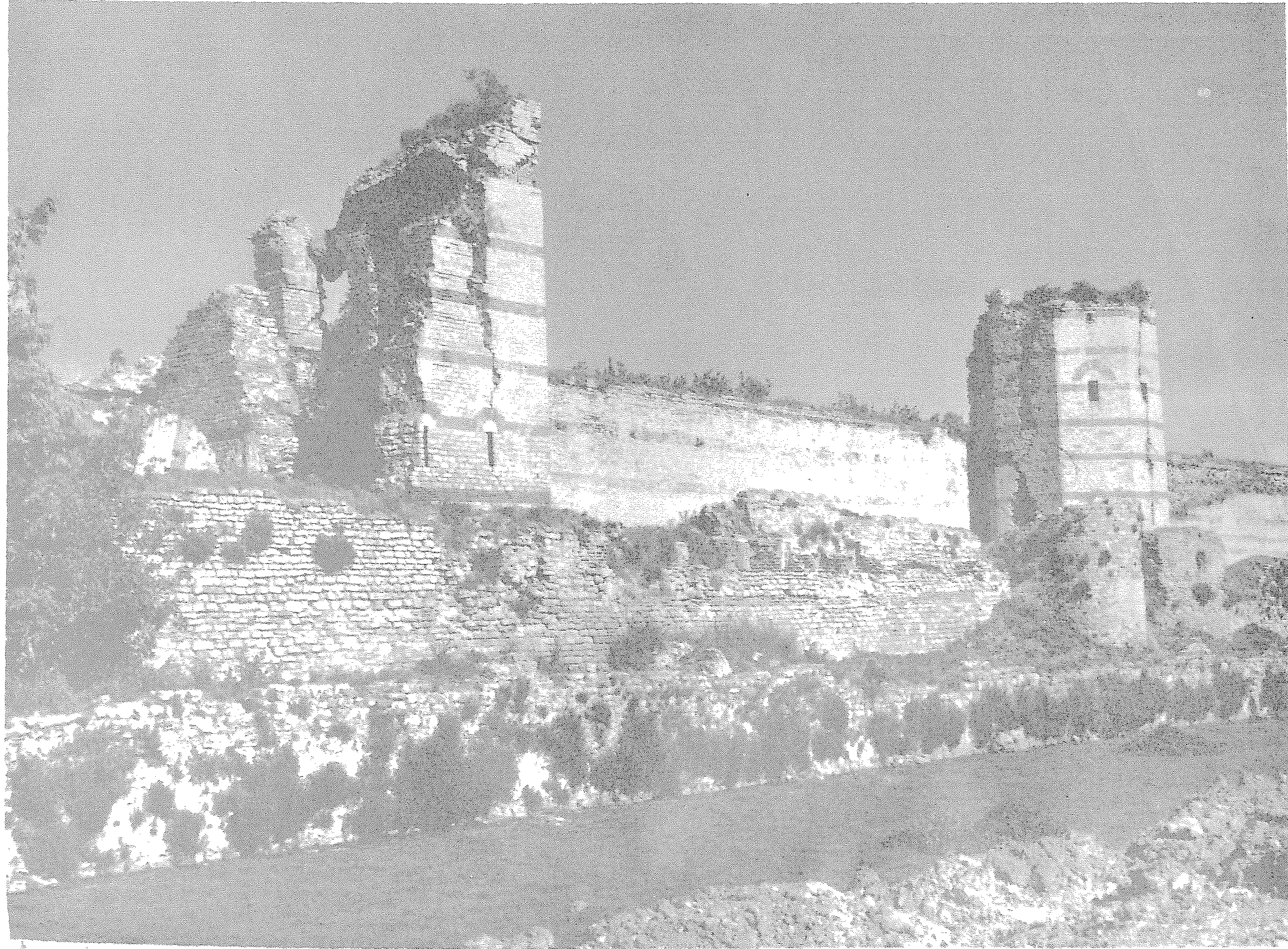
الأعلام

اللّوحات

اللوحات



١ ـ بلفال



٢ ـ أسطنبول



٣ ـ ازنيك





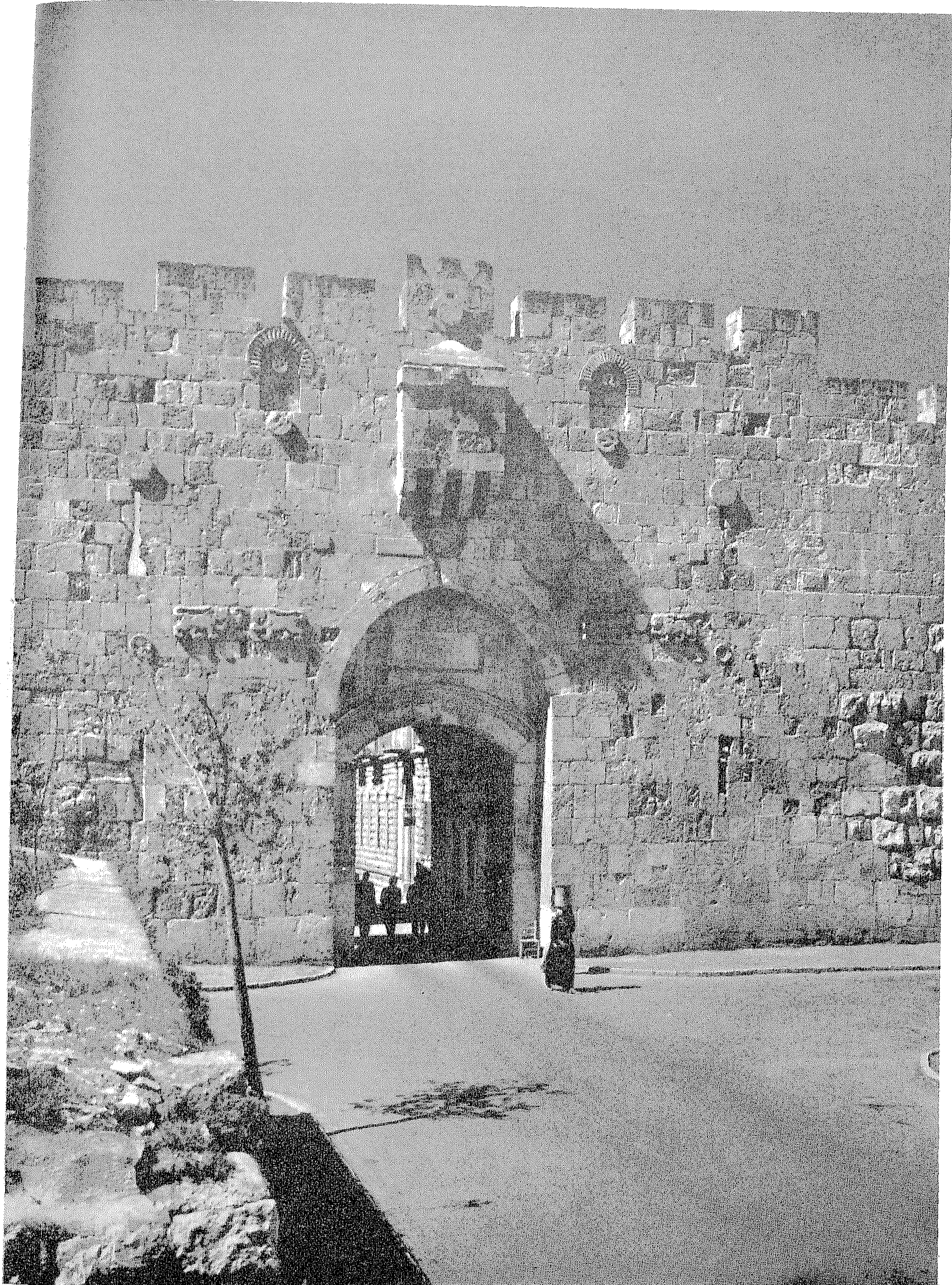
٥ ـ القدس

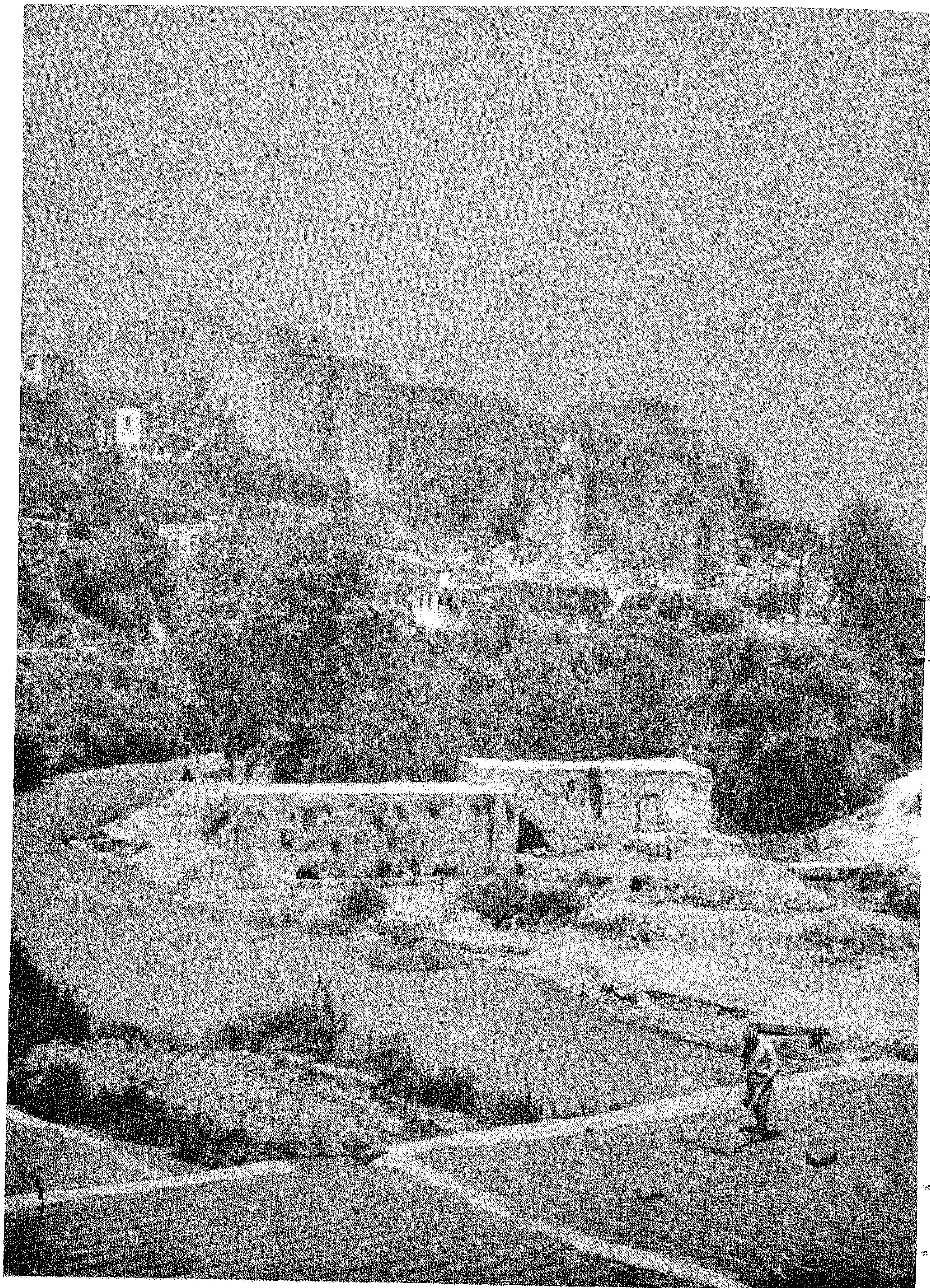


٦ ـ القدس

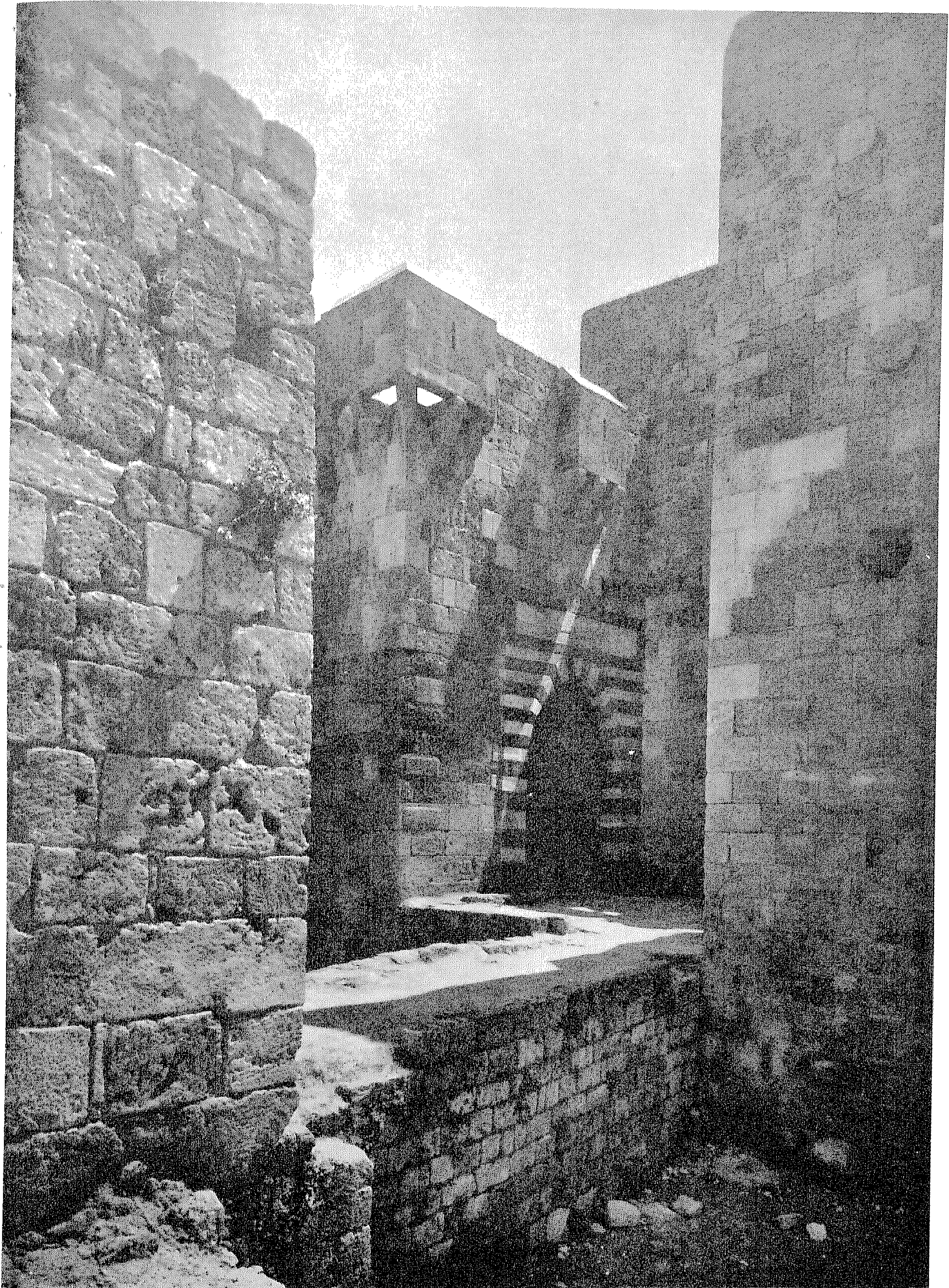


٧ ـ القدس





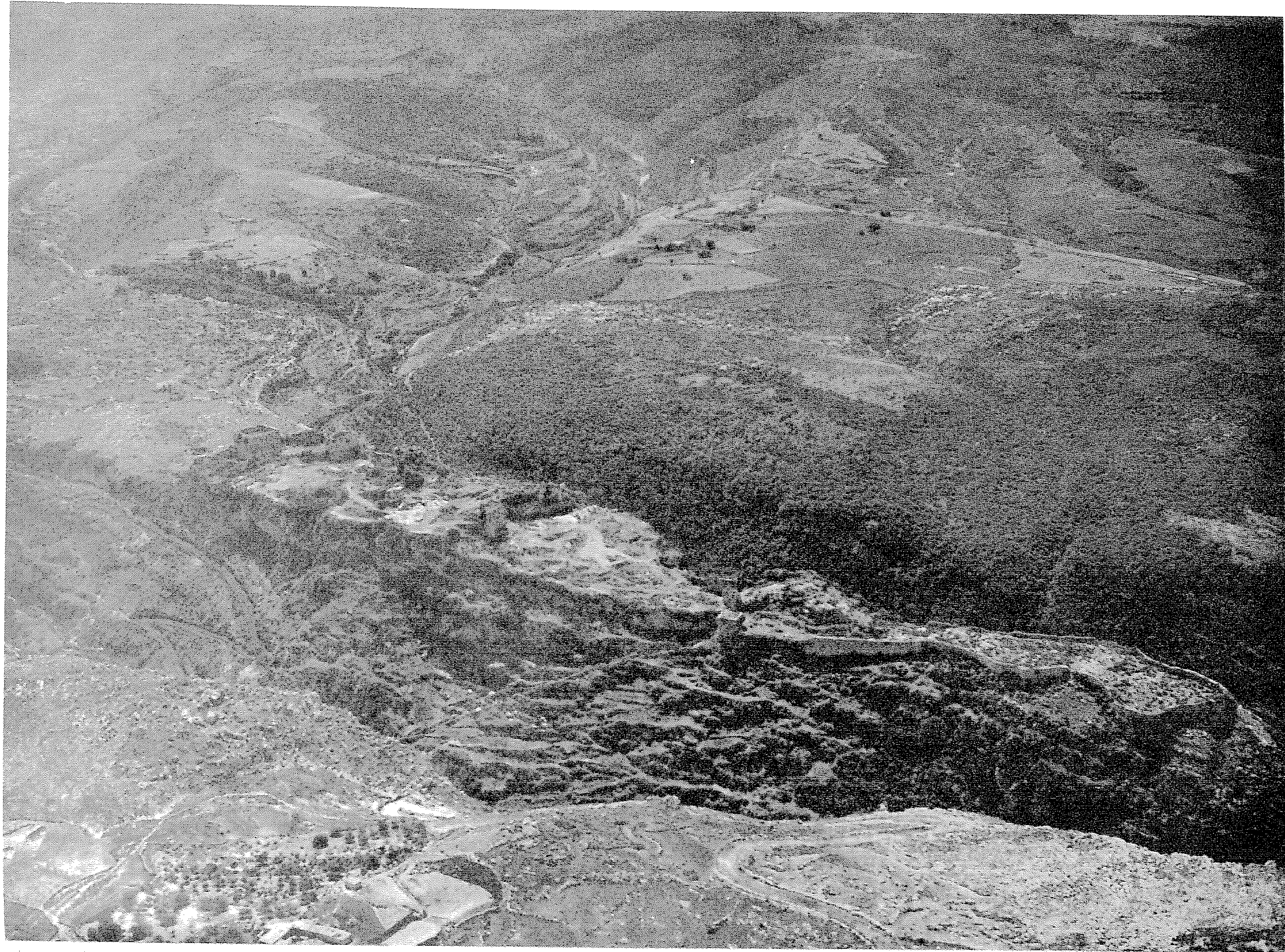
٩ ـ طرابلس



١٠ ـ طرابلس



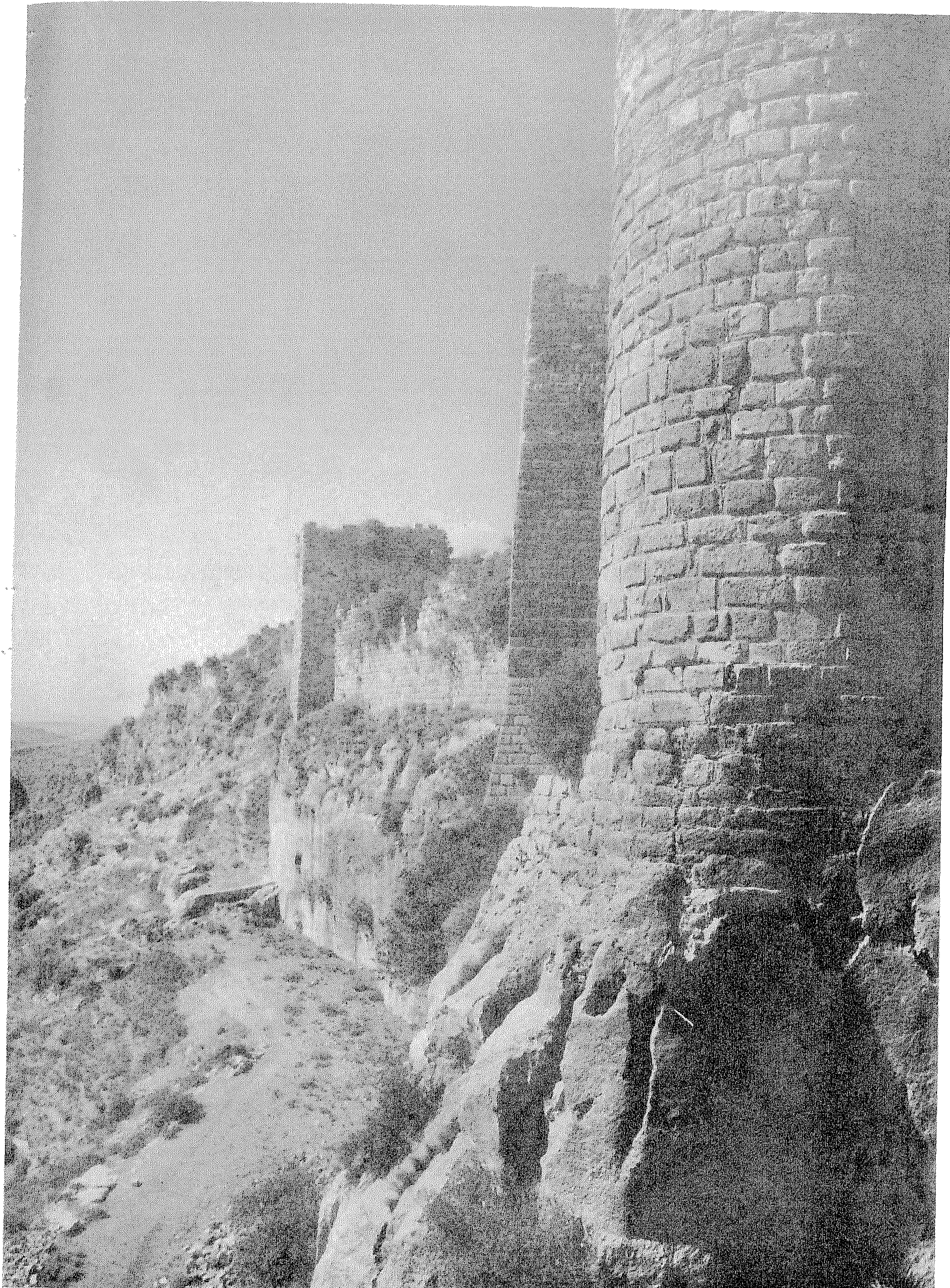
١١ ـ طرابلس



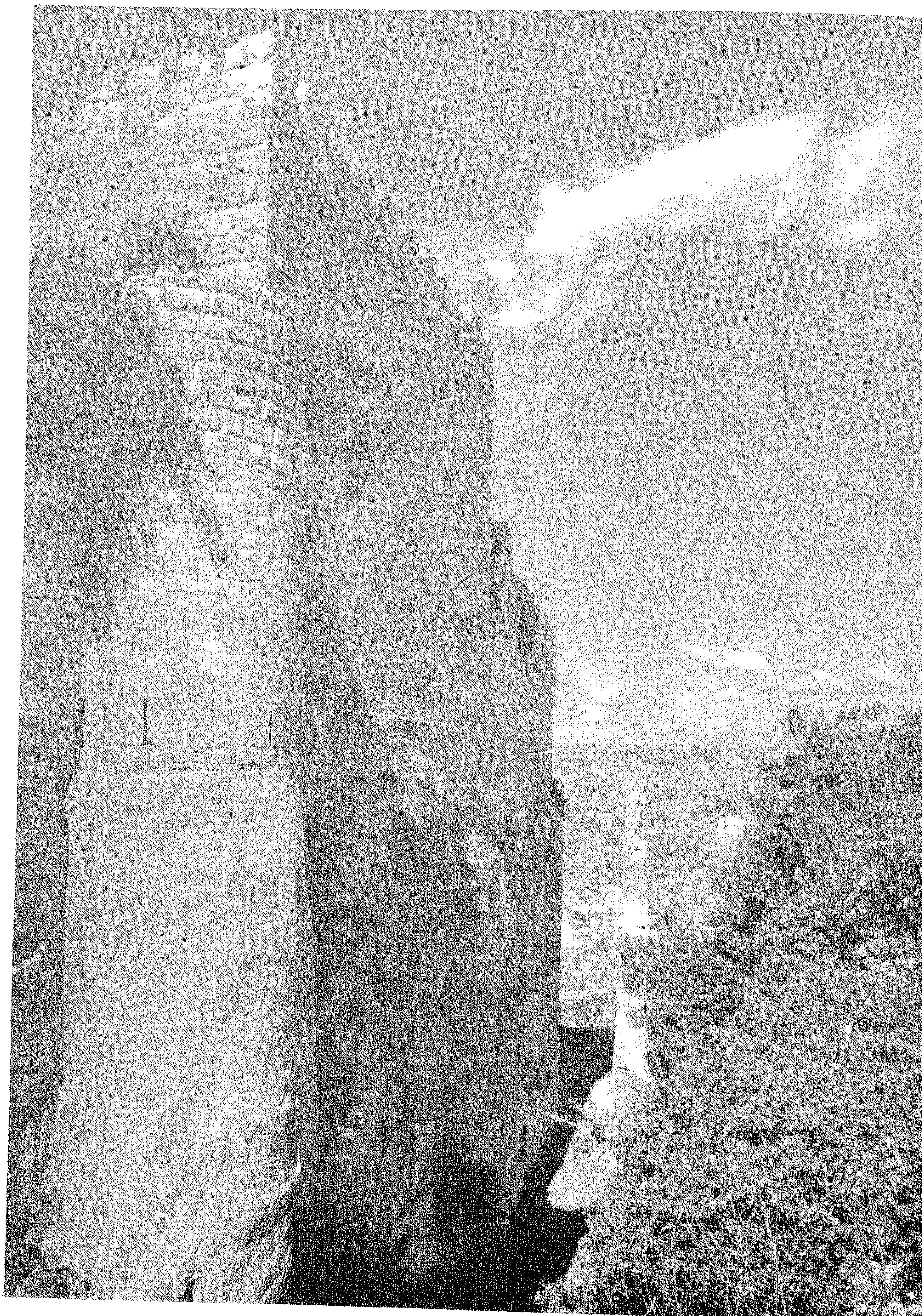
١٢ . صلاح الدين (صهيون)



١٣ ـ صلاح الدين (صهيون)



١٤ ـ صلاح الدين (صهيون)



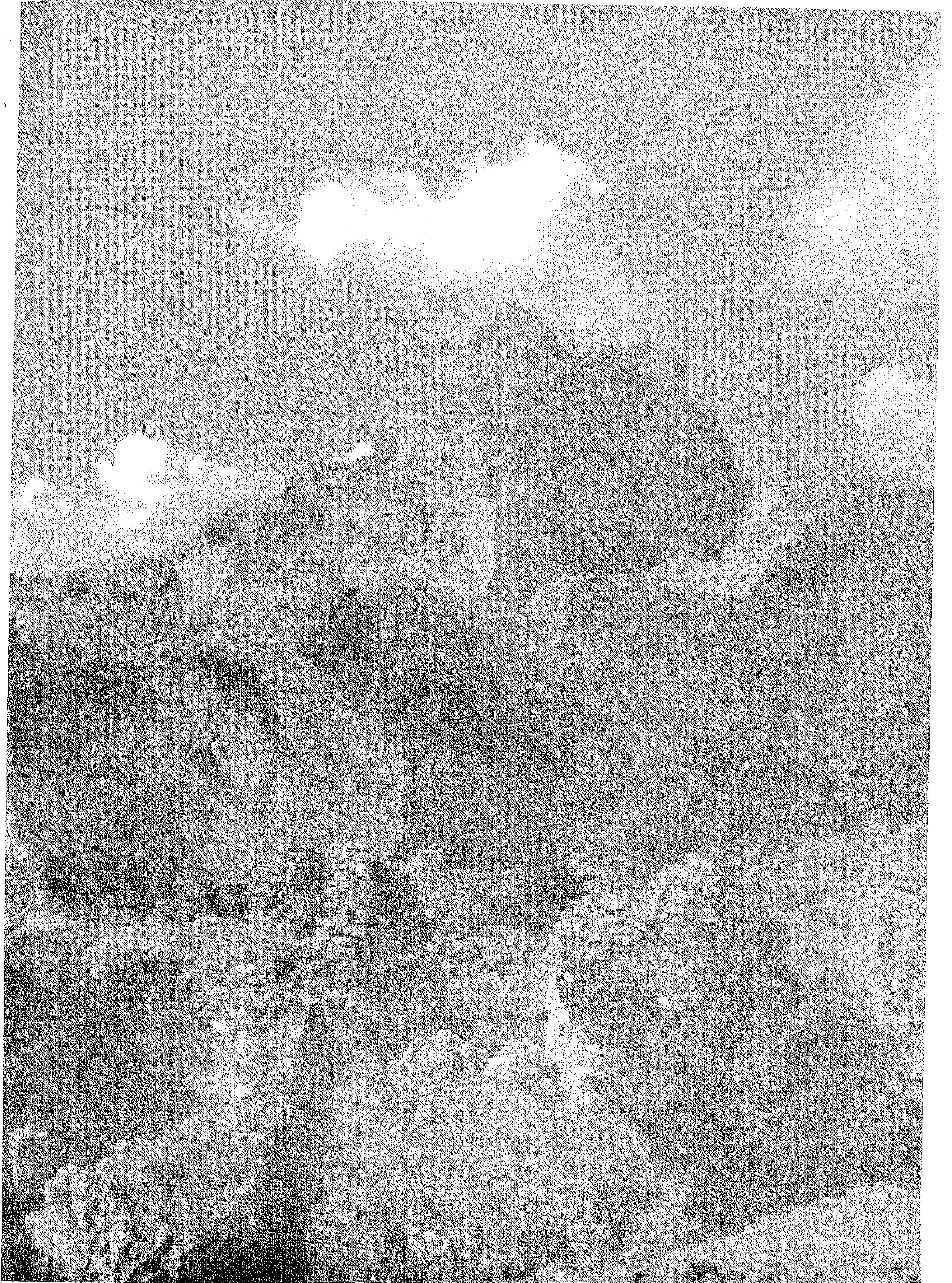
١٥ ـ صلاح الدين (صهيون)



١٦ ـ صلاح الدين (صهيون)



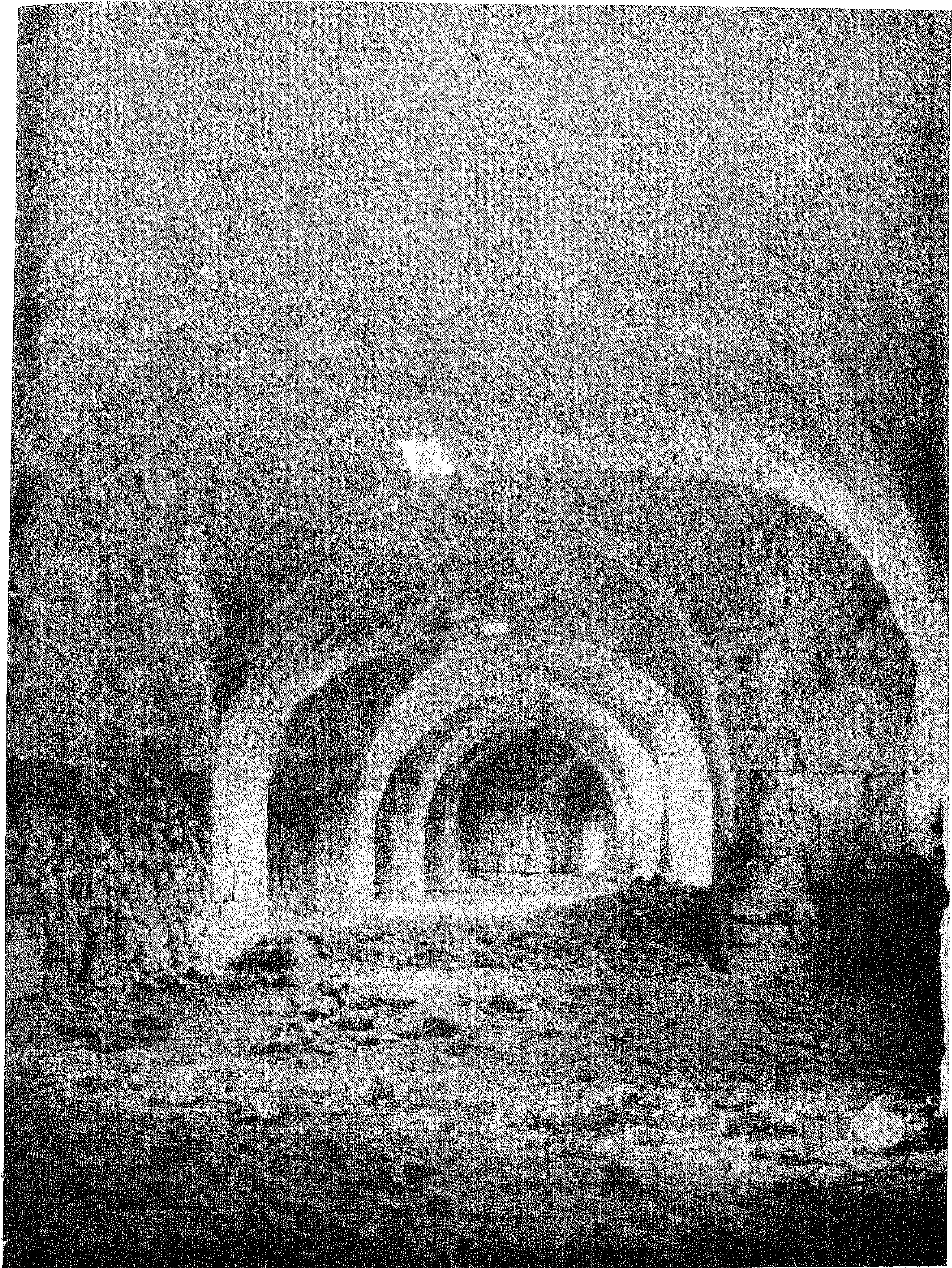
١٧ ـ صلاح الدين (صهيون)



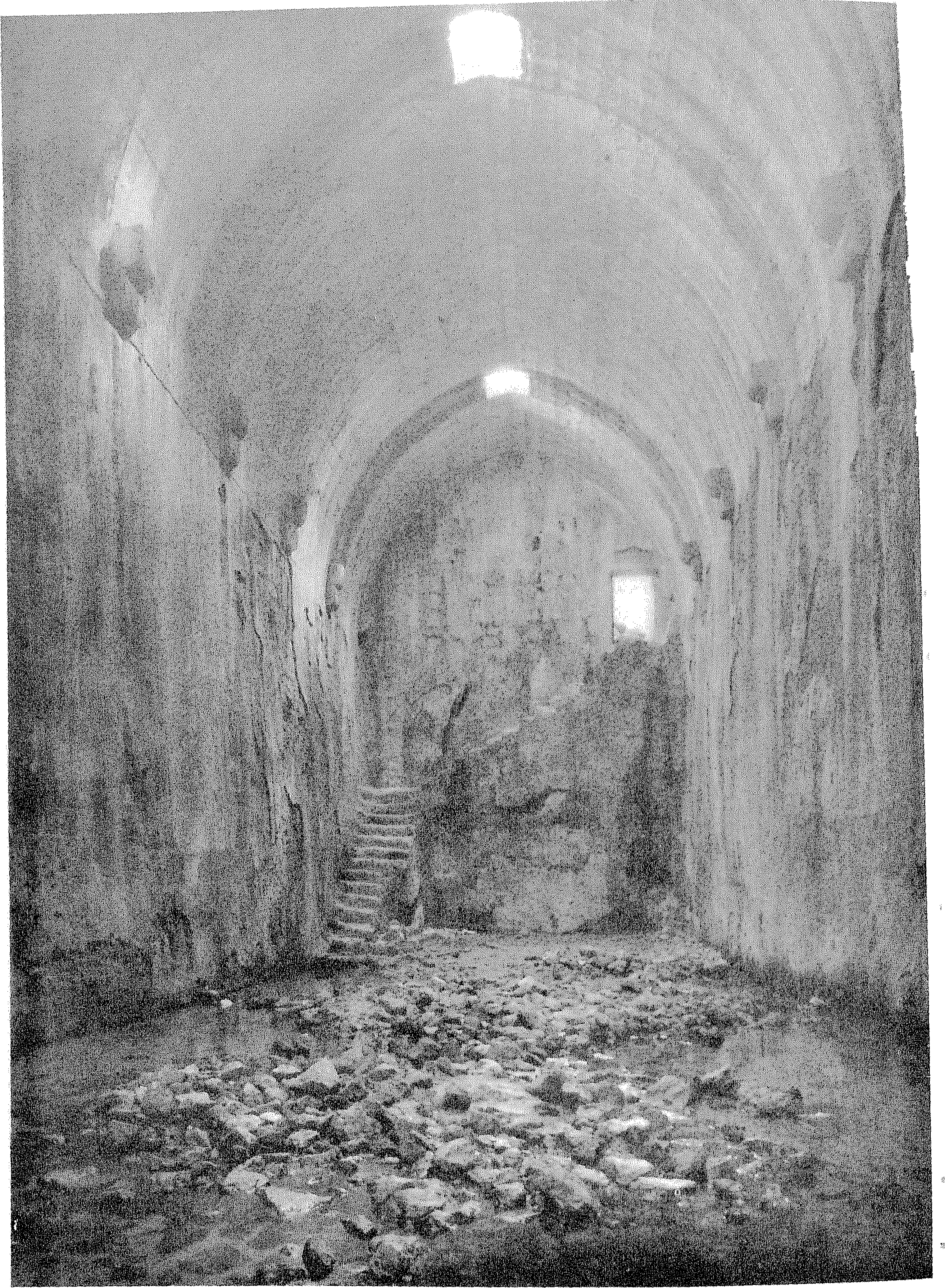
١٨ ـ صلاح الدين (صهيون)



١٩ ـ صلاح الدين (صهيون)



٢٠ ـ صلاح الدين (صهيون)



٢١ ـ صلاح الدين (صهيون)



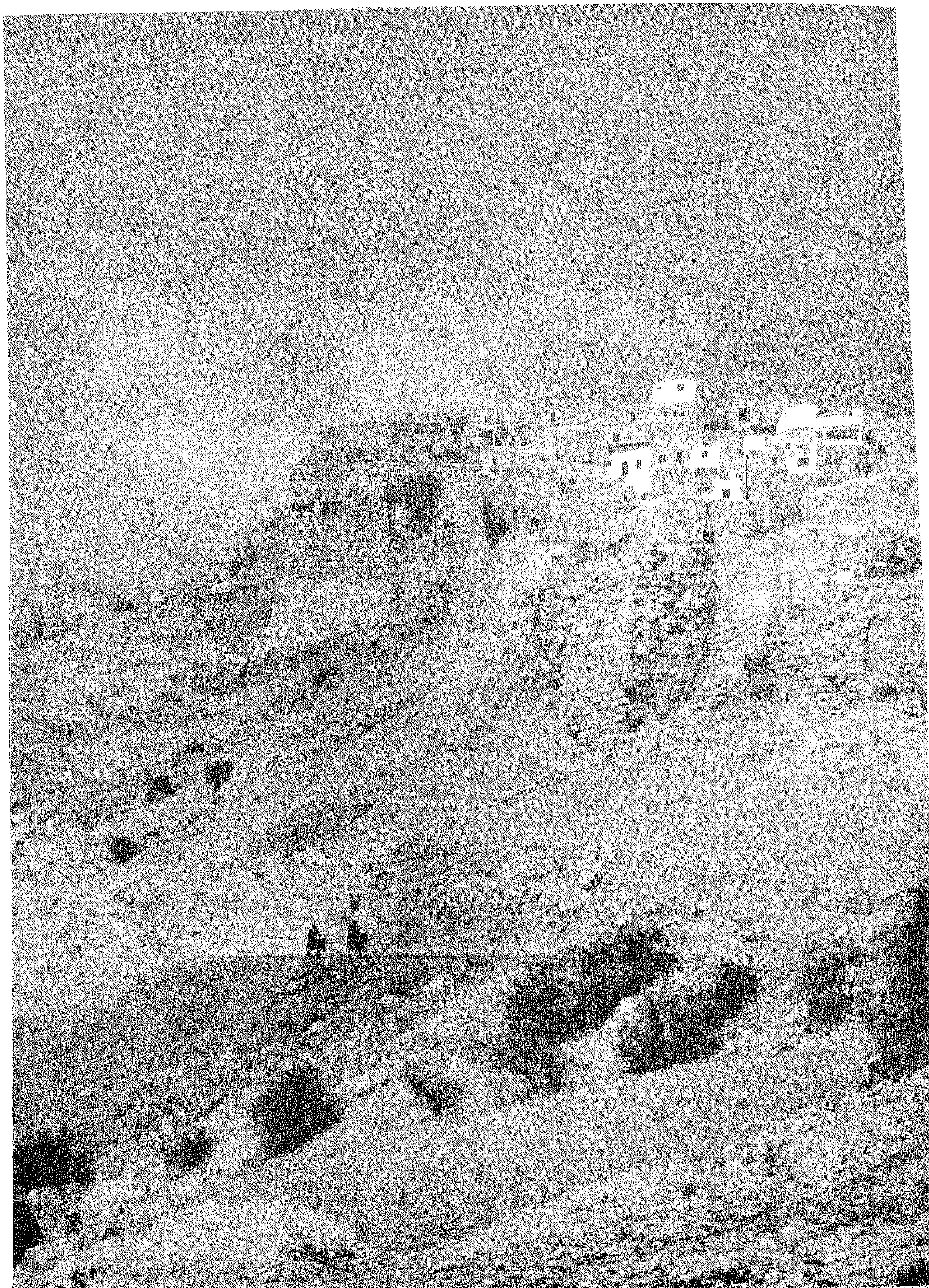
٢٢ ـ قلعة صبيبة بانياس (نمرود)



٢٣ ـ الكرك



٢٤ ـ الكرك



٢٥ ـ الكرك



٢٦ ـ الكرك



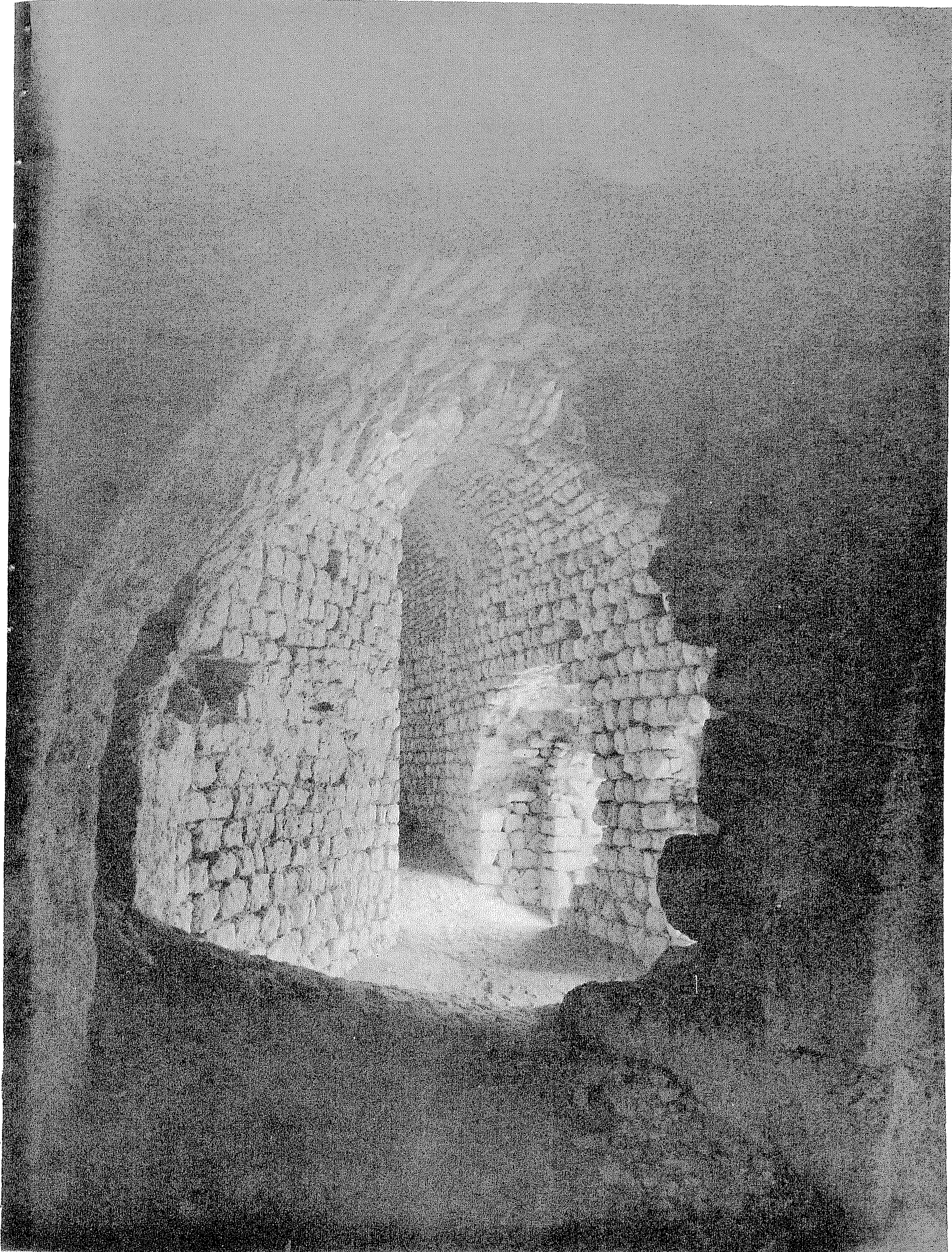
٢٧ ـ الكرك



٢٨ ـ بغراس



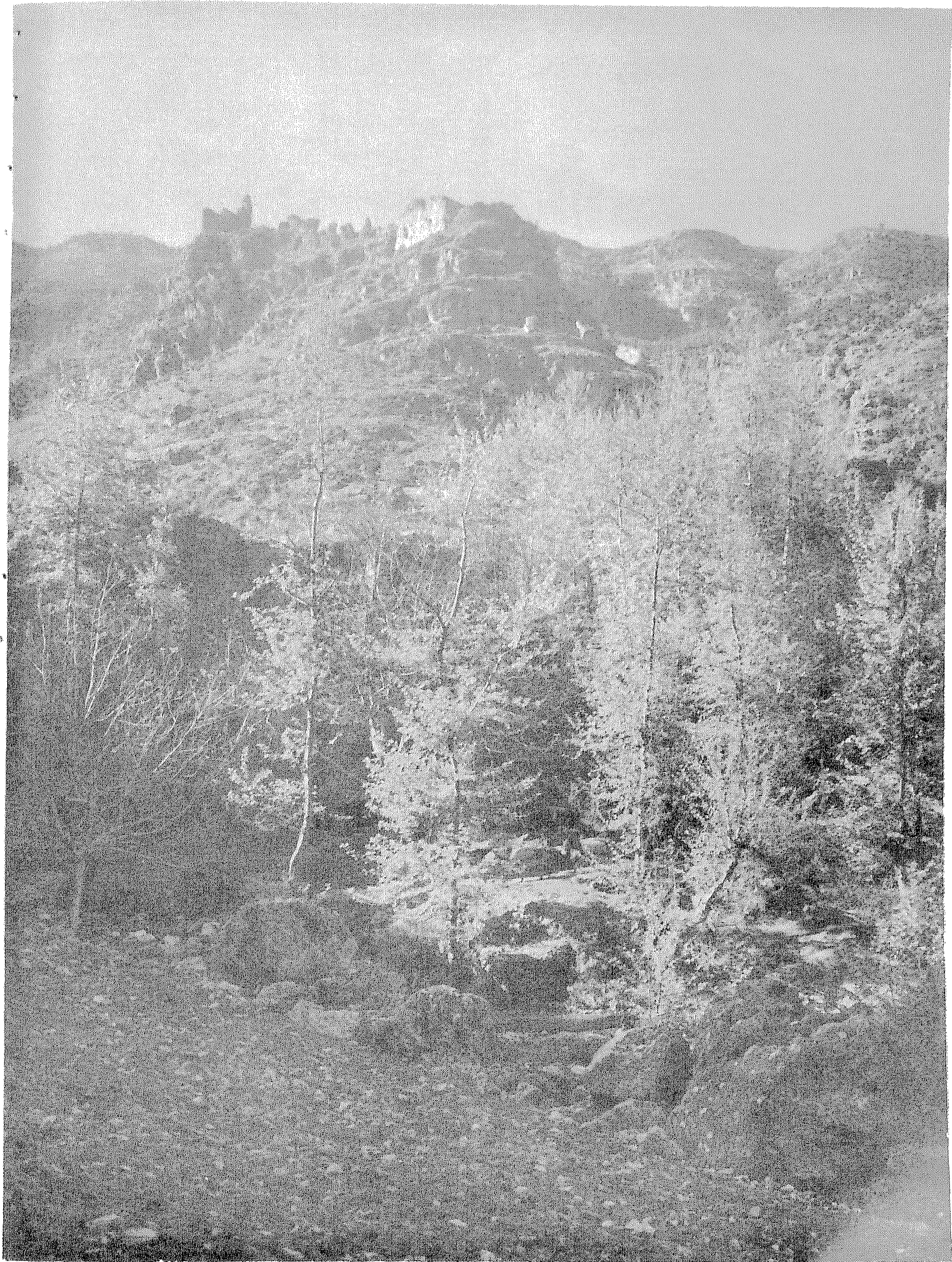
٢٩ ـ بغراس



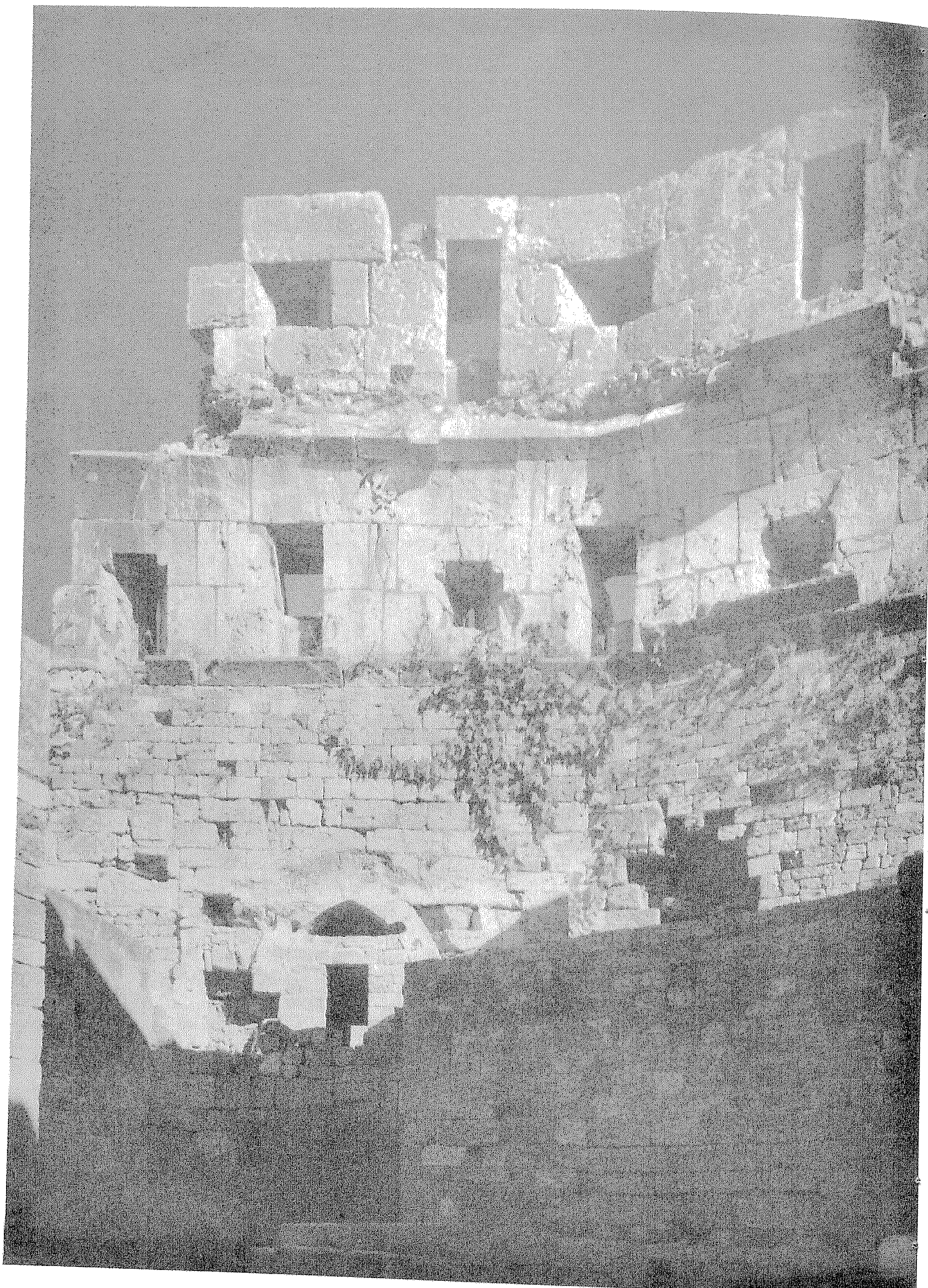
٣٠ ـ بغراس



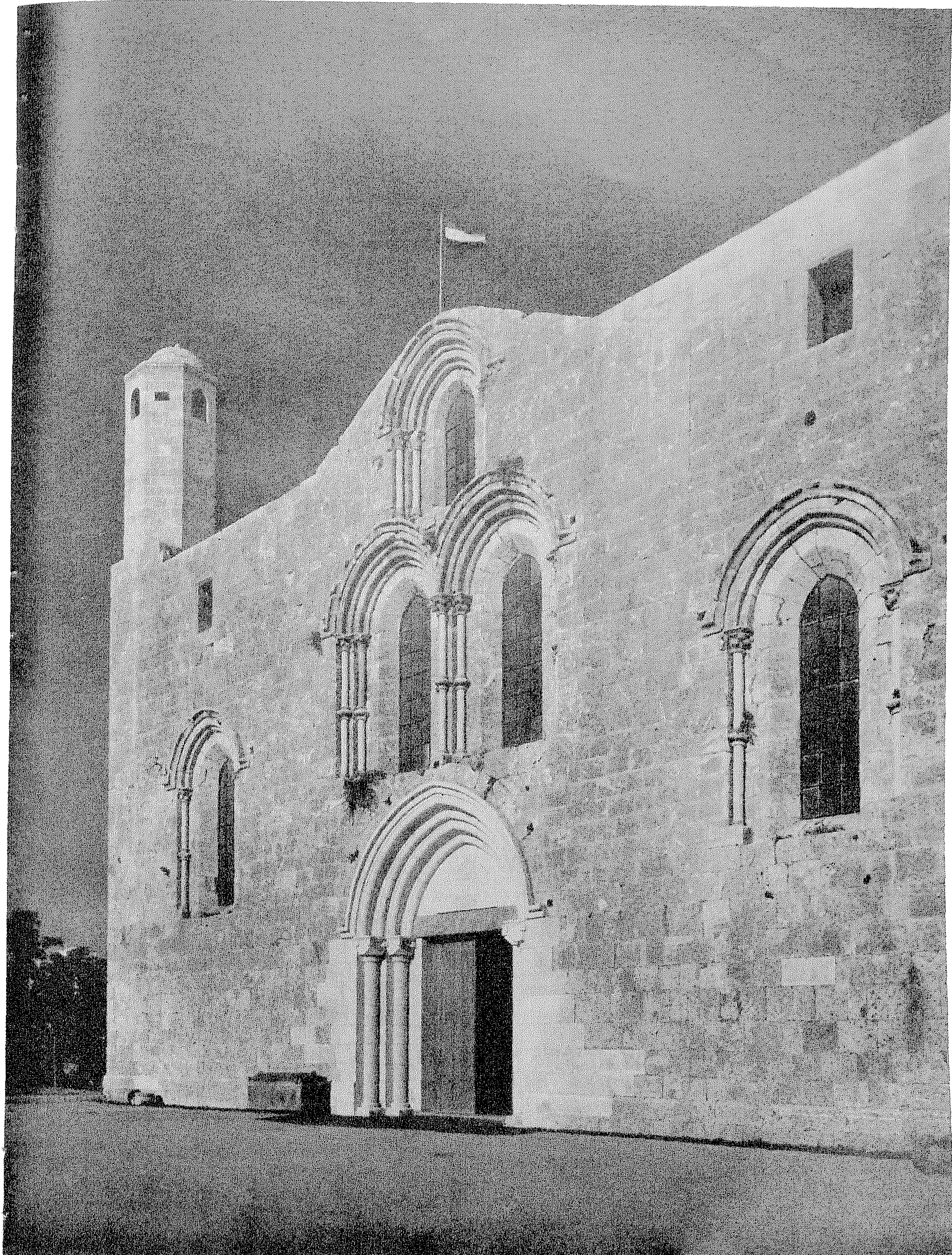
٣١ ـ بغراس



٣٢ ـ عكار



٣٣ ـ طرطوس



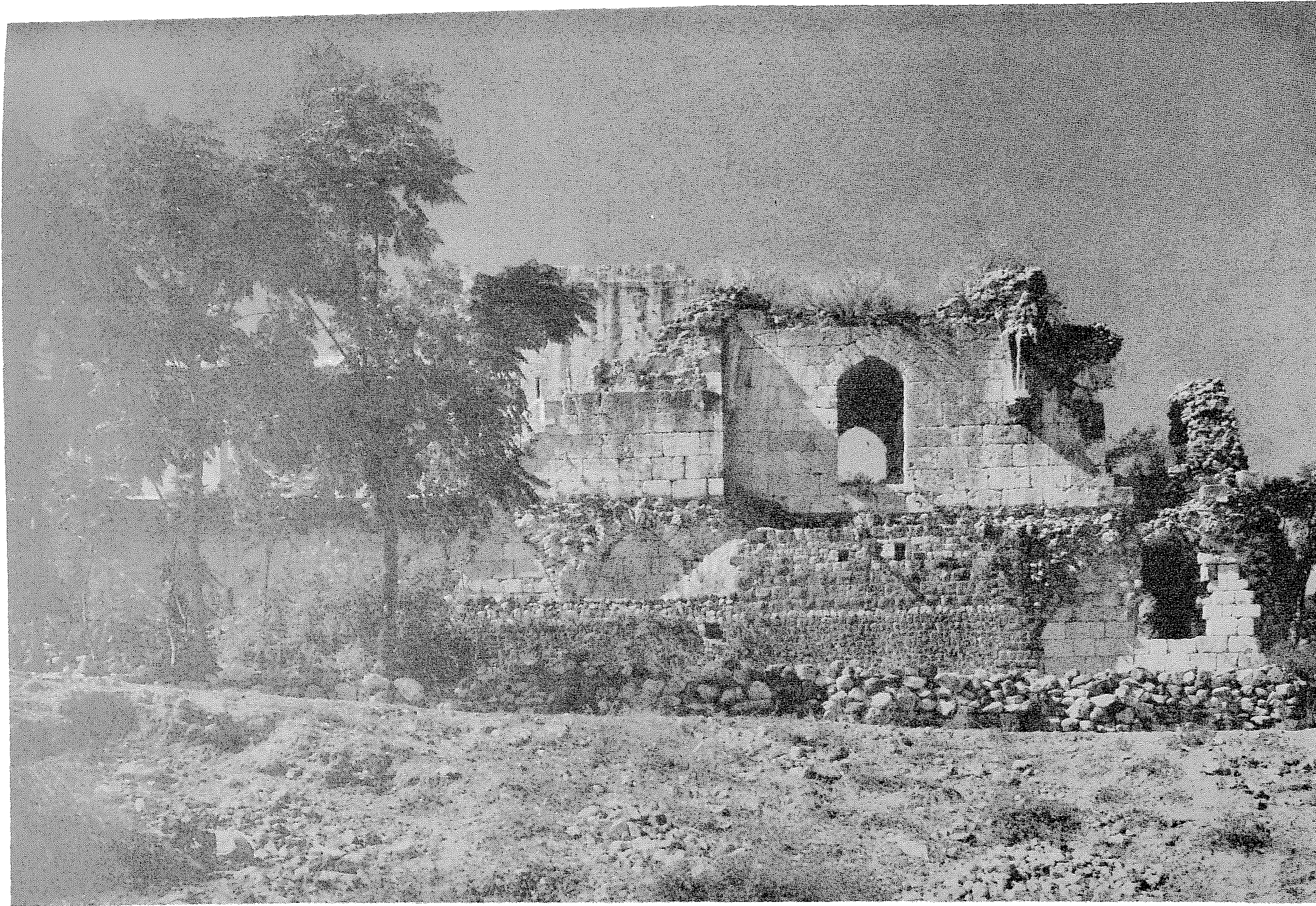
٣٤ ـ طرطوس



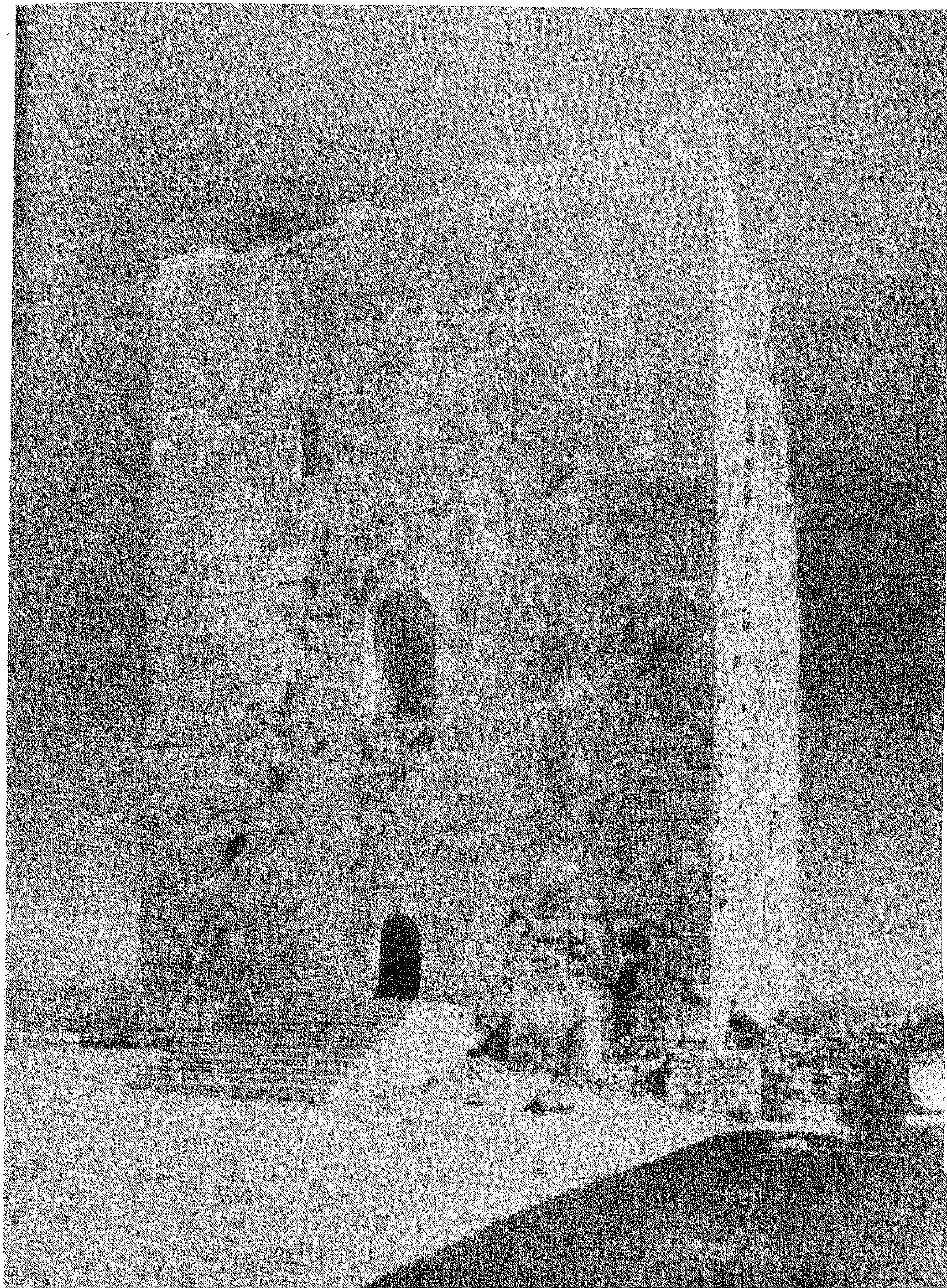
٣٥ ـ طرطوس



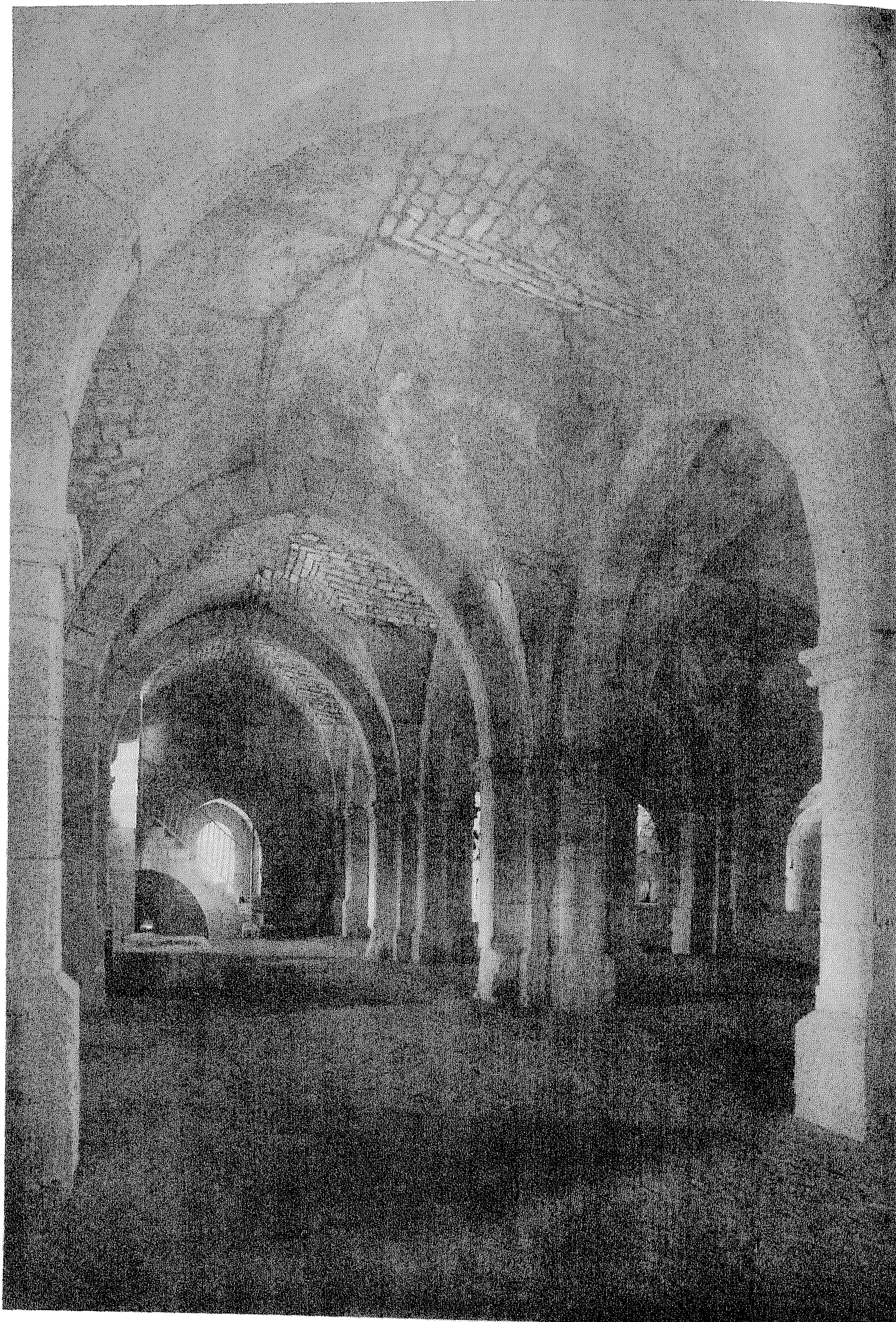
٣٦ ـ صافيتا



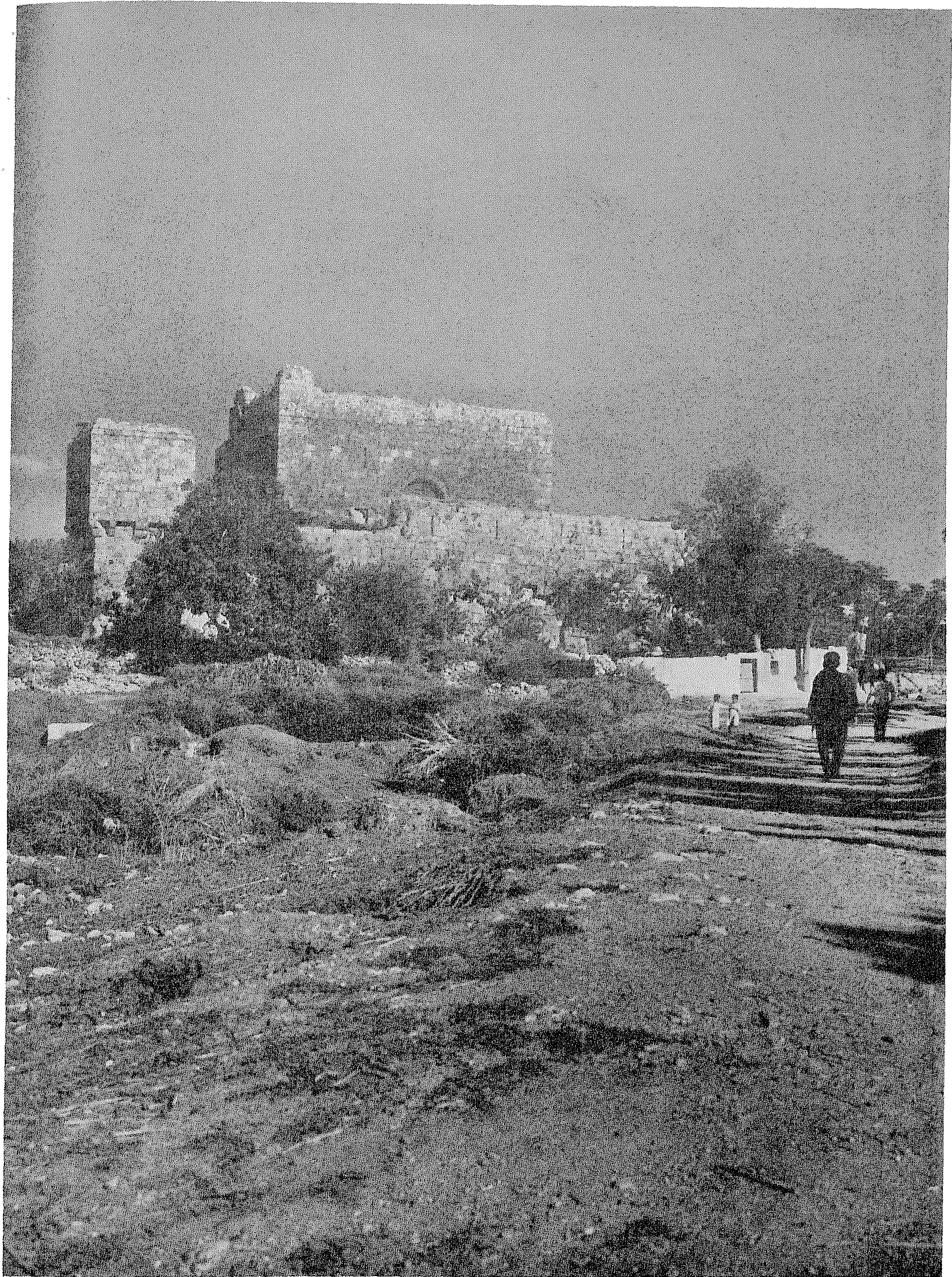
٣٧ ـ صافيتا



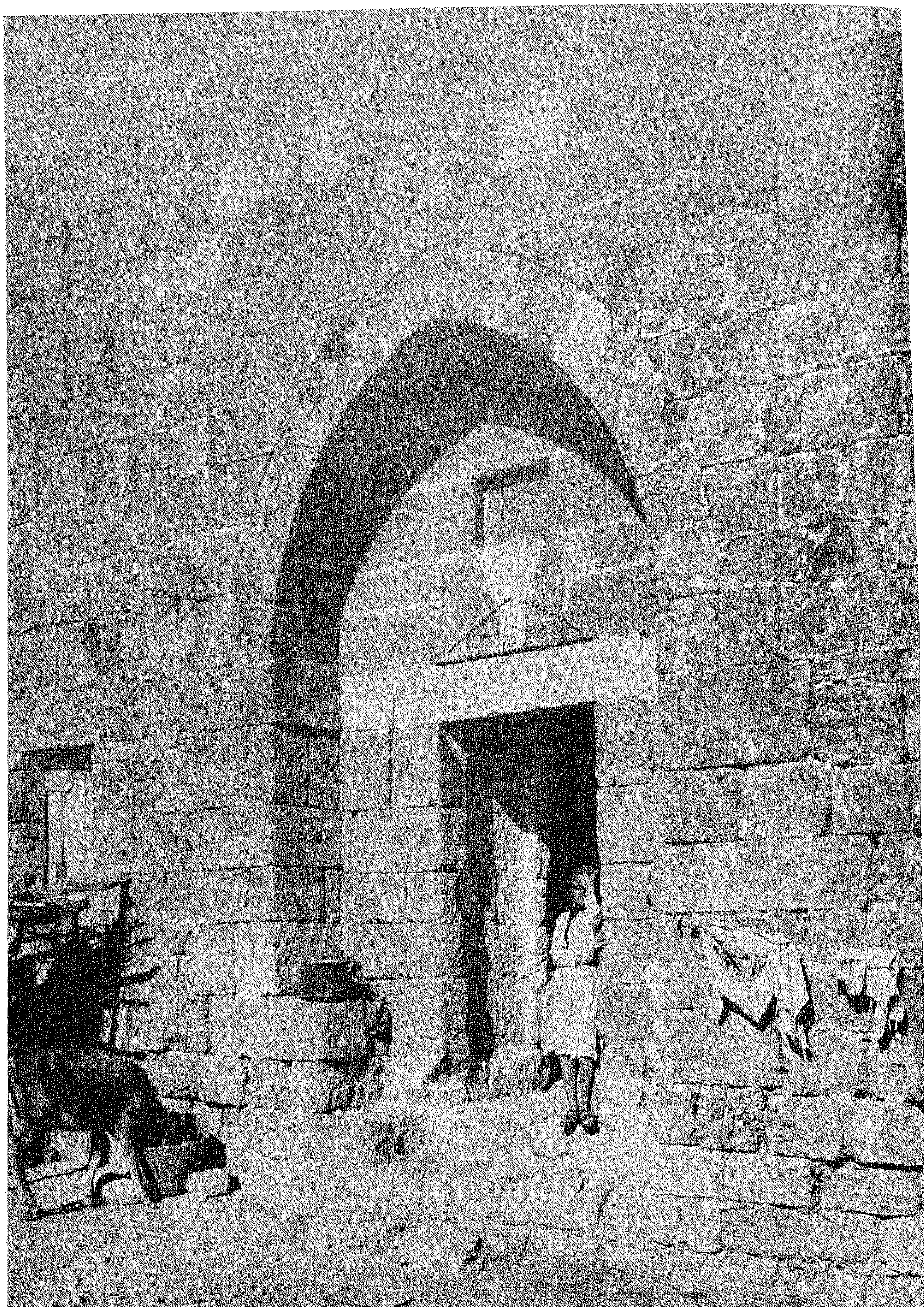
٣٨ ـ صافيتا



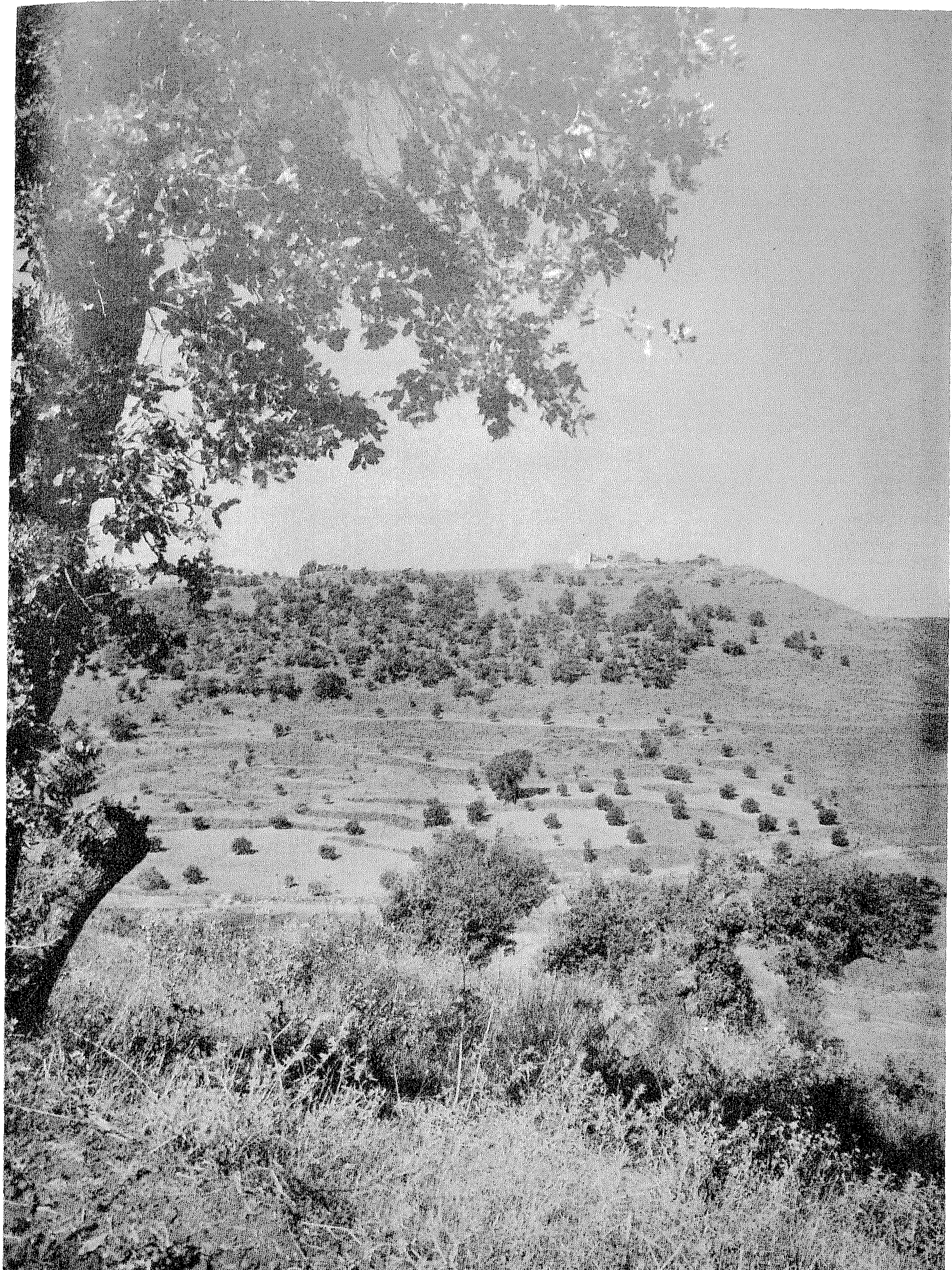
٣٩ ـ صافيتا



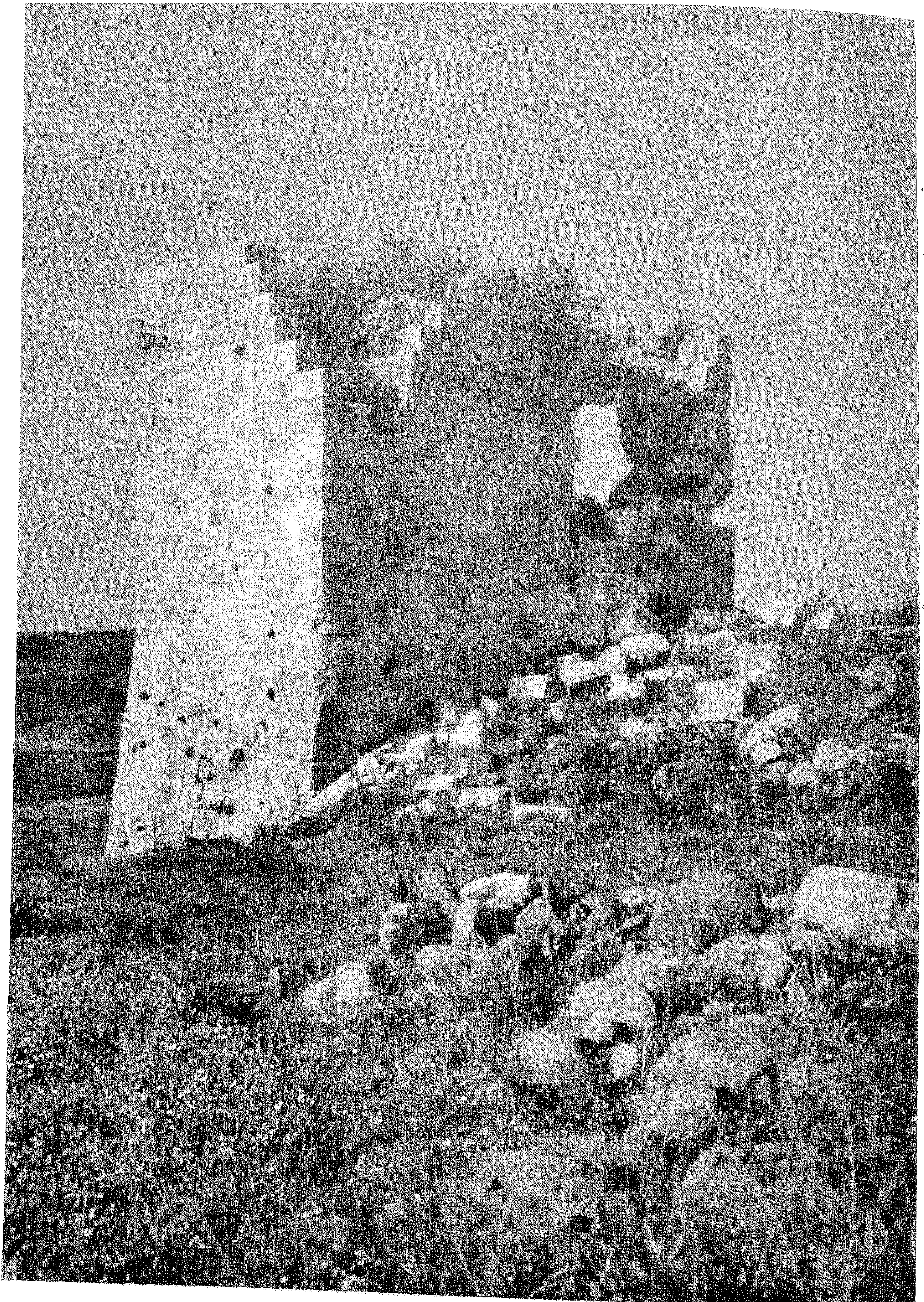
٤٠ ـ يحمور



٤١ ـ يحمور



٤٢ ـ عريمة



٤٣ ـ عريمة



٤٤ـ بعلبك



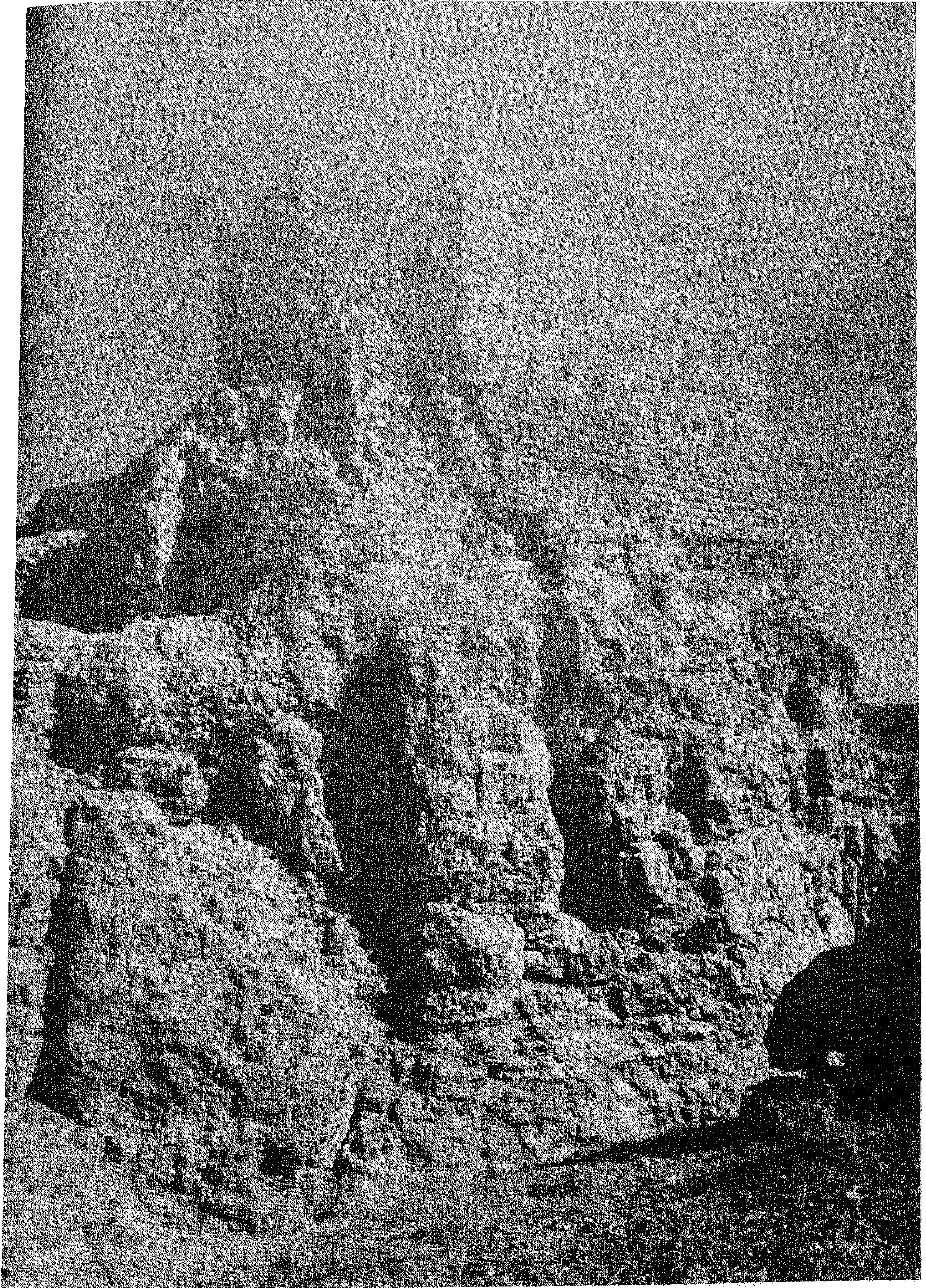
٤٥ ـ بعلبك



٤٦ ـ بعلبك



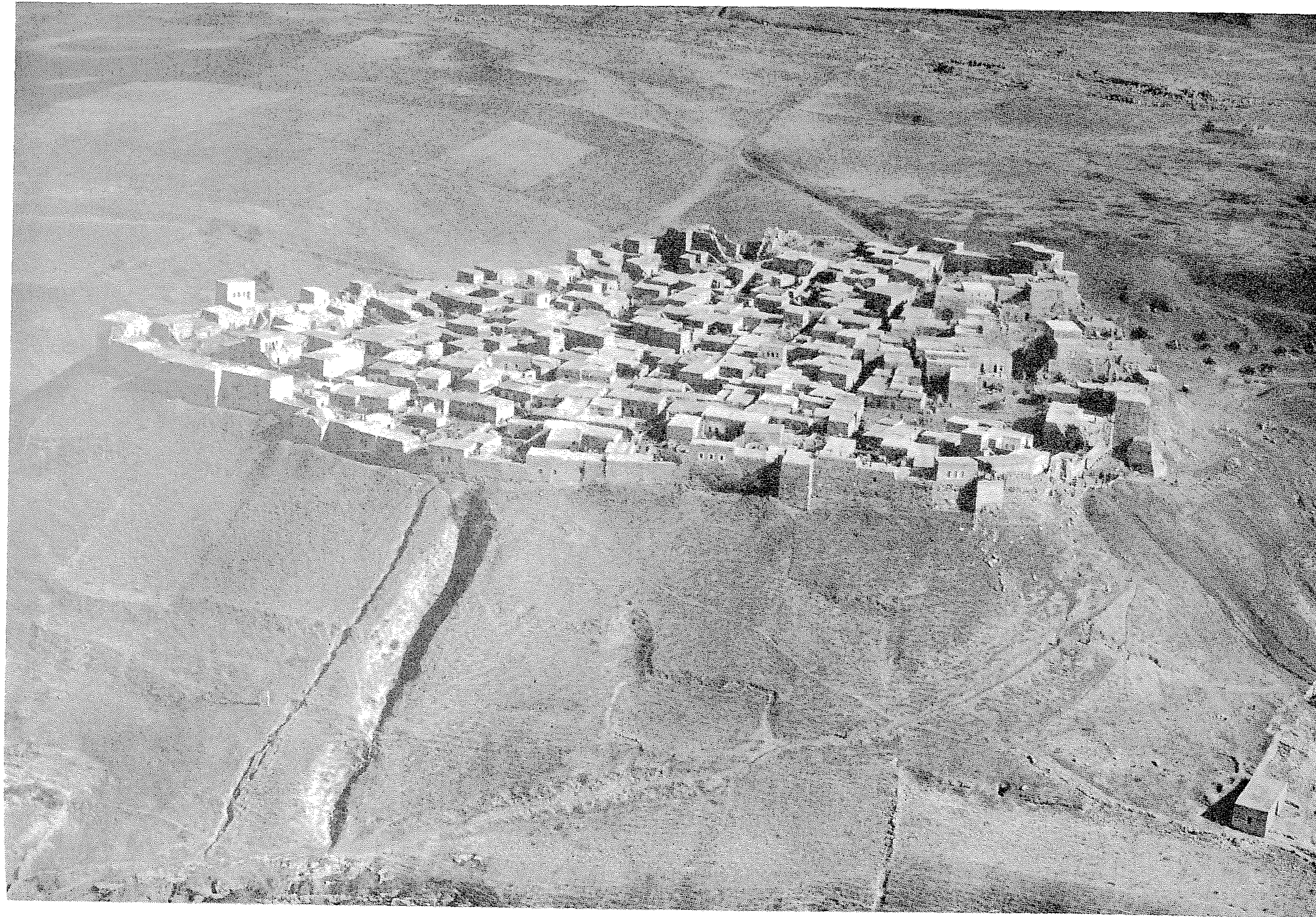
٤٧ ـ شيزر



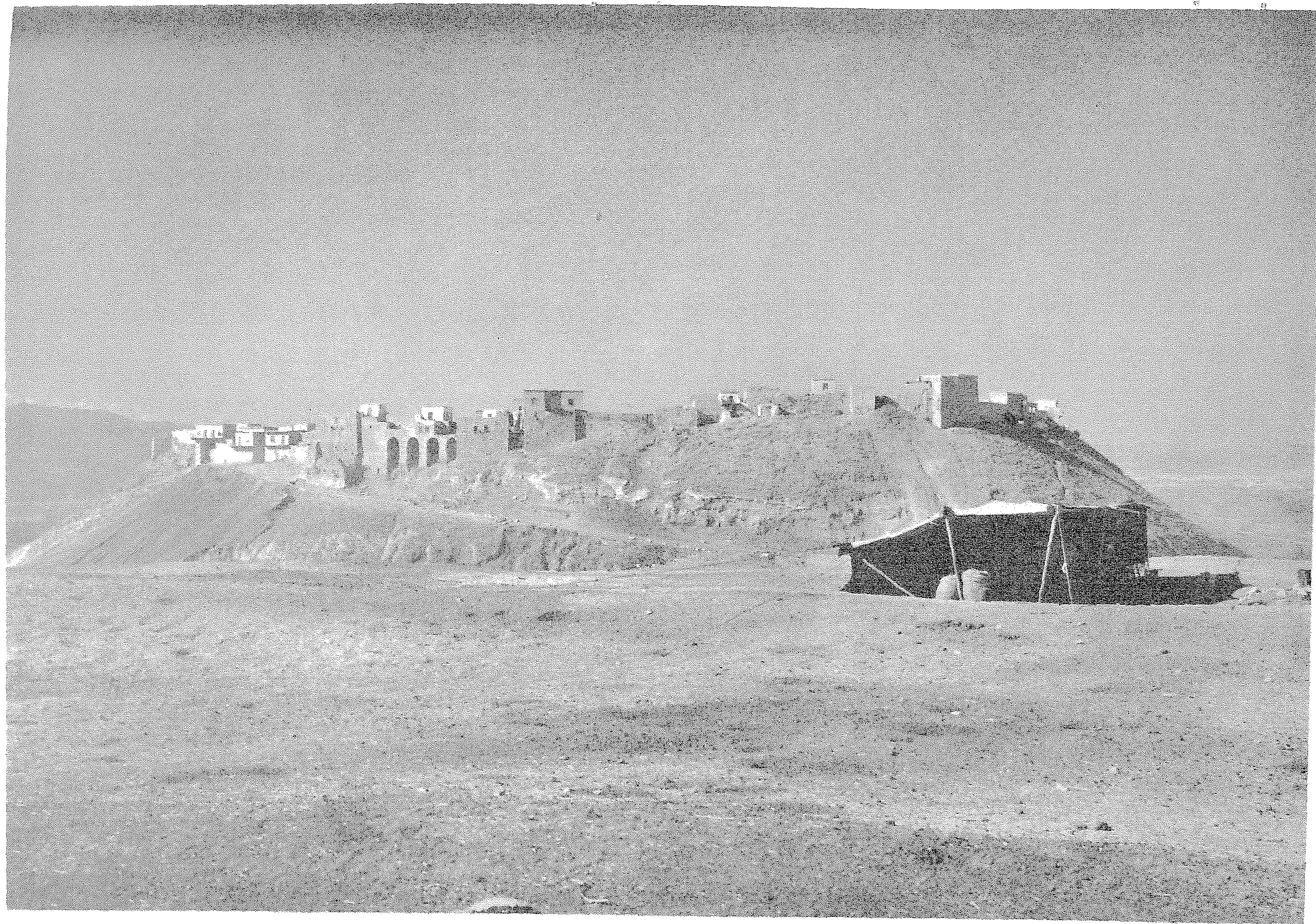
٤٨ ـ شيزر



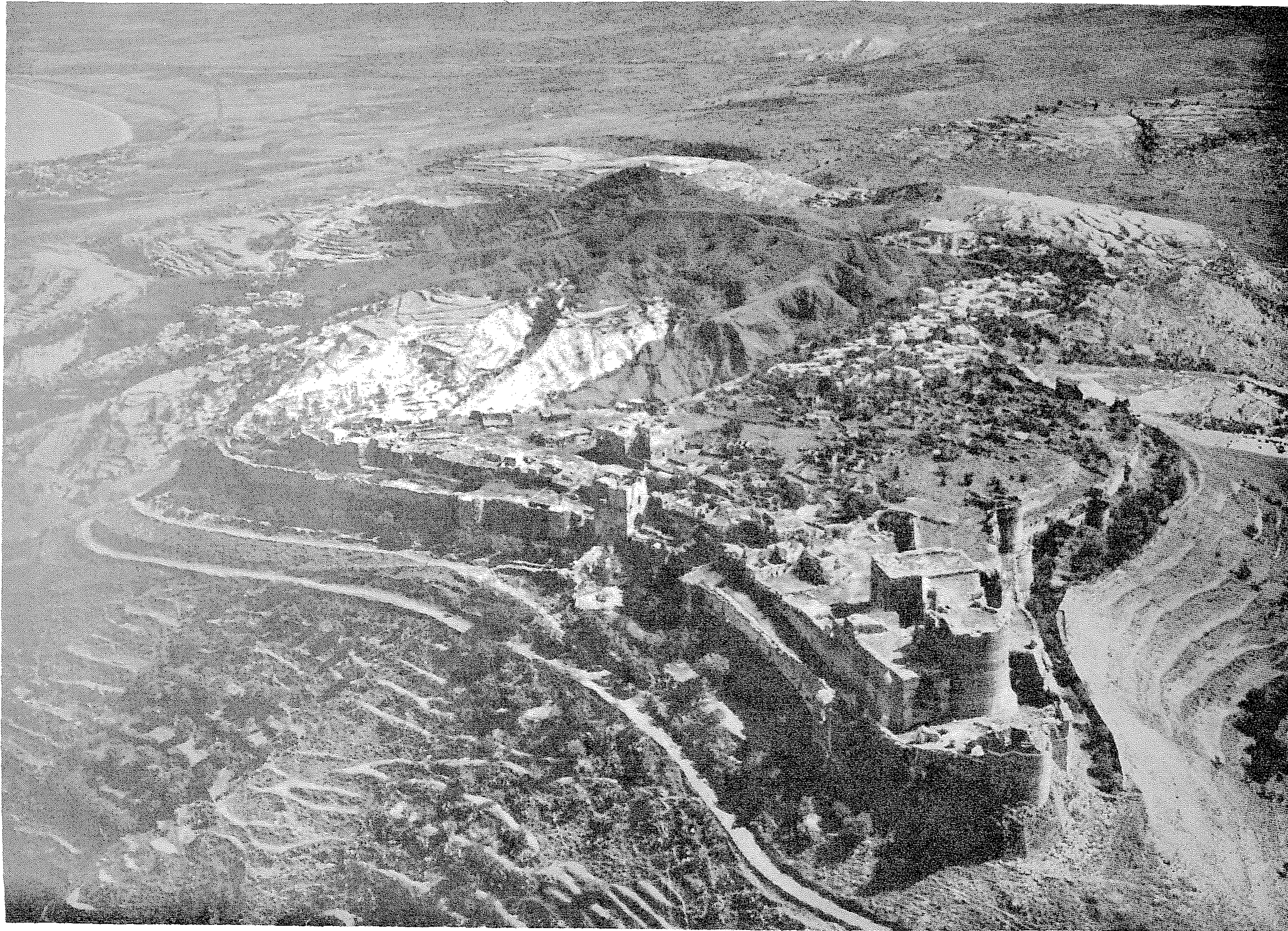
٤٩ ـ شيزر



٥٠ ـ قلعة الضيق



٥١ ـ قلعة المضيق



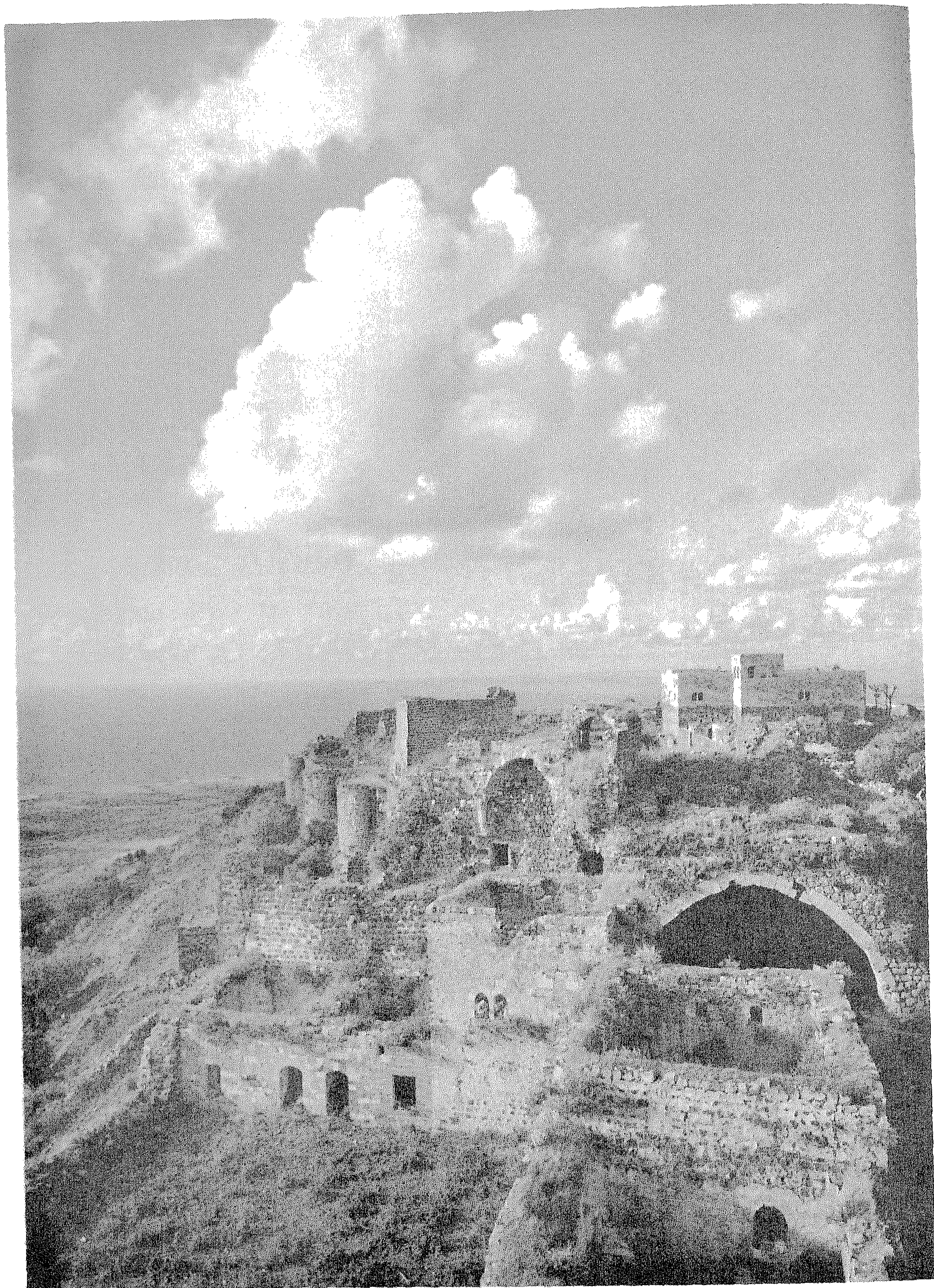
٥٢ ـ قلعة المرقب



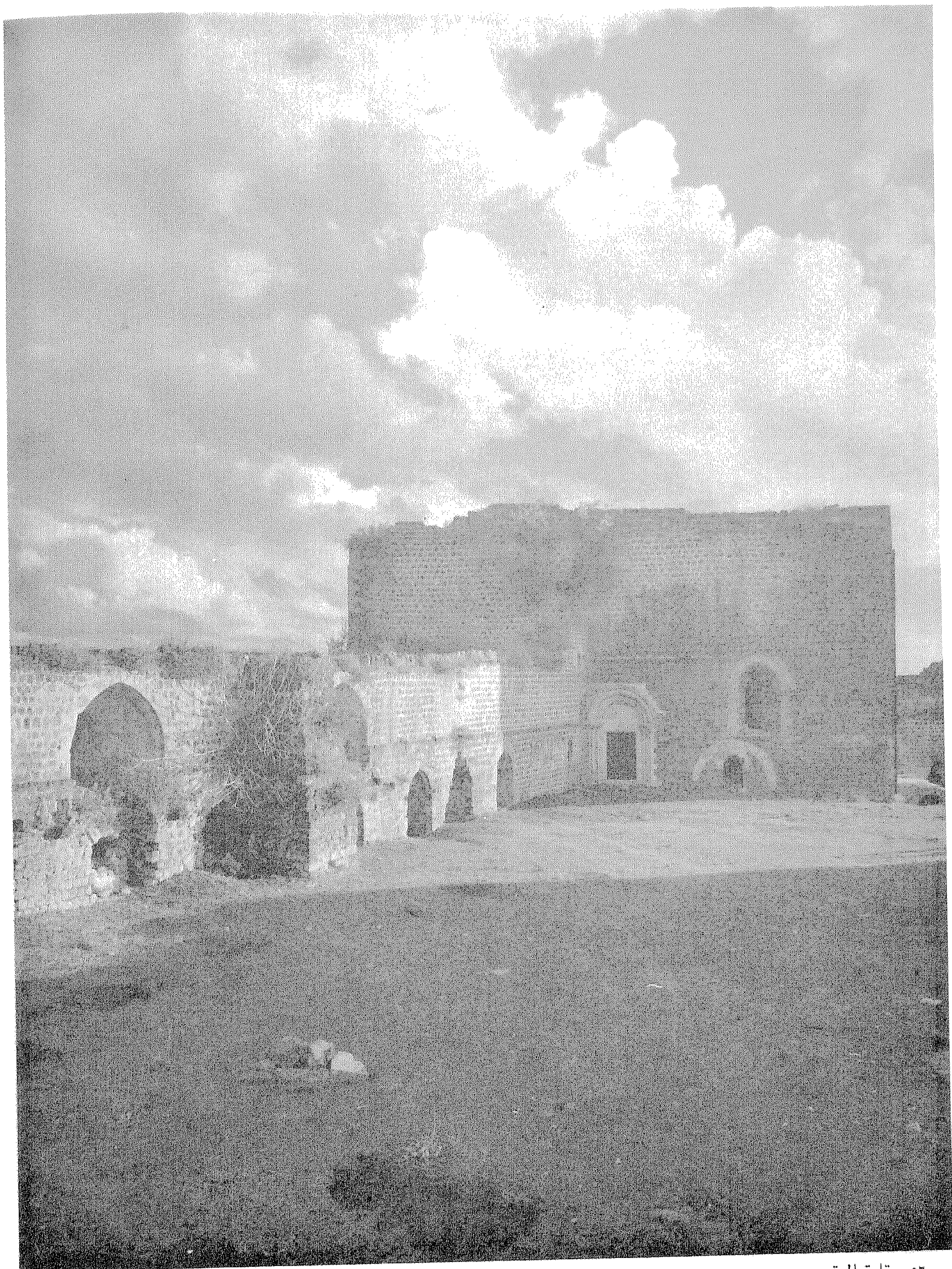
٥٣ _ قلعة المرقب



٥٤ ـ قلعة المرقب



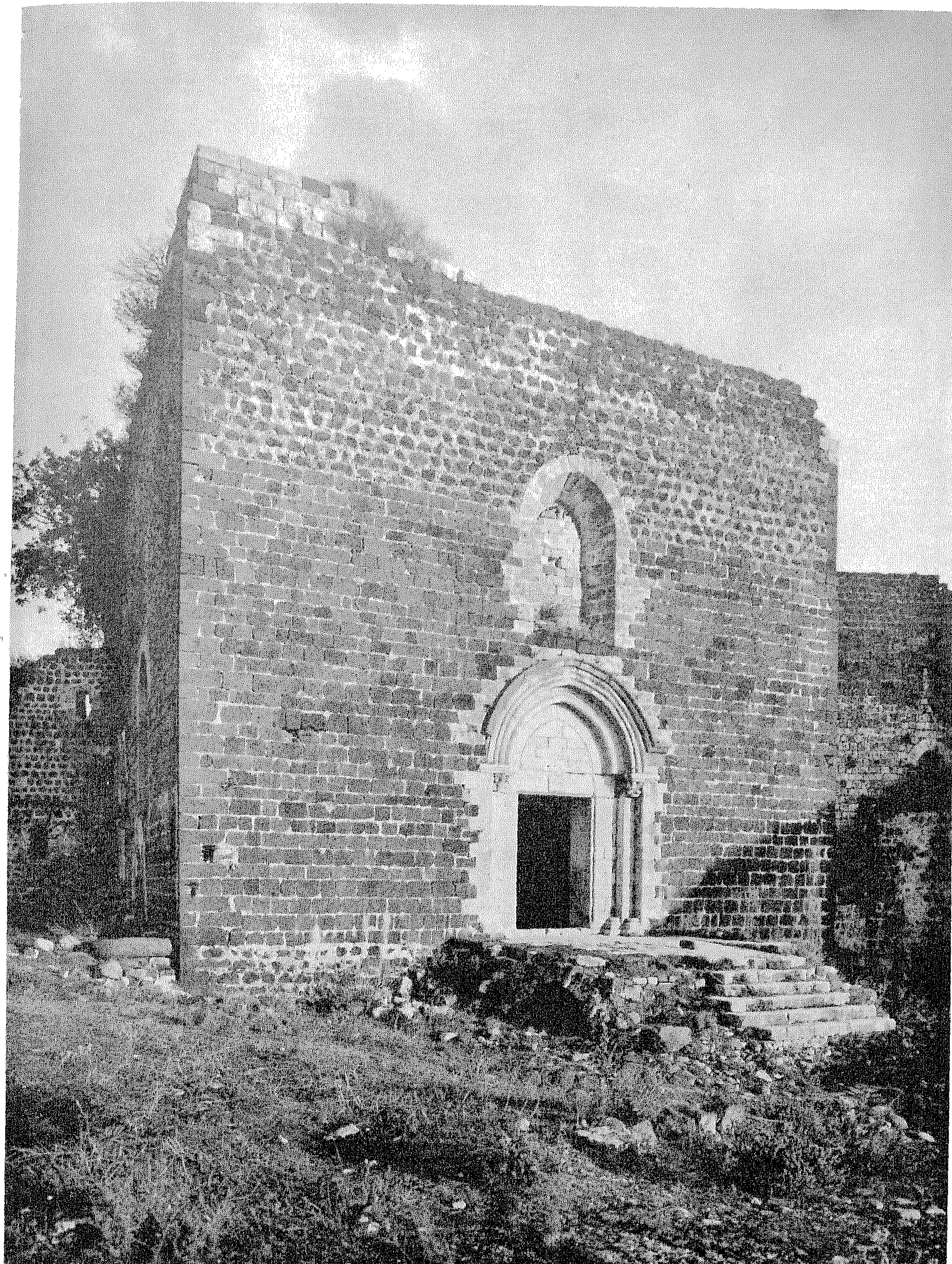
٥٥ ـ قلعة المرقب



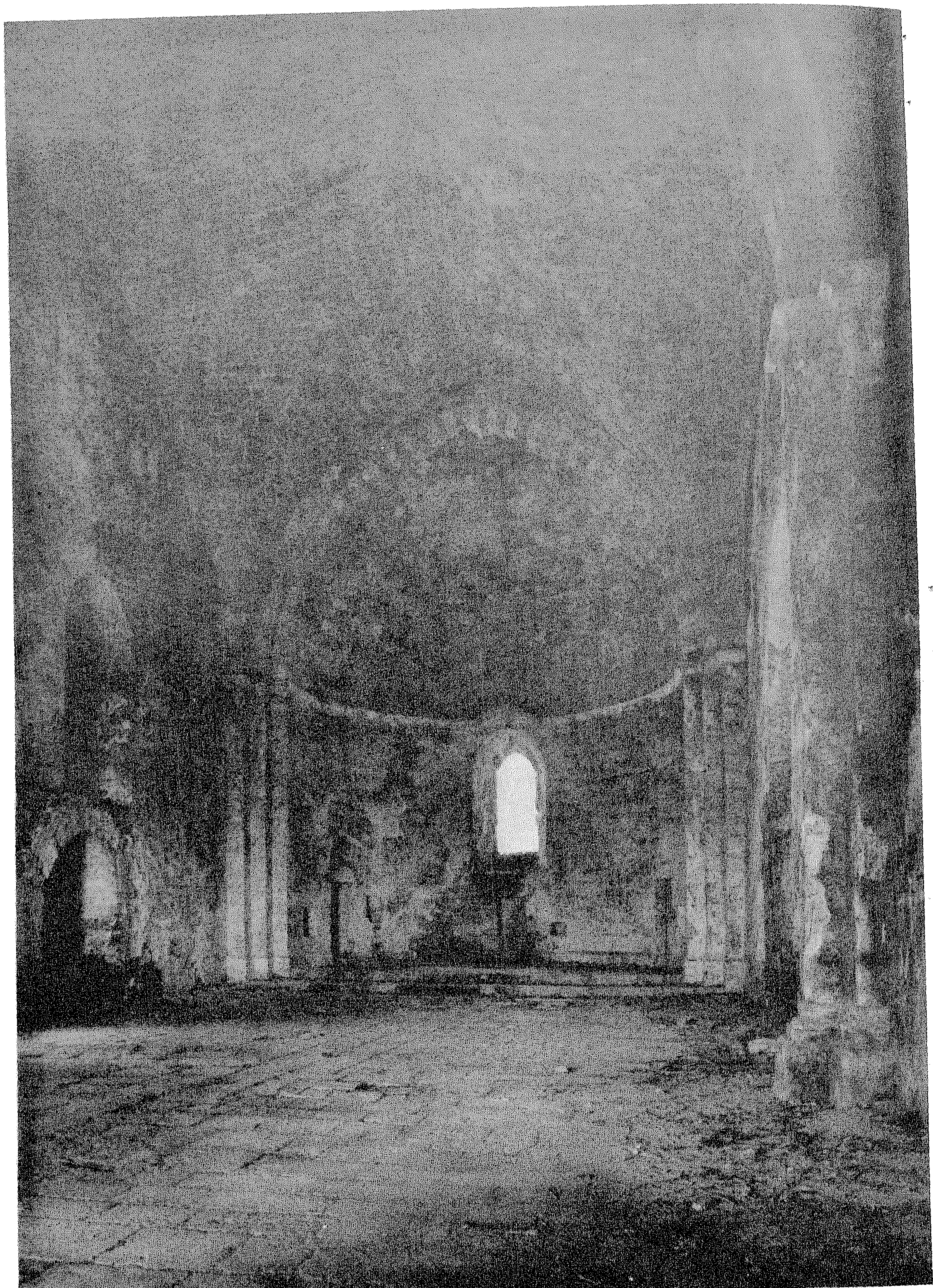
٥٦ ـ قلعة المرقب



٥٧ ـ قلعة المرقب



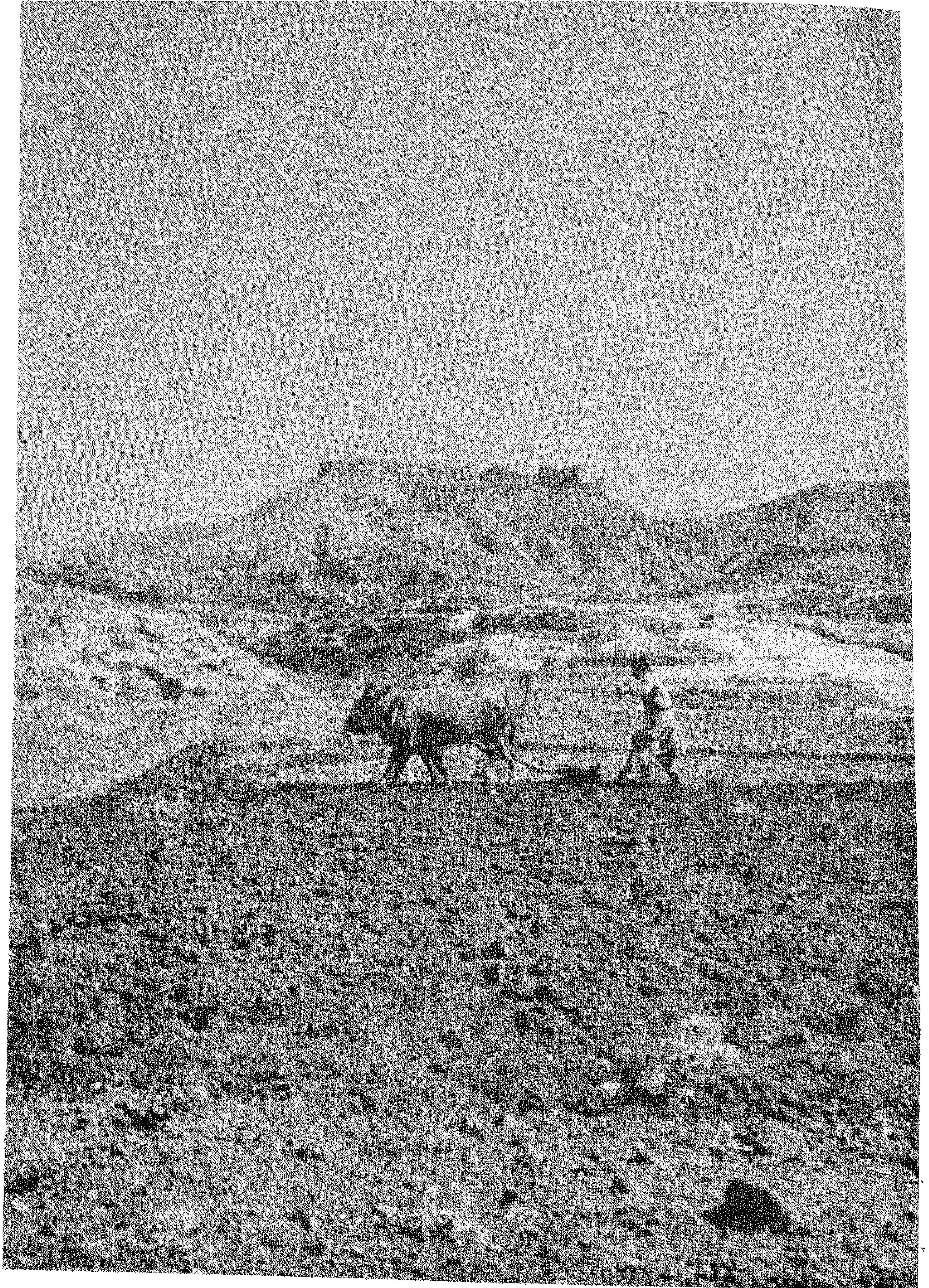
٥٨ ـ قلعة المرقب



٥٩ ـ قلعة المرقب



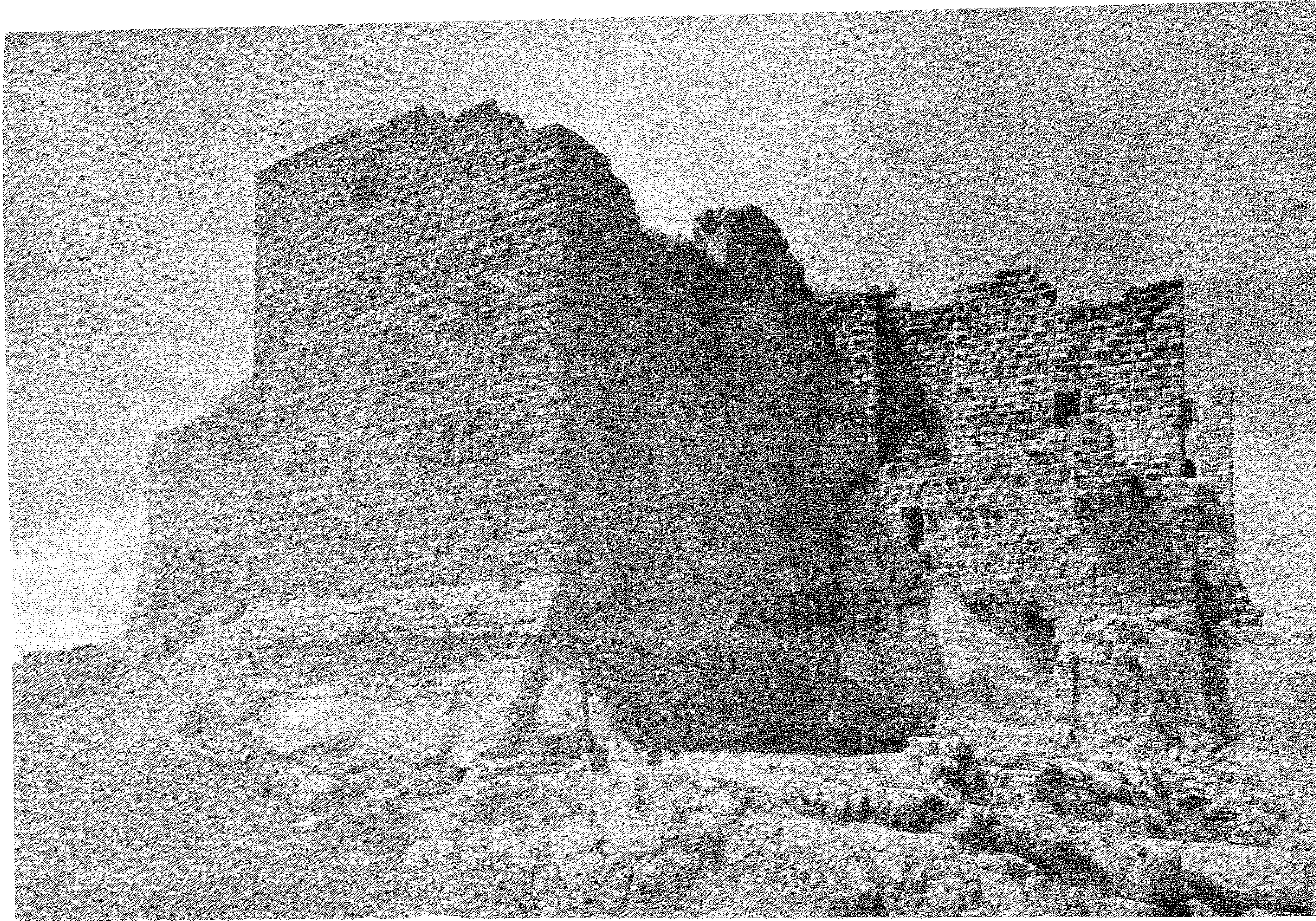
٦ ـ قلعة المرقب



٦١ ـ قلعة المرقب



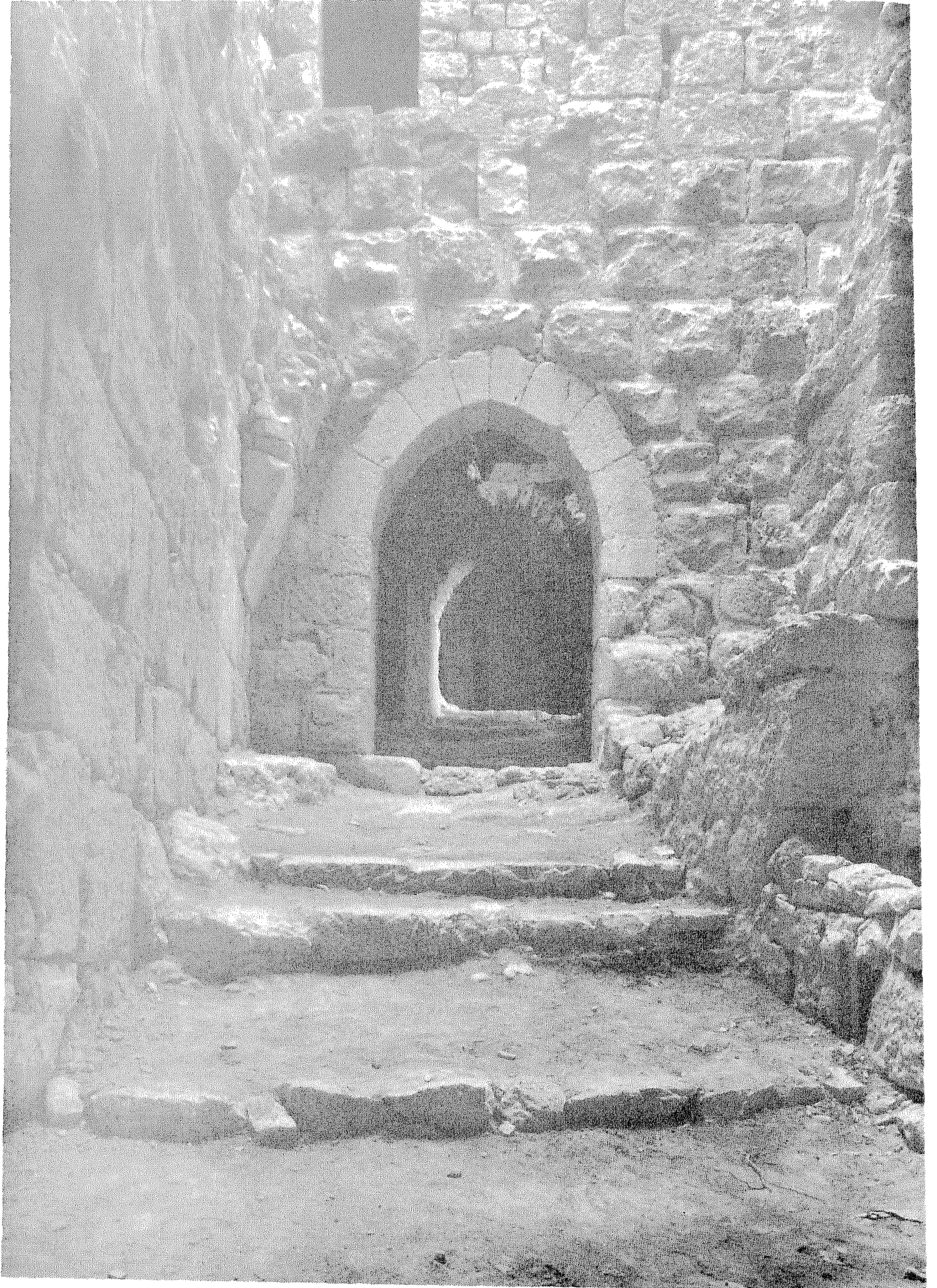
٦٢ - عجلون



٦٣ ـ عجلون



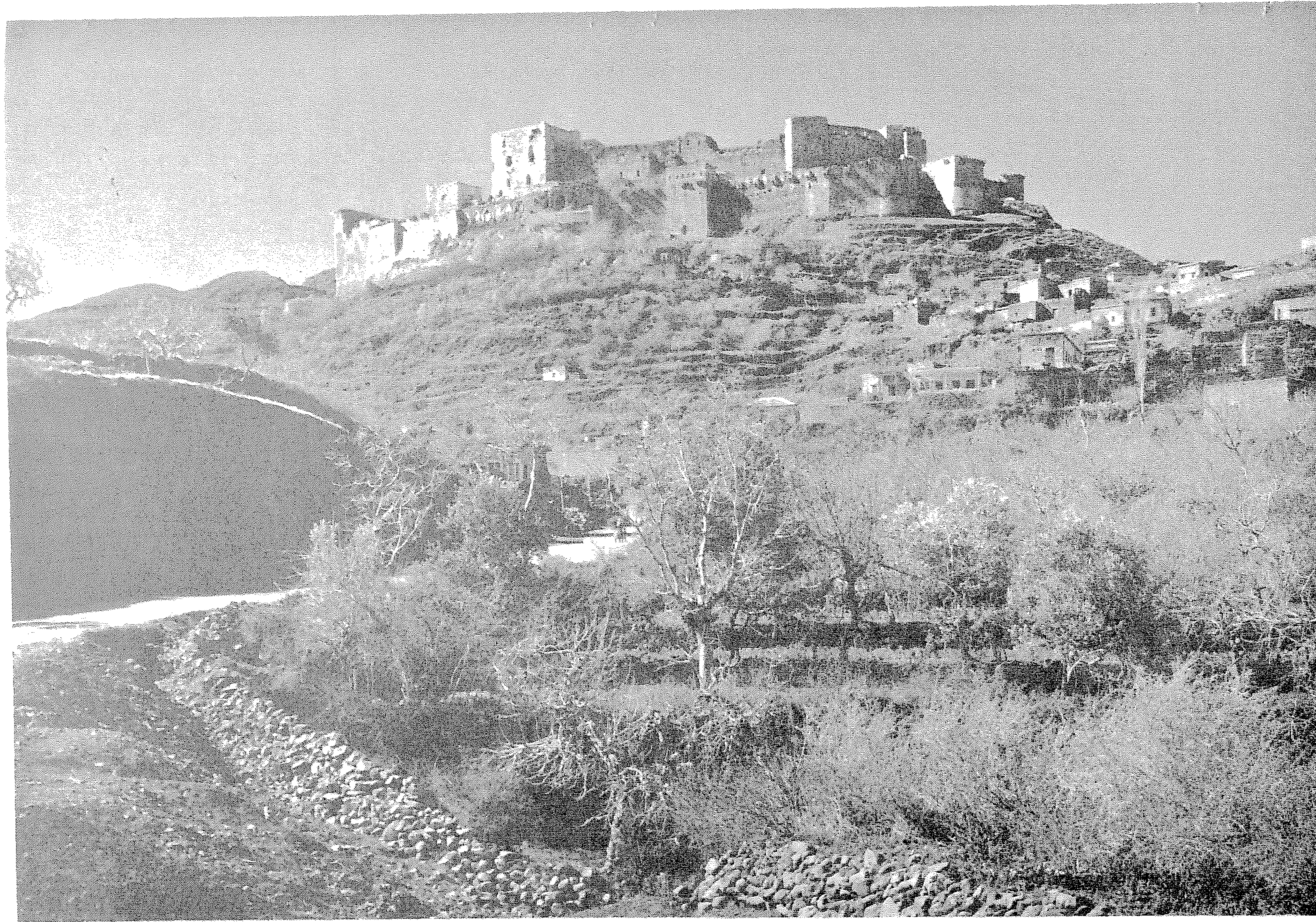
٦٤ ـ عجلون



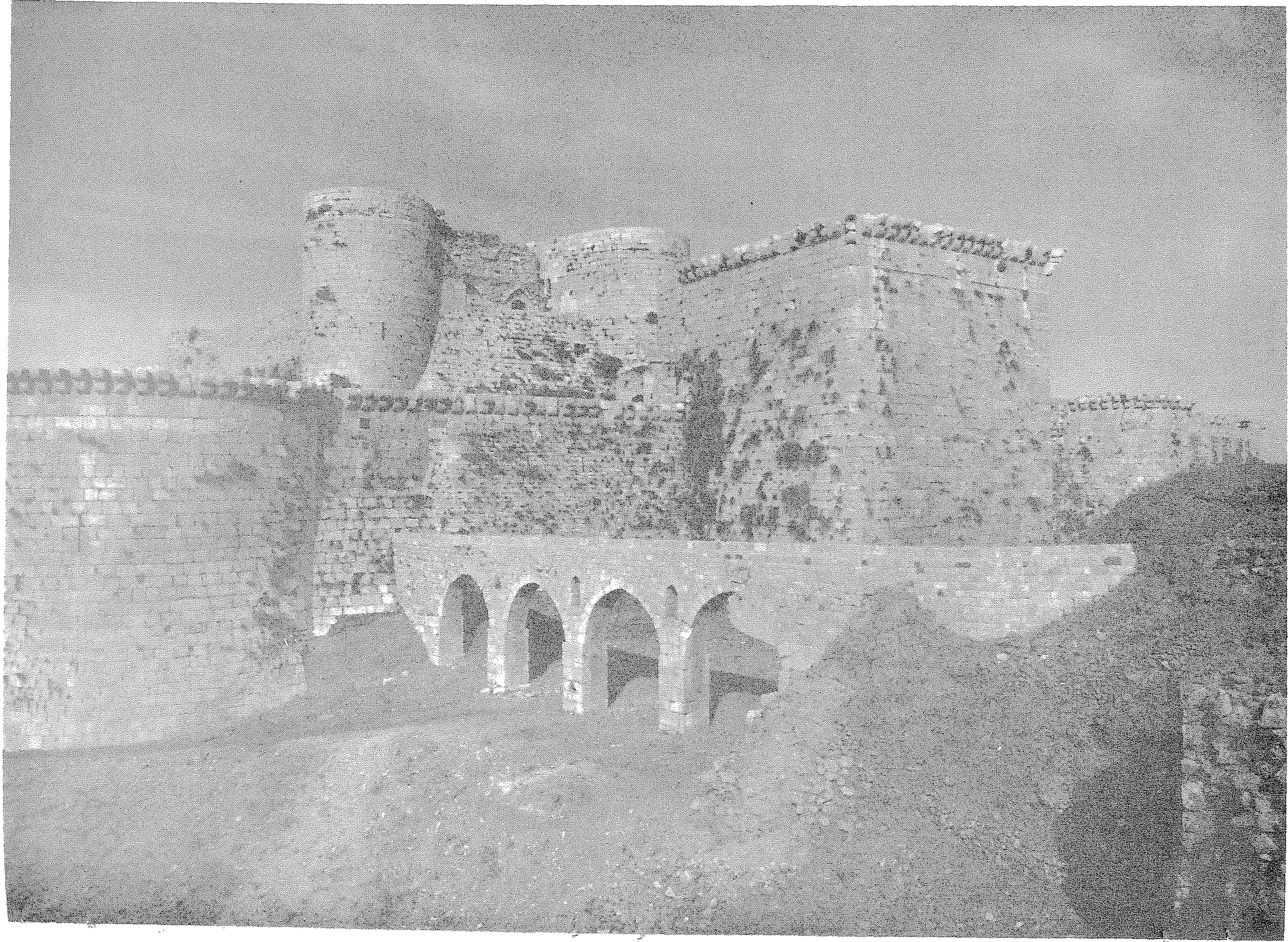
٦٥ ـ عجلون



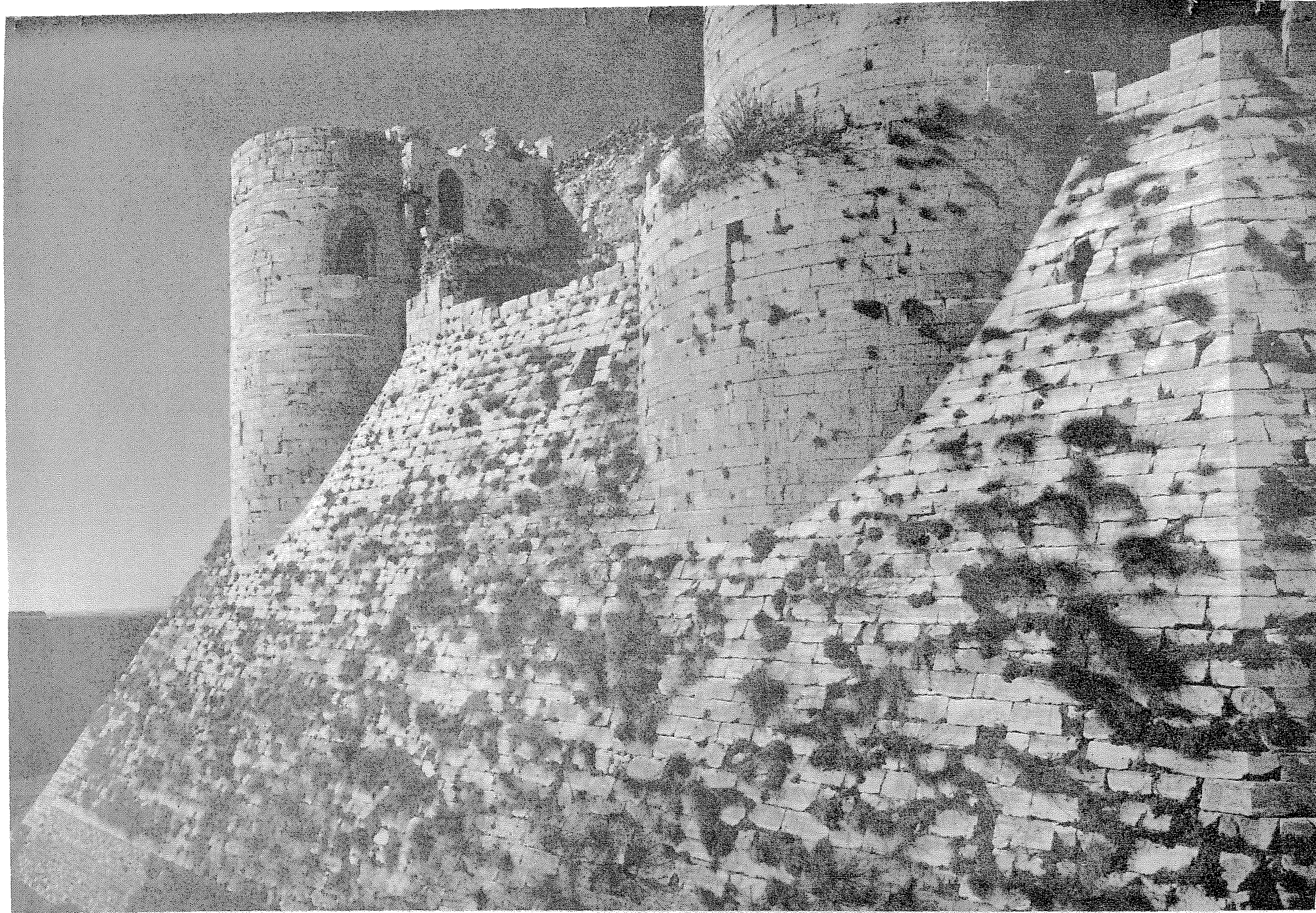
٦٦ ـ قلعة الحصن



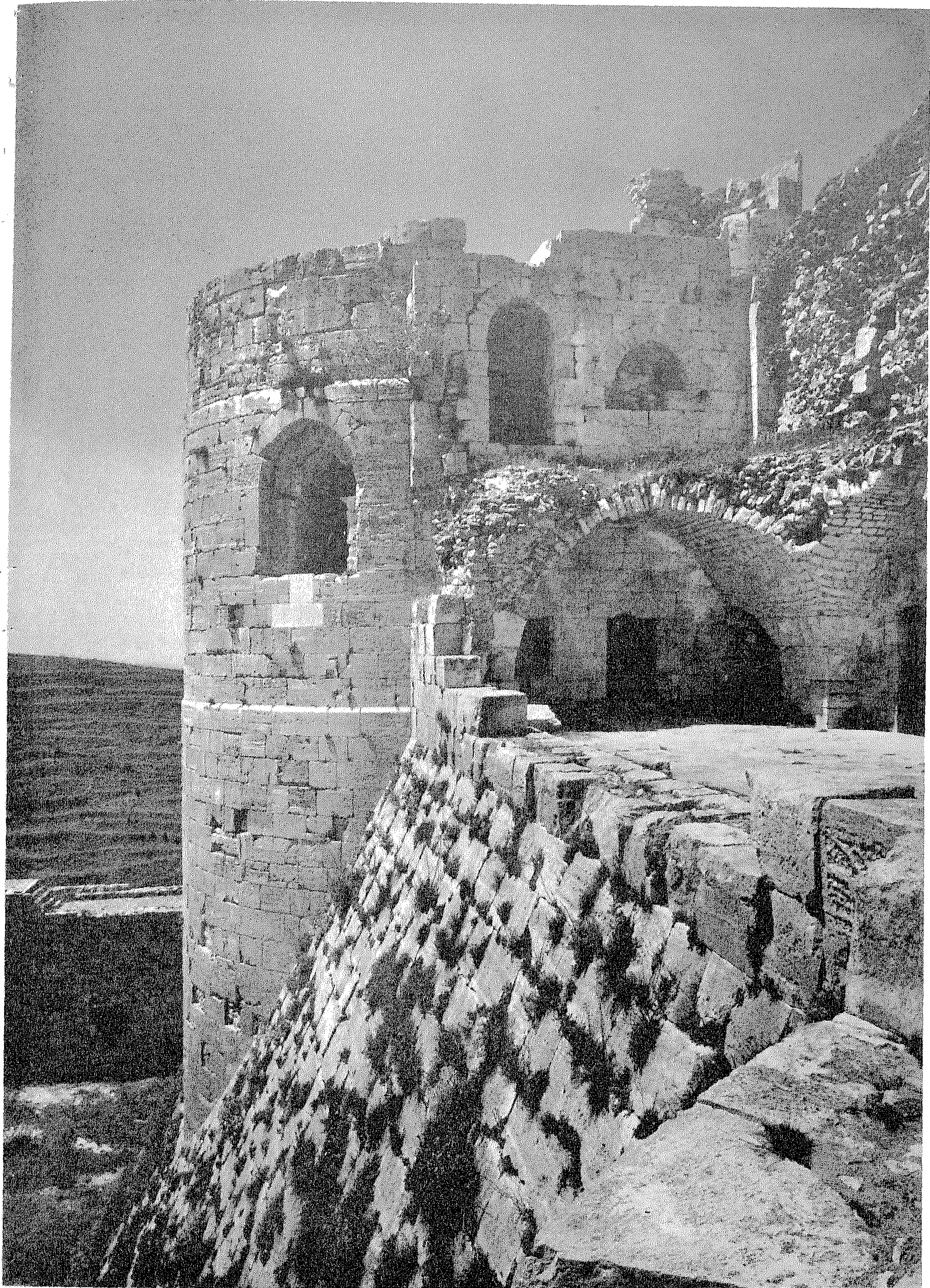
٦٧ ـ قلعة الحصن



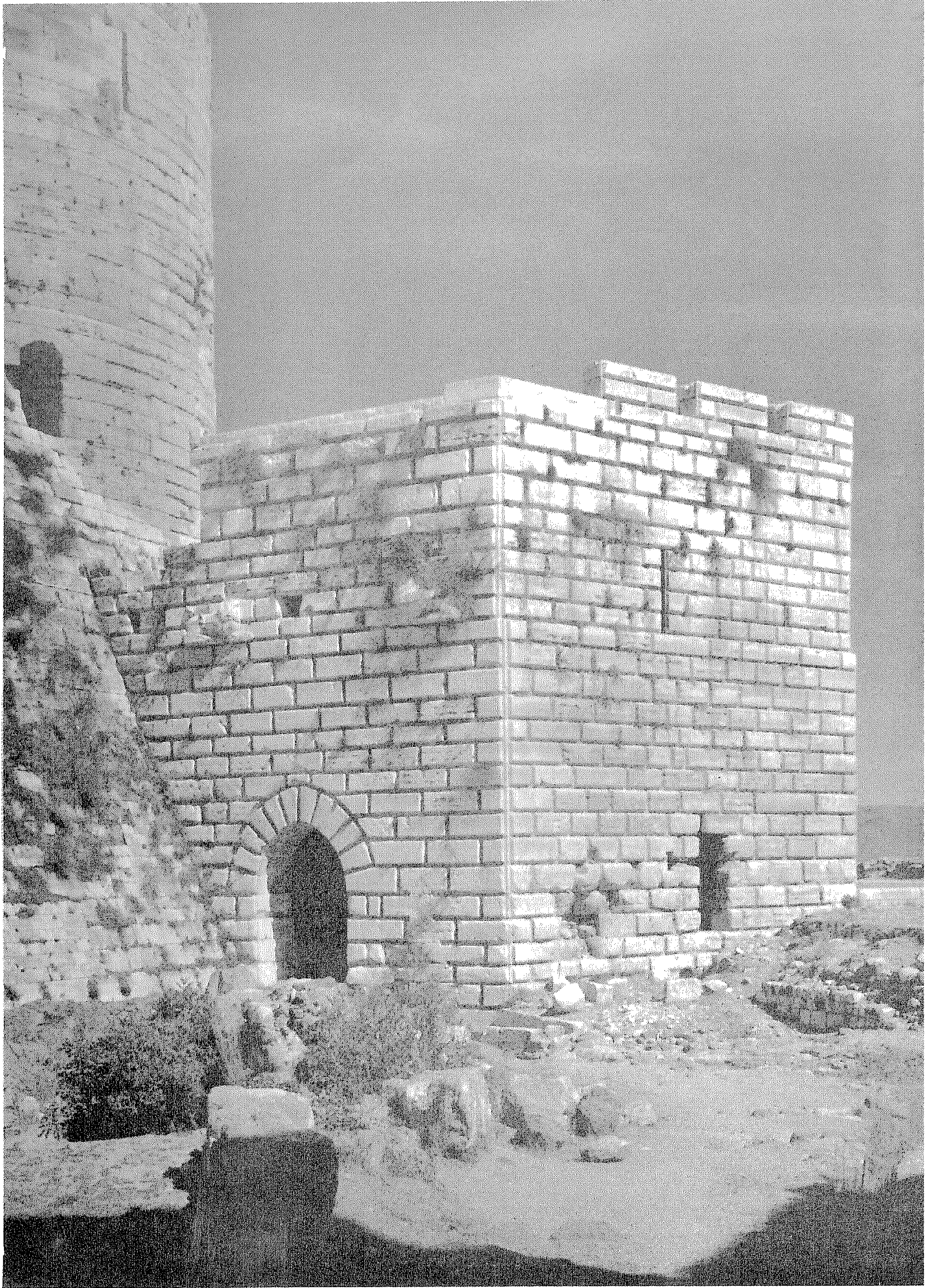
٦٨ - قلعة الحصن



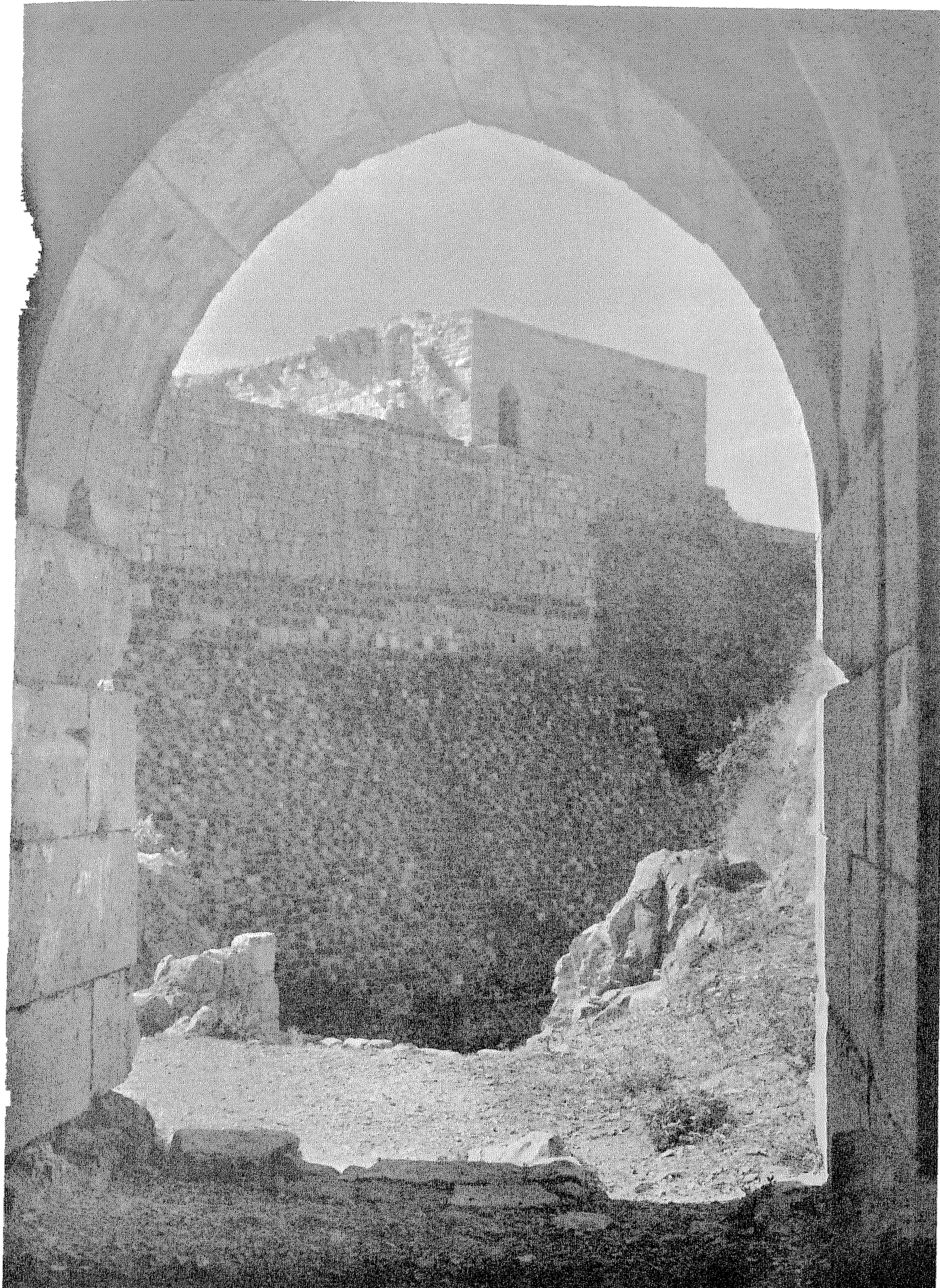
٦٩ ـ قلعة الحصن



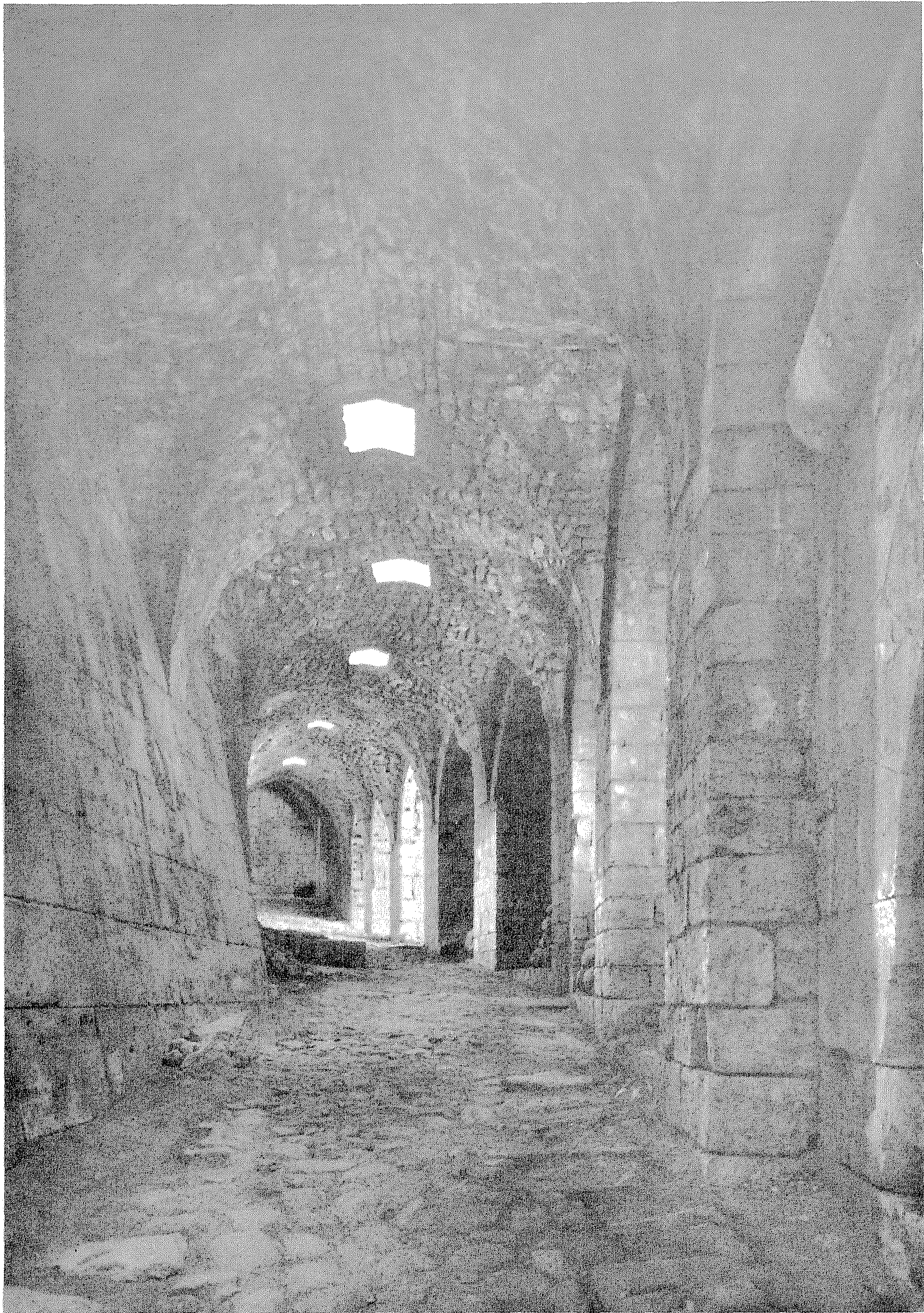
٧٠ ـ قلعة الحصن



٧١ ـ قلعة الحصن



٧٢ ـ قلعة الحصن



٧٣ ـ قلعة الحصن



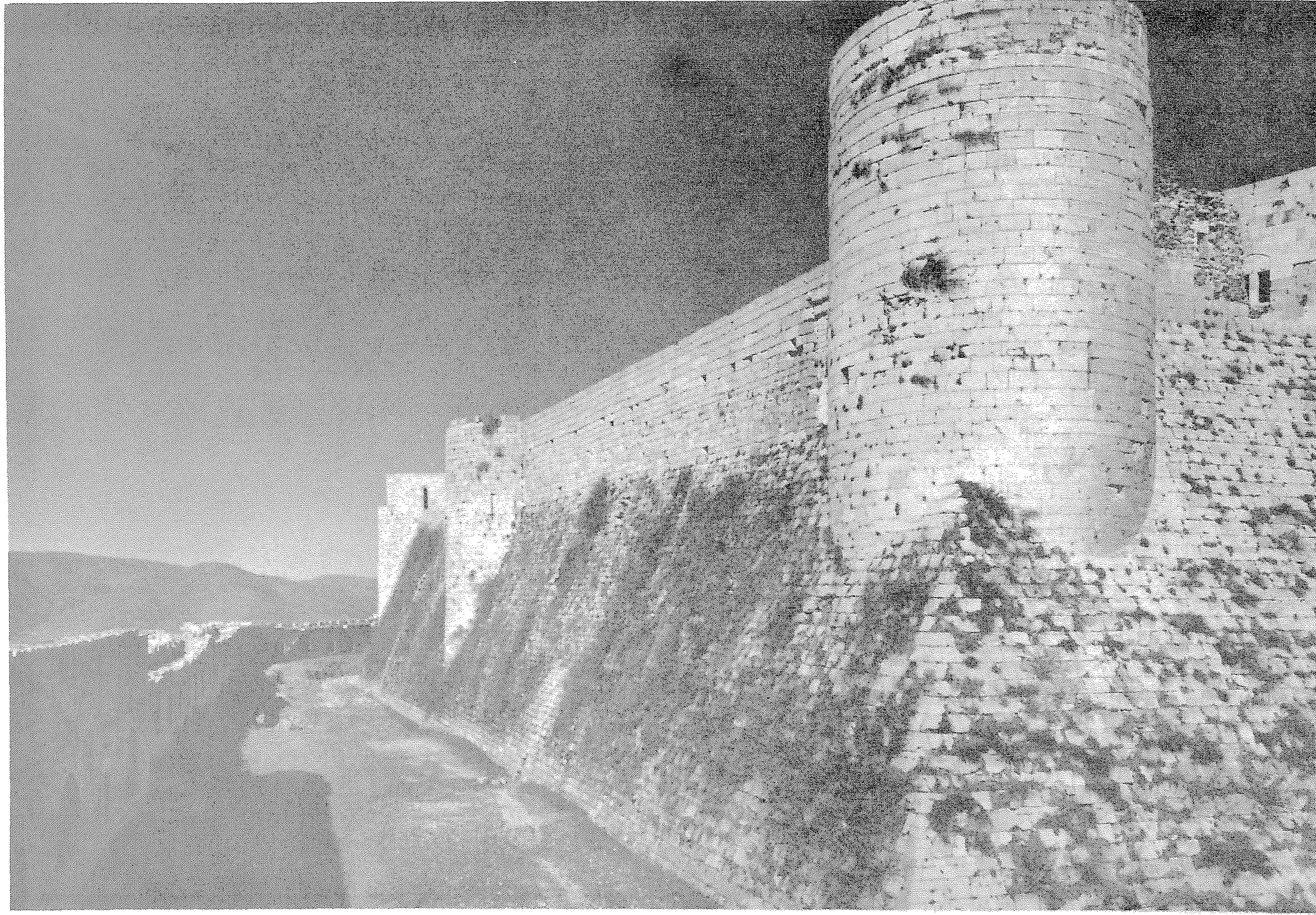
٧٤ ـ قلعة الحصن



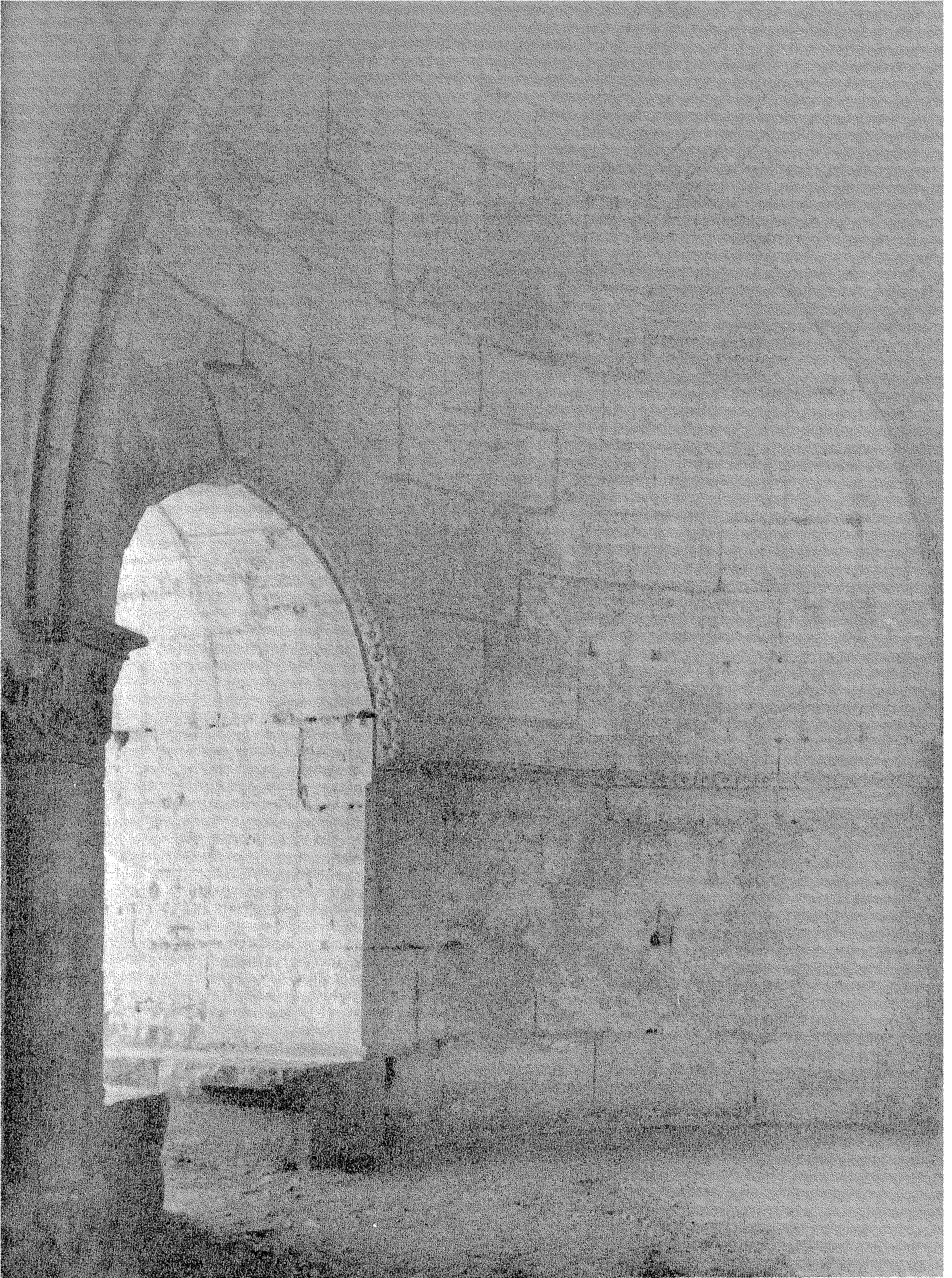
٧٥ ـ قلعة الحصن



٧٦ ـ قلعة الحصن



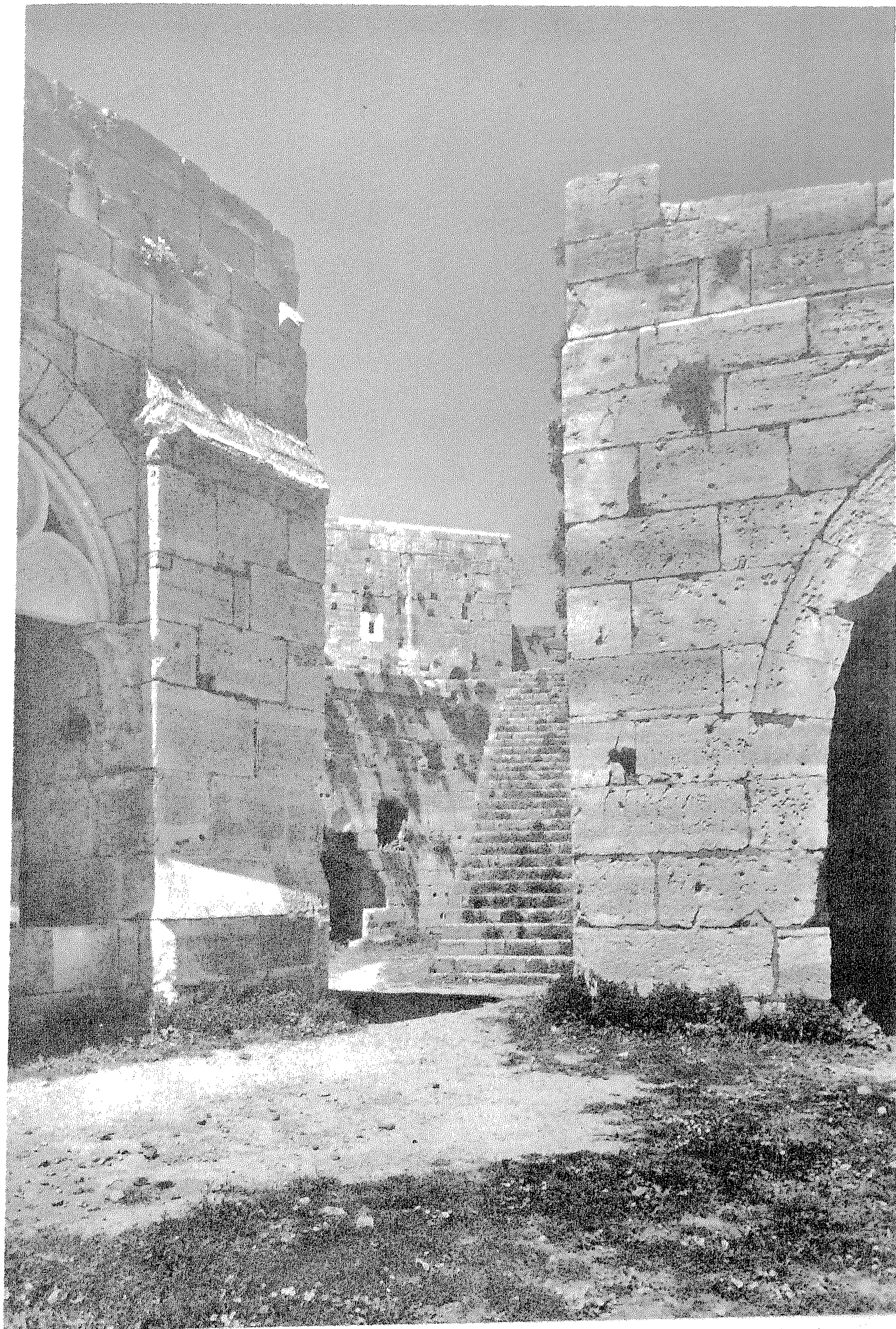
٧٧ ـ قلعة الحصن



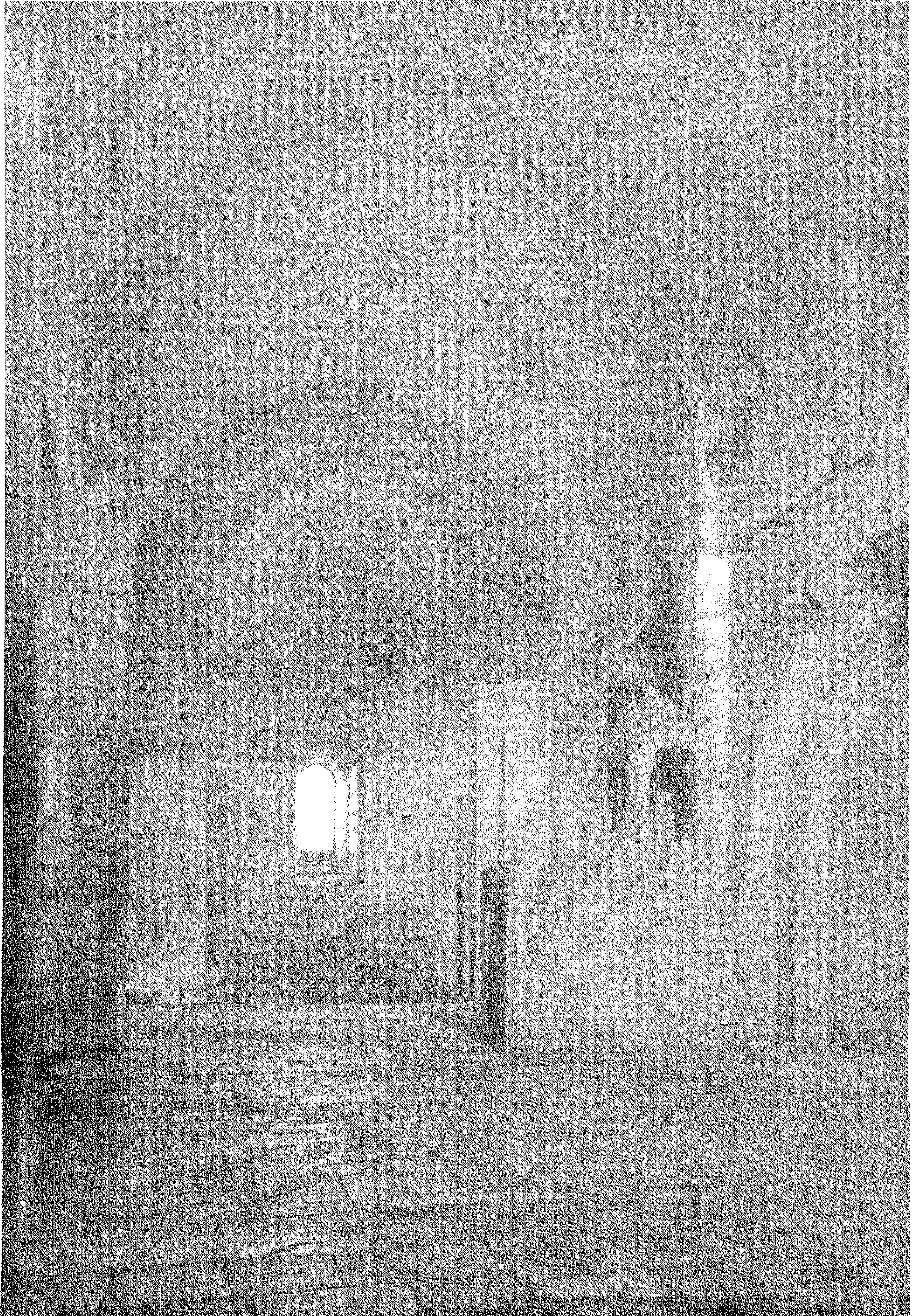
٧٨ ـ قلعة الحصن



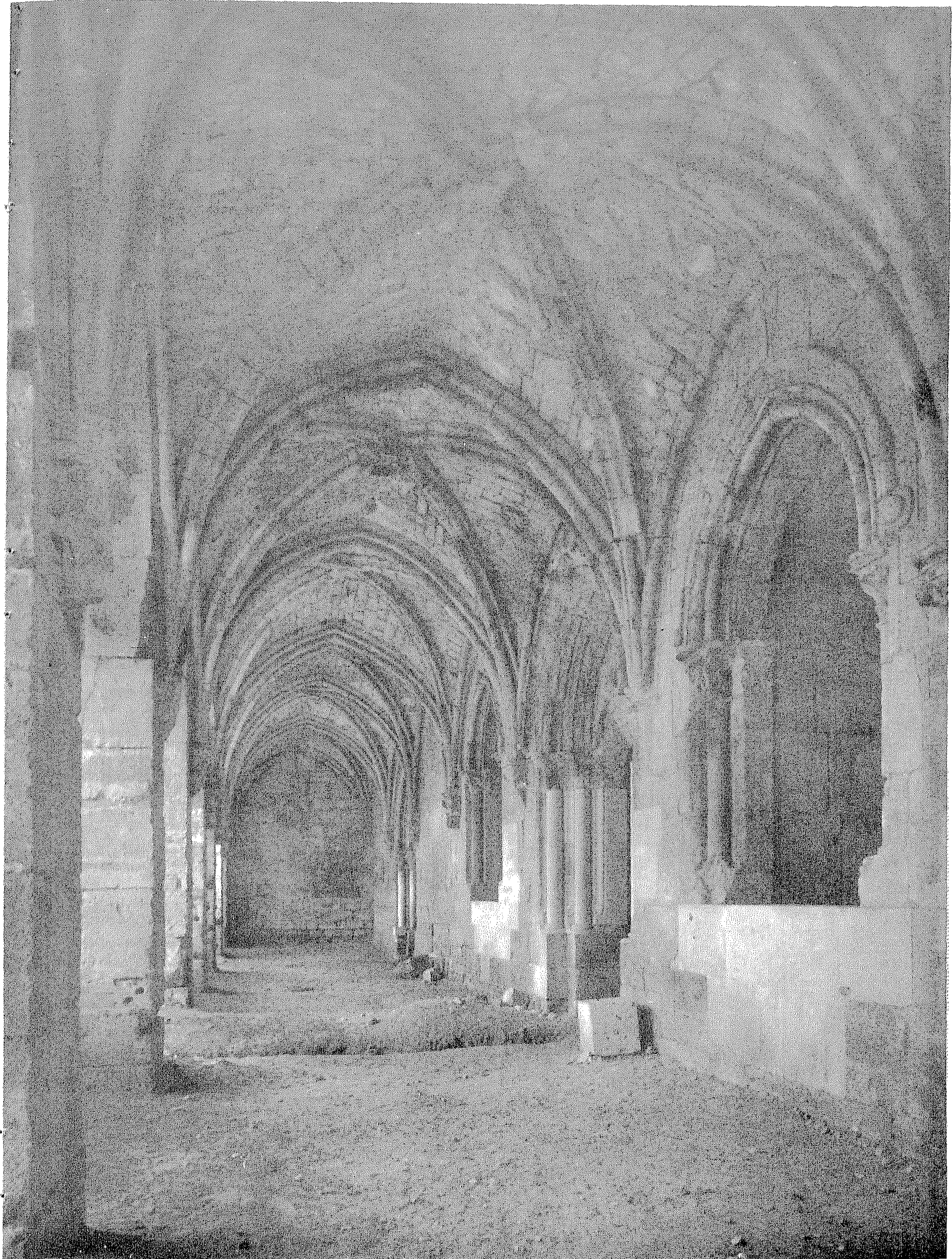
٧٩ ـ قلعة الحصن



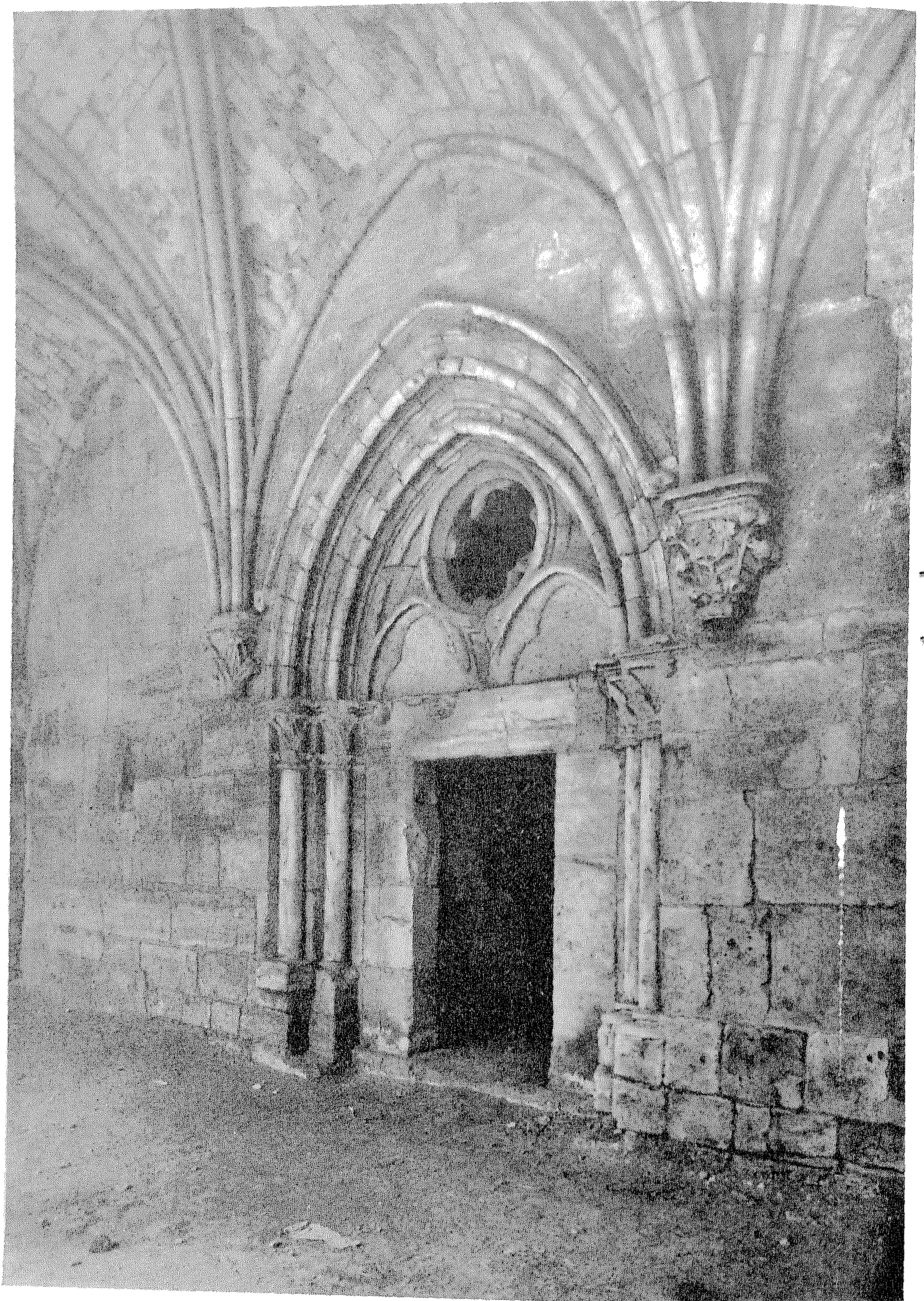
٨٠ ـ قلعة الحصن



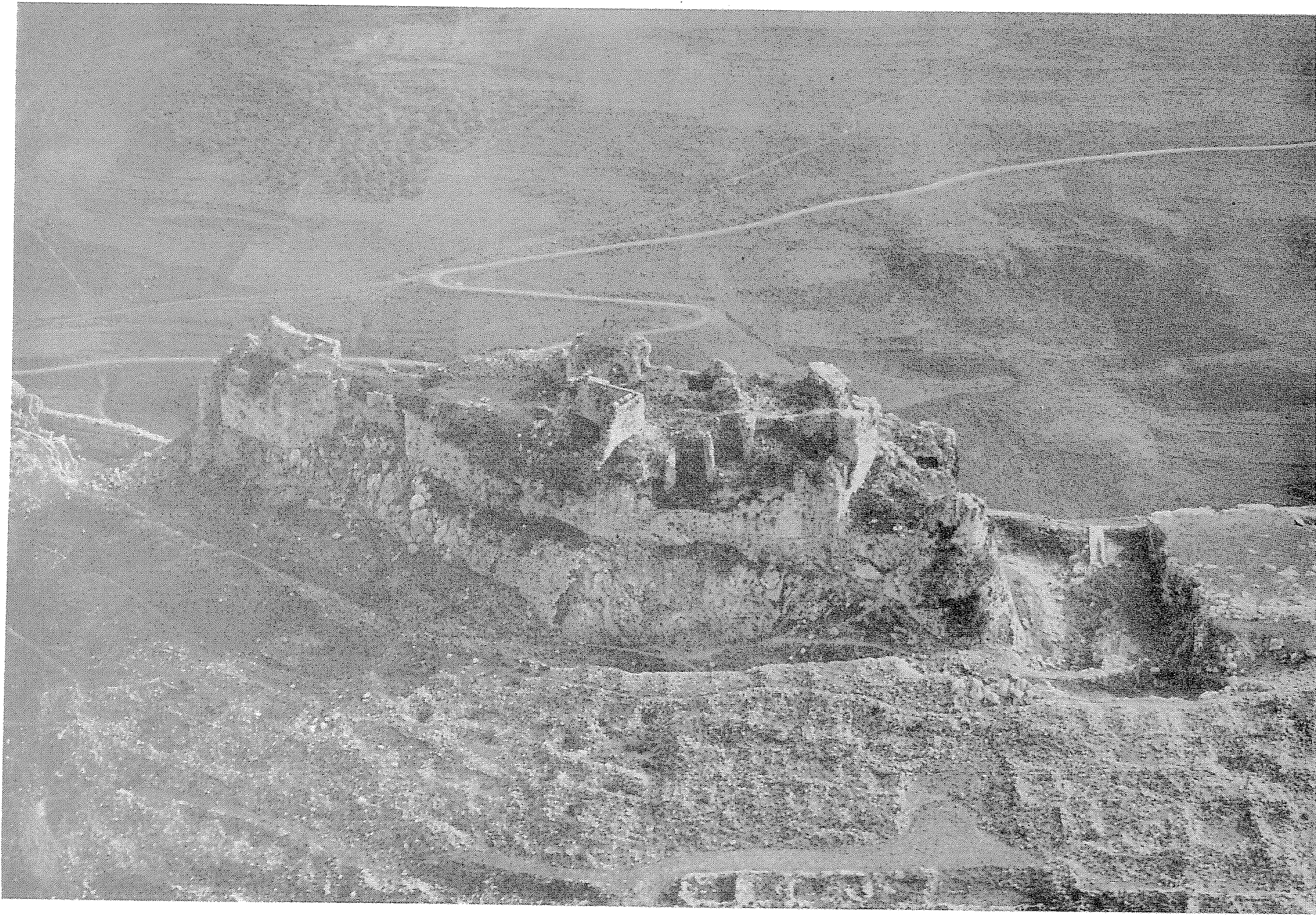
قلعة الحصن



٨٢ ـ قلعة الحصن



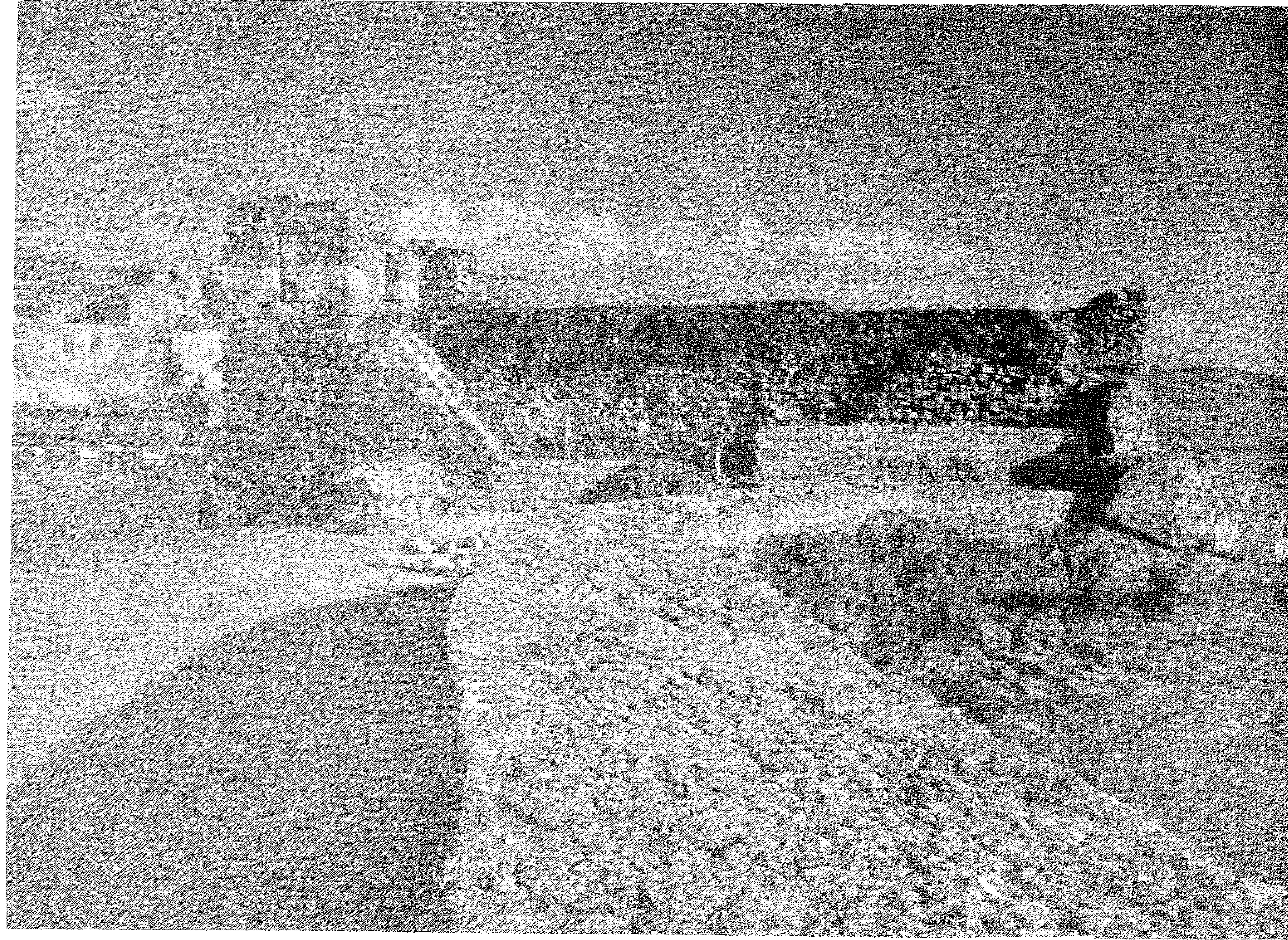
٨٣ ـ قلعة الحصن



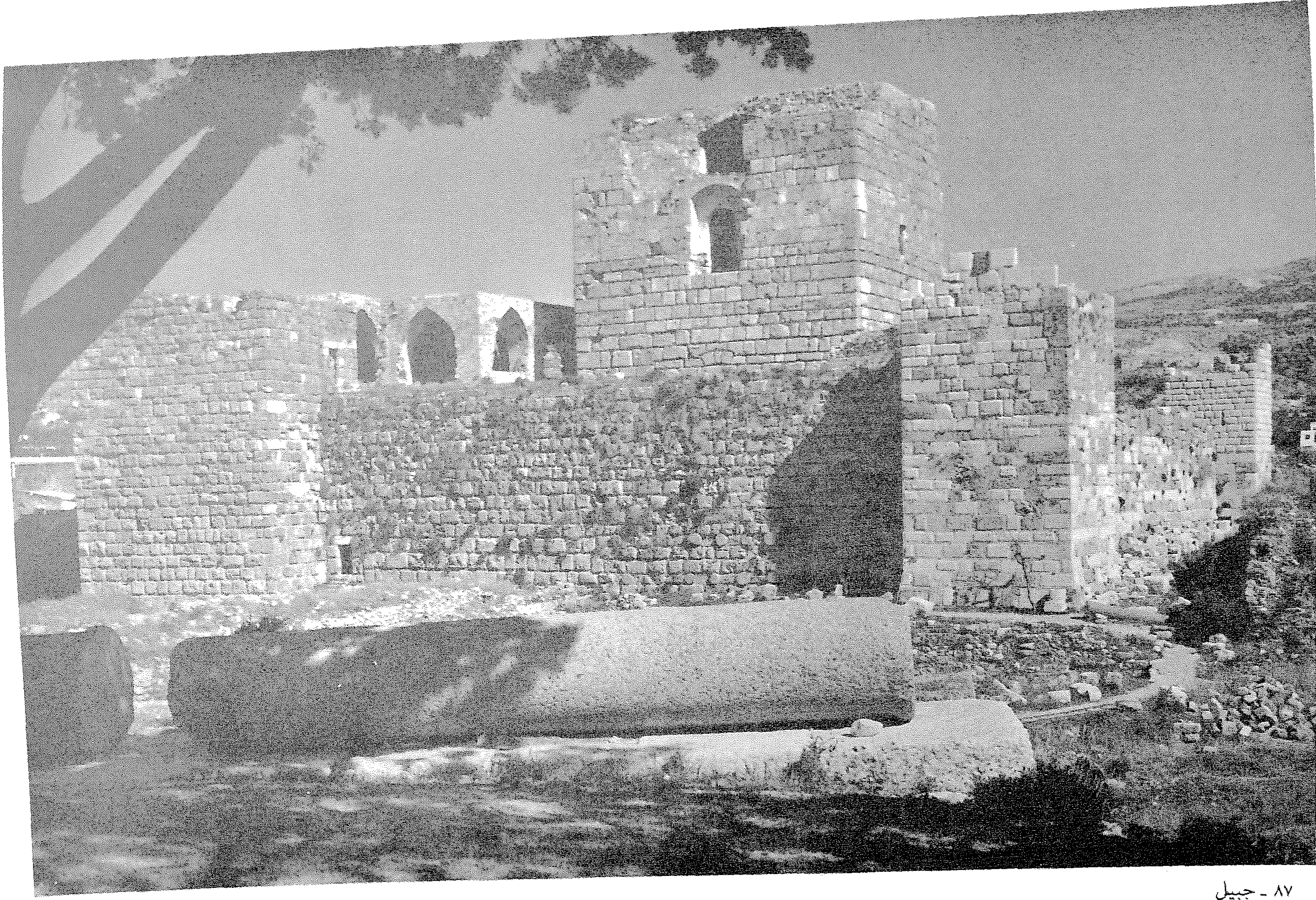
٨٤ ـ شقيف أرنون (بوفورت)



٨٥ ـ جبيل



٨٦ـ جبيل



٨٧ - جبيل

١٠١ - قيسارية



٨٨ ـ حارم

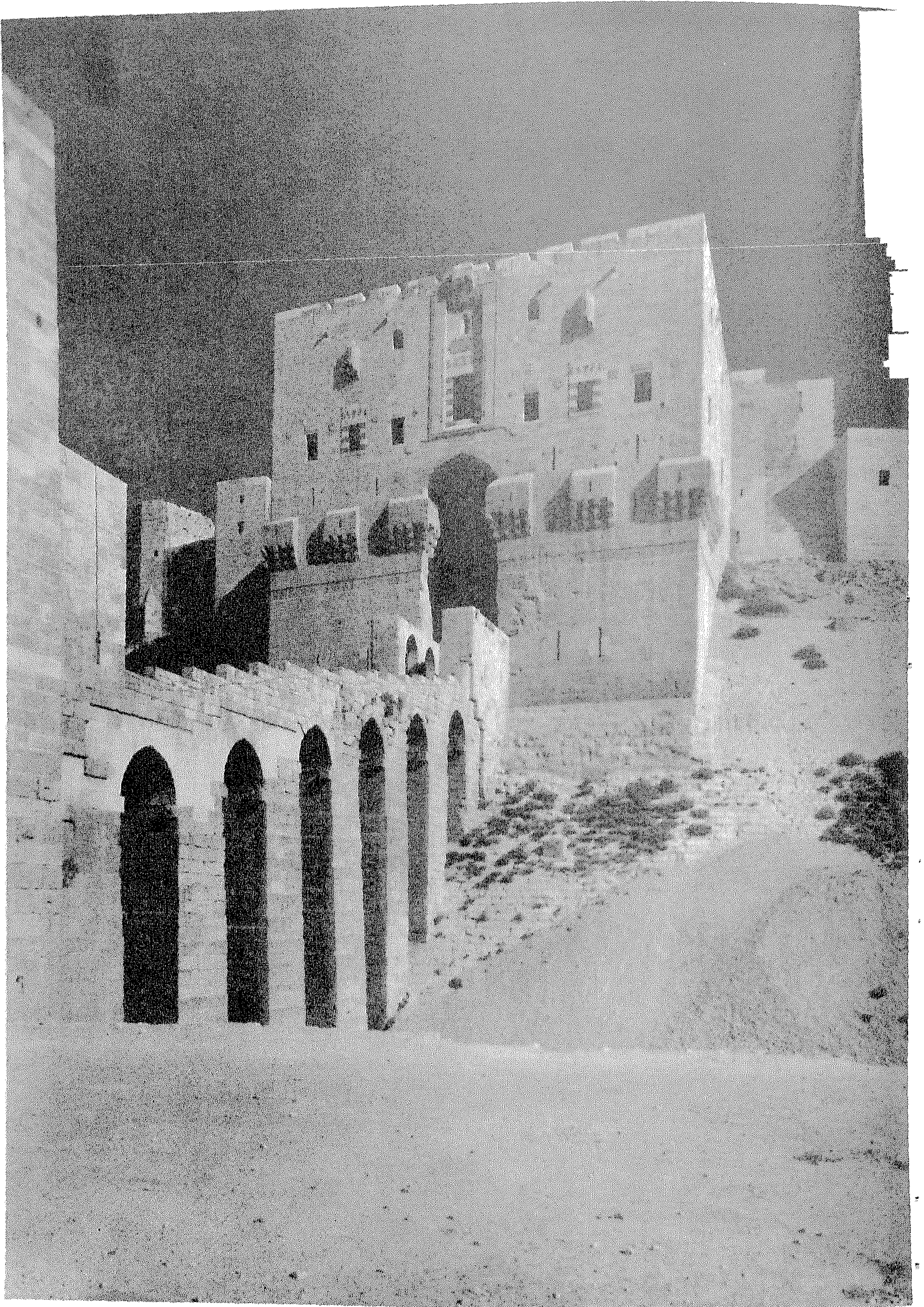


٨٩ - حارم

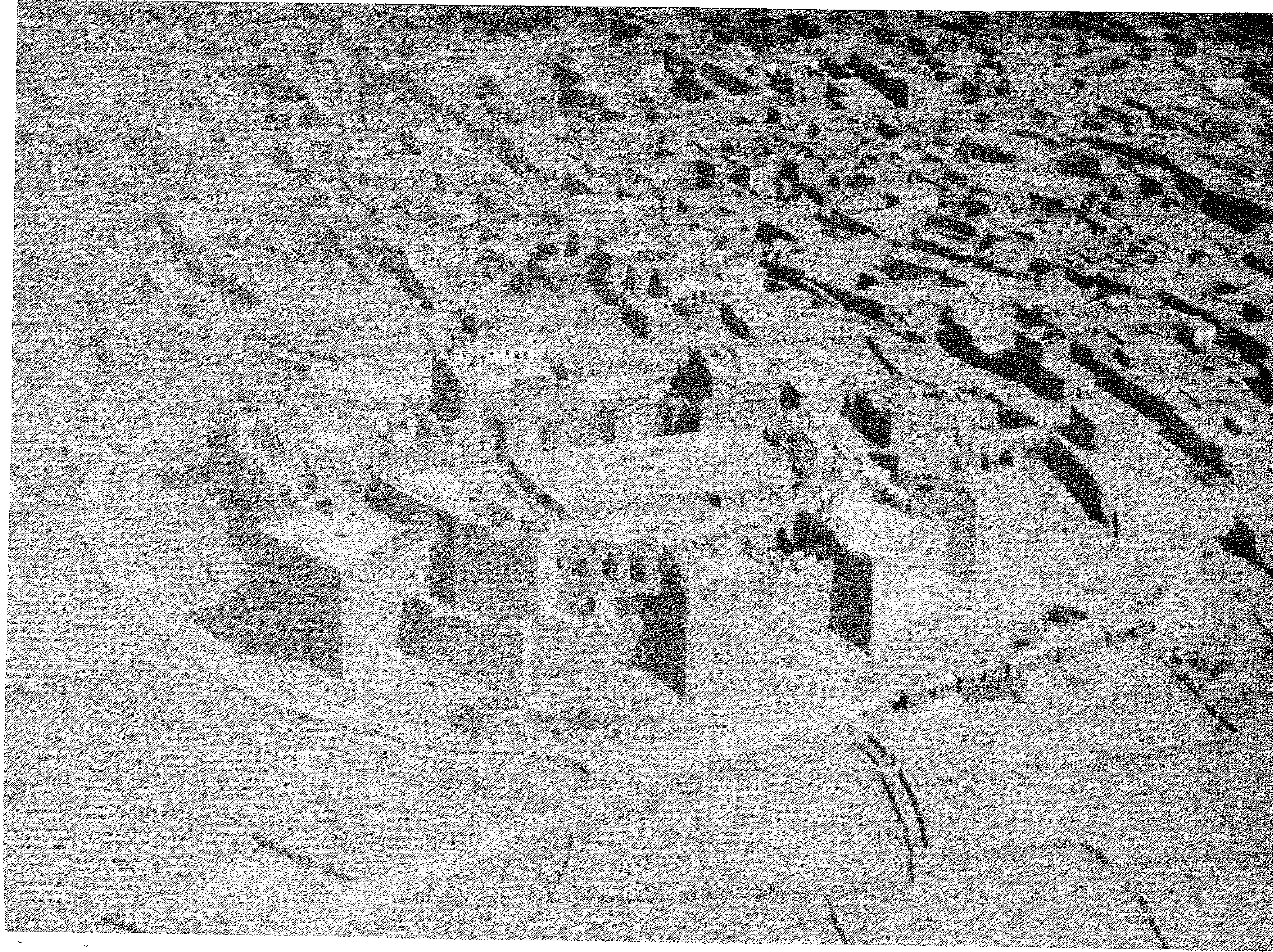
١٠٢ - قيسارية



٩٠ ـ حلب



٩١ ـ حلب



٩٢ـ بصرى

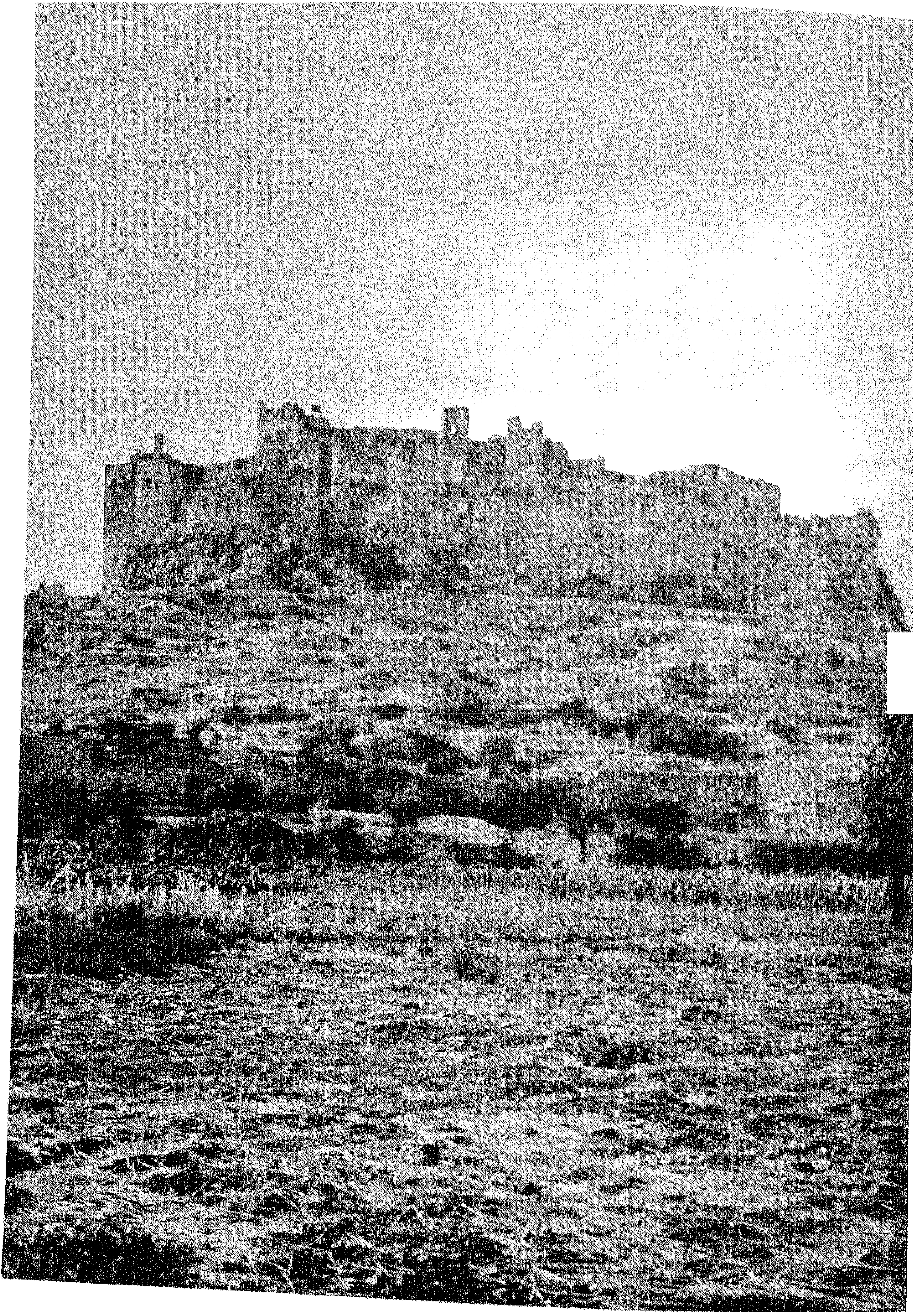


٩٣ - بصرى

١٠٣ - قيسارية



٩٤ - بصرى



٩٥ ـ مصياف

١٠٣ ـ قيسارية

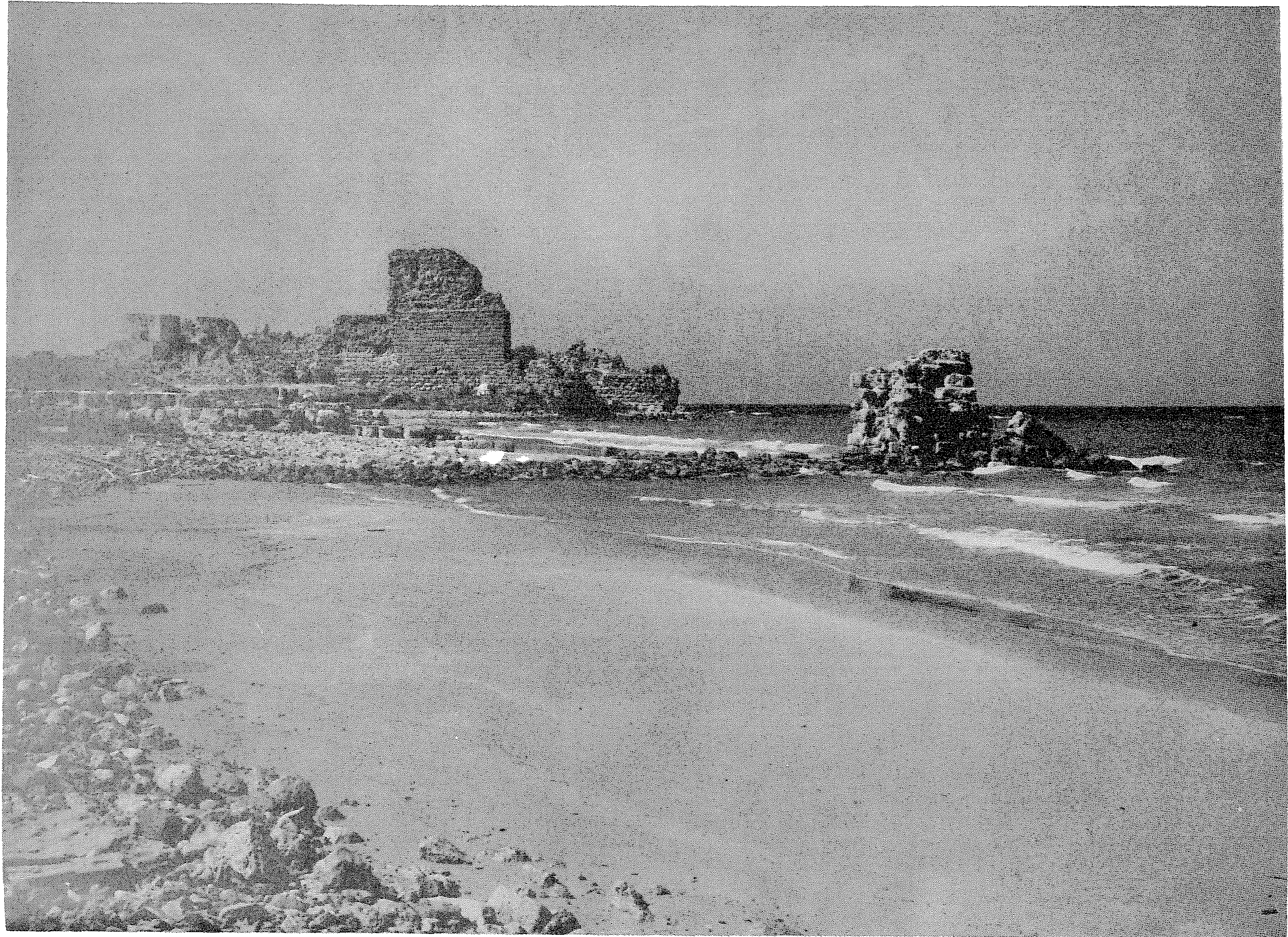


٩٦ ـ صيدا

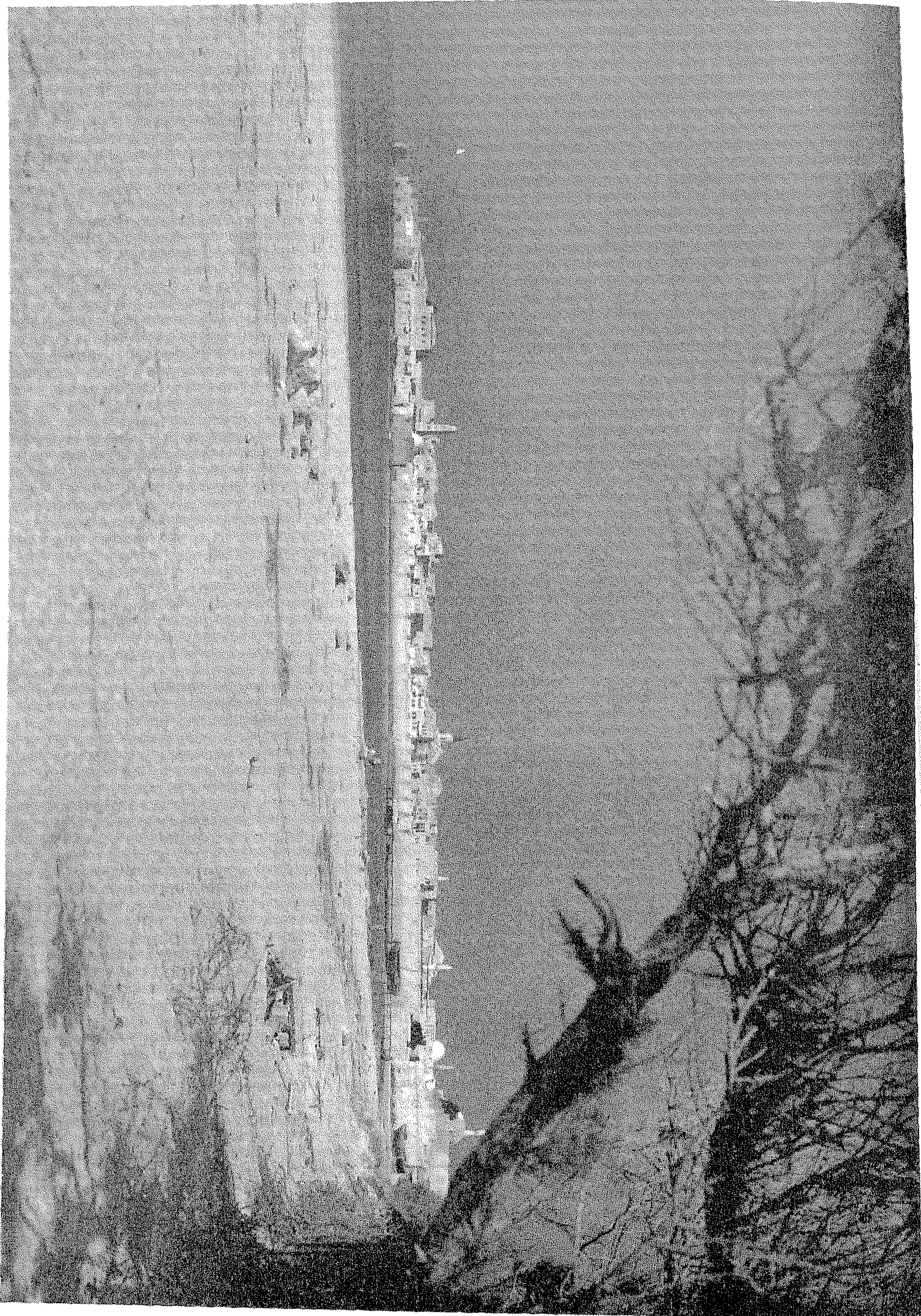


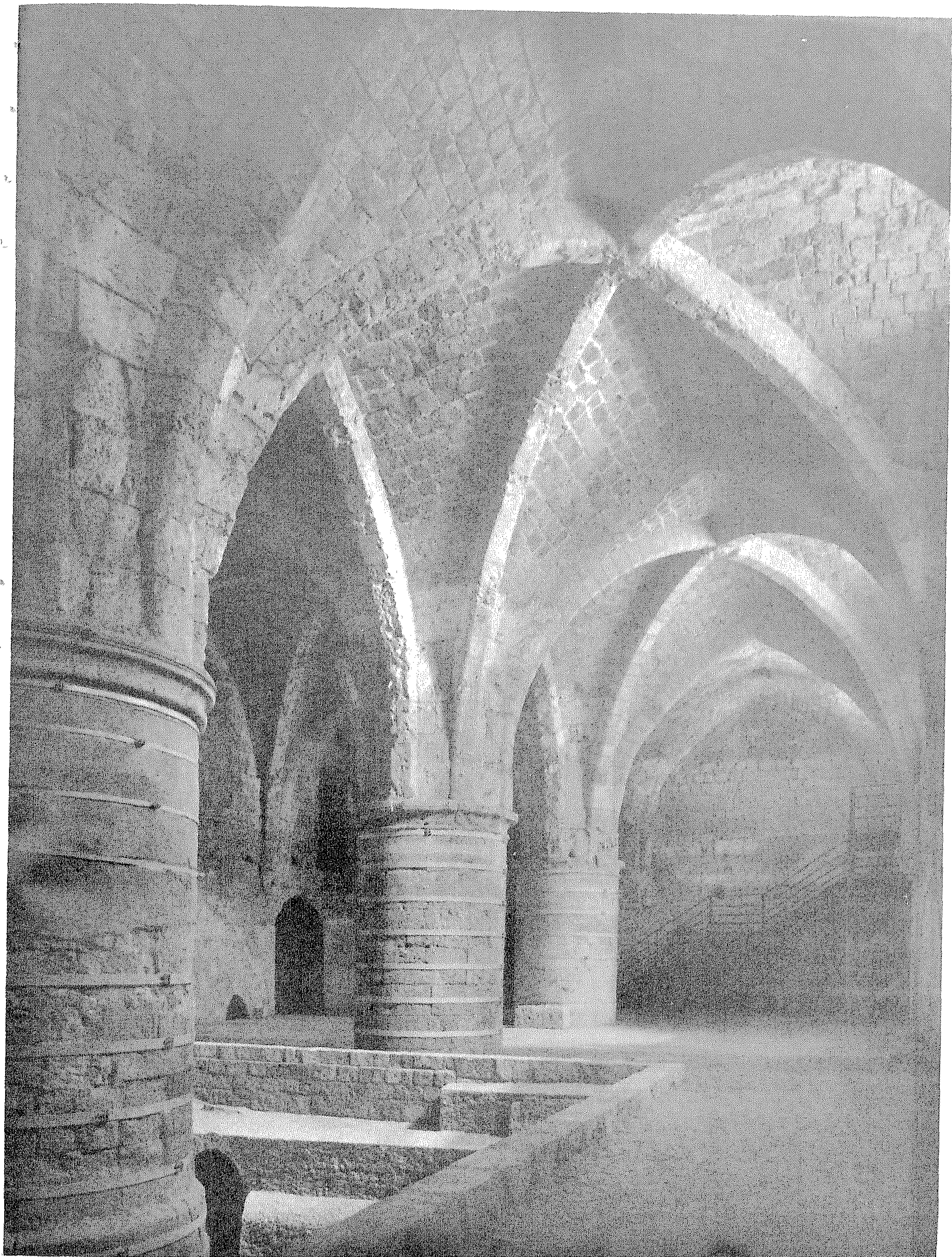
٩٧ ـ صيدا

١٠٣ ـ قيسارية

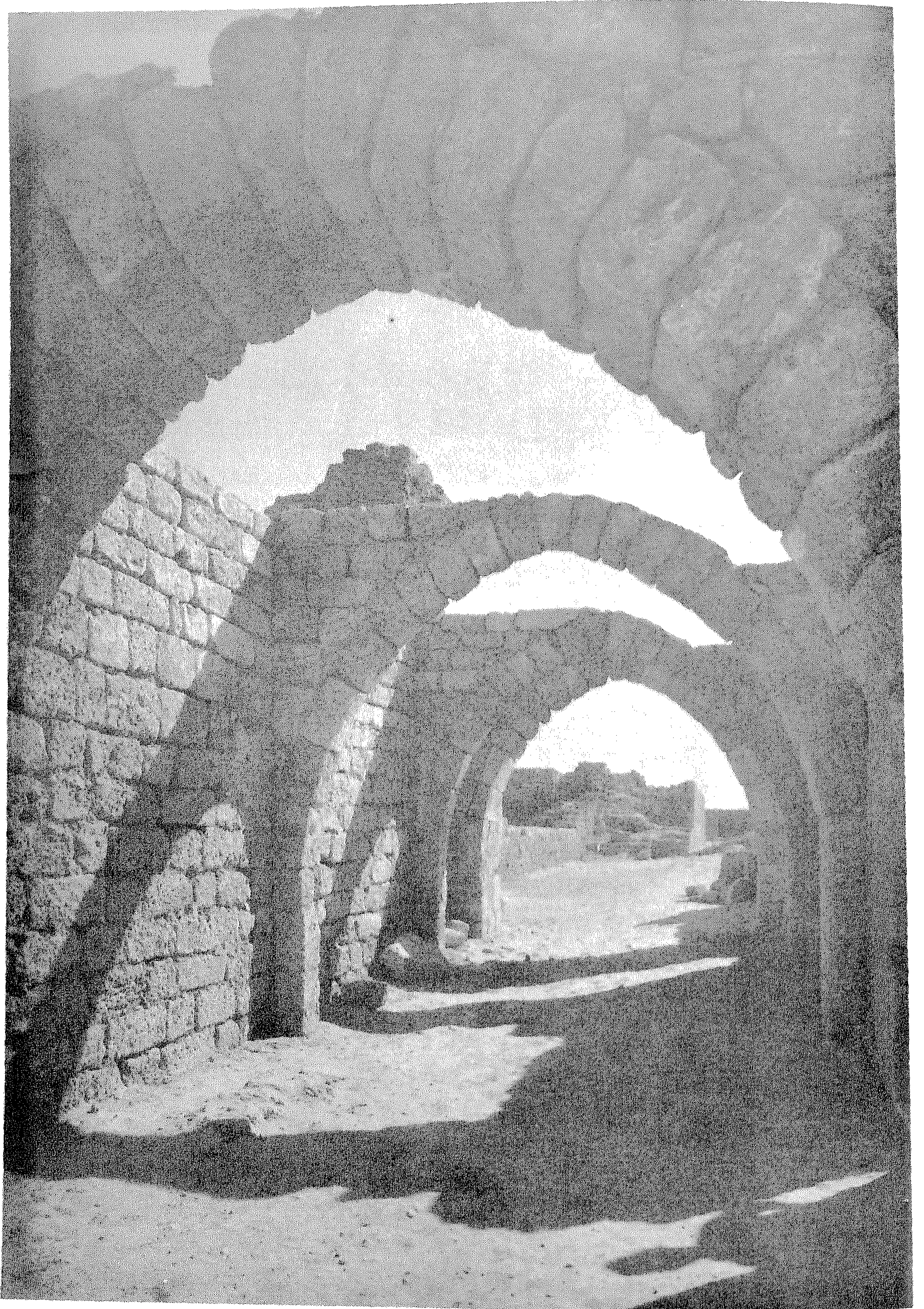


٩٨ - عتليت (قصر الحجيج)



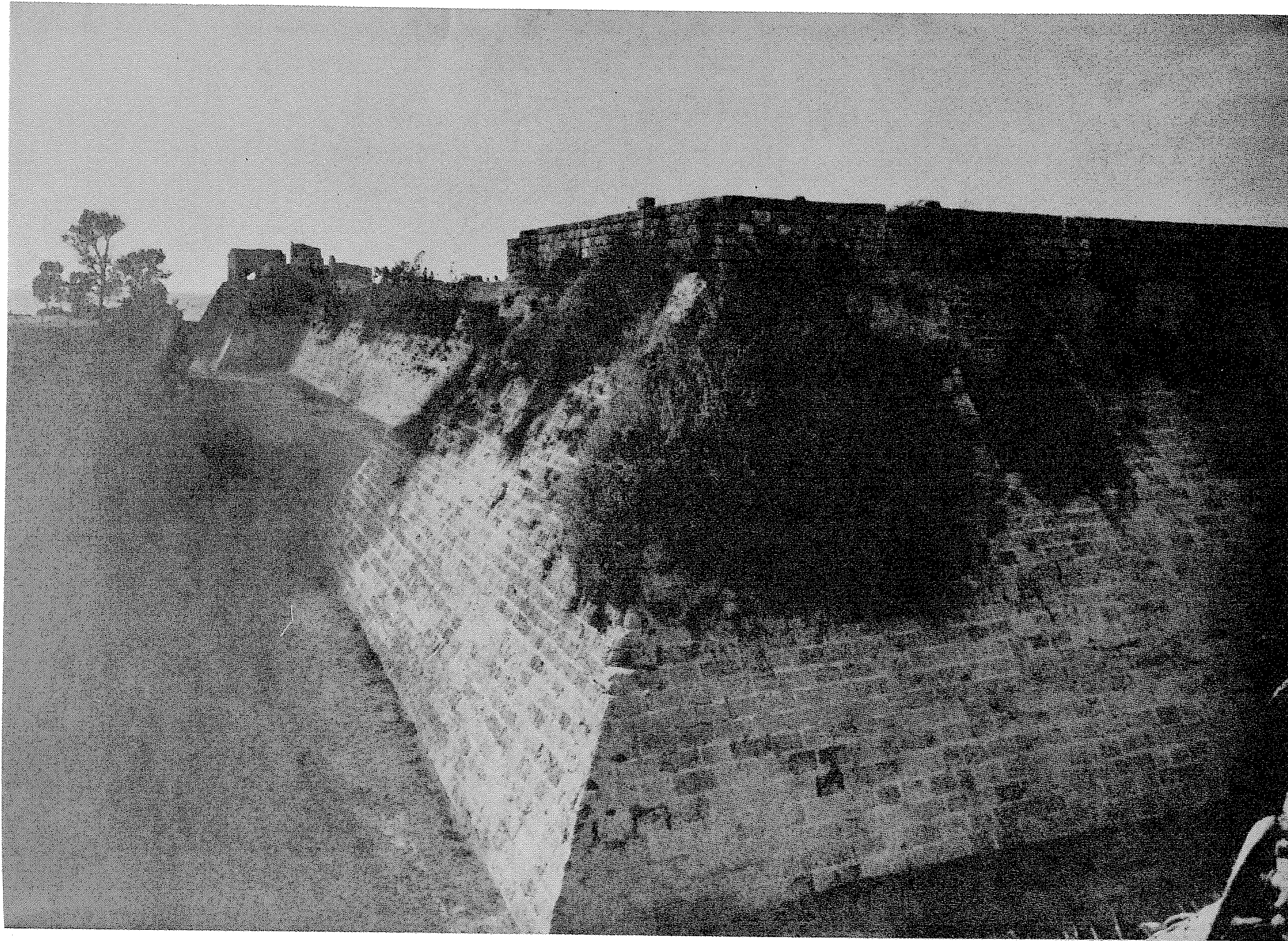


ک-۱۰۰

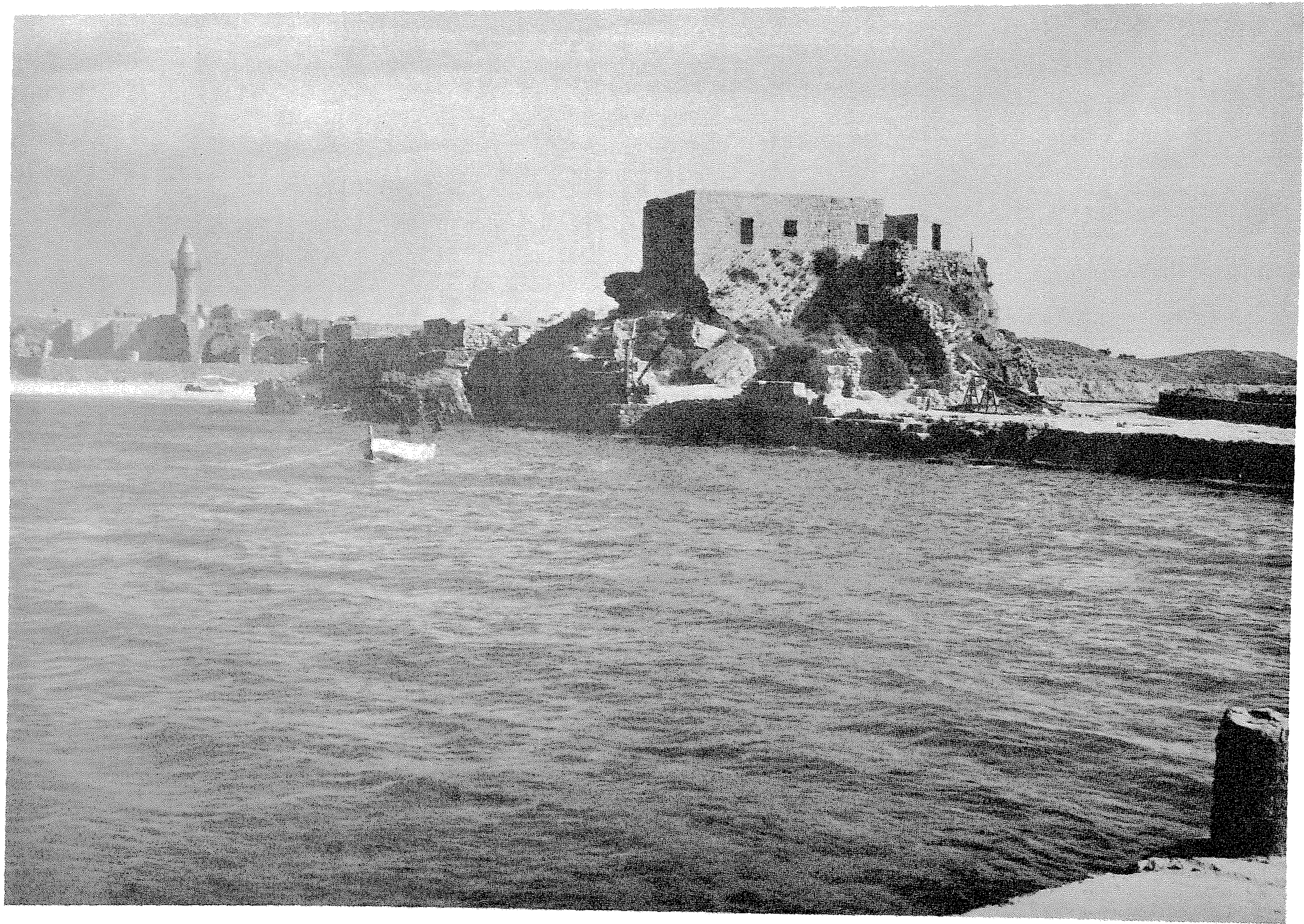


١٠١ ـ قيسارية

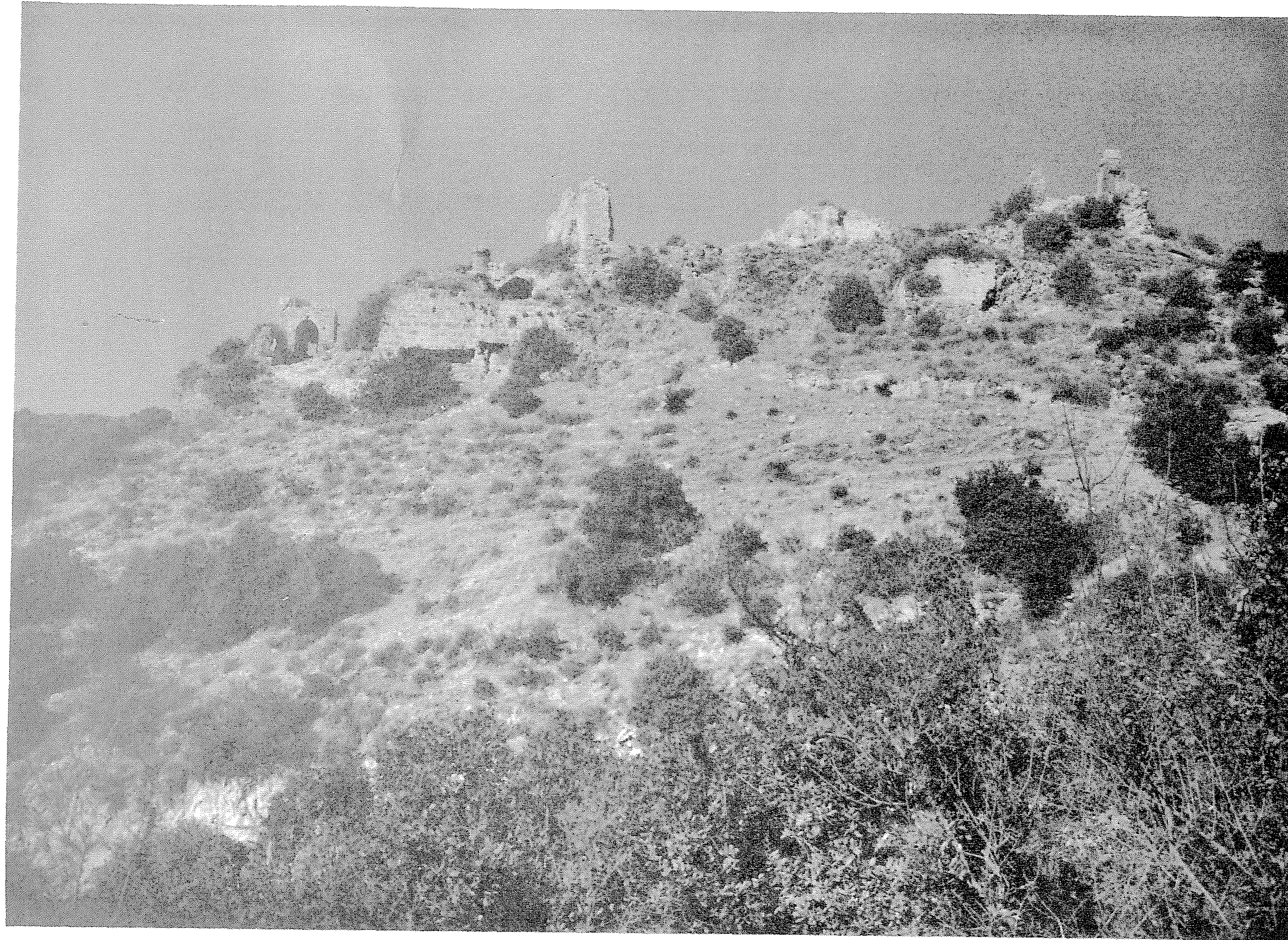
١٠٢ ـ قيسارية



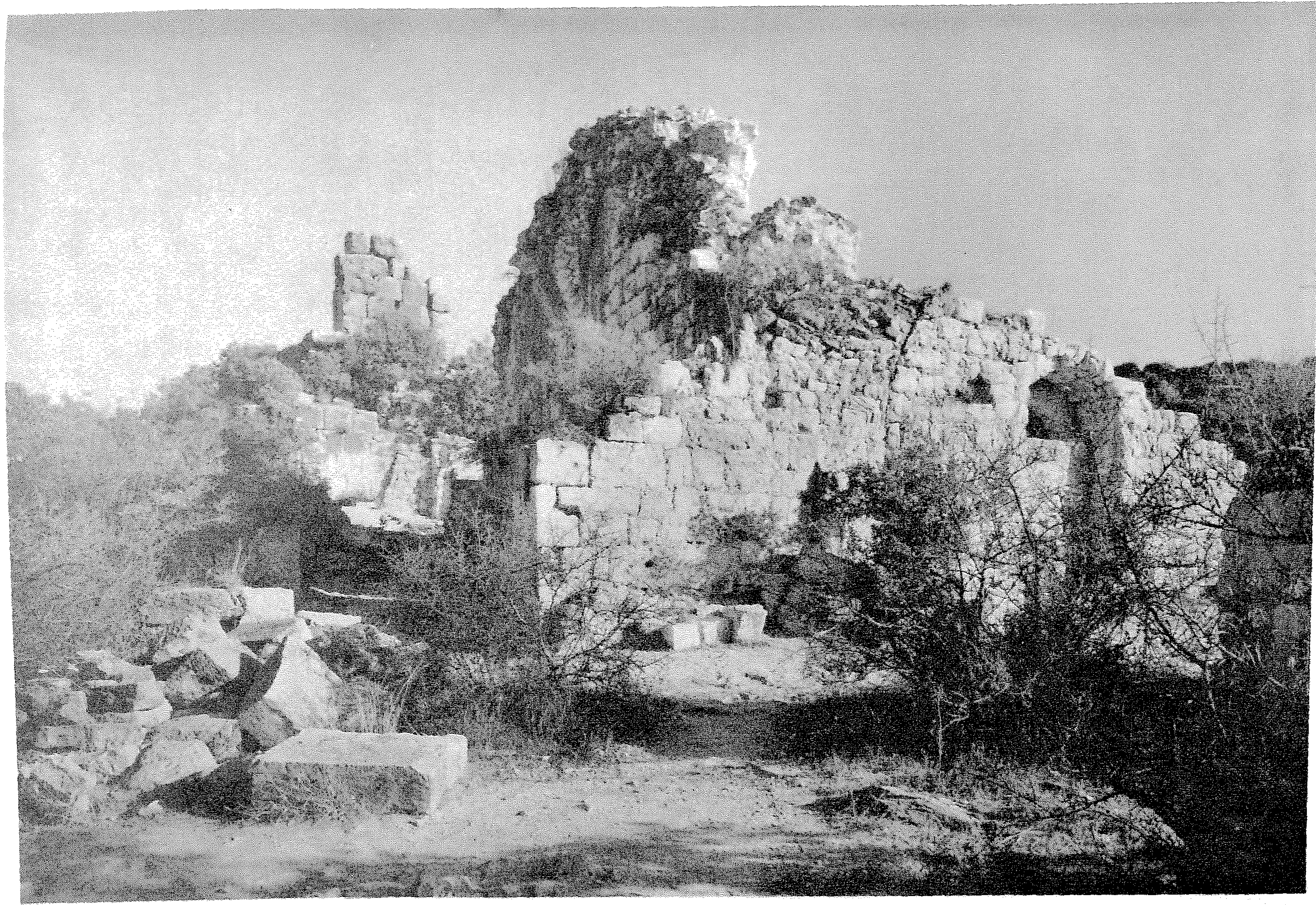
١٠٢ـ قيسارية



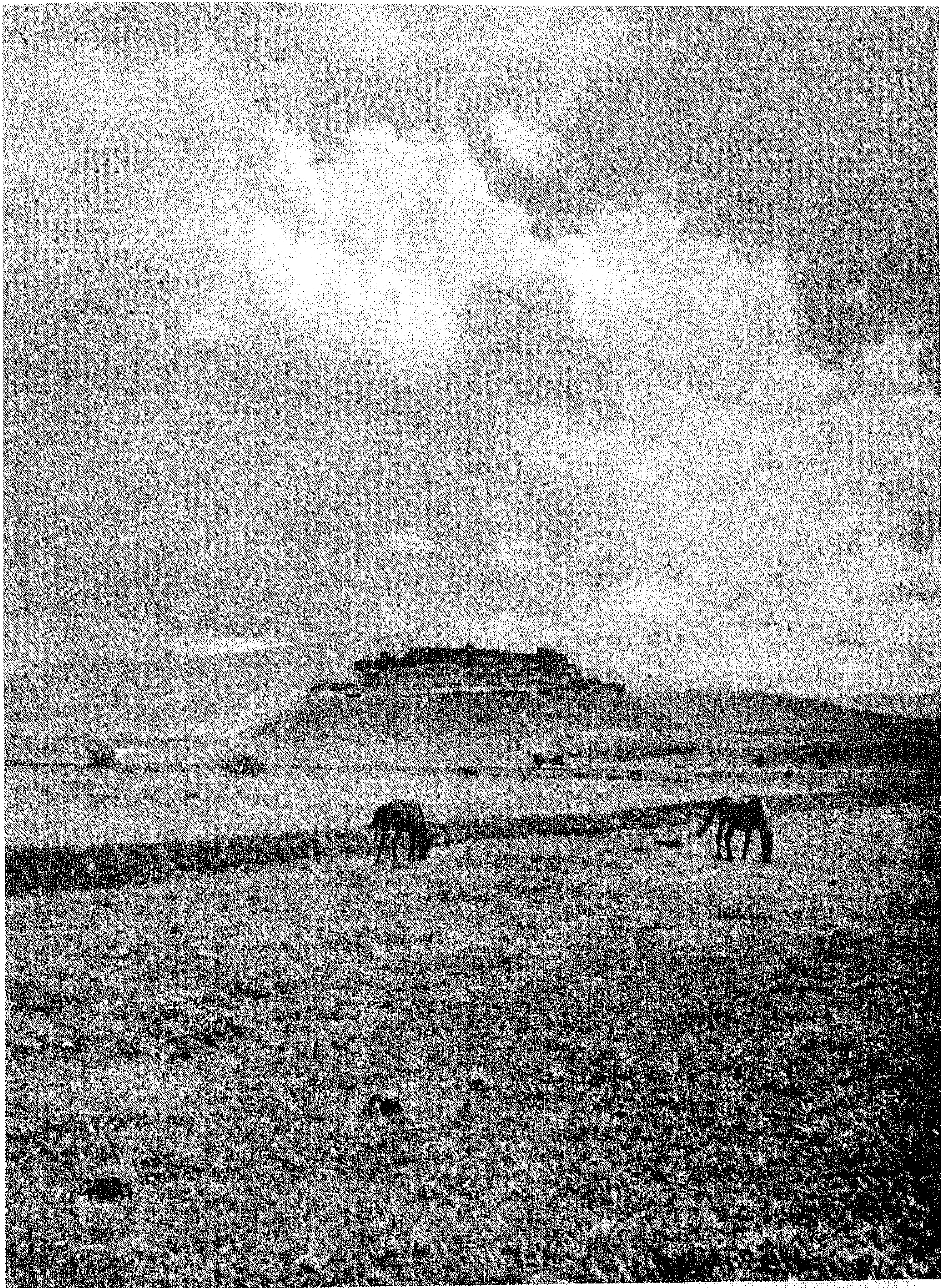
١٠٣ - قيسارية



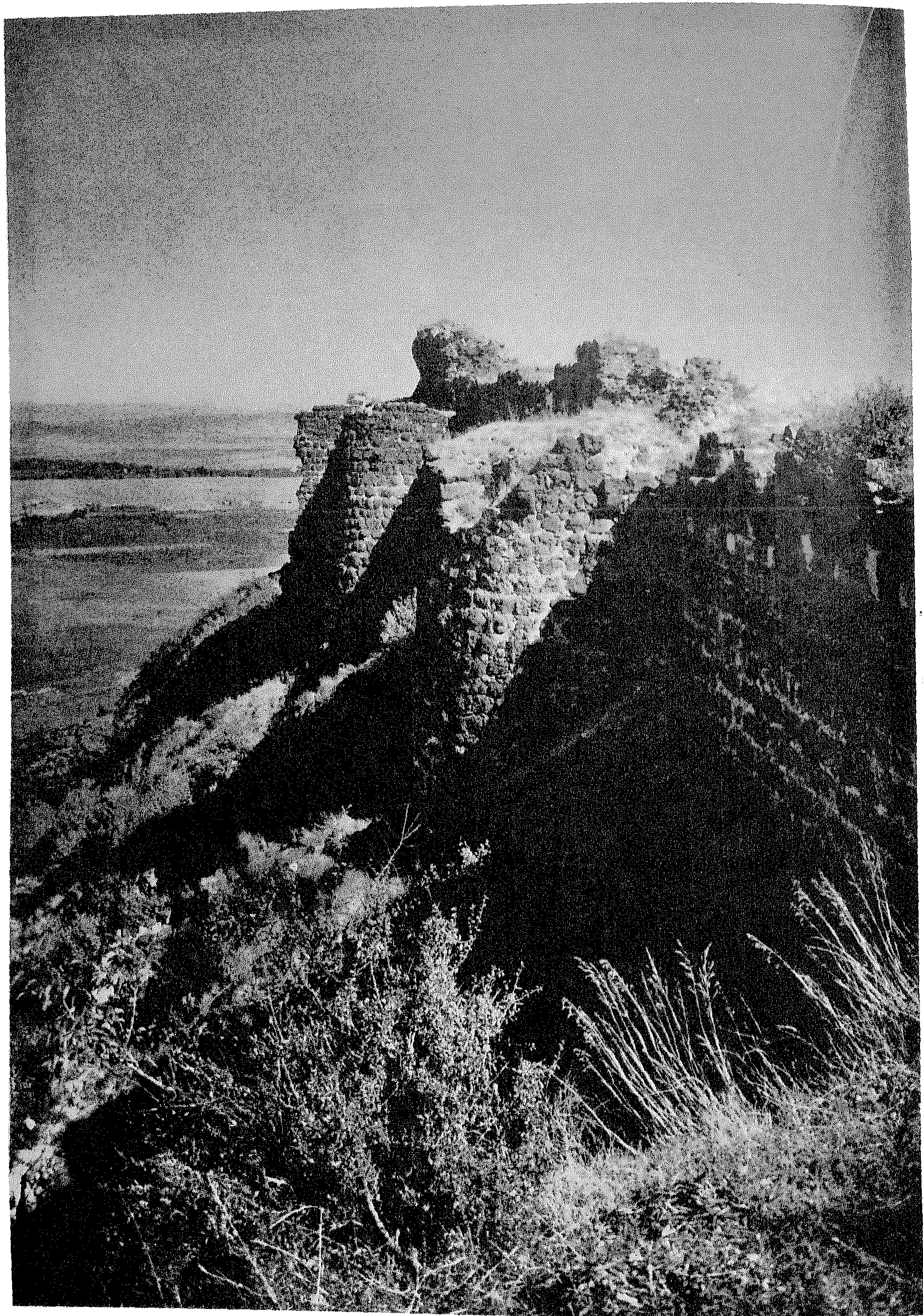
١٠٤ ـ قلعة قرين (مونتفورت)



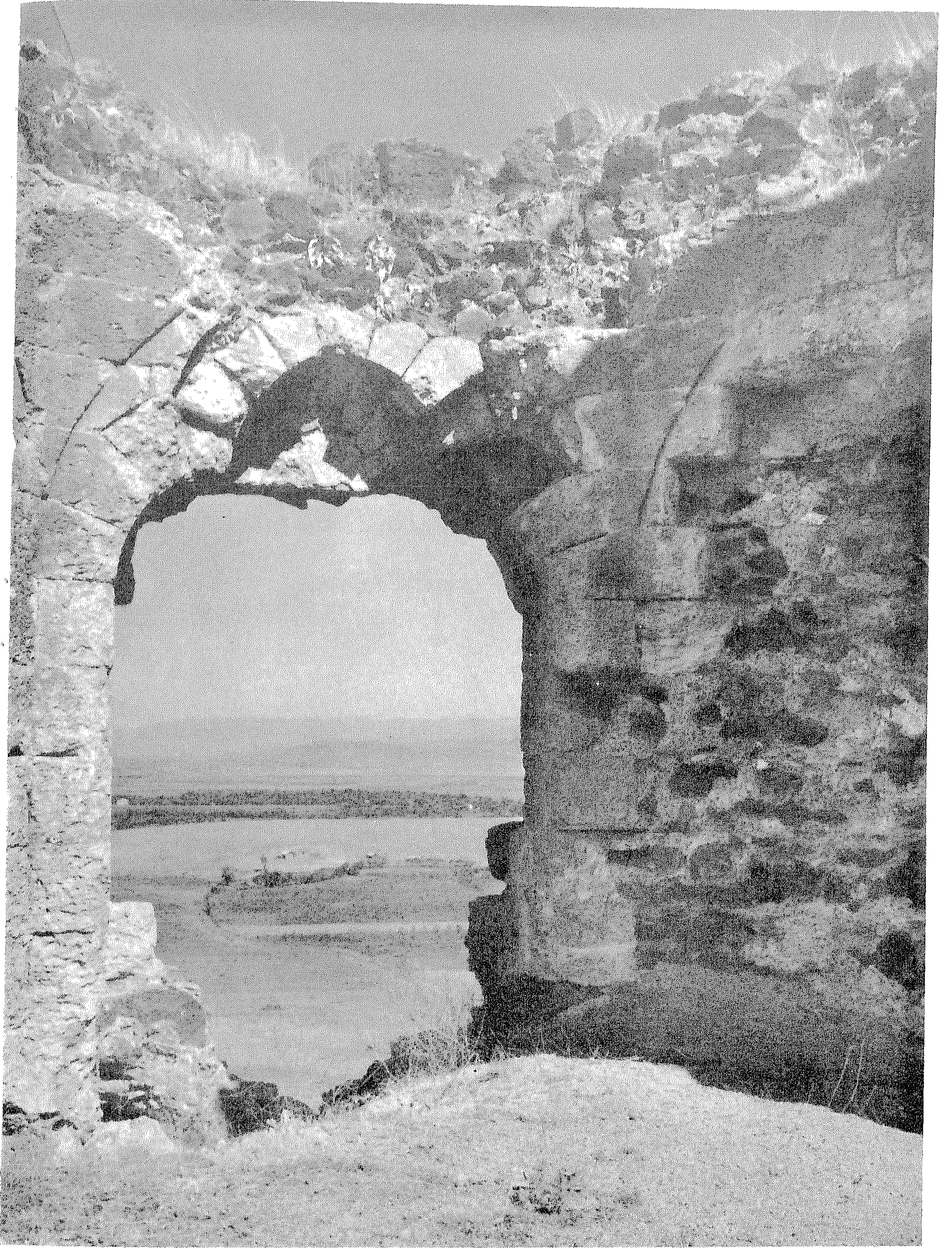
١٠٥ ـ قلعة قرين (مونتفورت)



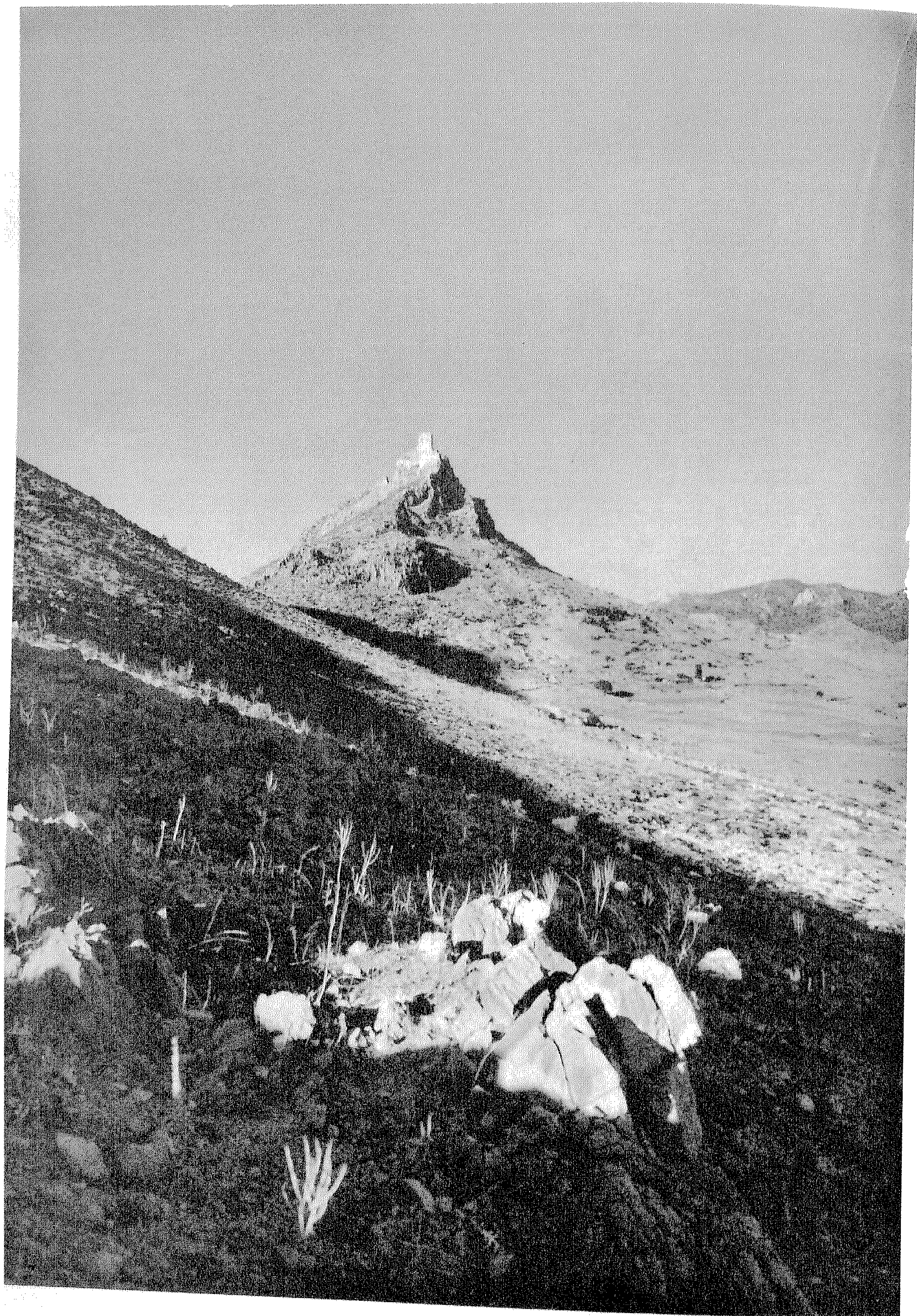
١٠٦ ـ تل حمدون (طبراكال)



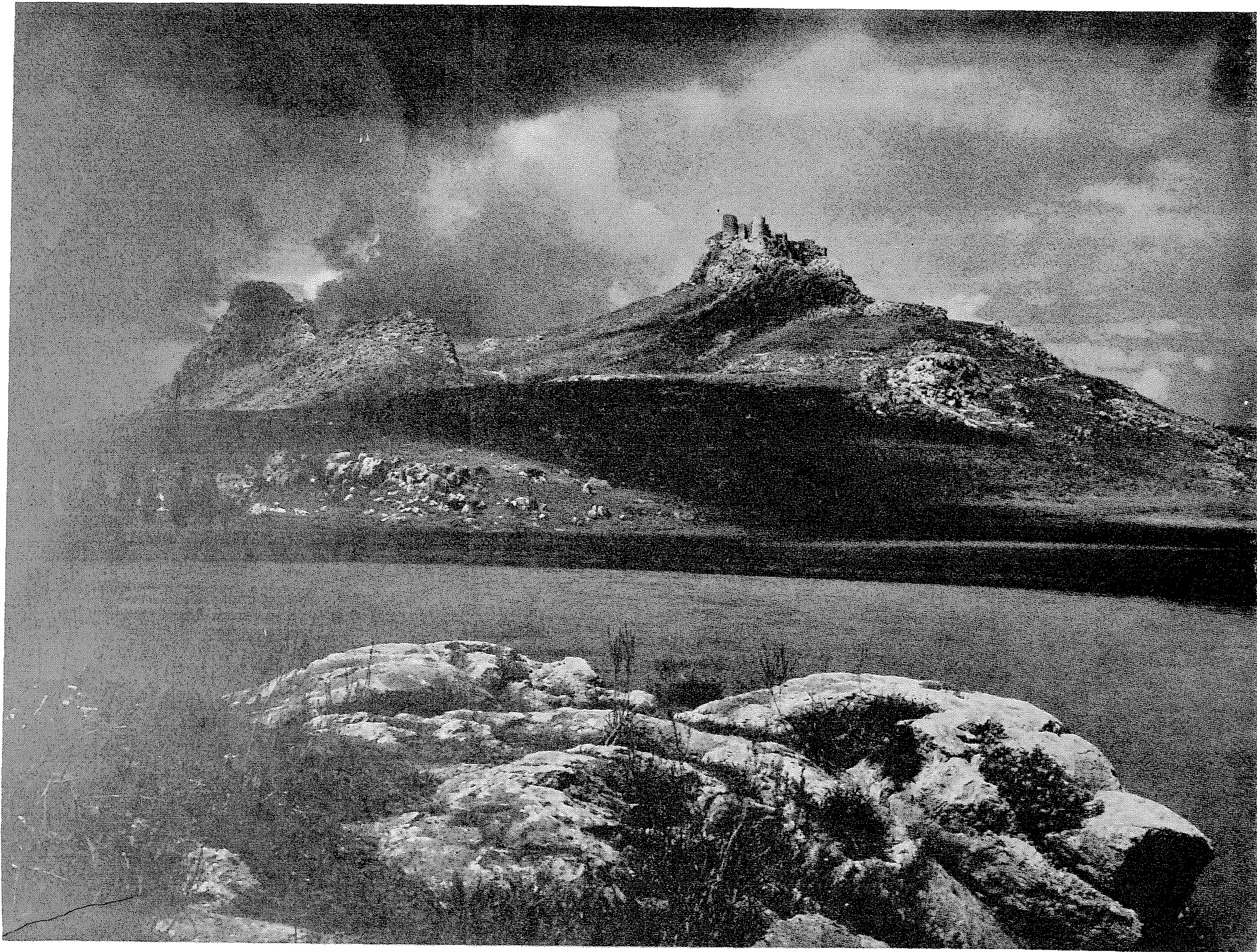
١٠٧ ـ تل حمدون (طبراكال)



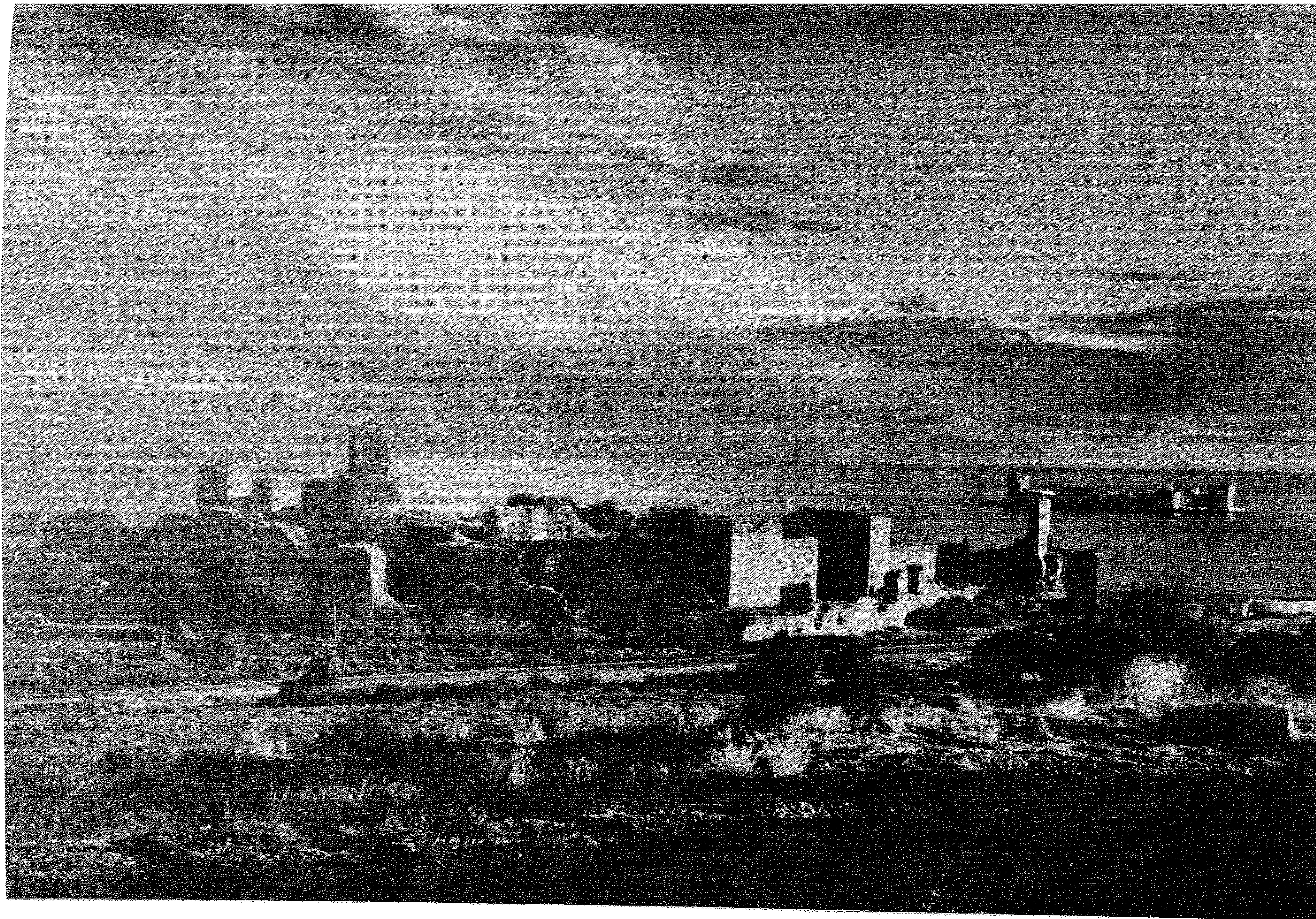
١٠٨ ـ تل حمدون (طبراكال)



١٠٩ ـ سيسية (كوزان)



١١٠ - ييلان كاليسي



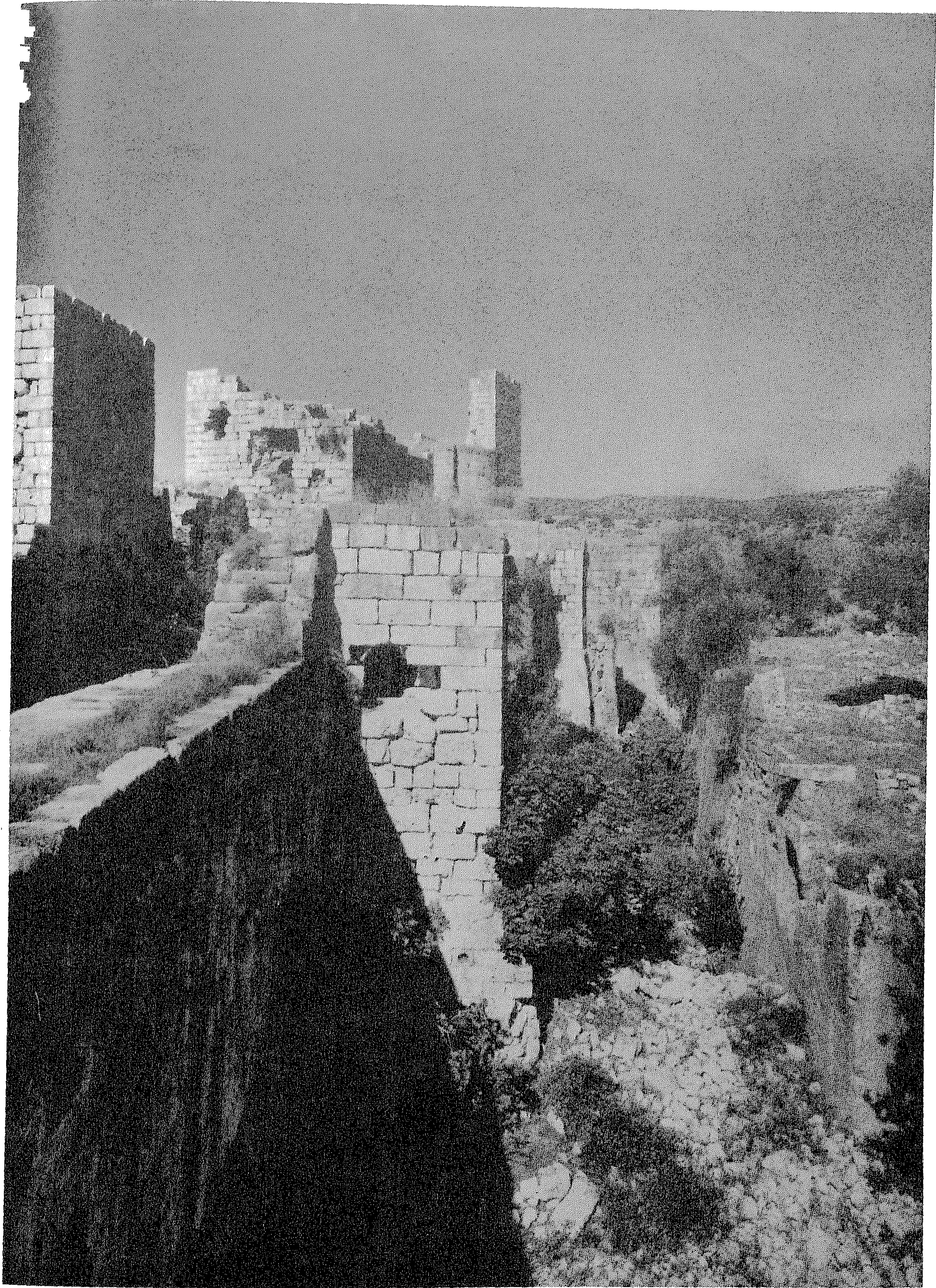
١١١ - كوريكوس



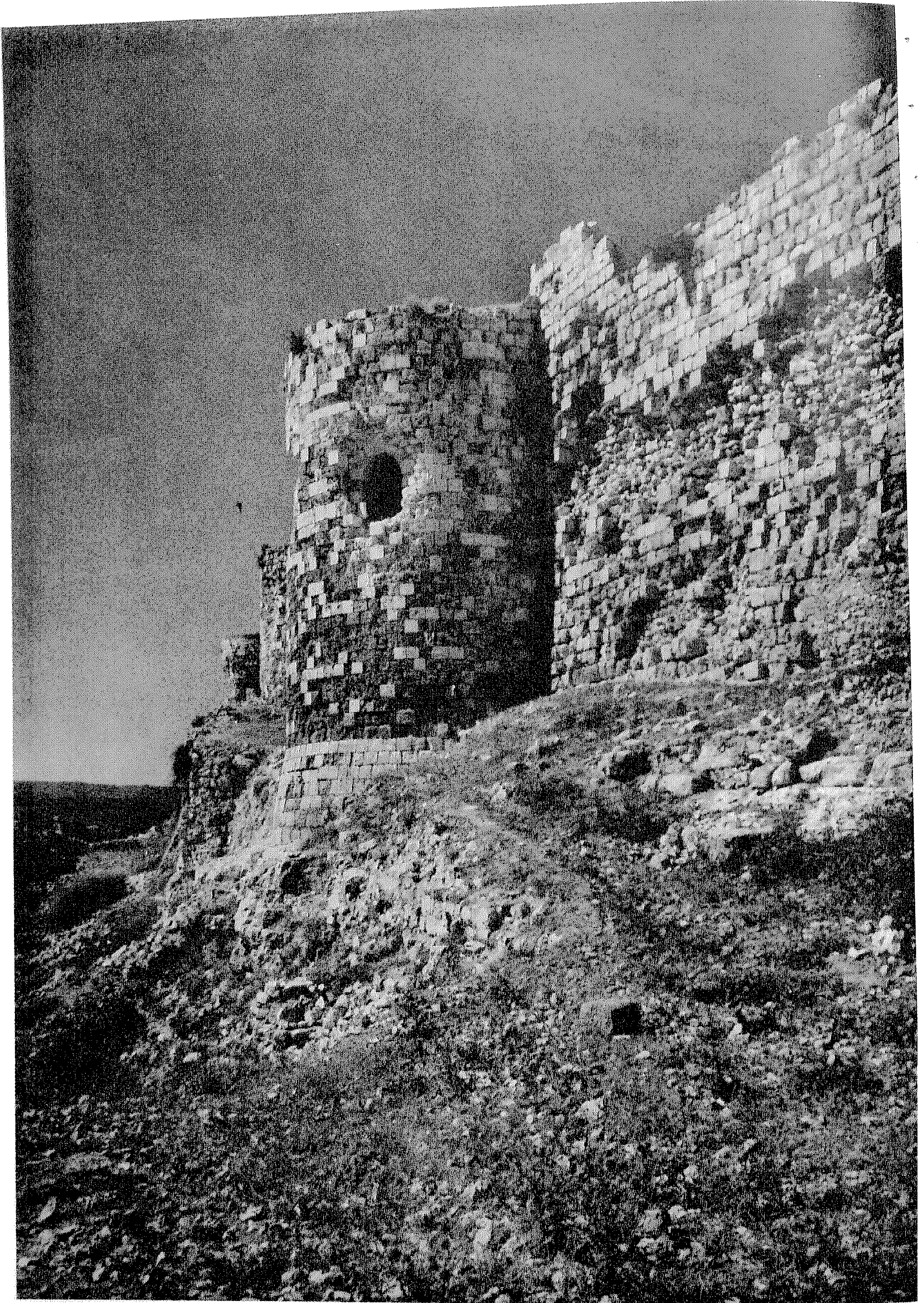
۱۱۲ - کوریکوس



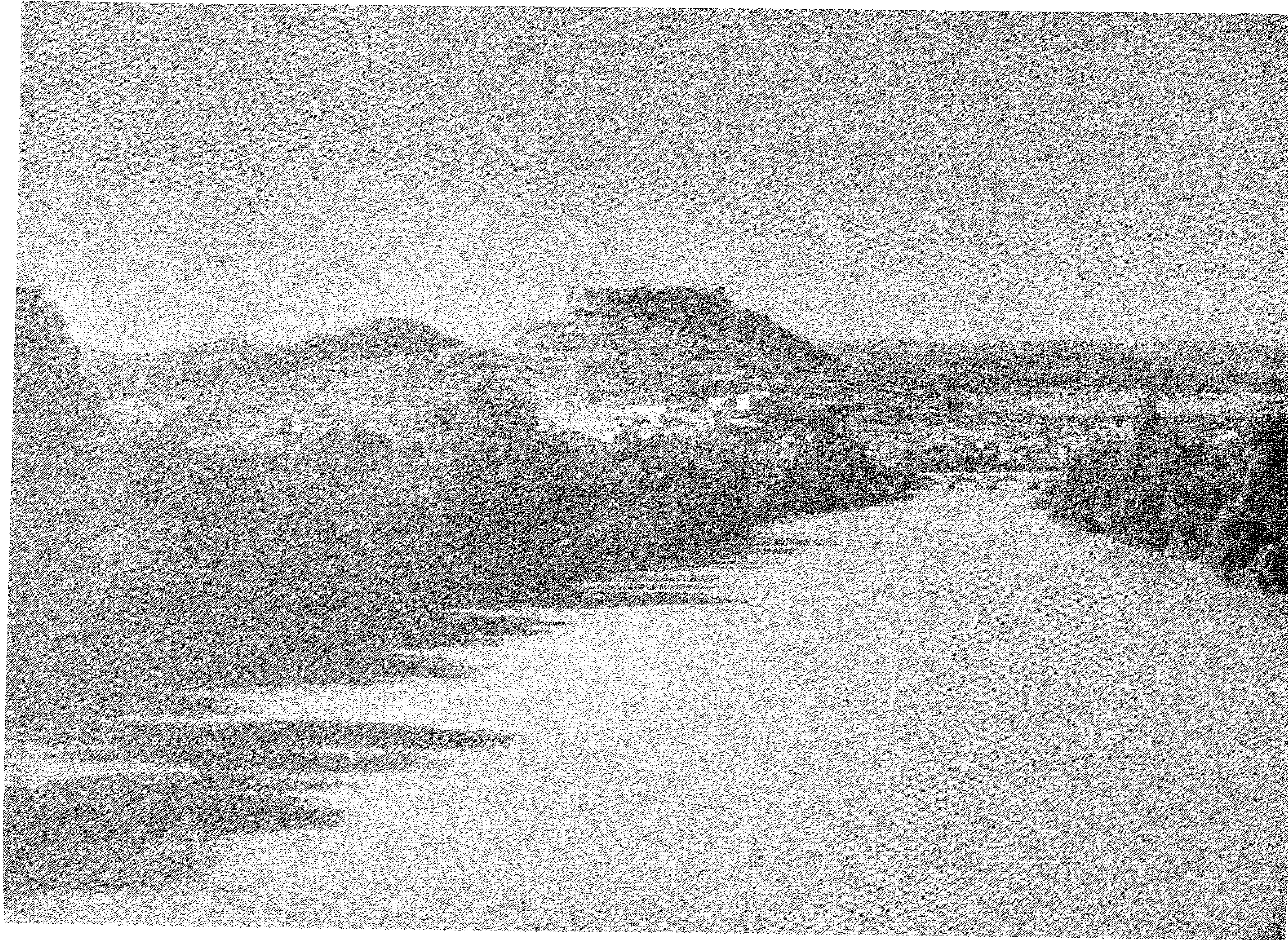
١١٣ ـ كوريكوس



١١٤ ـ كوريكوس



١١٥ ـ سلوقية (طراقيا)



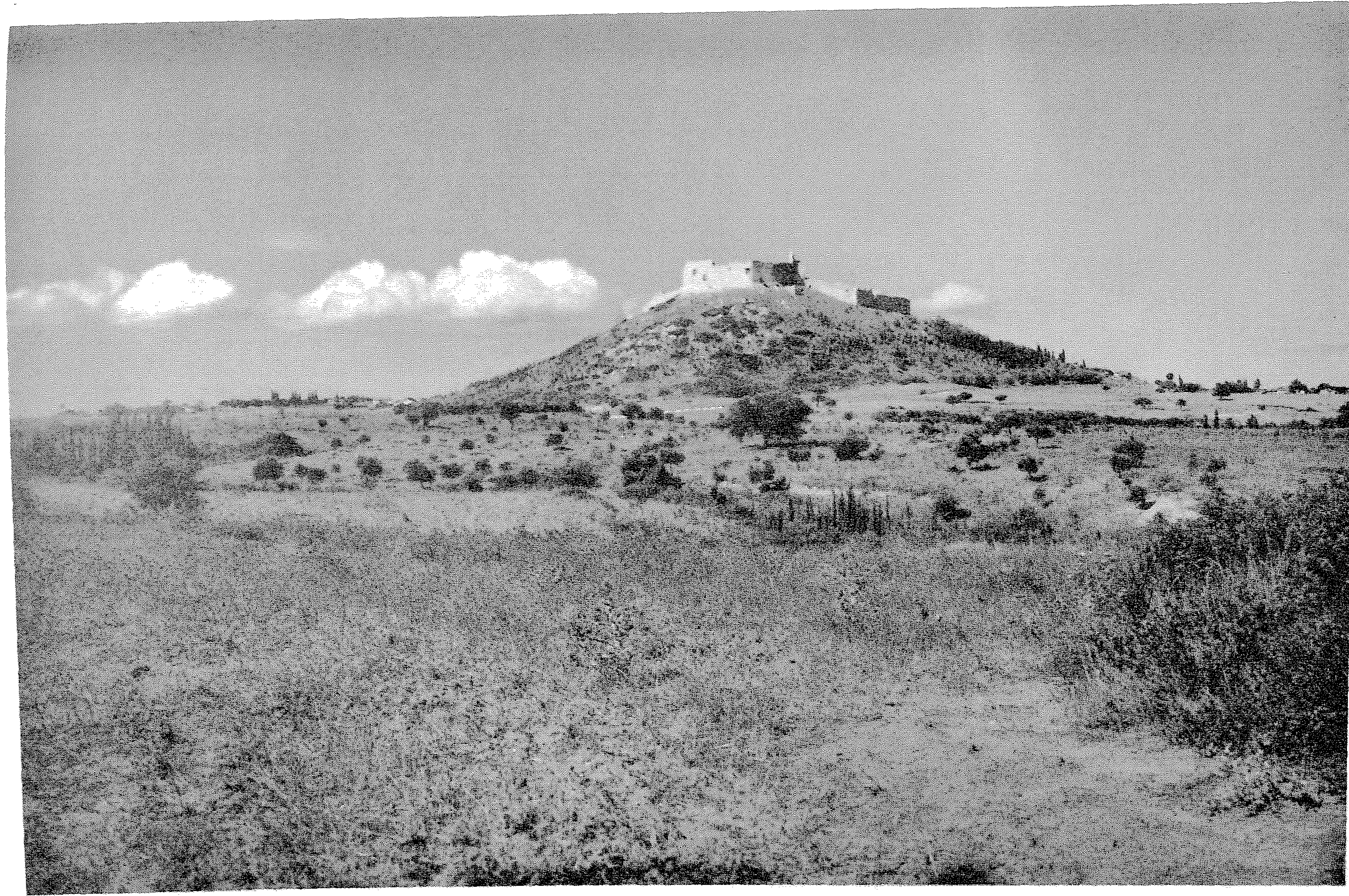
١١٦ - سلوقية (طراقيا)



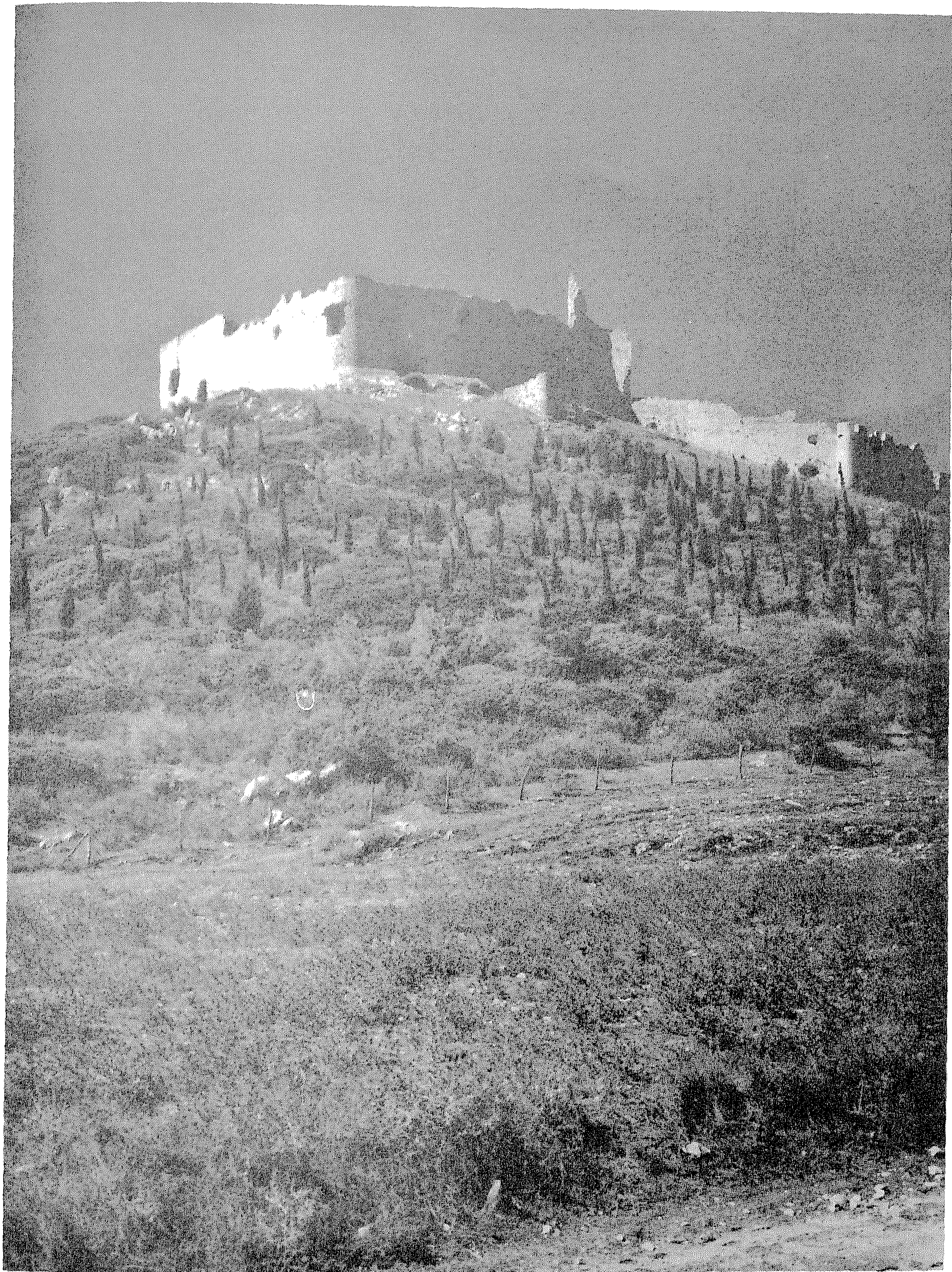
١١٧ ـ أنمور



١١٨ - بودونيتسه



١١٩ ـ كليرمونت (تورنيز ، شليموتزي)



١٢٠ ـ كليرمونت (تورنيز ، شليموتزي)



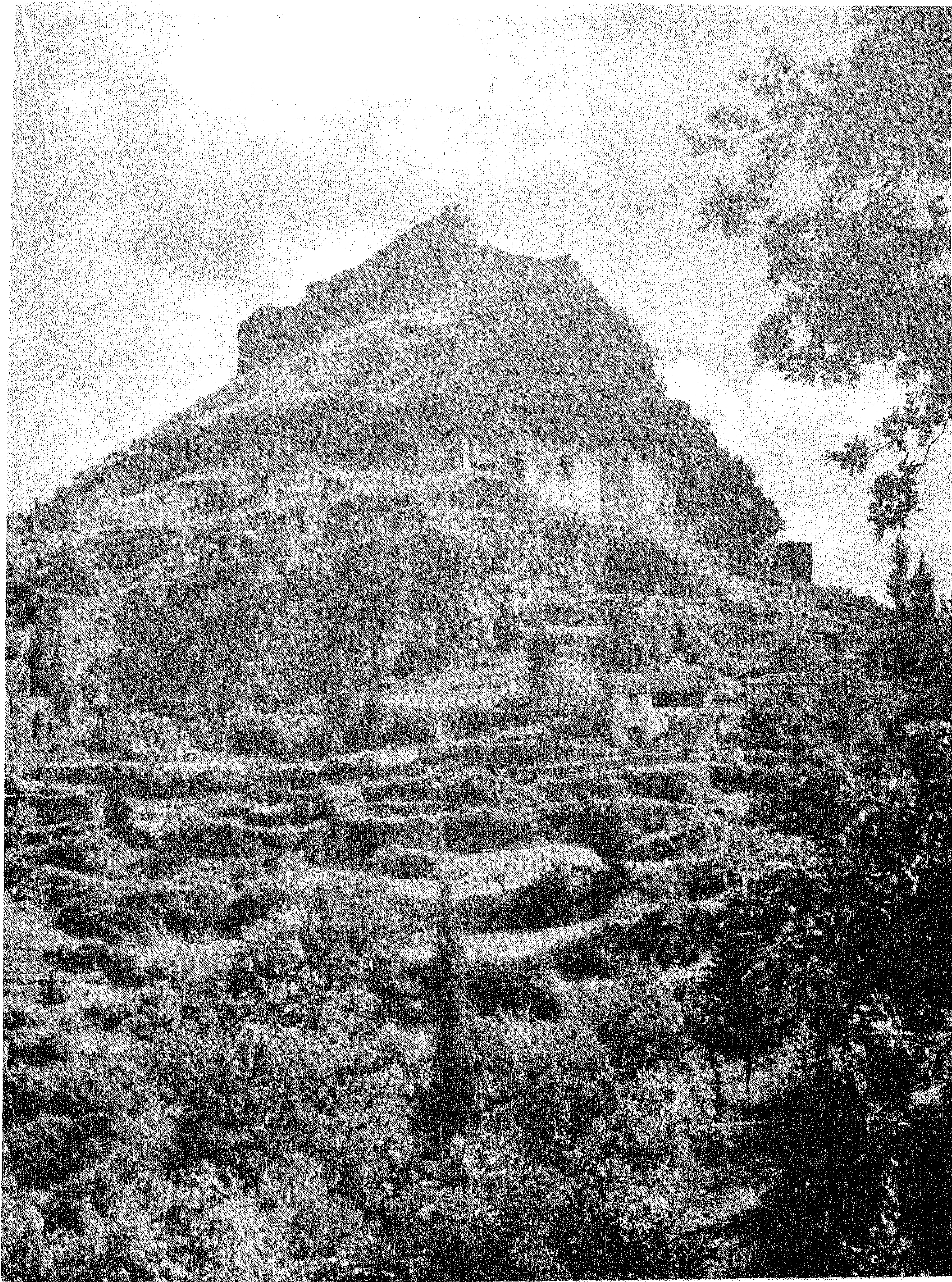
١٢١ ـ نافارينو



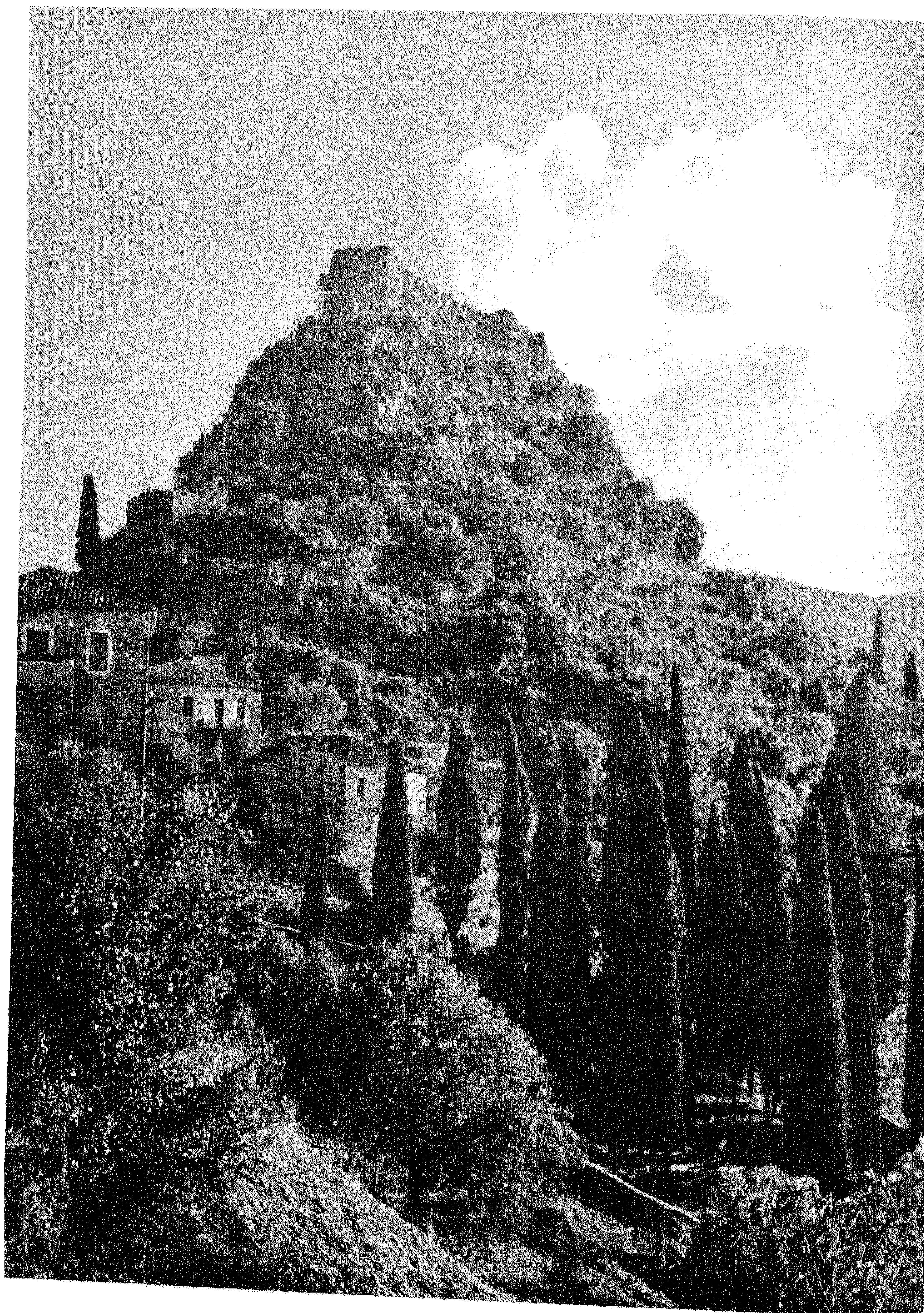
١٢٢ ـ نافارينو



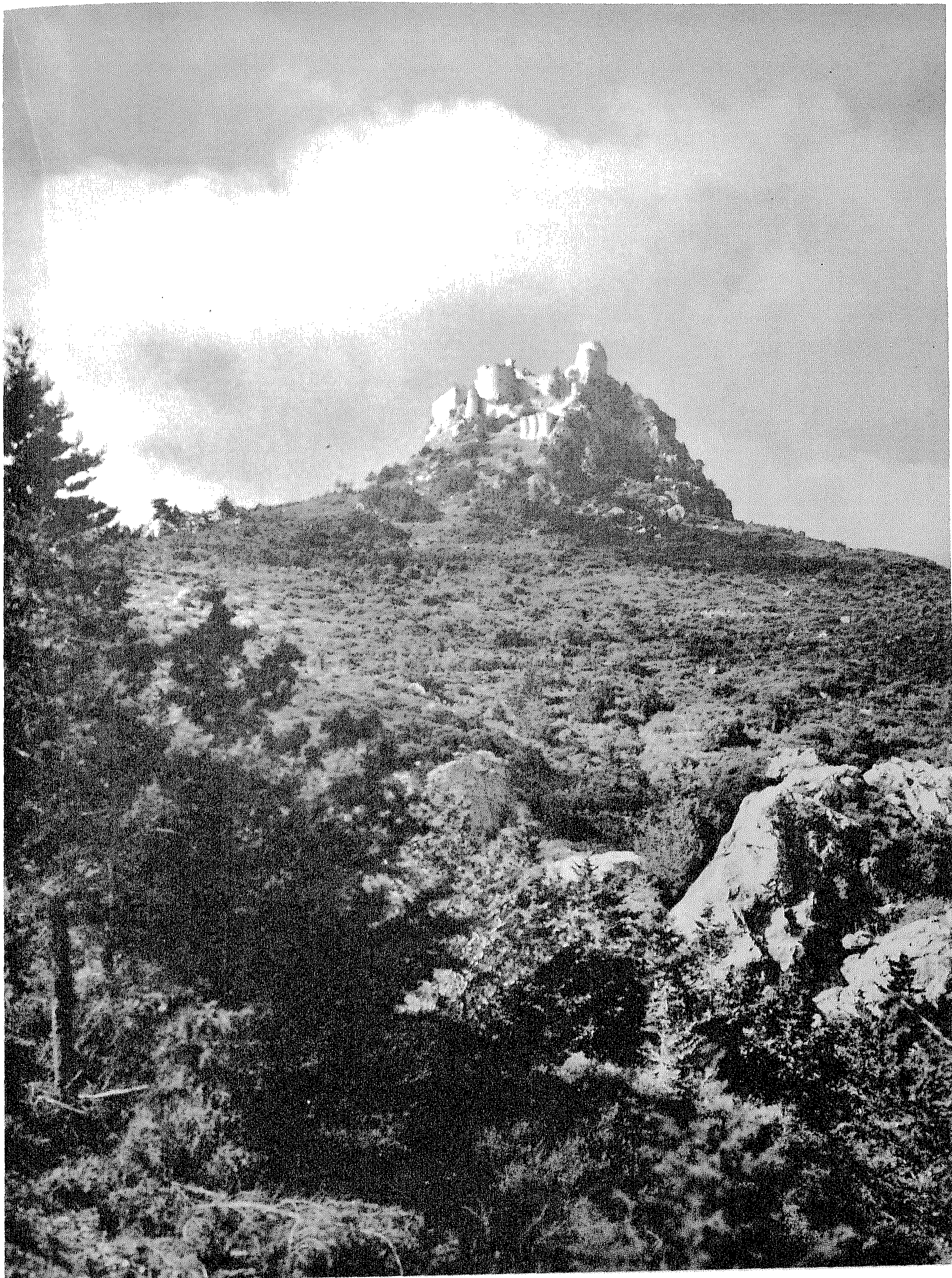
١٢٣ ـ ميسترا



١٢٤ - ميسترا



١٢٥ ـ كيريتانيا



١٢٦ ـ قنطرة



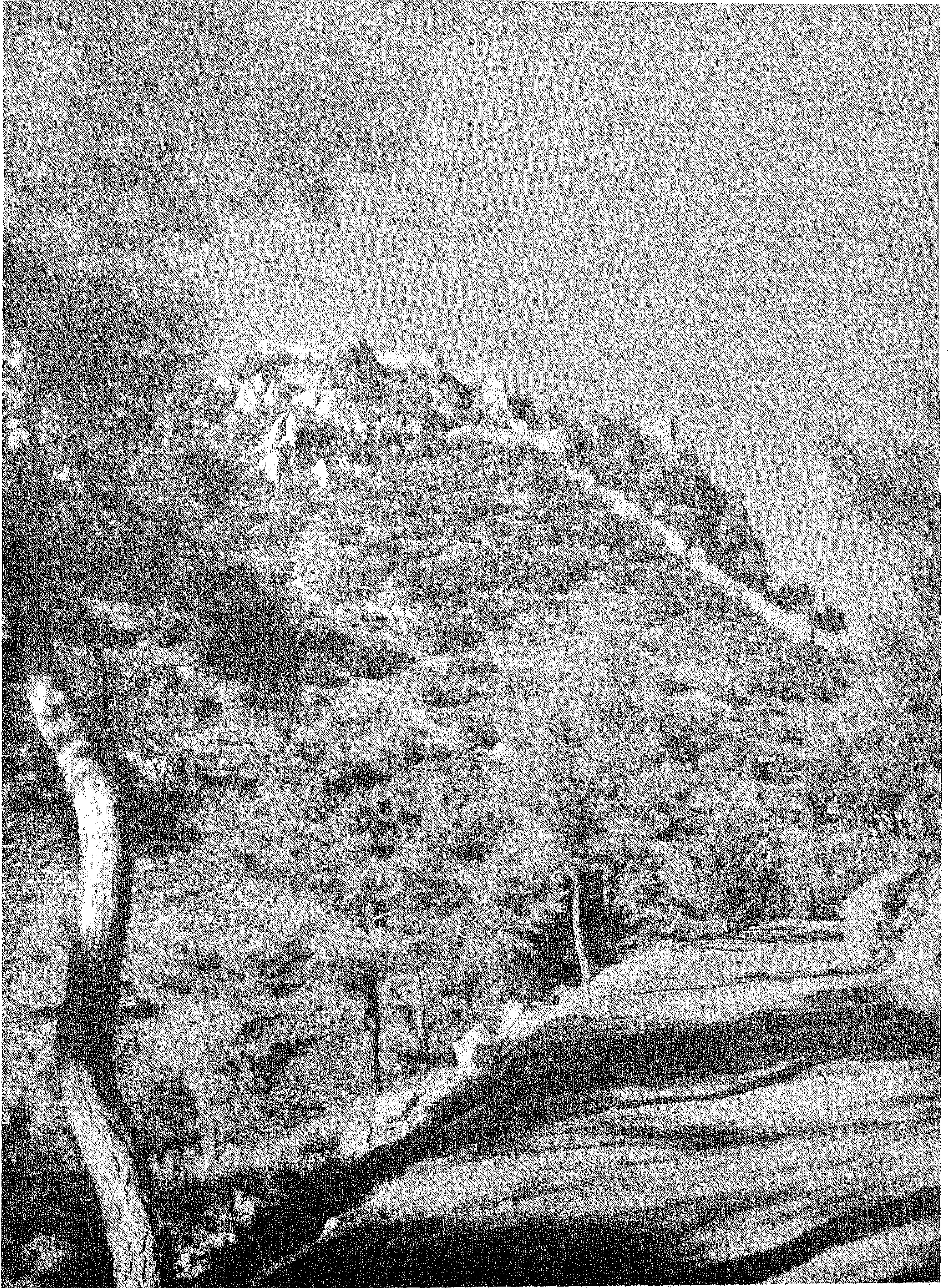
١٢٧ ـ قنطرة



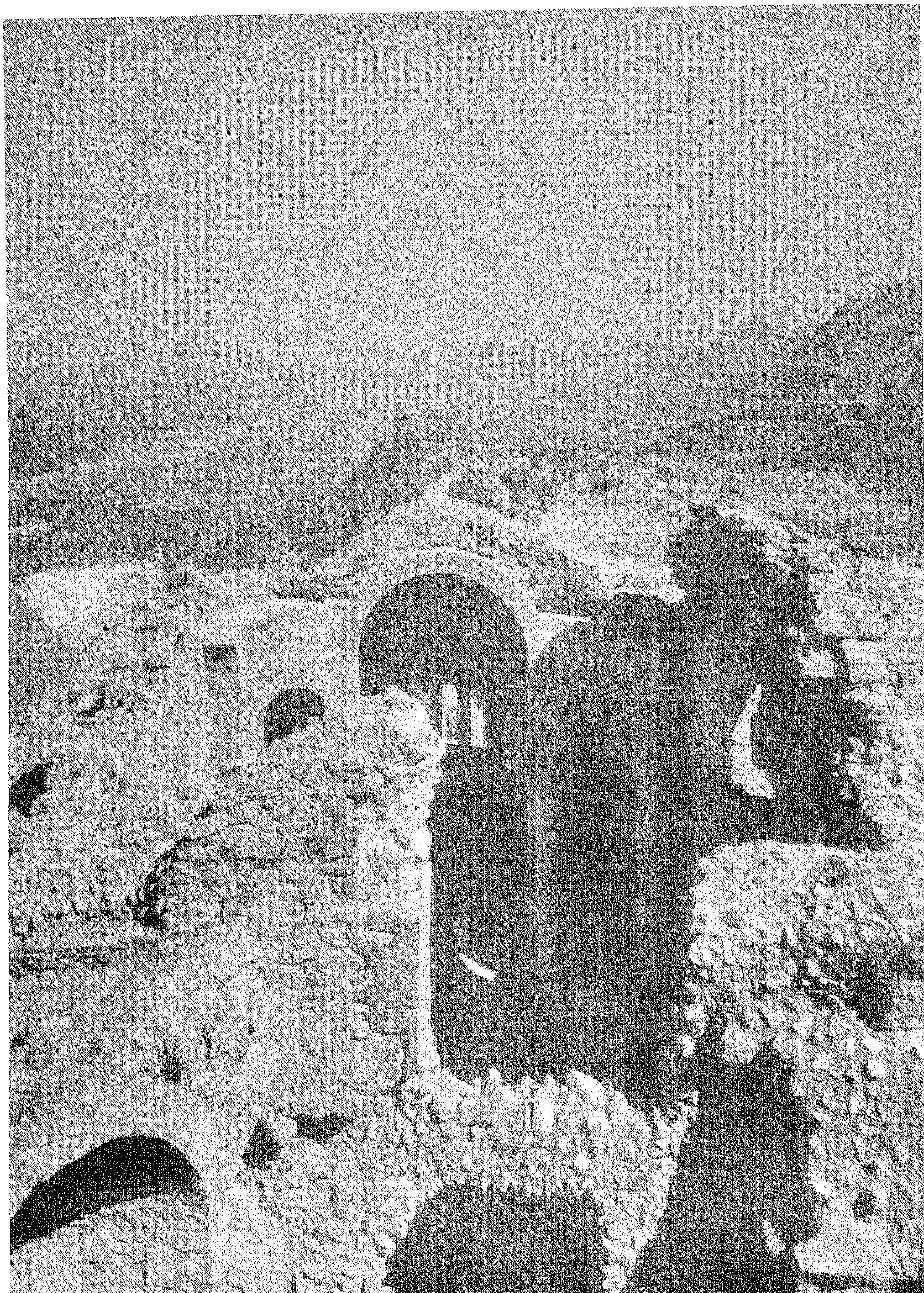
١٢٨ ـ قنطرة



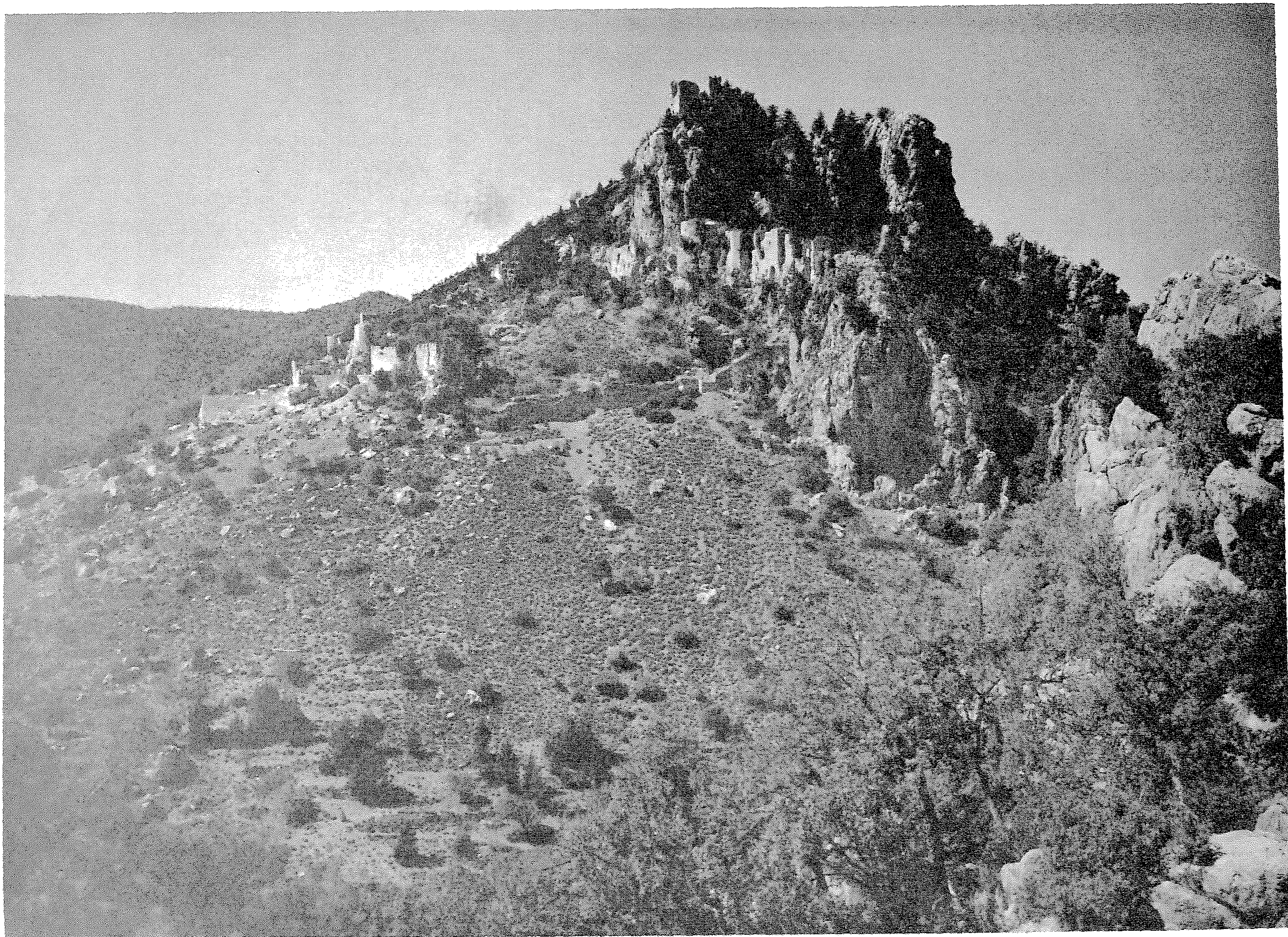
١٢٩ ـ سانت هيلاريون



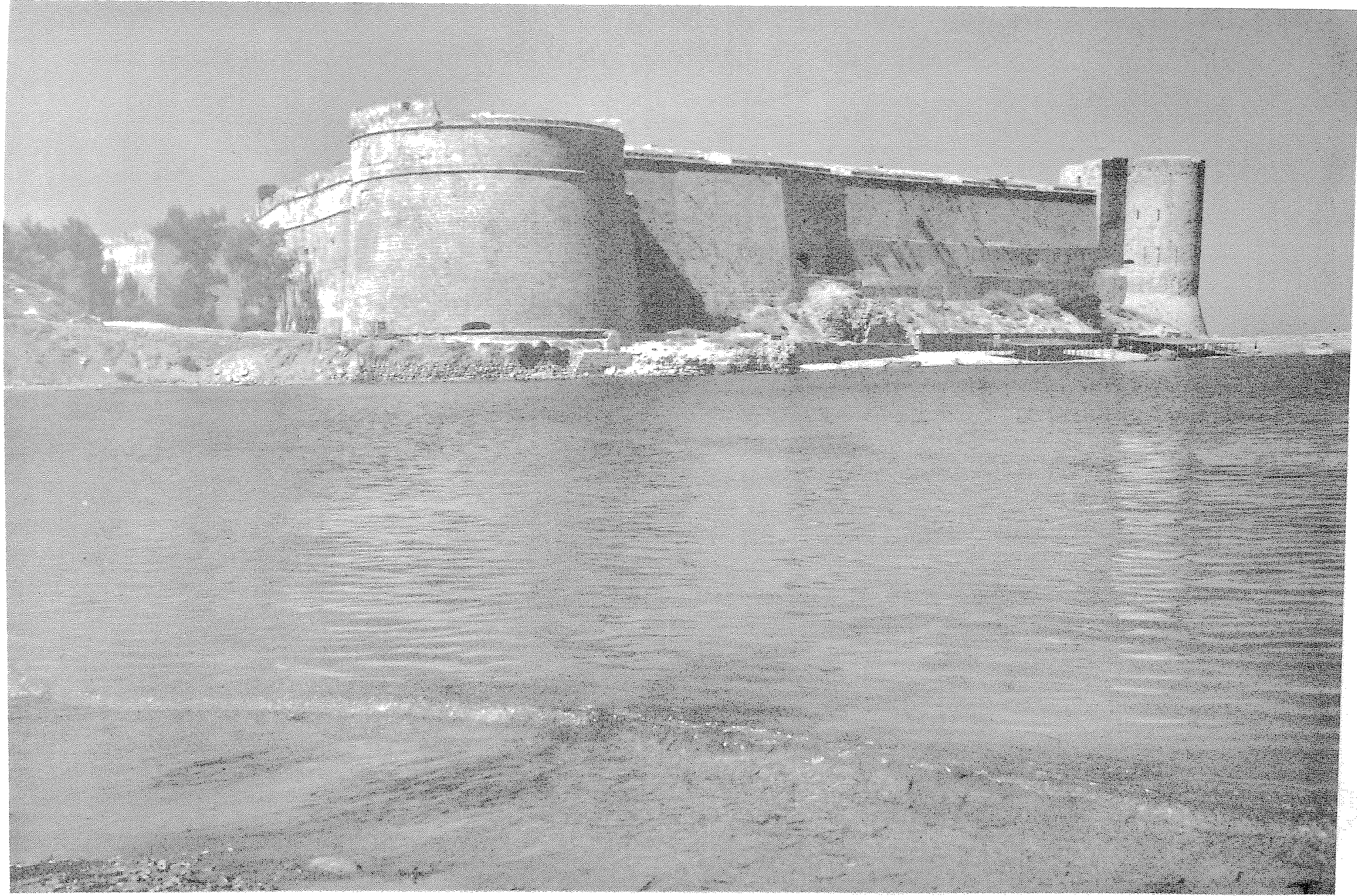
۱۳۰ ـ سانت هیلاریون



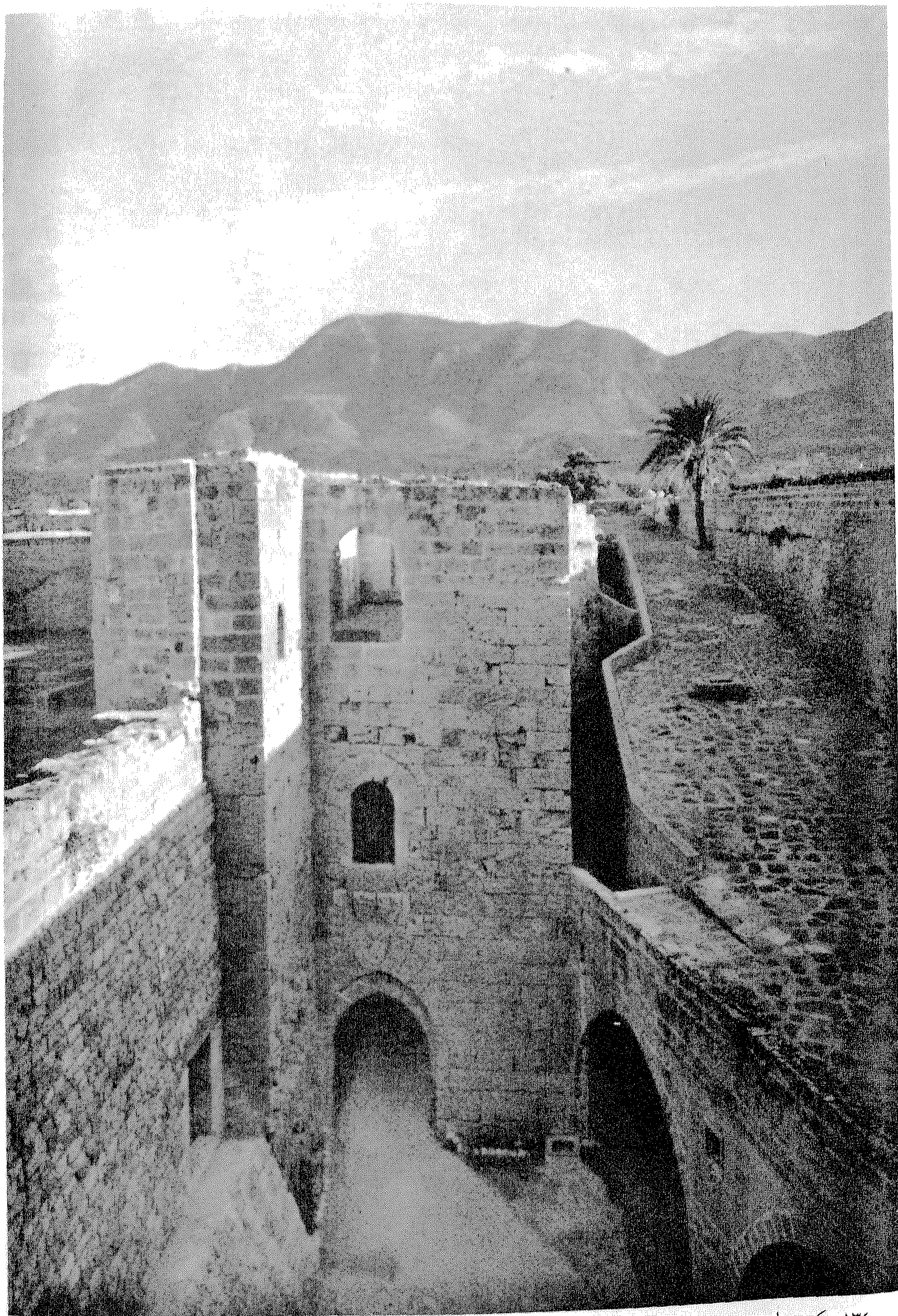
۱۳۱ ـ سانت هیلاریون



١٣٢ ـ سانت هيلاريون



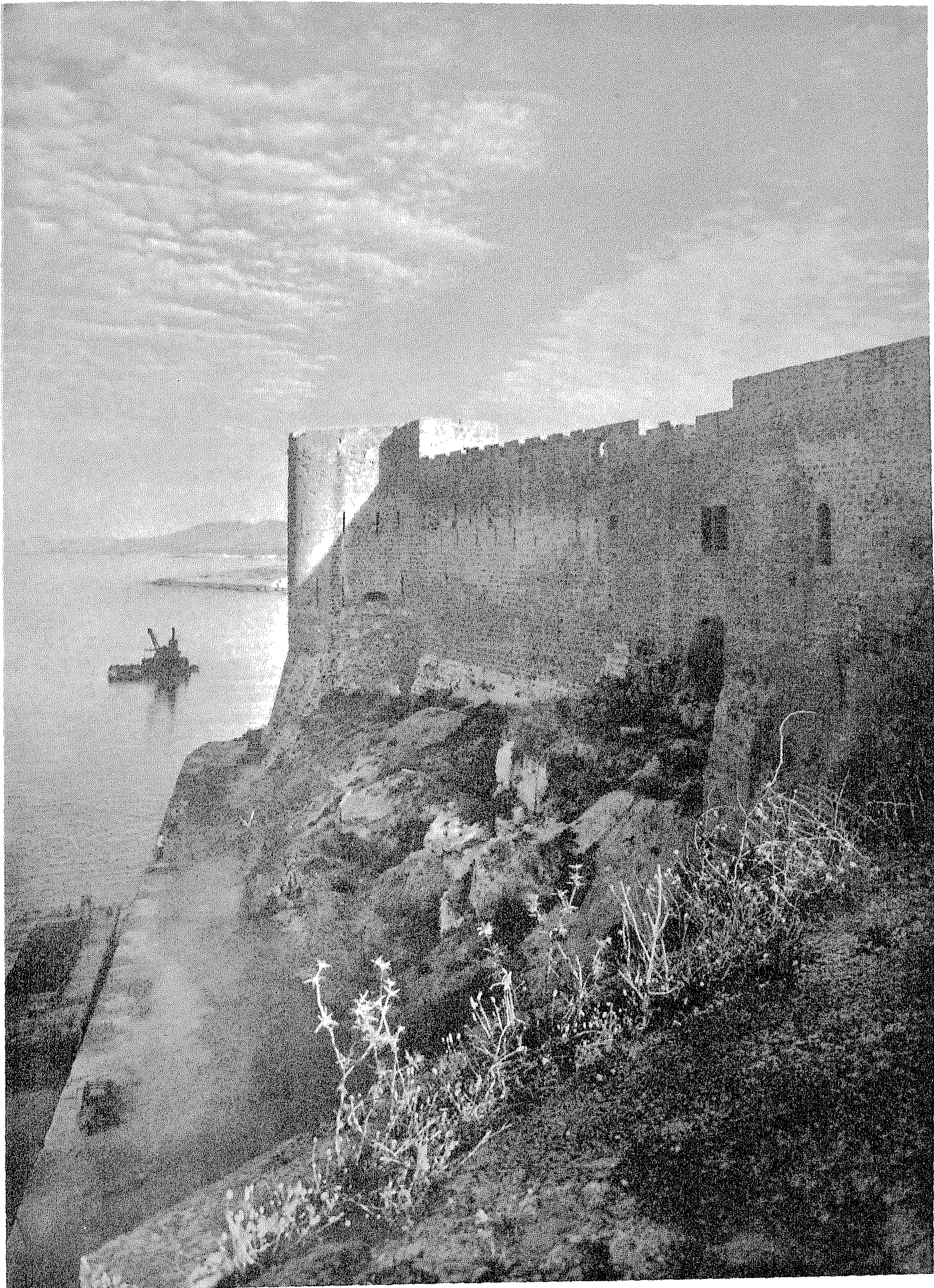
١٣٢ - كيرينيا



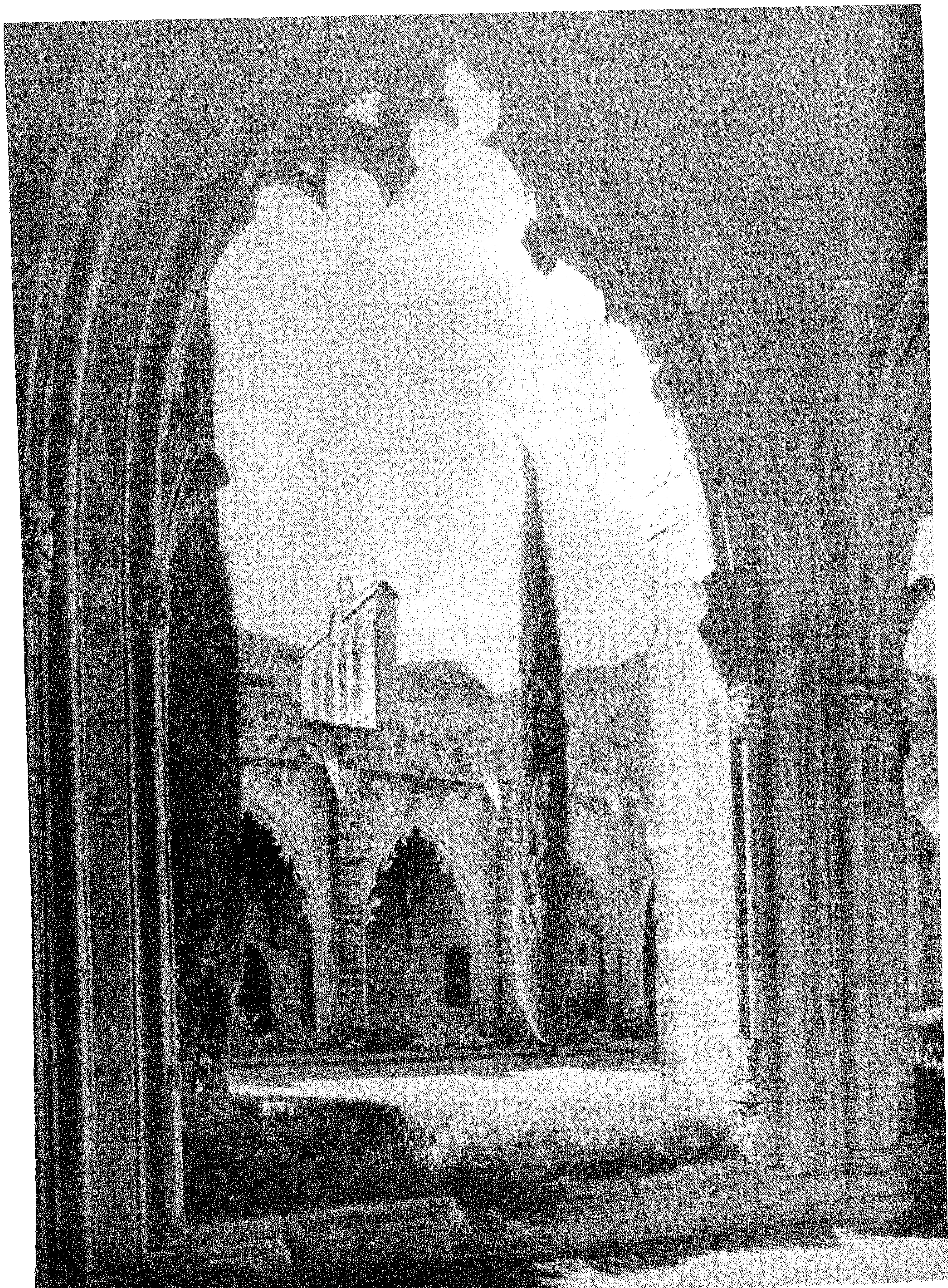
١٣٤ ـ كيرينيا



١٣٥ - كيرينيا.



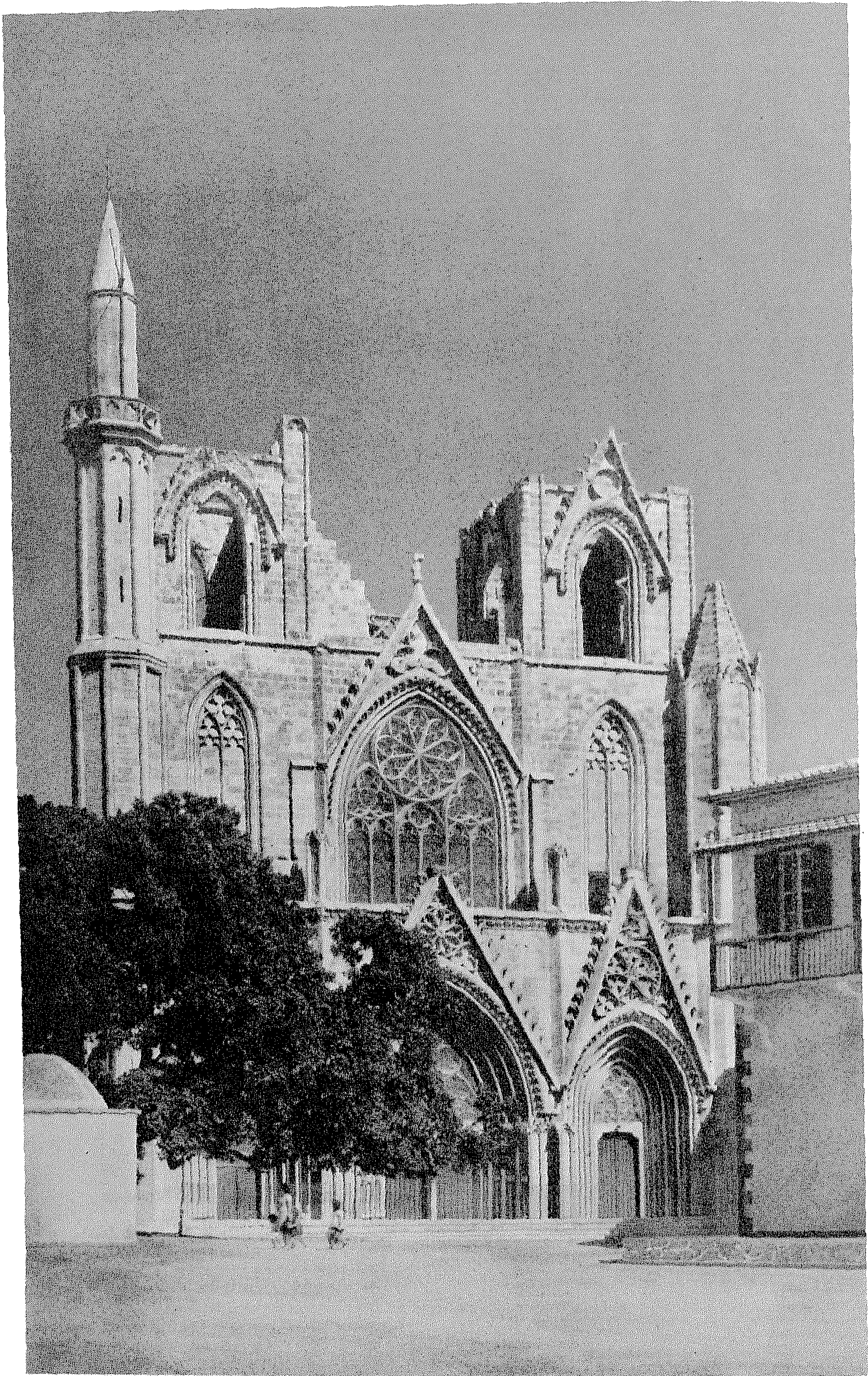
١٣٦ ـ كيرينيا



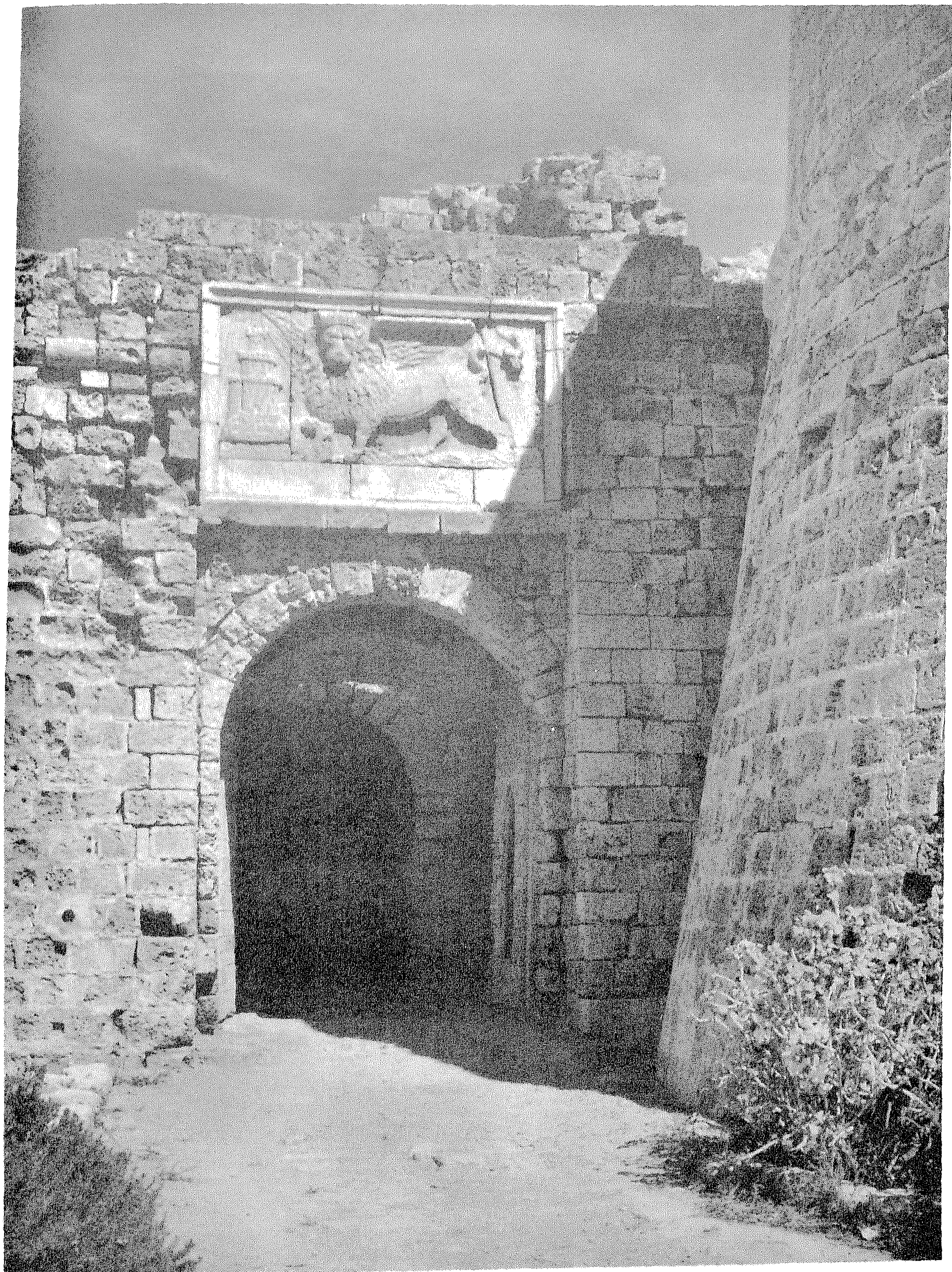
١٣٧ ـ بيلابايس



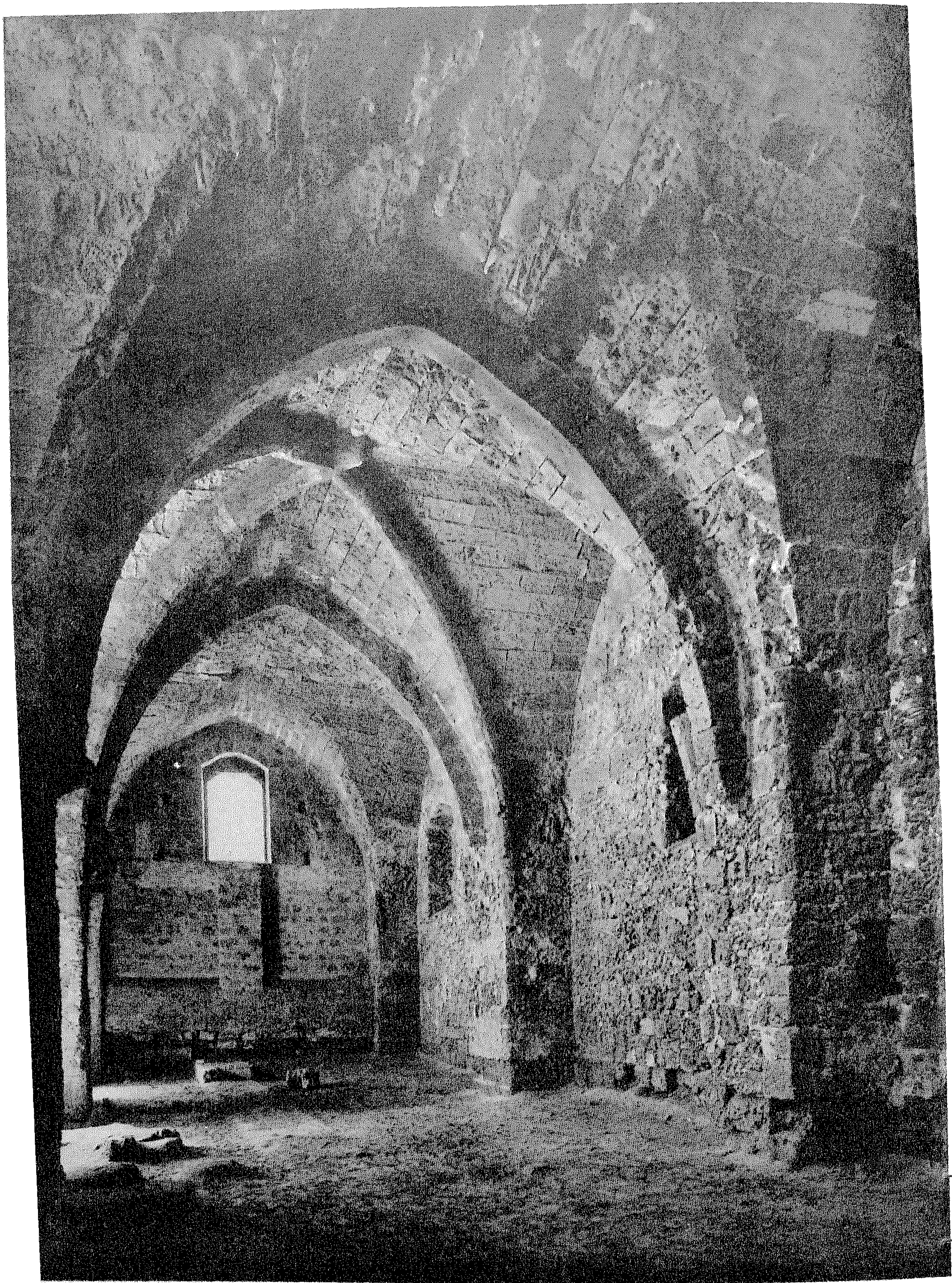
١٣٨ - بيلابايس



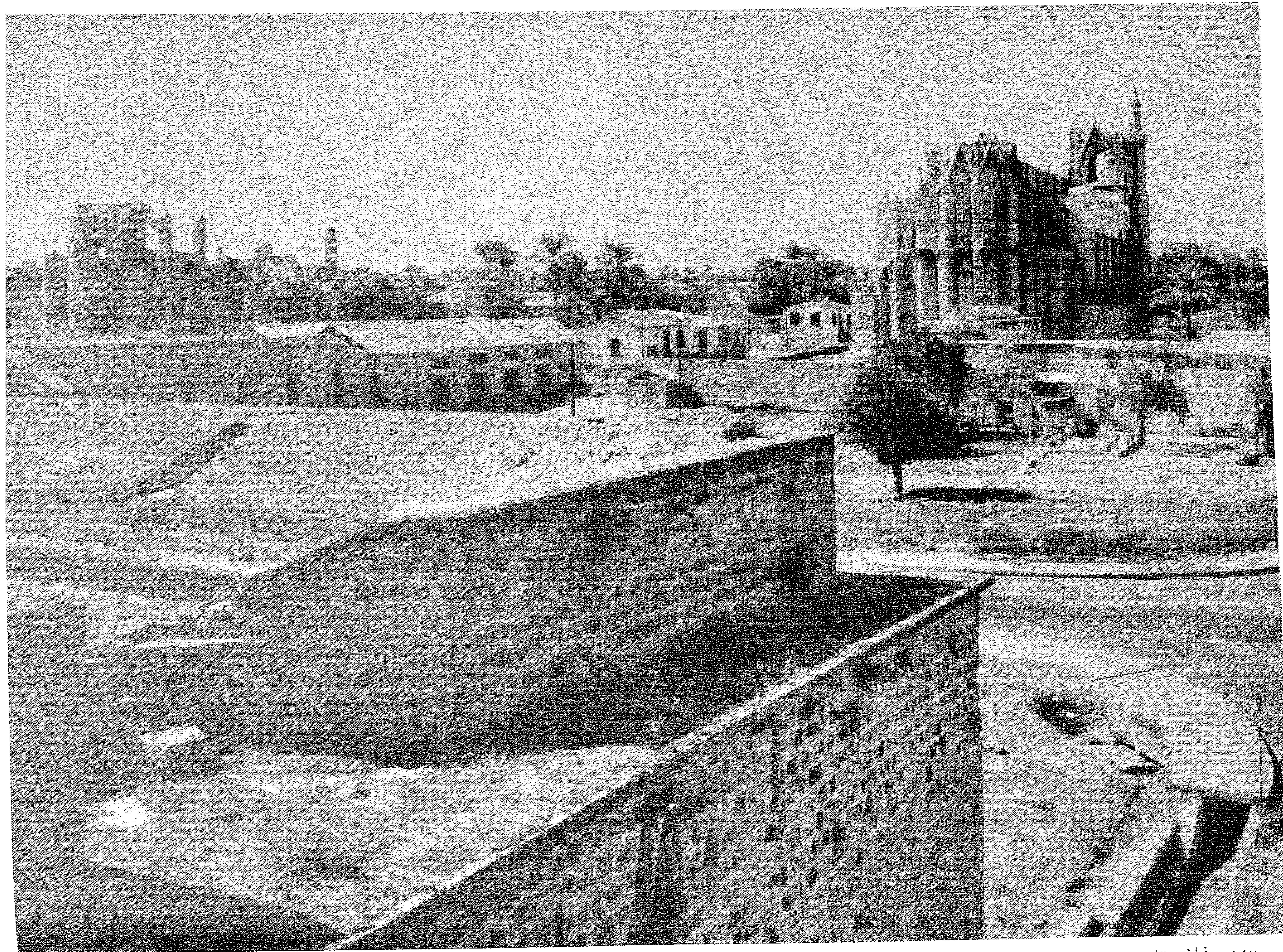
١٣٩ ـ فماغوستا



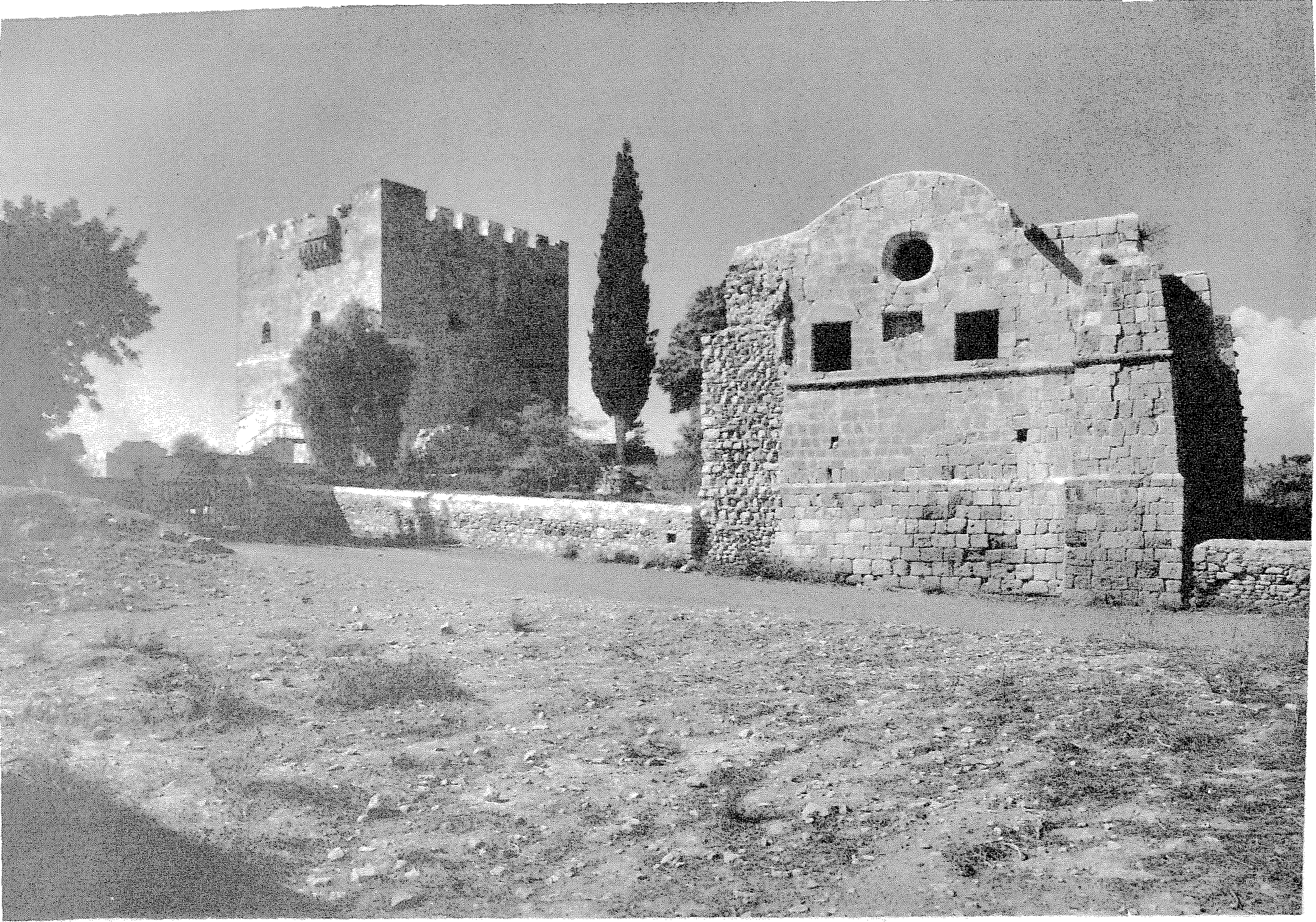
١٤٠ ـ فماغوستا



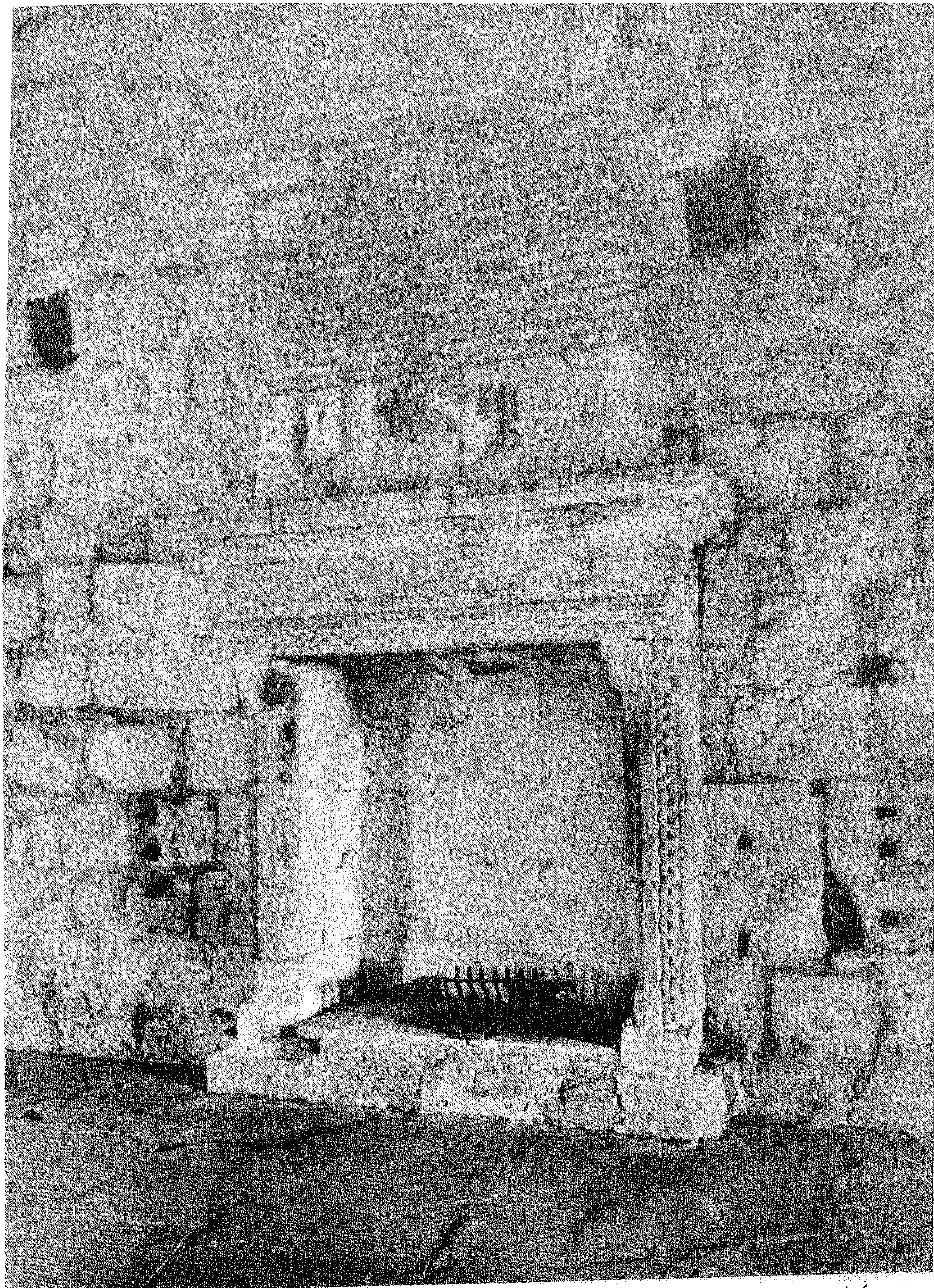
١٤١ ـ فماغوستا



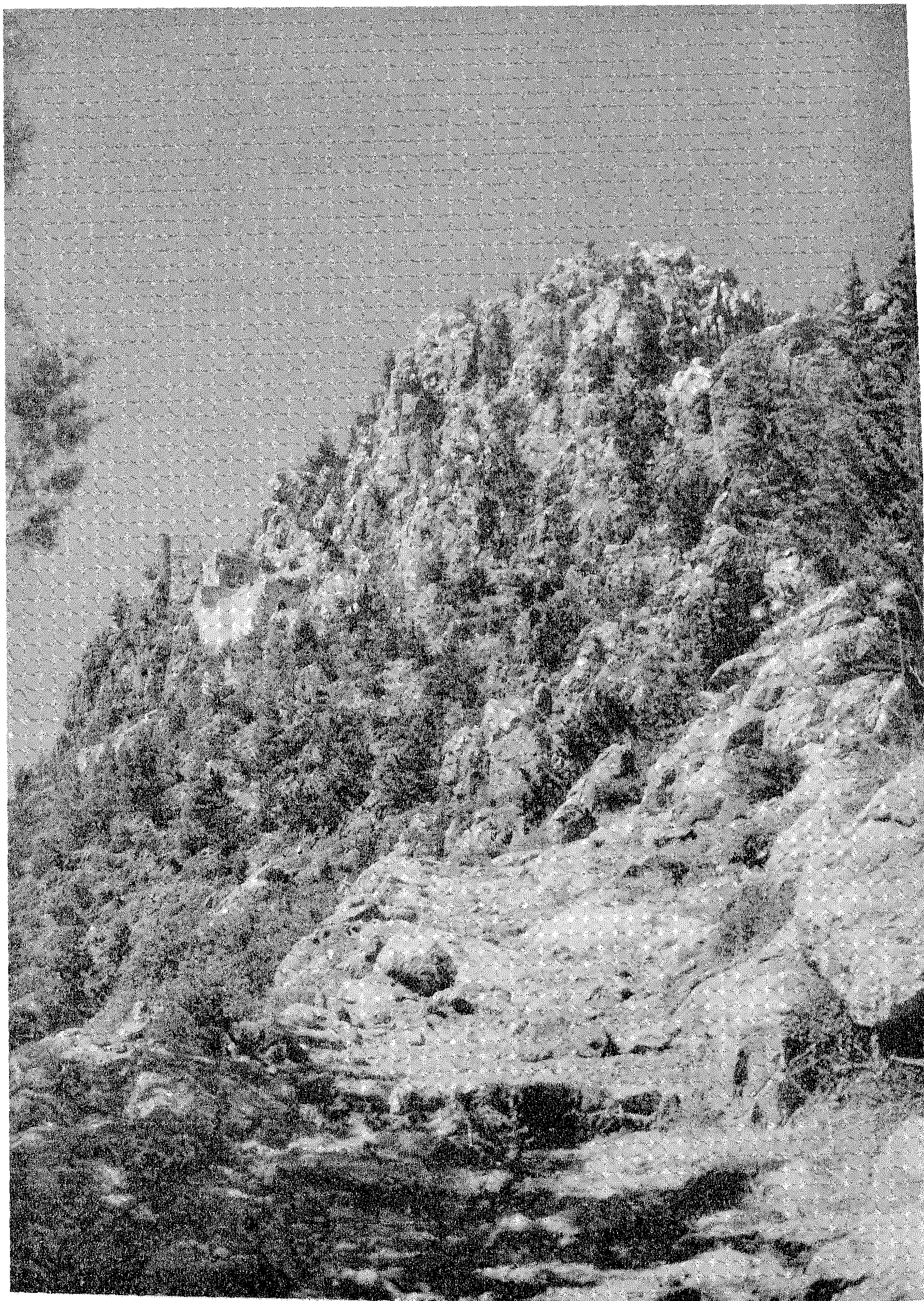
١٤٢ ـ فماغوستا



١٤٣ - كولوسي



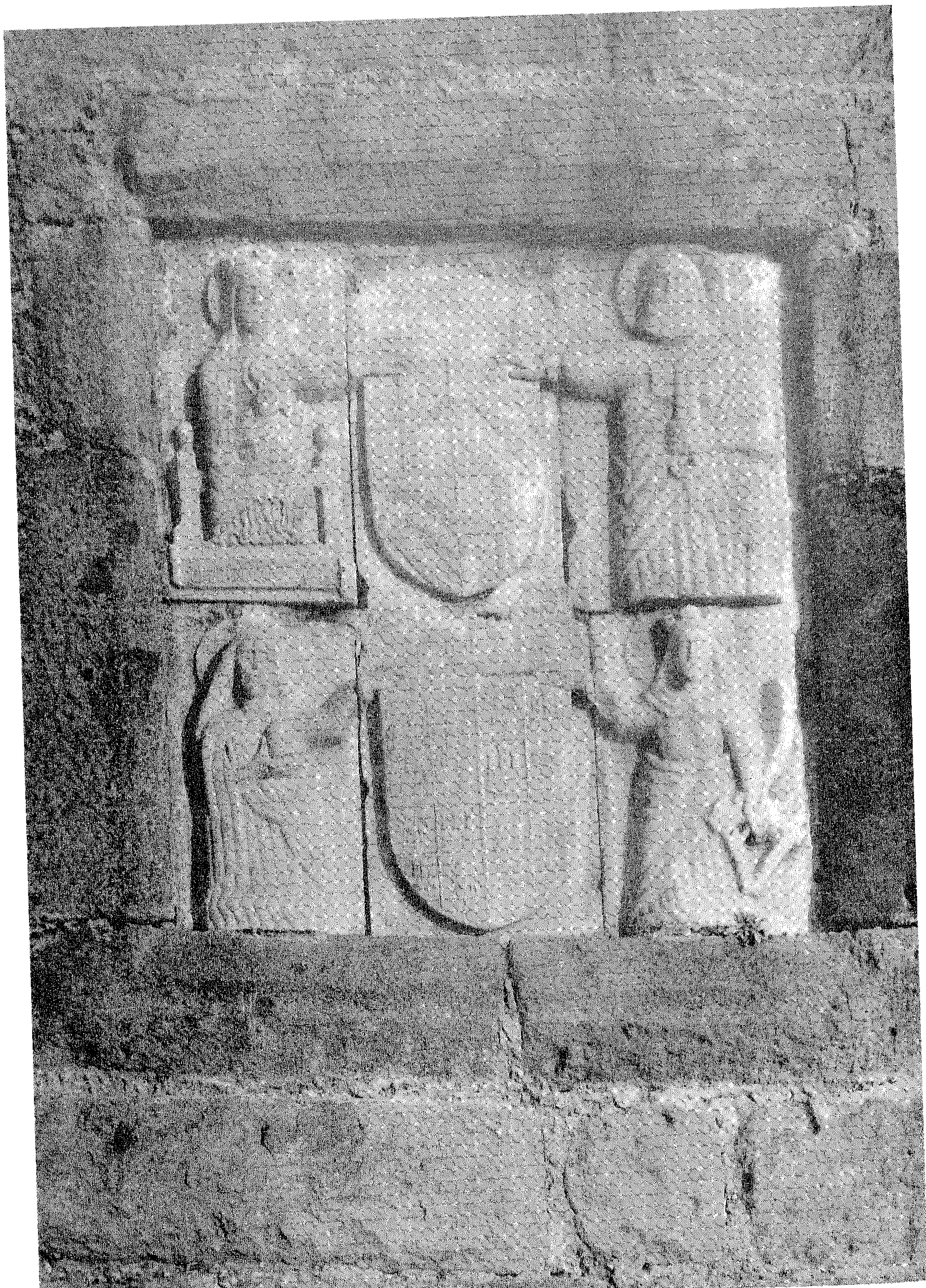
١٤٤ ـ كولوسي



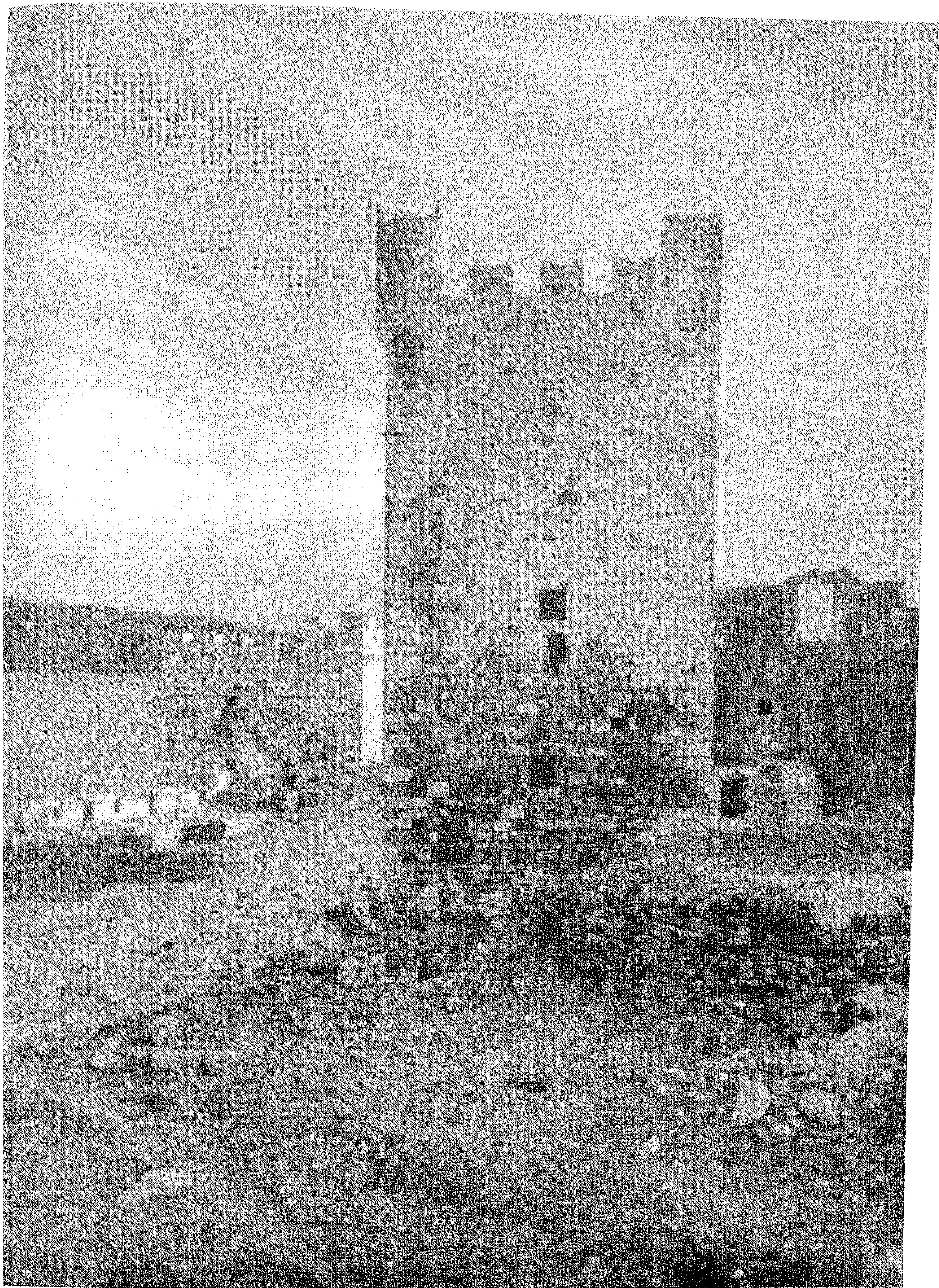
١٤٥ ـ بوفافنتو



١٤٦ - بدروم



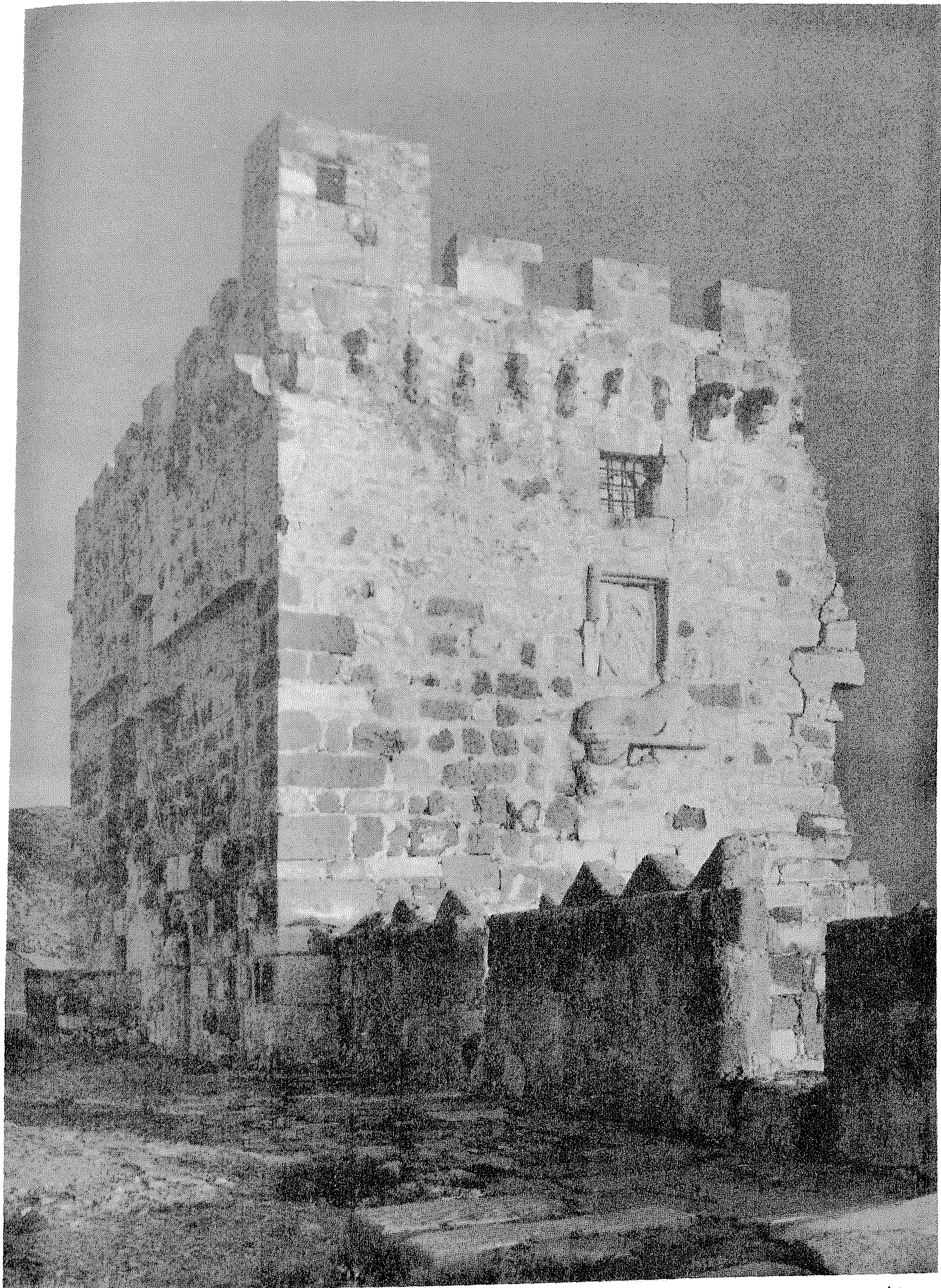
١٤٧ ـ بدروم



١٤٨ ـ بدروم



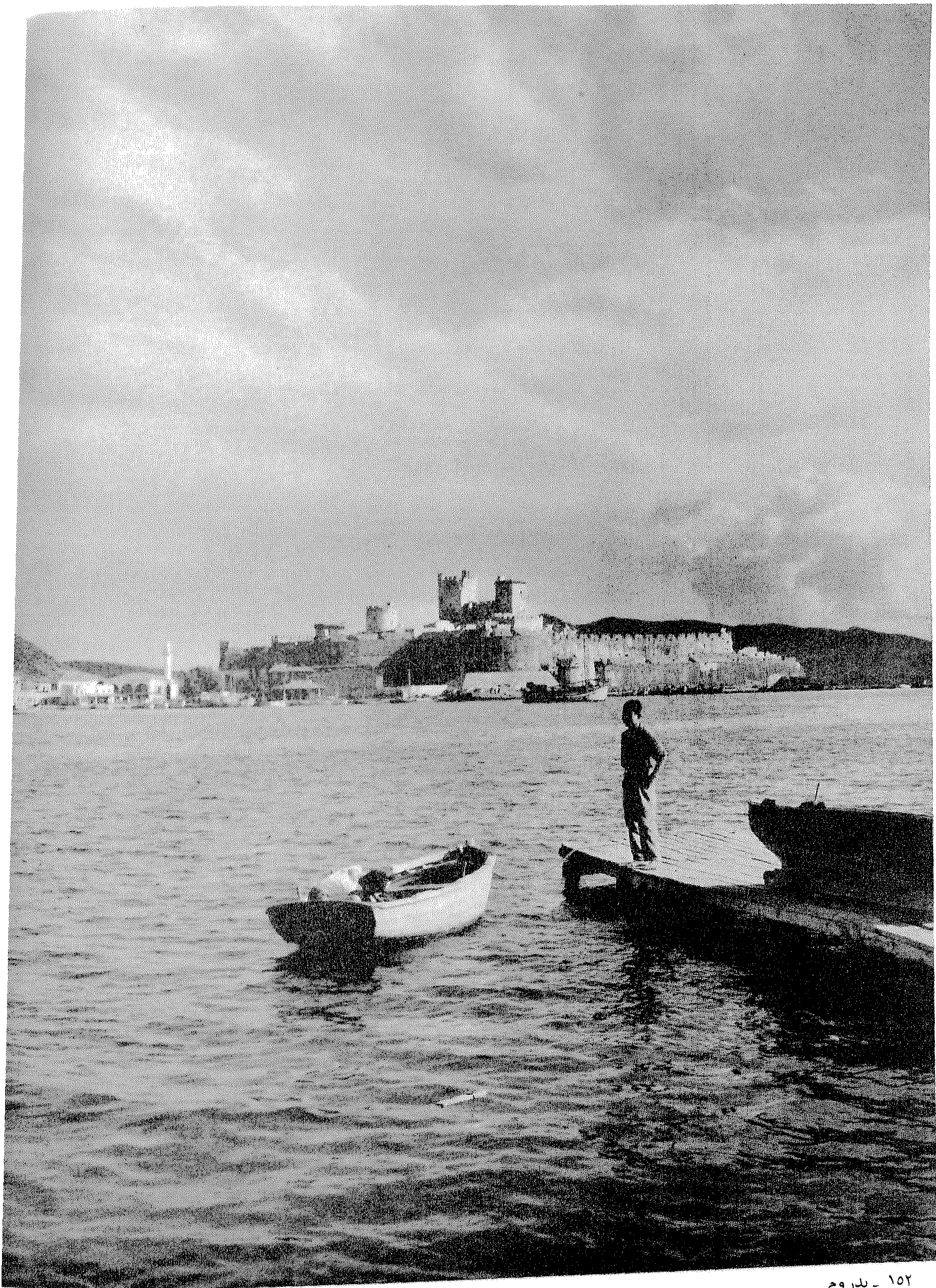
١٤٩ ـ بدروم



١٥٠ ـ بدروم



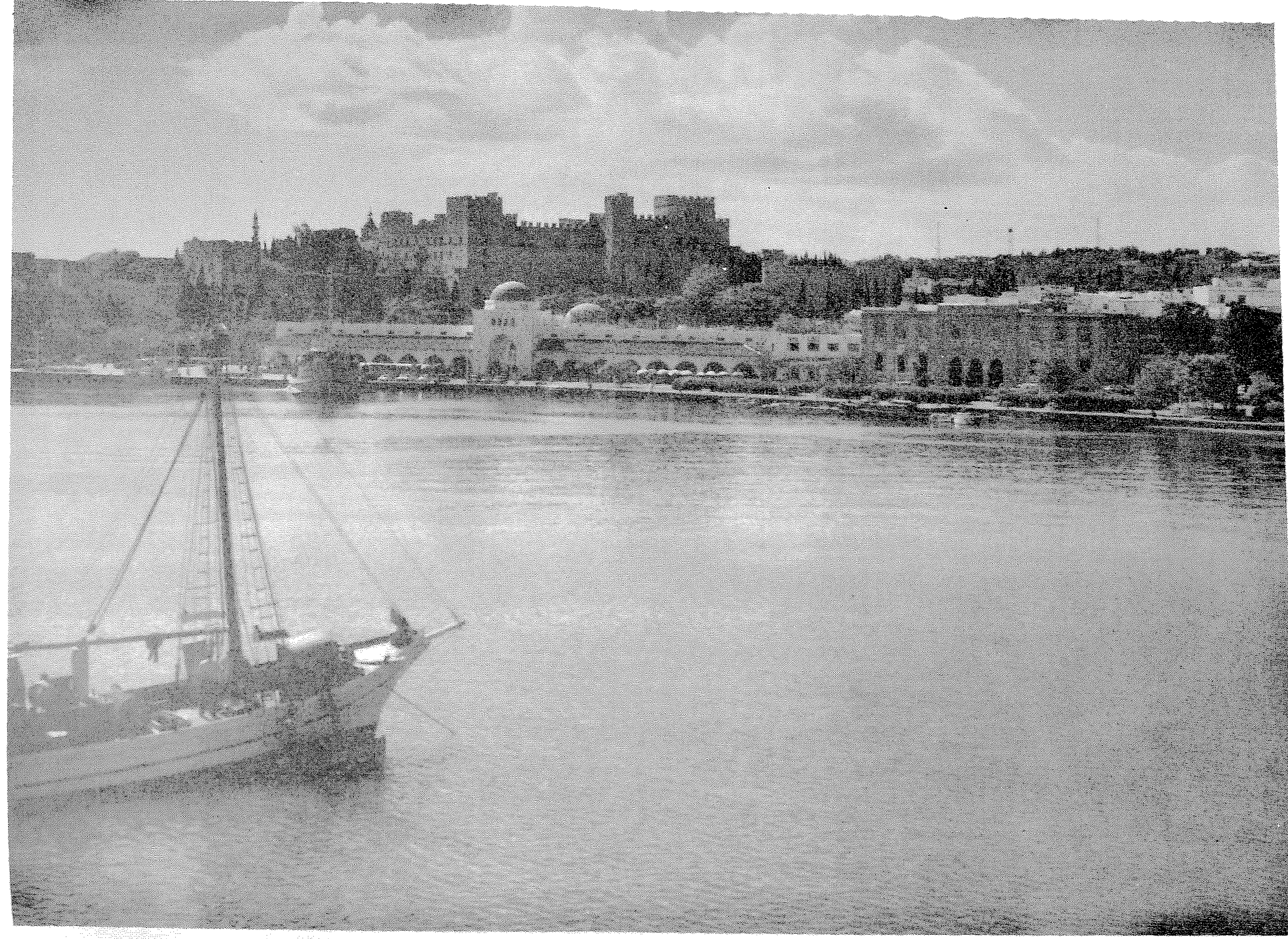
١٥١ ـ بدروم



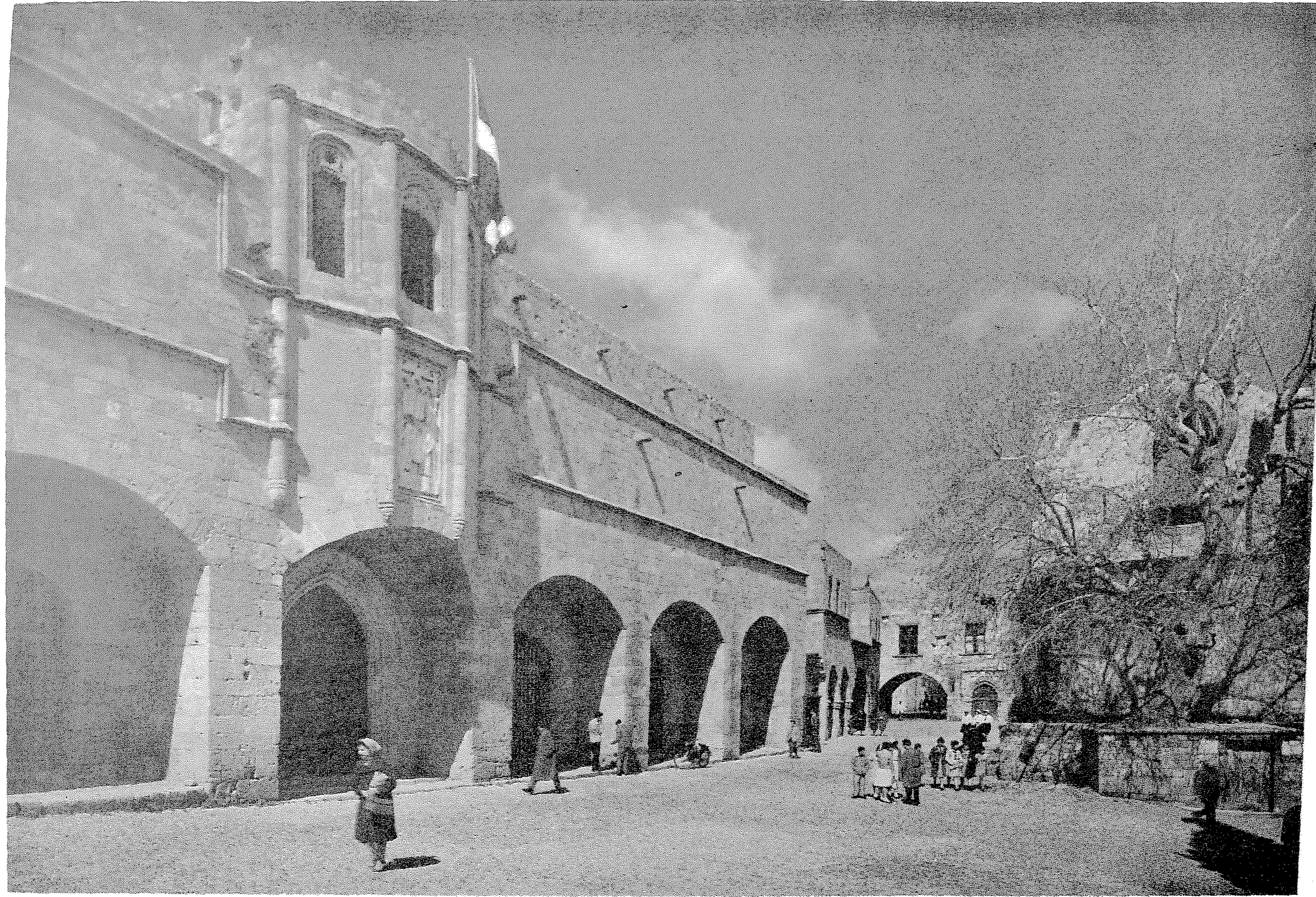
١٥٢ ـ بدروم



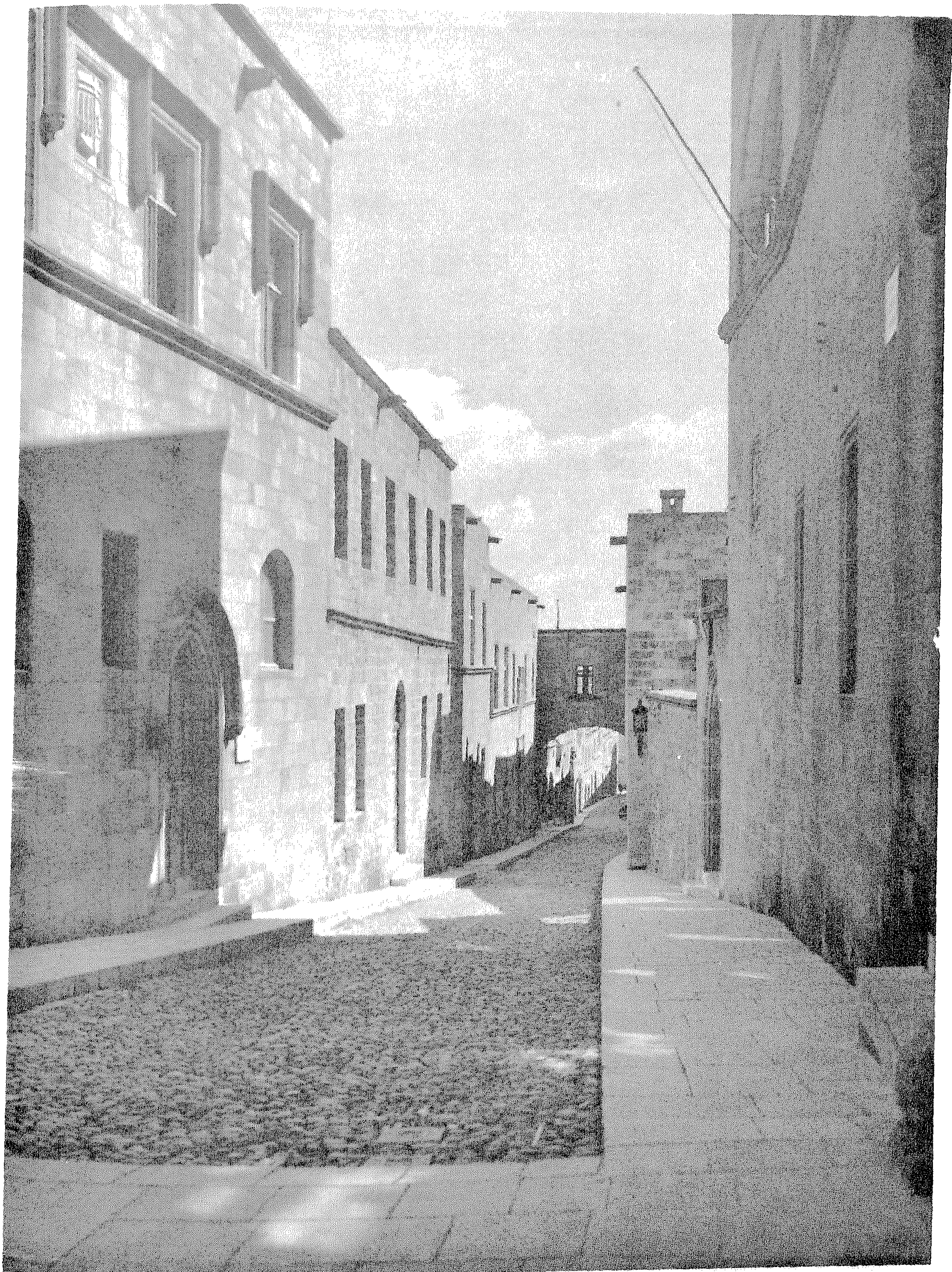
۱۵۳ ـ بدروم



١٥٤ ـ رودس



١٥٥ ـ رودس



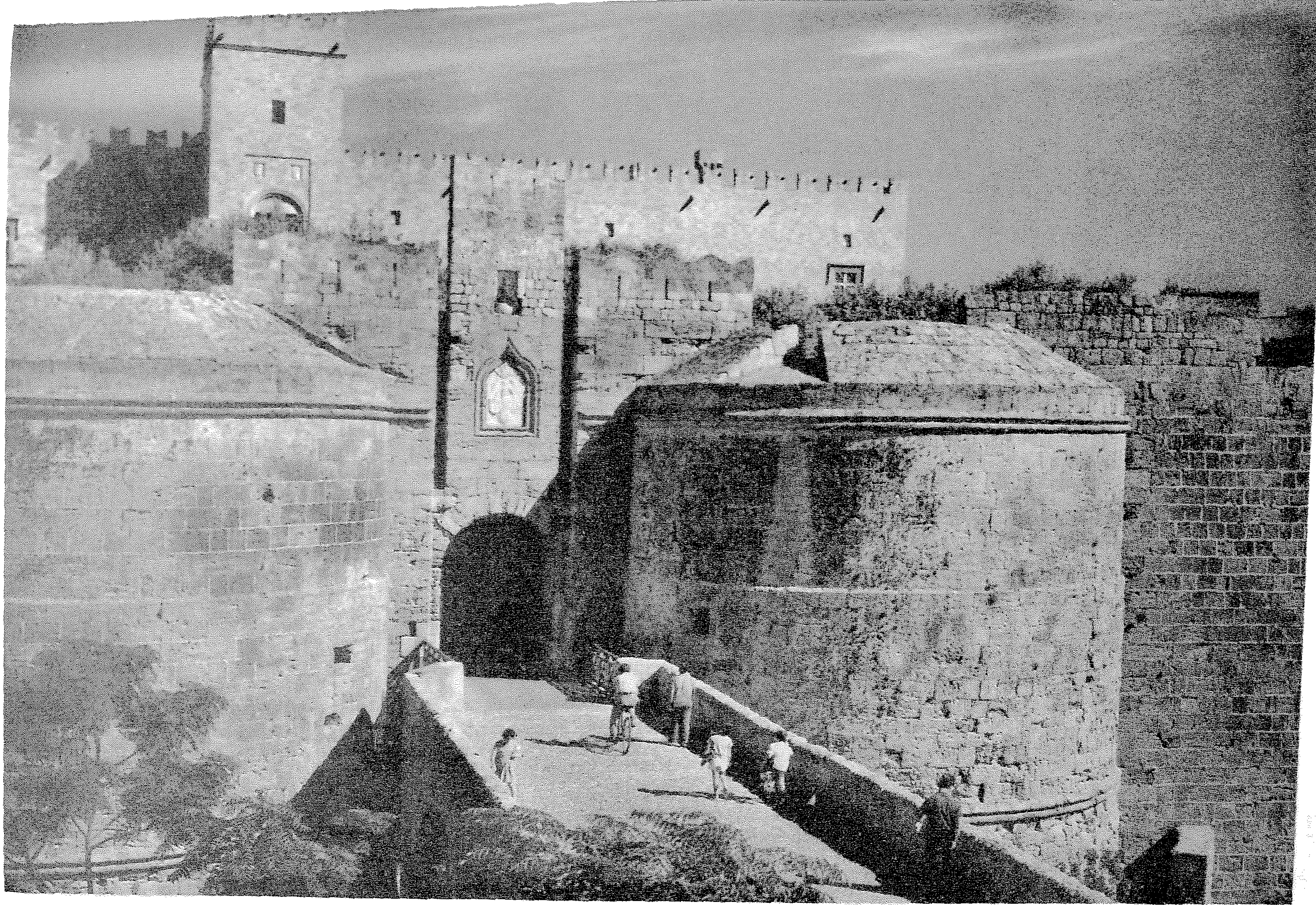
١٥٦ - رودس



١٥٧ ـ رودس



١٥٨ ـ رودس



١٥٩ - رودس



١٦٠ ـ رودس

CASTLES OF THE CRUSADERS

WOLFGANG MÜLLER-WIENER

PHOTOGRAPHS BY A. F. KERSTING

احتلت القلاع مكانة هامة للغاية أيام الحروب الصليبية وكان لها فضل كبير في تطور فن التحصين عند الغرب . وكانت وما تزال من أعظم الصروح التذكارية الآبدة حتى يومنا هذا .

يقدم المؤلف في هذا الكتاب موجزاً لأهم الأحداث التي دارت أيام الحروب الصليبية ودور القلاع فيها ، كما يقدم وصفاً لأهم تلك القلاع ولمحة تاريخية عنها مرفقة بمجموعة كبيرة من المخططات واللوحات المصورة . وقد آثرنا من جانبنا توخي الدقة في الترجمة وإضافة هوامش إلى النص الأصلي استقيناها من مصادرها العربية مع فهارس لأسماء الأعلام والأماكن الجغرافية التي ورد ذكرها في النص .